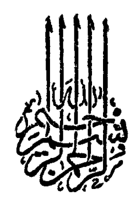
موسوعة العلوم الإسلامية



أنور الجندي

دار الاعتصام



آفاق البحث

الباب العشرون

الباب الحادى والعشرون

****

أسلمة المناهج والبرامج
هو المنطلق الحقيقى للمجتمع
الإسلامى الجديد

كان السؤال فى ندوة الاعتصام عن المنطلق الحقيقى لتصحيح مسار مجتمعنا فى مواجهة هذه التحـــديات التى ظهرت على الساحة ، والسلبيات التى تبرز نتيجة البرامج والمسلسلات والأفلام والمسرحيات التى تسرف كثيرا فى عرض قضايا وافدة ليست من مجتمعنا ، والتى تركز كثيرا على الجريمة والجنس ، وما يتصل بتعاطى المخدرات ، وعدم الأمانة فى التجارة ، وانتشار الرشوة واغتصاب الفتيات ، والجشع فى الحصول على الأرزاق والانفاق المسرف الفاسد .. كل هذه المشاكل لا يمكن أن تحــل الا عن طريق تطبيق الشريعة الاسلامية التى تقــوم على مجتمع سليم نقى ، وعــن طريق الفهم الصحيح ..

ان تطبيق الحدود هو وقاية من الجريمة لا عقاب عليها ، وان الاسلام يعمل على حماية المجتمع من السقوط فى الأزمات والأخطار .. وانما أراد الاسلام صد الناس عن الخطأ لا عقوبتهم ، فالشريعة الاسلامية تعلم أهلها أن ينتقوا موارد كسبهم ، وأن يحسنوا انفاقهم ، بعيــدا عن الاسراف والترف الزائد ، وعن الغل والبخل . وذلك حين يحميهم من شارب الخمر والربا ، والتحلل الاجتماعى والفساد الاباحى .

ان علينا أن نقيم المنهج الربانى فى نفوسنا وبيوتنا وأن نكمل المناهــج بالثقافة الاســلامية ، وأن نجرى تعاملنا فى اطار الحلال بعيدا عن الربا ، وعن أساليب الفهلوة والشطارة التى ان حققت ربحا عاجلا فهو سحت حرام وسوف تتقاذفه الأهواء ، ثم يكون حســابه يوم القيامة عســيرا .

ان مجتمعنا يجب أن يدخل الى نطاقه الخوف من الحساب فى الآخرة . وأن يقيم نظرته وتعامله على أساس الالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية . ولابد من اداء حق الله فى هذا المال . وحق الله هنا هو حق المجتمع فى الحقيقـــة ..

ونعلم تماما : أن هذا الانحراف الأخلاقى الذى يتسوه أفلامنا ومسرحياتنا سيؤدى الى تدمير هذه الأجيال الجديدة من الشباب التى يؤمل بناؤها على كلمة الله لحماية هذا الوطن ، والدفاع عنه وعمرانه .. ولنؤمن تماما بأن هذه النذر التى تواجــه مجتمعنا من نقص فى الأموال والثمرات . وانقطاع للمطر وما يتصل به من هلاك المحاصيل ، وفساد التربة .. انما يرجع الى التقصير فى طاعة الله عز وجل . والانشغال بهذه التفاهات العاجلة عن الاتصال بالله تبارك وتعالى ، وأداء حقه فى الزكاة ، وفرائضه فى الصلاة والصيام وغيرها . ولقد توعد الله تبارك وتعالى الأمم التى خرجت عن طاعته وتعالت عن الالتزام بشريعتــه بالهزيمة فى الدنيــــا ، والضربات المتوالية لكسر شوكتها . ونحن أمة اسلامية مؤمنة تتطلع الى رضاء الله ، ونلتمس مرضاته باقامة مجتمع كريم ، بعيد عن الربا وعن الفساد ، ونسير على الطريق الموصل باذن الله الى الجادة .. فعلينا أن ننتبه تماما الى هذه الأخطار المحيطة بنا ، ونحن فى مصر قدوة للأمة الاسلامية كلها ، وشرف لنا أن نخطــو الخطوات الواثقة نحو اقامة المجتمع الربانى وقد ذللت لنا اسبابه ووسائله ، وأمامنا عبرة التاريخ والأحداث مما مضى ، والاســلام يجب ما قبله . عسى الله تبــارك وتعالى أن ينقــذ اقتصادنا ، ويفتح لنا من فضله عطاء بأذخا اذا التمسنا طــريقة يرضى عنها ، واذا أخذنا بالأسلوب الربانى الذى أمر به والذى حين أخذت به الأمة الاسلامية انقذها من الأخطار التى تحيط بها ، وأمدها بالقــــوة والتمكين فى الأرض .

ان هذه الصحوة الاسلامية هى عطاء حقيقى لهذه الأمــة بكل مقاييس علماء الاجتماع ، وقذى فى عيون أعدائها ، الذين لايريدون لها أن تخرج من مرحلة الحصار التى تمر بها . فعلينا أن نلتمس الأصالة والعودة الى المنابع ، ونلتمس الطريق الربانى الأصيل الذى انقذ هذه الأمة من قبــل من كل أزمة مرت بهــا فى غارات الصليبيين والتتار والفرنجة . عندما عادت الأمة الى

الله عز وجل ، والتمست منهجه . ولقد جربنا كل المناهج وفشلت جميعها ، وانكسرت النصال على النصال ولم يعد أمامنا ــ نحن والانسانية كلها ــ الا هذا الطريق : طريق الله المستقيم الخالص التى تقف قوى كثيرة الآن تحول بيننا وبينه . لأنه يحول دون مطامعها ومصالحها . ولكن هــذه الأمة مؤهلة اليوم ، كما كانت مــؤهلة فى كل ازمــة ومعضلة أن يتحقــق على يديهــا الخــير للبشر جميعــا . ان هــذه الأمة التى تملك منهجا ربانيا كريما لا يجوز ابدا أن تتخذه ظهريا ثم تتطلع الى مناهج بشرية قاصرة ثبت اضطرابها وعجزها .. اننا مطالبون بحمــل أمــانة الاســـلام الى العـــالم كله . وليس هنــاك من طريق يفتح أمامنا الباب لهذا الا ((أسلمة التعليم))الموجهة الى بناء الانسان . وامتلاك القدرة على الردع لأى قوة تحاول أن تسيطر على أى موقع فى قارة الاســلام ، وأن نكون قادرين على مواجهــة المؤامرات التخريبية التى تختفى فى الثقافة والصحافة والمسرح .. وادوات التسلية والترفيــه ، والتى تحاول أن تدخل مفاهيم غير اسلامية وغير عربية فى الاجتماع ، وعلاقات الرجل والمرأة . والتعامل الاقتصادى . هذه أمة لهــا منهج حياة ، ربانى المصدر ، انسانى الوجهة ، يمكنها من أن تنهــار ذاتيتها ، أو تصــاب بالاضطراب ، ولابد فى الحضارات والأيدلوجيات التى تختلف تماما عـــن منهجنا وحضارتنا ، واننا ســوف يحاكمنا التاريخ ، ويحكم علينا حكما شديدا اذا ما تغافلنا عن حماية أمتنا من أن تنهار ذاتيتها ، أو تصاب بالاضطراب ، ولابد من حماية هذا الشباب من الانهيار تحت تيارات الجريمة والجنس التى تطرحها وسائل التسلية والترفيه . فضلا عن المخدرات ، ووسائل تدمير الشخصية ، واحتوائها . ولابد أن تقوم الجامعة الاسلامية التى تمكن الأمة الاسلامية من مواجهة الأخطار ، ورد الحقوق للأقليات التى تعانى من فقدانها ، ولمواجهة المجاعة التى تتركز فى البلاد الاسلامية حيث يذهب الغرب الى اغاثة غير المسلمين . كما يحدث فى أثيوبيا ، ولابد من عقــد الخناجر على اعادة القدس التى انتزعتها اسرائيل ، ويجب أن لاتغفل بالتحلل والترف والأمن الكاذب عن الأخطار التى تواجــه أمتنا وتعمل على اجتياحها واحتوائها والسيطرة عليها ، وبين أيدينـــا معطيات كبرى : منها : الطاقة والثروة ، والتفوق البشرى تمثل أمة كبرى ، وقارة عظمى هى قارة الاسلام .

ان ترشيد هذه المعطيات التى بين أيدينا ، وتوجيهها لخــدمة المجتمع ، وبناء جوانبه ، وتحريره من عوامل ضعفه ، وما يتحوطه من أخطــار . أبرزها الحظر الذى يرمى الى القضاء على التماسك الأخلاقى والقوة الايمانية الحقيقية التى تستطيع أن تحمى الأمانة ، وتحافظ عليها . وقد تكشفت أمامنا مخططات الأعــداء واضحــة . وكلها ترمى الى التهامنا ، وتعويق نهضتنا (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) .

ان علينا اليوم أن نبدأ الخطوات الى الأصالة ، والى المجتمع الربانى ، واهم ما يجب ان نبدأ به هو ((أسلمــة المناهج)) مناهــج التعليم والتربية .. ومناهج التسلية والترفيه ومناهــج الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، وأن ندعم الخطوات التى قطعناها فى مجال المصارف الاسلامية وتأصيل وجهــة المرأة ، وبناء الثقافة الاسلامية فى نفوس الشباب ، ولنحم شبابنا ومجتمعاتنا من هــذه البرامج الوافدة . وخاصة ما يتعلق بالرقص والجريمة والجنس . فان بعض الشباب المنحرف يقوم بمغامرات يعتمد فيها على ما رأى من هــذه المسلسلات والأفلام . وفى عشرات من المعضلات المثارة فى المجتمع الاســلامى قد فشلت كل الوسائل والوسائط لأنها قاصرة عن أن تصــل بالنفس الانسانية الى منهج الله تبارك وتعالى فى فطرته وأصالته وسلامة وجهته ، فهى أقــوى وأنضج وأعمق من المنهج البشرى الذى لن يحقق شيئا سوى الهلاك والضياع .

فنلتمس من الله تبارك وتعالى الوجهة ، ولنلجأ اليه ليكشف الغمة عنا ، ولنكن من الذين اذا جاءهم بأس الله تضرعوا اليه ، ولجئوا الى حمايته .. اللهم انا نستعينك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك ، ولا نقف من هذه النذر التى تحيط بنا موقف الغفلة واللامبالاة ، والا فقد حق علينا انتقام الجبار .

((ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)) .

(٢)

ولقــد لفت نظرى الى خطورة هذا الموضوع الذى تتناوله هذه الدراسة ما كتبه رجال المعهد العالمى للفكر الاسلامى حيث يقــول الدكتور طه العلوينى : ان هناك قضيــة كبرى ذات علاقة وثيقة جدا بتكوين الشخصية الاسلامية وهى قضية (أسلمة المعرفة) حيث يحتاج الأمر فى الغرب الى جهود كبيرة لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن أمتنا الاسلامية ، خاصة فى مجال مدرسى العلوم الاجتماعية والانسانية هنــــاك .

ويحدد مفهوم اسلاميه المعرفة بمعنى تقديم المعرفة الانسانية بكل جوانبها من منظور اسلامى لتحقيق غايات واهداف الاسلام وبناء النفسية والعقلية الاسلاميتين .

ان الثقافات الغـربية المعاصرة مستمدة من تراث مزدوج بين القـديم والحـديث وقد ادى ذلك التركيب والازدواج الى كثير من التنـاقضات والمواقف الثقافية والفكرية المضطربه التى لم تكتشف بسهـولة لأن الثقافة الغربية اليوم هى ثقافة الانسان الغالب القوى المسيطر على العالم الحديث . لقد جعلت هذه الثقافة الانسـان الفرد مركز الدائرة فى كل شىء وجعلت منـه ومن لذاته ورغباته جوهر كل موضوع ومقياس كل شىء وهذه الثقافة مستمدة من فلسفة أفلاطون وهى فكرة فصـل المادة عن الروح واعتبـار الجسد انفكاك للروح وعليهـا ان تعمل جاهده على الفكاك منه والتخلص من ضواغطه كما جعلت من المنطق الارسطى وسيلتها للمعرفة فاصبح هذا المنطق مصدر العلم والمعرفة فصاغت هذه الثقافة حياتها صياغة خاصة جعلتهم لا يحلمون بشىء الا بالسيطرة على الدنيا كلها من خـلال السيطرة على كل الوسائل والغايات الانسانية التى تخدمها ولم يعد لحملة هذه الثقافة من هدف ظاهـر أو باطن فى الحياة الا النمو الاقتصـادى والنفوذ السياسى والعسكرى الذى أصبح خطـرا يهدد العالم بالفناء ، وقد يقول قائل :

وأين موضع ثقافتنا الاسلامية من الثقافة المعاصرة ونحن نعلم أنها استمدت منها الكثير .

فنقول : لاشك أن فى الثقافة الاسـلامية المعاصرة مزيجا ثالثا هـو الجانب التجريبى فى ثقافتنا وعلومنا العربية ، ذلك أن (بيكون) الذى عرف فى هذه الثقافة بانه أبو المنهـج التجربى لم يكن الا تلميذا من تلاميـذ العلماء المسلمين تتلمذ عليهم فى الأندلس ، فهم اذن أخذوا من ثقافتنا شيئا قائما وهو الجانب التجريبى واضاعوا وأهملوا (الحكمة) التى كان علماؤنا ينشدونها مع العلم التجريبى فأخذوا الوسائل وتخلوا عن الغايات فلا غرابة اذا ما تحـولت هذه الثقافة الى وسائل لتستنفد طاقات الانسان وجهده فى طلب العلو فى الارض والاستعلاء على خلق الله لتلبية روح التطلع لديهم ، ومن وراء هذا التطلع أصبح لكل حى على ظهر المعمورة الآن اربعة أطنان من المتفجرات فى وقت تموت فى العالم شعـوب من الجوع او سـوء التغذية .

هذه الخصائص للثقافة الغربية تجعل منها ثقافة غير صالحة لقيادة الانسانية لذلك فان علـى المسلمين أن يطرحوا للعالم البديل الثقاف عن هذه الثقافة الخطرة الدلالـــة .

ان الثقافة الاسلامية ثقافة متوازنة بين الفـرد والجماعة وبين العقل التجريبى والعقل المعرفى ن العالم كله اليوم فى حاجة الى :

المعرفة الإسلامية

وان حاجة غير المسلم الى المعرفه الاسلامية لا تقل أبدا الى حاجـة المسلم نفسه الى المعرفة الاسلامية التى تعرف معنى الحياة وهدفها وتعرف معنى المـوت وغايته فلا تكون الحياة فى نظر الانسان شيئـا لا معنى له كما أوحت بذلك الثقافـة الغربية او شيئا ينبغى ان يتخلص الانسان منـه ولو بالجنس والانحراف فى المخـدرات والمسكرات والسعى وراء العدم .

واعتقد أن (اسلامية العلوم الانسانية والاجتماعية) هى التى تشكل المـادة الثقافية للانسان ويمكن أن تتم باسلامية مناهج هذه العلوم وفق الخطوات التالية :

أولا : تصنيف آيات العلوم الكونية على العلـوم الانسانية المعاصرة التى تعتبر خلاصة ما توصل اليـه الانسان (وتوزيع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسلم وسائر ما صح من سنته الشريفة عليها) .

ثانيا : العمل على استقراء وتتبع ما ورد فى تراثنا الاسلامى بعد تيسير الاطلاع عليه .

ثالثا : الحصول على خلاصات الفكر المعـاصر بطـريقة موسوعية نافـذة بعيدة عن نظرتى الـرقص والانهيـار ١٠ هـ .

وبعـد فقد كانت خطوة أسلمة العلوم والمعرفة والثقافة هى حلقة ضرورية فى تطور الفكر الاسلامى من اليقظة الى الصحوة وصولا الى النهضة ولابد من الاشارة التاريخية الى أن هذا الخط قد تحدث عنه وسار فيـه كثيرون فى مقدمتهم جارودى ورشدى فكار وكان رائده الأول الامام حسن البنـا ..

هذا وبالله التوفيـق ...

أنور الجنـدى

الباب الأول

التغـــريب : دعـــوة مسمومـــة

هو مصطلح صكه هاملتون جب فى كتابه الذى نشره ١٩٣٠ تحت عنوان (وجهة الاسلام) وترجمه (الدكتور محمد عبد الهادى ابو ريدة) ولخصه الدكتور محمد حسين هيكل فى ملاحق السياسة الاسبوعية ١٩٣٢ وبدات الكتابة عنه عام ١٩٤٧ فى مجلة الاخوان المسلمين ، وكان ذلك لأول مرة تدرس هذه القضية .

ويصـــور بعض الباحثـــين التغريب بأنه استلاب واغتراب عـــن التراث ، بين الانسان وجماعته أو بين الانسان وتاريخه ، ولذلك فان من الضرورى استرجاع الانسان العربى المسلم المعاصر لهويته الضائعة عن طريق العمل على قهر شتى أسباب الاغتراب .

ومن شأن الاغتراب أن يقضى على شعور الفـــرد بانتمائه لنفســـه والمقـــابل للاغتراب هو امتلاك الذات ، ووعى الفرد لذاته من حيث امتلاكه استقلالا ذاتيا وقدرة على الفصـــل فى مصيره الشخصى فى الاطار التـــاريخى الخارجى .

واللفظ المقابل للاغتراب هـــو الهوية أو الذاتية ، ويعنى الاغتراب ايضا تعبيرا عن الحرمان والضياع عندما يجىء المستعمر فيسرق من الجماعة ارضها وحضارتها ولغتها وشخصيتها .

قال جاك بيرك : ان الاستعمار قد سلب تلك الجماعة عاداتها وتاريخها ووجودها الحضارى وانتزع منها صميم طبيعتها فتقذف بتلك الجماعات الى عالم غريب من الأشياء والمعانى والدلالات فلم تستطع ان تتحرر بعد الاستقلال السياسى من تلك الغربة .

والسر فى الاغتراب فى المجتمع الاسلامى : أنه مجتمع متنزع من صميم ماضيه غائب عن حاضره وان كان يعمل بجهد ومشقة فى سبيل بناء مستقبله .

وان ما يدور حول الأصالة والمعاصرة ، هو تعبير عن أزمـــة الاغتراب ، وبحث عن الشخصية المستلبة ، والتحرر من كل آثار الاستعمار » .

ويعمل التغريب على استغلال وجوه النقص النفسى من اجـــل تدمير الشخصية المسلمة ، ولذلك فان عـــلى المسلمين ان يعملوا على تحرير مواريثهم الحضارية التى أفاء الله عليهم من هذه الأحقاد والأطماع التى صبها عليهم اعداؤهم وأن يدركوا أن طبيعة أعدائهم تدفعهم دائما الى أن يتآمروا على الاســـلام كى يقضوا عليه وقد سجـــل القرآن الكريم هذا المعنى بقوله :

« ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم » .

ولاريب ان من اكبر أخطائهم محاولة تخيير المسلمين بين الاسلام والعلمانية أو القول بأن الاسلام لايستطيع أن يواجه التطورات الاقتصادية والاجتماعية التى تمر بمجتمع المسلمين ، والاسلام قادر على أن يقدم منهجه الأصيل المرن الواسع الأفق ، أما العلمانية التى يدعون اليها فانها تجارة خاسرة وتجربة بائرة،وانها قد عجزت فى مجتمعاتها أن تقدم الحلول ، ويتطلع الغربيون اليوم الى تجربة جديدة ونظام جديد بعد فشل الراسمالية والماركسية على السواء وليس اخطـــر مما يطرحه التغريب اليوم من التيـــارات الهدامة والمذاهب الفكرية المعادية للاسلام ، وهى التحدى الحقيقى الذى يواجه الشباب المسلم الذى ليس له خلفية اسلامية أصيلة ، حيث يعطيهم التغريب صورة مشوهة عن واقع الاسلام والحقيقة أن هذا الواقع الذى يعيشه المسلمون ليس هو الاسلام ولا هو حجة عليه ، انما هذا الواقع جاء ثمرة الخروج عن نظام الاسلام ولا ريب أن الكشف عن مخططات التغريب يقتضى منـــا العمل على مواجهة التغريب : وأن على الأمة ومثقفيها محاربته بكل الأسلحة ولاريب أن الدعوة الى الأصالة والتجديد فى اطار الأصالة ، هـــو السبيل الأمثل لانجاة بمستقبل الأمـــة وحمايتها من الذوبان فى حضـــارة الغـــزاة ، ولا ريب أن المحافظة غـــير الجمود ، وأن هناك فارقا واسعـــا بين التجديد والتحديث فى اطار الأصالة وبينهما فى اطـــار التغريب وليس صحيحا مايقال من أن المحافظة هى الجمود او انها تجعل الأمة معرضة للوقوع فى شرك المتغربين .

* * *

والتغريب فى ابسط مفهوم هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب ، ومحاولة غرس مبادىء التربية الغـــربية فى نفوس المسلمين حتى يشبـــوا مستغربين فى حياتهم وتفكيرهم وحتى تخف فى نفوسهم موازين القيـــم الاسلامية ويستهدف تحقيق ذلك ايجاد شعور بالنقص فى

نفوس المسلمين والشرقيين عامة وذلك باثارة الشبهات وتحريف التاريخ الاسلامى ومبادىء الاسلام وثقافته واعطاء المعلومات الخاطئة عن اهله وانتقاص الدور الذى قام به فى تاريخ الثقافة الانسانية ومحاولة انكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية التى تتمثل فى ماضى هذه الأمة مع توهين القيم الاسلامية والغض من قدرة اللغة العربية وتقطيع اوصال الروابط بين الشعوب العربية والاسلامية .

ويقول أصحاب هذه الدعوة ان للمسلمين والعرب قيما ومثلا وذاتية خاصة تحول بينهم وبين الاندماج فى الأمم الأخرى تخلق منهم قدرة قوية على مقاومة النفوذ الاجنبى والغاصب ولا سبيل للقضاء على هذه المقاومة الا بصهر هؤلاء فى بوتقة الفكر الغربى واخراجهم من قيمهم لينصهروا فى قيم الغرب وابراز أهداف التغريب : الحيلولة دون قيام (وحدة الفكر) التى هى مصدر وحدة الأمة وبلبلة العقول والنفوس بعشرات من المذاهب والدعوات وتعميق الفوارق الثقافية والاقتصادية فى الأمة الواحدة بما يحول دون قيام الوحدة الجامعة .

ماذا استهدف التغريب :

اولا : القضاء على وحدة الأمة الاسلامية باسقاط الخلافة الاسلامية .

ثانيا : التعليم هو الخنجر المسموم الذى طعنت به الأمة فنحن ما أوتينا الا من قبل التعليم والصحافة .

ثالثا : فرض الاقتصاد الغربى والنظام الربوى وتمزيق ثروات الأمم .

رابعا : اسقاط القانون الربانى للبشر (الشريعة الاسلامية) وفرض القانون الوضعى الذى يهدم الأخلاق ويحطم الأسرة ويزلزل المجتمع ويدخله فى مرحلة التحلل .

خامسا : اثارة النعرات الاقليمية والقوميات والعصبية واحياء التاريخ القديم السابق للاسلام .

سادسا : هدم اللغة العربية لانها لغة القرآن الكريم .

سابعا : انكار دور المسلمين على الحضارة خلال الف عام واثرهم على صناعة التجريب .

ثامنا : طرح نظرية وحدة الحضارة العالمية لصهر الحضارة الاسلامية فى اطار الحضارة الغربية .

تاسعا : كتابة التاريخ الاسلامى من وجهة نظر تقول أن القرامطة والزنج دعاة الى العدل الاجتماعى .

عاشرا : فرض التجربتين : الليبرالية والماركسية اللتين سقطتا بعد أن مر بهما المجتمع الاسلامى ولم يعد أمام المجتمع المسلم الا ان يعود الى منابعه .

حادىعشر : طرح نظرية دارون كمدخل الى الالحاد وتدمير الشخصية الانسانية والتشكيك فى قضية الخلق القرآنية ، وقد تكشف للعالم كله الآن أنها نظرية باطلة وأن الانسان الأول كان يمشى على قدمين منذ ملايين السنين .

ثانى عشر : طرح نظرية فرويد التى تقول ان الانسان حيوان وتحكمه غرائز الجنس .

ثالث عشر : فرض دوائر المعارف البريطانية والفرنسية والأمريكية ودائرة المعارف الاسلامية المليئة بالسموم من أجل تقديم مفاهيم خاطئة بالنسبة للاسلام والنبى وعلاقة اليهود بفلسطين .

* * *

ثانيـــا

كذبت بنوءة (جب) بعد خمسين سنـة وارتفعت أعلام الصحوة الإسلامية وتحطمت أحلام التغريب

يقول الامام ابن تيمية : « من لم يجادل أهل الباطل حتى يقمع باطلهم لم يكن أوفى للاسلام » ونحن نؤمن بأن المدافعين عن الحق خالصا لوجه الله لا يخلو منهم عصر أو جيل حتى يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها وقد واجهت الأمة الاسلامية فى هذا العصر سموم مثارة وشبهات مطروحة ونظـريات ومذاهب ومحاولات للتآمر والخداع ترمى كلها الى صرف المسلمين عن المنهج الربانى الى منهج البشرية الوافد فاذا تعلقوا به وتركوا منهجهم احاطت بهمدائرة الاحتواء وصهروا فى بوتقة الأمميةوفقدوا ميزتهم الحقيقية وذاتيتهم الخاصة التى أقامها لهم القرآن بحيث يكونون حملـة لواء التوحيد الى البشرية كلهـا الى ما شـاء الله .

ومنذ اكثر من خمسين عاما كشفت مخططات النفوذ الأجنبى مؤامرة التغريب التى تعمـل على تغيير طبيعة وروح المجتمع الاسـلامى ليخضع للحضـارة الغربية ويستسلم أمام المفاهيم الوافدة المستمدة من مصادر ثلاثة : من الفكر الوثنى اليونانى ، ومن الفكر الرومانى المادى ، ومن الفكر المسيحى الغـربى الذى يختلف عن المسيحية المنزلة.تكشف هذا بظهور كتاب وجهة الاسلام للمستشرق هاملتون جب وزملائه (١٩٣٤) يدرسون كيف وصل التغريب بالعالم الاسلامى وما هى العوامل التى تمكن من الاجهاز عليه وتغريبه كلية وفىذلك عبارة واضحة يتساءل جب عن المستقبل : مستقبل التغريب فيقول :

الى اى مدى أصبح العالم الاسلامى غربيا ويجيب على ذلك مستعرضا نفـوذ الثقافة الغـربية فى العالم الاسلامى بلدا بلدا . ثم يعقب على ذلك بقوله :

نستطيع أن نقول حسب سير الأمور الآن : ان العالم الاسلامى سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا فى كل مظاهر حياته . مالم يطـرأ على الأمور عوامل ليست فى الحسبان فيتغير اتجاه التيار » .

كتب هذا هاملتون جب فى الأيام نفسها التى كانت فيها اليقظة الاسلامية تشق طريقها لتواجه مختلف شبهات الاستشراق والتغريب مواجهة حاسمة . ومن ثم كان لها دورها الواضح فى تصحيح ما دسته الشعوبيـة والعلمانية والماسونية والماركسية من سموم فى تاريخ الاسلام وعلت صيحة : التحرر من التبعية للنظريات الغربية الوافدة .

(اولا) كشفت اليقظة عن المراجع الزائفة : دائرة المعارف الاسلامية والمنجد والموسوعة الميسرة ، واعلنت أن الاغانى والف ليلة وكتب المحاضرات ورسائل اخوان الصفا كلها مراجع زائفة .

(ثانيا) كشفت اليقظة اخطاء طه حسين ، سلامه موسى ، ساطـع الحصرى ، جـــرجى زيدان ، على عبد الرازق ، أمين الخولى ، لويس عوض وكشفت عن فساد النظريات التى طرحوها .

(ثالثا) سقطت مدرسـة جبران خليـل جبران ودعوات كتابة العربية بالحروف اللاتينية والفرعونية والعامية ، وفساد عبارة (التنوير) وعصر التنوير فهى كلمـة يهـودية !!

(رابعا) اعيد اعتبار السلطان عبدالحميد وموقفه المشرف من الصهيونيـة ، وتحـرر موقف ابن خلدون والمتنبى ، وعمر الخيام بعد أن سيقت الاتهامات لتدمير كيانهم الأصيل .

خامسا : تكشف فساد وجهة الحضارة الغربية وانها المركب الغارقة ، والغربيون اليوم هم الذين يقولون بانهيار الحضارة ، شبنجلر كشف ذلك منذ أربعين عاما وجاء بعـده الكس كاريل وجارودى وتبين أن هـزيمة الحضارة الغربية ترجع الى سبب واحد : هو غيـاب البعد الالهى الحضارة والعلم والبعد الأخلاقى للمجتمع والاقتصاد كما تبين فساد فكرة الحـوار بين المسيحية والاسلام لأنها لم تقم على أساسها الصحيح وهو ايقاف التنصير كما تكشف زيف الكتب المقدسة مصدر التبشير . كما ظهر اعتراف الغرب بفضل حضارة الاسلام .

سادسا : تكشفت هـزيمة القانون الوضعى ، وفساد نظرية العلمانية وتأكد أن مفهوم الاسلام الأصيل (دين ودولة) منهج حيـاة ونظام مجتمع هـو المفهوم الصحيح وقد سقطت تلاع الاقليمية والقومية والماركسية

(سابعا) تبين فساد دعوى (جيل العمالقة) فقد تكشف أن هؤلاء العمالقة لم يكونوا الا قناطر بين الفكر

الغربي والفكر الاسلامي وانهم لم يزيدوا على انهم نقلوا نظريات الغرب دون أن يتبينوا صلاحيتها أو فسادها ودون أن يقدموا معها تقييما يؤصلها ، كذلك فقد كذبت الوقائع أن يكون أرسطو معلما للمسلمين كما يدعون .

ثامنا : تبين أن هنـــاك انقطاعا حضـــاريا بين الاسلام والعصر الجاهلي وانه ليس هناك ارتباط بين الفرعونية والبابلية والفينيقية وبين عصر التوحيد وتبين أن أول تاريخ العصر الحديث هو ظهور الاسلام وليس سقوط الدولة الرومانية .

تاسعا : تبين أن المنهج الفلسفي لديكارت اخذت عناصره من نظرية الامام الغزالي التي اوردها كتابه : (المنقذ من الضلال) وقد وجد في النسخة المترجمة الى الفرنسية تعليق لديكارت يؤكد هذا المعنى .

وأن نظرية التجريب التي قدمها فرنسيس بيكون مأخوذة من الرسالة للامام الشافعي .

ومن العجيب أن طه حسين الذي يفترض انه درس الغزالي لم يتبين ذلك وظن أن ديكارت هو صـــاحب النظرية .

ومن العجيب أن يقول احد الكتاب المعاصرين الذين درسوا في الأزهر انهم تعلموا مفهوم حركة التاريخ من ماركس بينما نجد أن القرآن الكريم الذي بين أيدينا الذي سبق ماركس بأربعة عشر قرنا قد قدم مفهوم حركة التاريخ الذي سبق به كل المفكرين المعاصرين .

عاشرا : أن النظريات العالمية التي قيل أنها بنت حضارة العصر قد سقطت : نظـرية دارون ، نظـرية ماركس ، نظرية فرويد ، نظرية دوركايم . أما نظرية دارون فقد تجاوزتها الكشوف والحضارات بعد أن ظهرت عظام الانسان قبـل ١٧ مليون سنة شـــمال كينيا وهو مستقيم الجذع تماما كما هو اليوم ، أما نظرية ماركس فقد سقطت لأنها اعتمدت على وقائع انتقائية من التاريخ ولم يدرس ماركس الاسلام،أما نظرية فرويد فقد ثبتفسادها لأنها اعتمدت على عنصر واحد هو الجنس ، أما نظرية دوركايم فقد سقطت لأنها خالفت الفطرة والعـلم .

حادي عشر : أن محاولة تفسير التاريخ الاسلامي بمفاهيم علمانية أو قومية أو مادية هي محاولة فاشلة ولن تجد في هذه المرحلة من حياة الأمة الاسلامية اي قبول لها فالقول بأن الحروب الصليبية هي صراع بينالعرب وأوربا كما يحاول (محمد عماره وعبد العظيم رمضان) هو قول باطل تماما ولا دليـلَ عليه ، فمتى كانت هنـــاك عروبة تصارعها أوربا في هذه الفترة وكلمة العروبة لم تظهر الا منذ سبعين عاما ؟!؟

ثاني عشر : سقط مفهوم كتاب الغرب القائل بأن اسلوب الحضارة الغربية هو وحده المنطلق الذي يستطيع به المسلمون أن يحققوا كيانهم ووجودهم ، هذه دعوى خدعت المسلمين والعرب سنوات طويلة منذ اثارها طه حسين ومحمود عزمي ، وغيرهم وقد تكشف بطلانها منذ ان انتزعت القدس من أيدي المسلمين ، وثبت فشل المنهج الليبرالي الغربي بعد الحرب العالمية الأولى كما ثبت فشل المنهج الماركسي الاشتراكي بعد الحرب العالمية الثانية ، فان ما ظنوا انه عامل موصل للنهضة ، تبين أنه عامل عازل يسلم المسلمين والعـرب الى الاحتـواء الكامل والانصهار في بوتقة الأممية العالمية .

ثالث عشر : ان الدعوة المثارة اليوم الى ترجمة آثار الغرب هي دعـــوة مضللة فان حـــركة الترجمة يجب أن تتحرك في اطار الأصالة والحفاظ على الذاتية الاسلامية العربية لا أن تكون غزوا لنا بأباطيل وأساطير وتفاهات الأدب الغربي المنحل المكشوف الزائف ، اننا لا نحتاج من الغـــرب لغير كتب العلوم الطبيعية والرياضيـــة وكل ما يتعلق ببناء تكنولوجيا عربية اسلامية وما كان للمسلمين ان يكرروا التجربة التي تحتويهم داخل اطار الفكر الغربي وهو في مرحلة الهزيمة .

رابع عشر : تبين فساد نظرية (تعليم بلا تربية) الوافدة من الغرب ، ولن يتحقق للمسلمين بناء مجتمعهم الرباني الا اذا اقاموا نظـــام التربية الأصـــيل قـــائدا لهم الى مسيرة التعليم .

خامس عشر : مسألة التبادل الثقـــافي بين عالم الاسلام والعالم الخارجي مسألة تحتاج الى يقظة تامة فان استيراد الأفلام المشبعة بالجنس والجريمة التي تغزو مجتمعاتنا اليوم هي من الأمور الخطيرة التي يجب التنبه لها . كذلك يجب الاحتراز من نقل معلومات البلاد الاسلامية الى الغرب عن طريق اللجان المشتركة .

سادس عشر : فساد فكرة الدورات التي يحاول ان يطرحها الفكر الباطني ، وهي فكرة التناسخ القديمة في اسلوب جـــديد والمسلمون لا يؤمنون بهذه الفكرة ويرون انها من الباطل الذي يجب كشفه .

سابع عشر : يتجدد الكلام عن القومية بعد أن سقطت سقوطا شنيعا وفي هذه المناسبة يجب أن نذكر قـــول كبير المبشرين الغربيين (زويمر) : **ان انتصـــار الاستعمار الحقيقي هو هدم (الوحدة الاسلامية) واحلال القومية محلهـــا وما علينا الا ان ننفخ في بوق القومية فتاقاد لهـــا الشعوب وهذا هو الانتصار العظيم) .**

فليعتبر بهذا أولو الأبصار .

ثامن عشر : تجب اليقظة التامة ازاء دعويين : البهائية والقاديانية « والقاديانية المعدلة بالأحمدية » فكلاهما تدعو الى اسقاط فريضة الجهاد فى سبيل الله وتدعو الى عالمية الاديان وهى فتنة يراد بها هدم الاسلام وقد تبين ولاء البهائية للمنظمات الصهيونية وهى أشبه بالماسونية والروتارى والليونز كما تبين ولاء القاديانية والأحمدية الى النفوذ الغربى والى الصهيونية أخيرا .

تاسع عشر : فساد نظرية تطوير الشريعة ، وهى نظرية علمانية مرتبطة بالايدلوجيات البشرية ، حيث ان الشريعة الاسلامية ربانية المصدر ، قد وضعها الحق تبارك وتعالى فى أطرها الواسعة المرنة لتكون صالحة المجتمعات البشرية فى مختلف البيئات والعصور ، فهى تختلف عن الفكر الانسانى الذى يعتوره النقص والفساد ويحتاج دائما الى الاضافة والحذف وانما تتطور فى الاسلام الوسائل ولا تتطور القيم الثوابت وهناك مجال للمتغيرات .

عشرون : فساد فكرة التفرقة بين العلم والدين وقولهم ان للعلم ميدانه وللدين ميدانه وهذه نظرية غربية مرتبطة بالمسيحية التى لم يكن لها نظام مجتمع ، أما فى الاسلام فانه لم يحدث صراع بين العلم والدين على مدى هذه العصور المتوالية ذلك لأن العلم نشأ فى كنف الاسلام الذى هو ليس دينا بمفهوم اللاهوت الغربى ، والعلم فى الاسلام جزء منه وخاضع لمنهجه وأخلاقياته وتقوم الحضارة الاسلامية على اسلامية العلم الذى يخدم البشرية ويقدم لها مايصلحها ويرفع عنها أخطار العصر الذرية والهدروجينية التى تهدد العالم فى كل لحظة .

هذا وينكر الاسلام ما يسمى بالصدفة فكل حادث تم بقصد وغاية وحاشا الله أن يقع شىء بالصدفة فى ملك الله . وليس فى الاسلام ما يسمى بالطبيعة التى صنعت كذا وانما الصانع فى الاسلام هو الله تبارك وتعالى والطبيعة مخلوقة لله تعالى ، واذا كان فى الغرب اليوم تيار يسمى مراجعة الذات تعبيرا عن الشك فى الكتب المقدسة وفى نظام القيم الراهن وبحثا عن نظام جديد أكثر ملاءمة لها ، فاننا فى الاسلام نقيم نظام (العودة الى المنابع) وهو صلب دعوة مدرسة الأصالة التى حمل لواءها الامام أحمد بن حنبل حتى صاغها الامامين ابن تيمية وابن القيم فى منهج أصيل ، هذا المنهج لم يتوقف عن أن يحمله المجاهدون جيلا بعد جيل ، فلم يخل منه جيل حتى جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب فأنجح الله قصده وارتبط المنهج الربانى بالحكم فقامت دولة عايشت الأحداث وكان ظهورا مجددا عام ١٩٢٦ بعد سقوط الخلافة العثمانية وقد ترائا فكرة جب فى مطالع الصبا وعايشنا الأحداث فى مواجهة التغريب .

ولقد كانت صيحة الامام حسن البنا فى العصر الحديث هى الرد الحقيقى على مؤامرة (هاملتون جب)

وقد قطعت اليقظة الاسلامية مراحلها فى تصحيح المفاهيم حتى ظهرت صيحة العودة الى الله ١٩٦٧ بعد ضياع القدس وقدمت هذه المرحلة ثلاثة مظاهر كبرى :

١ ــ عودة المرأة المسلمة الى البيت والى الحجاب .

٢ ــ ظهور المصارف الاسلامية التى خرجت عن دائرة الربا .

٣ ــ تطبيق الشريعة الاسلامية فى باكستان والسودان .

٤ ــ غلبة مفهوم الاسلام الجامع : دينا ودولة ونظام مجتمع ومنهج حياة ونحن فى العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجرى نتطلع الى :

* * *

١ ــ نهج اسلامى للأدب وتاريخه والنقد والقصة .

٢ ــ منهج أصيل للفن الاسلامى والعمارة الاسلامية .

٣ ــ منهج اسلامى أصيل للنفس والاجتماع والأخلاق .

٤ ــ أن تكون اللغة العربية الفصحى هى لغة المسلمين جميعا .

٥ ــ أن يقوم نظام التربية الاسلامية ، فان الخنجر الذى طعن به المسلمون هو نظام التعليم الغربى العلمانى .

٦ ــ ان يقوم نظام العلوم التكنولوجية فى العالم الاسلامى على اللغة العربية وفى نطاق الاسلام .

وهكذا كذبت نبوءة هاملتون جب وقد نشأ فعلا الجيل الذى قاوم المؤامرة وحطمها تماما .

هذا وبالله التوفيق »

* * *

فى ضوء الصحوة الإسلامية من التغريب إلى الأصـــالــة

كشفت حركة التغريب والغزو الثقافى هدفها منذ خمسين عاما بكتاب المستشرقين الخمسة وعلى رأسهم هاملتون جب (وجهـــة الاسلام) ولكن عملية التغريب نفسها كانت قد بدأت قبـــل ذلك منذ الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ ــ ١٢١٦ هـ تقريبا أى فى مطالع القرن الثالث عشر بعد أن دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى التوحيد الخالص بوقت طـــويل يزيد عن خمسين عاما ومعنى هذا أن نهضة الاسلام بدأت من داخله وليس من خارجه كما يدعى المدعون ، وكانت هذه الريادة سببا فى التنبيه والوعى لاخطار حركة التغريب ، يبدو ذلك واضحا فى كلمات عمر مكرم والشيخ الدردير ، ولقد كشفت مجلدات (وصف مصر) التى كتبها المستشرقون الفرنسيون عن أن المجتمع الاسلامى كان فى أعماقه سليما وكان النظام الاسلامى قائما ليس فى مصروحدها بل فى العالم الاسلامى لم يحجب الا بعد الاحتلال البريطانى الذى قطع لأول مرة استمرارية هذا النظام منذ ظهور الاسلام .

ان حركة الغزو الثقافى والتغريب التى قادها الغرب لم تكن تستطيع أن تعزل المجتمع الاسلامى عن قيمـــه الا بالاحتلال والسيطرة العسكرية وفرض القادة والمفكرين الغربيين وعزل القـــوى الصادقة الايمان عن الحركة والعمل ، كما حدث بالنسبة للمجاهدين الذين عارضوا النفوذ الاستعمارى فى مصر والجزائر وتونس والهند .

ويكذب الذين يدعـــون بأن المجتمع الاسلامى قد تقبل النموذج الغربى تقبلا اختياريا فقد كان المجتمع الاسلامى يمتلك منهجا تطبيقيا واسع الأفق مرن الاطر ، قادرا على استيعاب مختلف وجوه الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وان كان المسلمون قد أصيبوا بالجمود والتخلف بعد جولة الف سنة من اضاءة العـــالم وبث روح الحضارة والتقدم فيه ، ولكنهم كانوا قادرين عن طريق مصلحيهم الذين انطلقوا فى دعوات تحمل **طابع** مقاومة الاستبداد وتطهير العقيدة ، والقضاء على الجبرية الصوفية أن يستعيدوا كيـــانهم وعطـــاءهم للانسانية ولكن النفـــوذ الأجنبى الذى هزم فى الحروب الصليبية ، والذى استيقظ على المنهج العلمى التجريبى الاسلامى سرعان ما امتلك ارادة القوة والسيطرة ومضى فى جولة جديدة للسيطرة على عالم الاسلام .

كان الهدف هذه المرة هو « الاسلام » نفسه منذ اكتشفت هذه القوى انه هو (العروة الوثقى) وانه روح الارادة القادرة على المقاومة وصد العدوان ، ومن هنا كانت محاولة التغريب الرامية الى تفريغ الاسلام من مضمونه الأصيل وهو (الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) وتفريغ العقول والقلوب المسلمة منه .

وقد كشفت مخططات التغريب عن الوسائل كما كشفت عن الغايات ، الوسائل الرامية الى تمزيق وحدة المسلمين حتى لا يجتمعوا فى كيان موحـــد وقد أشار (هاملتون جب) الى بعض هذه الوسائل .

أولا : أشار الى الرابطة العامة الوثيقة بين عناصر المجتمـــع الاسلامى والتى نشأت من العقيـــدة والثقافة الدينية المشتركة وهى التى تؤلف بين الجماعات الاسلامية فى الشعور والرأى والمصلحة وكان لابد لهدم هذه الرابطة من خلق الفرق والأحزاب والهيئـــات ذات الولاء الغربى والشرقى ، والسياسى ، والاجتماعى ، والاقليمى والقومى مع التركيز على الأقليات وعلى القبليات واحياء النزعات القديمة التى اندثرت ســـواء الفرعـــونية والفينيقية والاشورية والبابلية ، أم المعتزلة ، والباطنية ، أم ادخال الفرق الجديدة كالشيوعية والوجودية والفرويدية .

ولكى تقضى على التعاطف الاسلامى الذى يجمع الشعوب ظهرت الدعوات الى تاريخ قومى لكل قطر عربى يمتد الى تاريخ ما قبل الاسلام مع أن الاسلام حين جـــاء قضى على هذا التاريخ وأعلن المؤرخون قيـــام (الانقطاع التاريخى) بين ما قبل الاسلام وما بعده .

ثانيا : أشار الى الرابطة الدينية وعمقها ، وتلك دعوة الى احلال روابط أخرى تتعلق بالوطن والقومية وغيرها محل هذه الرابطة والعمل على اعلاء شأن (الاتجاه العلمانى) القائم على الروابط الاقتصادية والسياسية أى العمل على توهين هذه الرابطة المقدسة واحـــلال روابط أخرى بدلا منها واقامة نظم جديدة فى تأليف الحكومة وتكوين المجتمع وهى الليبرالية والديموقراطية الغربية) .

ولاريب أن أحياء الثقافات القومية والاقليمية الممتدة الى تاريخ كل بلد قبـــل الاسلام يجدد تلك الخلافات

ويعمقها ويصبح على حد قوله (وبذلك يختلف معنى الوحدة الاسلامية فى هذا العصر الحديث اختلافا تاما عن معناها فى العصر الوسيط) .

ثالثا : غزو العقول العربية والاسلامية بالأفكار الغربية حتى تنقطع القنوات التى تستقى كلها من نبع واحد ، والتى تؤدى الى هدف واحد .

ويقول هاملتون جب ان هذا العمل سيعمل على زلزلة بناء المجتمع الاسلامى وتقويض أركانه .

هكذا تصورت حركة التغريب انها قادرة على احتواء المجتمع الاسلامى وصهره فى بوتقة الحضارة الغربية بتقطيع أوصاله عن الاسلام جملة والحاقه بالتيارات الغربية جملة وقد غفل هؤلاء الخبراء عن شىء اساسى يكاد يكون من جوهر اسرار الاسلام التى يفاجىء بها دعاة التغريب دائما وفى كل موقع ، ذلك هو قدرة المجتمع الاسلامى وهو فى مرحلة الضعف والتخلف على الصمود فى وجه الغزو الذى يريد أن يقتلعه أو يدمره أو يحتويه . تلك خاصية شديدة الخطورة تكمن فى صميم المجتمع الاسلامى ولا تظهر الا فى وقتها المحدد وهى بالقياس الى وقائع التاريخ يمكن اعتبارها قانونا قائما أو سنة من سنن المجتمعات والحضارات .

تلك هى قدرة المجتمع الاسلامى الى الانبعاث من داخله وقدرته ايضا على رفض الجسم الغريب والانطواء على نفسه فى حالة الضعف حتى لا تنفذ اليها السهام .

ولقد كان المجتمع الاسلامى قادرا على أن يستجيب للتطورات العالمية وللمتغيرات العديدة دون أن يفقد ذاتيته أو تنهار شخصيته ، وقد ظهرت خلال هذه السنوات هذه الحقيقة فى وضوح وجلاء ، يقول جب :

(لا يستطيع مجتمع أن يبقى منعزلا عن وسائل المدنية الحديثة) نعم ولكن المجتمع الاسلامى له قدرة خارقة على أن يأخذ ما يتناسب مع حاجته دون أن ينصهر ، وهو يعرف ما هو فى حاجة اليه وهو العلم التجريبى والتكنولوجيا ، أما اسلوب العيش (بما يتعلق بالثقافة والاخلاق والعادات والقيم) فهو لا يستبدل قيمه واخلاقه واذا انحرف تحت تأثير اى ضغط فانه سرعان ما يعاود الاصالة والنظرة الصحيحة ، وسرعان ما يصحح مساره ؛ والمجتمع الاسلامى فى القرن الرابع عشر الهجرى مر بكلتا التجربتين الغربيتين : الليبرالية والماركسية ، وتأكد عقمهما وعجزهما عن العطاء،وهو يقف من النفوذ الغربى موقفا واضحا ، وقد تكشفت له الآن ابعاد المخططات ؛ كما يؤمن بأن الأسلوب الاسلامى فى معالجة مختلف التحديات التى تواجهه — ليس هو الأسلوب الأمثل فحسب ، ولكنه الأسلوب الوحيد الآن بعد أن فشلت محاولات استعمال الأساليب الوافدة التى لم تحقق الا اطالة امد الاغتراب والعجز عن امتلاك الارادة ولن يستطيع النموذج الغربى أو المثل الماركسى ، أن يسيطر أحدهما على هذه الأمة الناضجة التى تعرف أن منهجها اعظم المناهج واقدرها على العطاء ، ليس للامة الاسلامية وحدها ، بل للبشرية جميعا ، هذه الأمة لن تخدع وان خدع افراد منها احتوتهم المدرسة التغريبية وكان لهم بعض النفوذ فى بعض المجتمعات ، ولكن الى قدر قصير وأمد محدود ، ولن يستطيع شىء ماعدا الأصالة والفطرة ان يستقيم ويمتد ويدوم ، ولابد للزيف ان ينهار وأن ظن البعض لبريقه ولمعانه فترة أنه ممتد ومستمر — لقد تكشف للأمة الاسلامية أن « التغريب » يهدف الى تشويه الذاتية الاسلامية المتميزة ، ولذلك حاربته الأمة بكل الأسلحة ، وظهرت مؤسسة تصحيح المفاهيم والمراجعة الشاملة الدخائل التى دخلت على الفكر الاسلامى خلال فترة النفوذ الغربى والماركسى وعلت الدعوة الى اسلمة الاعلام والعلوم والفن والعمارة واستجاشت المشاعر فى مختلف البلاد الاسلامية بالدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ، وتاوبت أقلام الدعاة والمفكرين الاسلاميين بالرد على الشبهات المثارة ومواجهة التحديات فكشفت زيف (ساطع المصرى) فى مفهوم القومية وزيف (على عبدالرازق) فى مفهوم الدين والمجتمع ومفاهيم طه حسين فى الفصل بين الأدب العربى والفكر الاسلامى ونظرية الشك الفلسفى ومفاهيم آخرين فى الاقتصاد الربوى ، والقانون الوضعى ومفاهيم الدعوة الى العامية والفلكلور وتحديد النسل ، ومفاهيم الماسونية والباطنية والشعوبية ومختلفدعواتلطفى السيد واويس عوض وزكى نجيب محمود وحسين فوزى وتوفيق الحكيم كما كشفت عن أن جيل الرواد والقمم الشوامخ لم يكن هؤلاء التغريبيون وانما كان هذا الجيل ممثلا فى محمد ابن عبد الوهاب والسنوسى والمهدى وجمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا وعبدالعزيز جاويش وأمين الرافعى ومحب الدين الخطيب وشكيب أرسلان والثعالبى وعلال الفاسى ومالك بن نبى والمودودى والندوى وعشرات . اما أن تكون القمم الشوامخ هى لطفى السيد وطه حسين وزكى نجيب محمود فهذا لا يقره احد من المنصفين .

لقد مرت فترة الانبهار ومضت الى غير رجعة ، وسقطت دعاوى الاقليمية والليبرالية والماركسية والقومية المتغربة ، وعادت مفاهيم العلاقات بين العروبة والاسلام وبين العدل الاجتماعى والاسلام وبين الشورى والاسلام الى حقيقتها .

ان موقف المسلمين من الحضارة الغربية الآن ،

ليس أسوأ من رأى مفكرى الغرب أنفسهم فيها ، وليس موقف المسلمين من الاسلام الآن هو جمود على ماض زاخر أو تاريخ باهر ، وانما على « منهج حياة ونظام مجتمع » ربانى المصدر واســـع الأطر ، قادر على العطـــاء . لا تستطيع المتغيرات والأحداث أن تعتوره ، ولا يستطيع تغير البيئات أن ينال منه ، ليس شأنه شأن المناهج البشرية والايدلوجيات العصرية ، التى تحتاج الى الاضافة والحذف ، والتى لا تستطيع العطـــاء فى كل البيئات أو العصور .

ان المنهج الاسلامى اليوم يدرس فى مجال (حـــوار الحضارات) ويجرى الاستعانة به فى سد ثغرات الحضارة الغربية المتهرئة التى توشك ان تنهار فليس الأمر الآن هو أن نأخذ ولكن هو ان نعطى .

ان فكرة التغريب (التحرر من سيادة الدين) هى فكرة مسمومة وهى ليست فكرة الغرب وحده ولكنها فكرة القوى الأخرى (الشيوعية والصهيونية) ولكن المجتمع الاسلامى الآن يؤكد سيادة منهج الله ويتطلع الى فجر جديد يشرق فى ضوء القرآن .

***

ماذا تتطلـــع إليـــه حركـــة التغـــريب

(من تقرير جب عام ١٩٣٠)

ان تقرير هاملتون جب الذى أعده ليرسم مخططا لحركة التغريب والذى ظهر عام ١٩٣٠ انما كان يرمى فى الأساس الى القضاء على الوحدة الاسلامية واحلال القوميات بدلا منها كأساس لعمل التغريب كله .

وقد نسى جب أن الاسلام وحـــدة سياسية ووحدة عقائدية فكرية وانه ان كانت قد انهـــزمت الوحـــدة السياسية فان الوحـــدة العقائدية الفكرية قد بقيت . وقاومت محاولات التغريب وعادت الى مفهومها الأصيل وانه عندما سقطت الوحدة السياسية عن طريق سقوط الخلافة مانهار المجتمع الاسلامى بفضل وحدته العقائدية وقد أحـــل المجتمع الاسلامى وحـــدات جديدة لمقاومة النفوذ الاستعمارى اما بالنسبة لاتجاه العالم الاسلامى الى المدنية الغربية وقد جعله (جب) عـــاملا قوميا فى التغريب فان المسلمين قد اصبحوا يفرقون تفرقة واضحة بين أسلوب العيش الغـــربى وبين المدنيـــة القائمة على التجريب والتكنولوجيا وهم يرفضون أسلوب العيش الغـــربى ويطالبون بأن يحصلوا على التجريب ليبنوا حضارتهم من جديد على أسس قرآنية اسلامية وانهم مهما سيطرت عليهم أساليب المدنية المادية فى الطعام والمسكن والتنقل وغيرها فانهم يفرقون تماما بين قبول ذلك وقبول فكر الغرب القائم على المسيحية واليهودية والفكر اليونانى والرومانى ولايقبلون بأسلوب الأرجانون الرومانى القائم على العبودية والرق ، ويؤمنون بمفهومهم الاسلامى القائم على التوحيد الخالص والعدل الاجتماعى والاخاء البشرى وقد تراجع التغريب اليوم فى دعواه الى صهر المسلمين فى بوتقة الحضارة الغربية وظهر دعاة التغريب يدعون الى الجمع بين تراث المسلمين وبين عصرانية الغرب ، وهى دعـــوى يرددها كثيرون فى مقـــدمتهم زكى نجيب محمود ويرفضها المسلمون الذين يؤمنون بأن البناء يجب أن يكون على الأساس وأن المسلمين لا ينتقون ولكنهم يعرضون الوافد والتراث جميعا على مقياس القرآن فكل مايصادمه يجب أن يبعـــد ، وأن كثيرا من التراث كتب فى ظروف ترجمة الفلسفة اليونانية وغلبة الفكر الباطنى والوثنى ولذلك فهو مردود ، أما بالنسبة للفكر الغربى الحديث فان المسلمين ينظرون اليه ويراجعونه ولكنهم لا يعتنقونه لأن لديهم (مناهج اسلامية كاملة) فى مختلف جوانب السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية والأخلاق والنفس وغـــيرها وهى مختلفة تماما مع الأيدلوجيتين الغـــربية والماركسية وتتميز عليهما بميزات أهمهـــا :

١ — انها ربانية المصــــدر .

٢ — انها واسعة الأفق مرنة قابلة لمواجهة متغيرات العصور والبيئات .

٣ — انها جامعة لشطرى الانسان : الروح والمادة وليست قاصرة على الفكر المادى وحده .

* * *

البـــاب الثانـــى

الاستشراق فى خدمـــة التغـــريب

اولا : آثـــار الاستشراق :

وصل النفوذ الأجنبى بعد الحروب الصليبية فى معركته مع الاسلام وعالمه الى حقيقة مؤكدة ، وهى أن هذه الأمة لاتغلب عسكريا لانها تملك منهجا يحول دون الهزيمة وان الاسلام ربى أبناءه خلال أربعة عشر قرنا على الجهاد فى سـبيل الله والدفاع عن البيضة والمرابطة فى الثغــور وحماية الحدود فى آيات هى بمثابة الأمر الأعلى الذى يصدع له المسلمون **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قـوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) .**

ومن هنـــا دفعهم تآمرهم على تدمير هـــذا السد الفولاذى القوى القائم فى النفس المسلمة بتوهين هذه القيم التى قام عليها الاســـلام واثارة الشبهات حولها واذاعة السموم والأحقاد حولها فى محاولة ماكرة خبيثة تحت اسم تقديم علوم المسلمين الى المسلمين عن طـريق الأساليب الحديثة والجامعات والبعثات وخلق اجيال جديدة تتربى فى بيئاتهم وتصـــدر عن كتاباتهم ويمكن لها النفوذ الأجنبى فى بلادهم ومن هنا نشأ « الاستشراق » بهدف تسميم منابع الفكر الاسلامى ، والتراث واللغـــة والتاريخ وأثارة الشبهات حول القرآن والسنة والسيرة والفقه وعلوم الدين بهـــدف خلق روح التخاذل وتهوين القيم وضرب النصوص والتشكيك فى المفاهيم الجـــادة والحدود القائمة .

لم يعمل الاستشراق بمفرده فى سبيل المخطط الذى كان يرمى اليه وانما أعانته قوى مختلفة اهمها مؤسسة التبشير التى بدأت فى مدارس الارساليات الأجنبيـــة وتنوعت أساليبها حتى سيطرت على التعليم فى البـــلاد الاسلامية وحــورت مناهجه وأوضـــاعه حتى جعلته علمانيا متصـــوص الجناح مجردا من مفهـــوم الاسلام الأصيل الجامـــع بين التعليم والتربية والقائم على بناء الفرد المسلم مقـــدمة للأسرة المسلمة ، فالأمة المسلمة فالدولة المسلمة .

وقـــد كان الاستشراق نفسه منظمة ذات هـــدف واضح يعمل بالتنسيق مع الاستعمار والنفوذ الأجنبى من ناحية ومع التبشير من ناحية أخرى فى سبيل تحقيق غاية كبرى هى « تغريب » الاسلام والمسلمين باخراجه من طبيعته الخاصة وجوهره الذاتى ورسالته الحقيقية وذلك لاحتـــواء المسلمين ودفعهم دفعـــا لأن يكونوا « تابعـــين » للحضارة الغربية العالمية يقبلون وجهتها وينصهرون فيهـــا ويسلمون مقاليـــد بلادهم وأمتهـــم لامبراطورية الربا العالمية ــ والاستشراق ليس علما بأى مقيـــاس علمى ، وانما هـــو عبارة عن (أيديولوجية) خاصـــة يراد من خـــلالها ترويج تصورات معينة عن الاسلام بصرف النظر عما اذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراضات . فالدارس لأعمال المستشرقين لايحتاج الى جهد كبير ليرى تعمدهم فى تزييف الحقائق واللجوء الى منطق فاسد ، ومغالطات ، وتقطيع للنصوص ، مع وضـــع اهداف مسبقة يطلبونها ويحاولون بالبحث ايجاد ما يساعدهم على تأكيدها وهى تستهدف فى غايتها رســـم صورة مشوهة سقيمة عن الاسلام فى نظرالقارىء الغربى والى زلزلةعقيدة الاسلام وتمييعها فى عين أبنائها من المسلمين فغاية الاستشراق اذن مشتركة : ذلك لانه نشـــأ فى أحضان الكنيسة وفى رحاب وزارات الاستعمار فجمع بين الغايتين ، هما صد الغربى المتطلع الى الاسلام عنه وافساد نظرة المسلم نفسه لدينه .

وبذلك صد الاستشراق فى الغرب كثيرا من متفتحى الثقافة والعقول حتى لا يقعوا فى أسر الاسلام ، بعد أن استشرى الحديث فى الغرب بعد هزيمته فى الحـــروب الصليبية عن أمانـــة المسلمين وعدالتهم ورحمتهم ، وحسن أخلاقهم .

ولمـــا كانوا يعرفون أن مواريثهم ضئيلة قليلـــة تافهـــة ، هى مجموعة من الأساطير والخرافات فقـــد أزعجهم ذلك القدر الضخم من العطاء العلمى والروحى والثقافى الذى قدمه الاسلام للبشرية وخشوا عـــلى وجـــودهم فبادروا الى النيل منـــه وتزييفـــه واثارة الشبهات حوله .

وقد حرص رجالهم على وضع مخططات ترمى الى احتواء العالم الاسلامى كله والسيطرة عليه ومن ذلك دعوتهم الى القومية والى الاشتراكية والى تشويه

الوحدة الاسلامية الجامعة والتآمر على دولة الخلافة الاسلامية لتمزق تلك الجبهة الموحدة وفرض نفوذهم الاقليمى على كل منطقة ومحاولة اقامة وجود وتاريخ وكيان خاص لكل منها مستمد من تاريخ ما قبل الاسلام وبذلك احيوا دعوات الفرعونية فى مصر والفينيقية فى لبنان والآشورية والبابلية فى العراق والبربرية فى المغرب والزنجية فى أفريقيا بهدف تقطيع أواصر العالم الاسلامى وقد اكد أكثر من مستشرق بأن التركيز على القوميات من أكبر أهداف عملهم ومنذ ذلك اليوم تحدثت الدراسات عن الأدب المصرى والأدب السورى ، والحضارة العربية والحضارة الاسلامية ، وعن الثقافة المصرية والثقافة السودانية ، وهكذا جرت المحاولة بفصل الادب والثقافة والفكر فى هذا العصر الحديث عن منطلق الفكر الاسلامى وتفصل الادب العربى عن الفكر الاسلامى وهذه مؤامرة خطيرة ، يجب الوقوف فى وجهها بينما هى (وحدة) من وحداته لا تنفك عنه .

وجاءت القضايا السياسية لتدرس فى كل قطر على حدة ، ويتكون لها وجهة نظر مختلفة ، وتمزقت جبهة الأمة الاسلامية فى اقليميات وقوميات ، كان من شأنها سقوط الوحدة الاسلامية الجامعة الى حين وتبنت الدعوات المرتبطة بالعرق والدم والعنصر ، وظهرت الدراسات تتحدث عن النحو العربى والبلاغة العربية فى كل قطر على حدة بينما هى مما لا يمكن فصله أو تجزئته وتنافس المسلمون الشخصية الواحدة فقال عنها هؤلاء انه تونسى وقال الآخرون بل جزائرى ، وقال آخرون انه ولد فى جنوب ليبيا (كذلك فعلوا بأكثر من شخصية) وقالوا أن الفارابى تركى والغزالى فارسى ، ونسوا حقيقة اساسية هى أن العقل الاسلامى وحده هو الذى كون هذه الشخصيات وكون آثارها وأن اللغة العربية والقرآن والسنة هم مصادر هذه الاعمال حيث لم يكن يعرف المسلمون فى عصورهم المزدهرة مثل هذا الخلاف بين العربى والفارسى أو التركى بل هو مما رماهم به عدوهم .بل كان المسلمون وحدة واحدة لا يملكون جواز سفر الا من لا اله الا الله وقد جال ابن بطوطة اربعين قطرا دون أن يوقفه أحد منذ خرج من الأندلس حتى بلغ جاوة .

تلك هى مؤامرة الاستشراق الكبرى التى هدمت وحدة المسلمين وفتحت الطريق أمام غزو قومية اخرى خارجة على وجودهم ومزقت العالم الاسلامى كله الى قوميات واسقطت الخلافة الاسلامية ومكنت للاقليمية التى ما تزال تصر على انفصالها ، وكانت الأطروحة الكبرى وهى الماركسية من أخطر ما حال دون وحدة المسلمين واسلمتهم الى ولاءات مختلفة بين القوى الغربية والماركسية .

هذا عن الأثر السياسى للاستشراق فى العالم الاسلامى أما الأثر الفكرى فقد درس المستشرقون العلوم الاسلامية بهدف تدميرها من الداخل وتخصص كل منهم فى علم معين : جولدسيهر (علوم القرآن) وشاخت (الشريعة الاسلامية) ومرجليوث (سيرة الرسول) لويس ماسنيون (التصوف والحلاج) كيف ترون رجلا مثل ماسينيون ينفق أربعين سنة على بعث تراث الحلاج ليجدد هذه السموم التى قتل من أجلها وهى دعواه الى وحدة الوجود واتحاد المخلوق بالخالق وتآمره مع القرامطة . وقد أفسد مرجليوث مفهوم علاقة القرآن بالشعر الجاهلى ، وزيف علاقة الخلافة بالنظام الاسلامى وخلط جولدسيهر مفهوم التدوين والسنة . وأفسد شاخت العلاقة بين العرف البدوى والشريعة الاسلامية وقد كانوا دعاة الى احياء أدب الفسق والفجور (أبو نواس وبشار بن برد) وكتابات الباطنية . فهم الذين أعادوا طبع كتاب رسائل اخوان الصفا ، وأحيوا ابن عربى والحلاج وابن سبعين والسهروردى .

وكانت دعوتهم الباطلة الى ربط المسلمين بالفلسفة الغربية بدعوى ارتباط اجدادهم بالفلسفة اليونانية وهى دعوى عريضة كذبتها وقائع التاريخ فلم يقبل المسلمون فى صدر الاسلام عندما ترجمت الفلسفة اليونانية أو الفارسية أو الهندية مقولاتها ورفضها علماء الاسلام وكشفوا عن الفوارق العميقة بين منهج الحياة الاسلامى القائم على العدل والاخاء البشرى والتوحيد وتحرير الانسان من عبوديته للأصنام والأوثان وعبوديته لغير الله بينما يقوم الارجانون الذى تحمله الفلسفة اليونانية على سيادة السادة فى أعلى منصة السيادة وعبودية العباد ، والاقرار بالرق ، اقر به ارسطو وافلاطون واعتبروه أساس الجمهورية بل لقد بلغوا فى ذلك مبلغا جريئا متطرفا اذ قالوا لو أن عبدا وصل مكان السيادة لظل عبدا ولو أن السيد وصل مكان العبودية لظل سيدا . لذلك رفض الاسلام فلسفة اليونان واعلن رفضه لها لأنها تتعارض مع قيمه وعدالته وأساس التوحيد الخالص الذى سوى بين البشر ، (كلكم لآدم وآدم من تراب) .

هذا وقد كشف علماء الاسلام فساد الفلسفة اليونانية وزيفوا وجهتها وكان للأئمة الشافعى وابن حنبل والغزالى وابن تيمية كتاباتهم المدحضة لفساد هذه الترجمات .

وقد جاء الاستشراق ليبنى على هذه المخططات التى هدمها المسلمون ، فأحياها من جديد لاثارة الشبهات وتسميم الآبار .

وقد وزعوا شبهاتهم فى ميادين مختلفة من الفكر الاسلامى : حقائق الاسلام ، تاريخ الرسول ، القرآن الكريم ، اللغة العربية ، التراث الاسلامى ، السنة ، الحضارة ، الشريعة الاسلامية ، التاريخ الاسلامى .

وبالرغم من أن الاستشراق كله جبهة واحدة فى مواجهة الاسلام ، الا ان هناك ثلاثة تيارات استشراقية تعمل متساندة ، ويتميز كل منها بأغراضه الخاصة .

(أولا) الاستشراق الغربى : الذى بدأ مع النفوذ الاستعمارى فى العالم الاسلامى ويرمى الى خلق مفهوم العلمانية وفصل الدين عن الدولة ، وتبرير الربا وهو الذى تركز فى التعليم والثقافة والصحافة وأقام قواعده الرامية الى تقليص الاسلام كمنهج حياة ونظام مجتمع ، وحصره فى العبادات والمساجد ، وفتح الطريق أمام الانظمة الليبرالية والربوية الاقتصادية والقوانين الوضعية التى مهدت للجريمة والاباحية واستشراء الفساد الخلقى والاجتماعى رغبة فى هدم الاسرة والمجتمع .

ثانيا : الاستشراق اليهودى : وقد بدأ منذ وقت مبكر لتشويه حقائق العلاقة بين الحنيفية الابراهيمية ، واسماعيل وبين اليهودية والمسيحية والاسلام .
وقد فرض اليهود انفسهم على حركة الاستشراق منذ البدايات لتحقيق اهدافهم فى النيل من الاسلام واضعافه والتشكيك فى قيمه لأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرا أولا ثم دولة .

وقد ركزوا على دوائر المعارف الاجنبية (البريطانية والانجليزية) ولاروس وغيرها لتسميم عناصرها المتعلقة بالنبى صلى الله عليه وسلم والاسلام وبما يتصل باسماعيل عليه السلام بوصفه جد العرب والتشكيك فى رحلة ابرهيم عليه السلام الى الحجاز وتشويه وعد الله تبارك وتعالى لابرهيم وذريته ومحاولة حصره فى (اسحق) باعتبار أن اسماعيل ليس الا ابن احدى الجوارى (مع أن السيدة هاجر كانت أميرة وابنة ملك وقد اهداها ملك مصر لابراهيم) .

ويجرى الاستشراق اليهودى فى هدم كل عناصر العروبة الحقيقية ذات الجذور الأصيلة فى تربة فلسطين قبل وصول اليهود اليها واثنائها وبعدها .

* * *

وبالجملة فقد هدت الاستشراق الصهيونى الى اعطاء القارىء الغربى والفرد المثقف فى العالم أن فلسطين كانت يهودية قبل الاسلام ، واعطاء الصهيونية الحق المزعوم فى العودة الى فلسطين وتشويه الفتح العربى .

ثالثا : الاستشراق الماركسى : فيحاوه احتضان الدعوات الهدامة كالقرامطة والزنج ووصفها بأنها حركات عدل اجتماعى وحرية ، وقد أفردت لذلك رسائل واطروحات كثيرة استهدفت ضرب مفهوم العروبة الأصيلة والاسلام واحياء مفهوم الشعوبية والباطنية القديمة . وعمد الاستشراق الماركسى الى تفسير التاريخ والتراث الاسلامى تفسيرا ماركسيا مع قصور المنهج الماركسى فى تفسير جوانب الاسلام المعنوية والروحية وقد حرص الاستشراق على احياء الاسرائيليات القديمة واحياء كثير من الروايات الموضوعة والحكايات المدسوسة التى هدمها كبار الباحثين المسلمين وفى مقدمتهم الامام ابن كثير وقد ارتفعت الصيحة فى السنوات الأخيرة الى تحرير التراث الاسلامى من هذه الأساطير التى جاءت نتيجة اعتماد بعض المفسرين على روايات جاءت فى التوراة والكتب القديمة وهناك مادة تدرس لتنقية هذا الجانب تسمى (الدخيل فى كتب التفاسير) .

وبالجملة فقد ركزوا أعمالهم فى موسوعة ضخمة هى دائرة المعارف الاسلامية ، ولم يتوقف فسادهم عند هذا الحد بل توسع فى دوائر المعارف الأجنبية (البريطانية والأمريكية) ودائرة لاروس الفرنسية وكان آخر هذه الأعمال كتاب اليونسكو عن الاسلام الملىء بالسموم والذى عجزت الدوائر الاسلامية خلال سنوات ثلاث عن ردهم عليه وتصحيحه وهم يراوغون فى مكر بالغ .

ولقد جاءت مرحلة خطيرة فى الكشف عن سموم الاستشراق ، حين بدأت الدراسات الغربية عنه لتعريته .

ثانيا : دراسات غربية عن الاستشراق ..

ويقول ادوار سعيد فى كتابه الخطير عن الاستشراق :

أن الفكر الاستشراقى يتميز بنظرة استعلاء على الشرق يرى فيه الدونية .

ويدعو ضمنا أو صراحة الى ازدرائه وأن مجموع الكتب التى عالجت الشرق العربى والتى صدرت بين (١٨٠٠ — ١٩٥٠) وتقدر بحوالى ٦٠ الف كتاب تقريبا تتميز كلية بالعدوانية وأن الطلاب الذين يدرسون فى أوربا ، خصوصا فى الولايات المتحدة هم ضحايا هذا الاستشراق الذى يسود الجامعات هناك وبما أن الاستشراق يعلمهم فيما يعلمهم أن العقل العربى يتميز بالدونية عند مقارنته

بتفوق العقل الأوربى وبسمات ثابتة جـامدة متخلفة تتناقض مع الحضارة الحديثة (ولما كان هذا باطـلا فى حقيقته) ولكنـه يلقن ويفرض على ابنائنـا الذين يدرسون فى الغرب فانه يؤدى الى خلق احساس فى النفس العربية بالاقتناع بعظمة الغـرب وازدراء قيـم امتهـا ودينهـا .

ويؤكـد ادوار سعيد بأن الهـدف من الاستشراق ودراسة المتخصصين الغربيين للشرق الأوسط هو خدمة (النفوذ الغربى الاستعمارى) اى أن الهدف هو فرض المصالح الغربية على العالم الاسلامى وأن المعرفة لاتكون فى فراغ وانما تنشأ على العلاقات السياسية والاجتماعية السـائدة .

ويترتب مع هـذا أن هؤلاء النفـر من الخبراء بشئون البـلاد العربية والاسلامية لم يكونوا مراقبين محايدين فهم خدام للاستعمار وعملاء للسيطرة الغربية (فهم من ناحية ينظرون الى العرب والمسلمين نظـرة عنصرية امبريالية شوفينية) ومن ناحية اخرى قـد سمحوا لخبرتهم بالعمل فى سبيل الاضرار بالشعوب ، وأنهم يقدمون صورة العالم الاسلامى اليوم — فى مرحلة صحوته — وكأنه وثبة معادية للغرب وان لهذه الصورة تأثير كبير على صانعى السياسة الأمريكية فضـلا عن محاباتهم لاسرائيل فى صراع الشرق الأوسـط .

***

والاستشراق دائما فى الجـانب المعادى للأمـة الإسلامية ، لخدمـة اسرائيل والمستشرق (مروبرجـر) يذهب فى التضليل الى حـد الادعاء بأن منطقة الشرق الأوسط والعالم الاسلامى لا تشكل مركز قوة سياسية ، أو أن هناك ما يشير الى أنها ستصبح قوة سياسية ذات أهمية وذلك بهدف تخدير الخلق الغربى فلا يتأثر بتشريد شعب فلسطين ولا بمظالم الصهيونية وتحركاتها المريبة وفى ثانويات أمريكا يدرس للطلاب ان الاسلام دين صحراوى أسسه تاجر عربى اسمه محمد وان العرب مازالوا يركبون النـوق .

ولقد كان لليهود تأثـير على بعض المستشرقين لتغيير الحقائق ، وقد تبعهم بعض كتاب العرب الذين أنكروا وجـود شخصية عبد الله بن سـبأ ، وذهاب سيدنا ابرهيم الى مكة المكرمة وبنـاء البيت .

ومونتجمرى وات ينكر دور اليهودية فى التحريض على غـزوة الخندق ، ويمثل هو ومكسيم ردنسون ، وبروكلمان ، وفيشر ، وفيليب حتى ، وبرنارد لـويس عصابة تخدم أهداف الصهيونية فى تزييف حقائق التاريخ الاسـلامى .

ثالثا : شبهات حـول أساليب البحث ..

ان خطـة العمل التى تقوم عليهـا الدراسات الاستشراقية التى تفـرض على ابنائنـا المبعوثين الى جامعات الغـرب (أمريكا واوربا) لا تقوم على أسس علمية حقيقية ، وانما تقوم على مصادر غـير موثوق بهـا ، فهم يبدأون عملهم بخطـة مسبقة وينتقون من النصوص ما يحقق أهدافهم .

يقول الدكتور فـؤاد سيزسكين : انهم يفترون على التاريخ الاسلامى ويظلمون الاسلام حقه ويقللون من اهميته وفعاليته ، وينكرون المنجزات العلمية العربية وينكرون تأثيرها المباشر عليهم ، وقد كشف هذا الباحث مؤامرتهم فى الصمت والتجاهل للمصادر الاسلامية وبين أثر العلوم العربية مثل الفيزياء والكيمياء والفلك والطب على العلوم فى أوربا وانه لولا وجـود العلوم العربية وحضارتها لتأخرت نشأة العلوم فى أوربا لبضعة قرون اذا كان هذا ممكنا فى الأصل . وعنده أن الغرب بدأ يأخذ ويتمثل العلوم العربية منذ القـرن العاشر الميـلادى واستمر حتى القرن الخامس عشر واستطاع خلال ذلك أخذ ما أنتجه العـرب والمسلمون وبالتحديد عن أهـم أربعـة مراكـز هى اسـبانيا وصقلية والقسطنطينية وطرابزون على البحـر الأسـود ›› .

ويعنى اصرار الاستشراق الغربى على انكار دور المسلمين فى بناء الحضارة الحديثة هدفا واضحا هـو أن يظل العرب والمسلمون يعتبرون أنفسهم « أتباعا » للحضارة الغربية وينشأ ناشئهم ليتعلم أن الغرب هو الذى صنع علـوم الطب والفلك والتجريب والرياضة والنفس والأخلاق والاجتماع بينما الحقيقة التى يحاولون اخفاءها عنه هو أن آباءه هـم الذين انشئوا المنهج العلمى التجريبى الذى صنعت به أوربا هذه الحضـارة المعاصرة ، وقد شهدت عشرات الأبحاث اليـوم بهذه الحقيقة ، ولكن الاستشراق مايزال يخفى عن المسلمين حصيلة ضخمة من التراث الاسلامى مودعة فى مكتبات الغرب تزيد عن ربـع مليون مؤلف تكشف عن الدور العظيم الذى اداه المسلمون فى بنـاء المناهج العلمية والاجتماعية والاقتصادية جميعا .

وحين يحجب الاستشراق هذا التراث كلـه ويأبى الاعتراف بمقدمات الاسلام للعلوم الحديثة يهتم بالتراث الصوفى الفلسفى ، والفكر الباطنى للفلسفات اليونانية الافلوطينية والغنوصية الشرقية وكل مايشـير الى أن الفكر الاسلامى له صلة بالفكر اليونانى ويسرفون فى الاعجاب بالمعتزلة والتصوف الفلسفى لأنهم يرون دعاته من اتباعهم ويكرهون اهل السنة والجماعة الذين حرروا الفكر الاسلامى من التبعية أمثال الغزالى وابن تيمية

انهـم يحيون الاعتـزال والتصوف الفلسفى الاباحى ويكرمون ابا نواس وابن عربى والحلاج واخوان الصفا وبشار بن بـرد .

ولقد كان لإشراف اليهود على الدراسات العربية والاسلامية فى الجامعات الاوربية والامريكية أثره فى نوعية الانتاج والدراسة التى يقوم بها الطلاب العرب والمسلمون والموضوعات والمنهج وقد رفضوا رسائلهم التى حملت فكرهـم الخالص والزموهم بالاعتمـاد على مصـادر الاستشراق ومن لم يقبـل طـرد شر طـردة .

وهـم فى الجامعات العربية والاسلامية مازالوا يفرضون مراجعهم : دائرة المعارف الاسلامية ، المجلة الآسيوية ، مجلة الدراسات الشرقية ، مجلة العـالم الاسلامى ، المنجـد ، الموسوعة العربية (كولومبيا) .

وقد وضح تماما بأن كتابات الاستشراق تقوم على عناصر ثلاث :

اولا : تأثير الوجدان المسيحى على فهـم مسائل الاسلام وأثـر الخصومات القديمة التاريخية .

ثانيا : طبيعة الاستعلاء الغربى على الأمم نتيجة ما يسمى صلف الجنس الأبيض صانع الحضارة .

ثالثا : (وهو اهمها) وهو العجز عن الاستيعاب وجهل البيان العربى والبلاغة القرآنية والنبوية .

وقد تكشفت فى السنوات الأخيرة حقائق كثيرة منها فسـاد الدراسـات الاستشراقية لافتقـارها الى كل خصائص المنهج العلمى والامانة العلمية وذلك بسـبب تعصب الكتاب البارزين اليوم الذين جندتهم الصهيونية على الاسلام وافتراءاتهم على نبيه صلى الله عليه وسلم وانكارهم الوحى المنزل عليه وعجزهم عن ادراك اعجاز القرآن وجهلهم باللغة العربية وأسرار بلاغتها فضلا عن مواقفهم المعروفة فى تأييد اليهود والصهيونية ضد العرب والاسـلام .

بينما تتسم الدراسات الاسلامية عن المسيحية بالموضوعية من حيث الأمانة العلمية التى تسـتمد من القرآن الكريم الذى كـرم السيد المسيح عليه السلام وامـه تكريما عظيما ومع ذلك كفـر من قال بالوهيته وبالتثليث وكذب ادعاء اليهود قتله أو صلبه ، بل أن الدراسات العلمية الحديثة للتوراة والانجيل بصورتيهما المحرفة تثبت أن القرآن الكريم حق لا ريب فيـه وقد ظهرت فى الغرب اليوم دراسات تكشف عن زيف مصادر الكتب المقدسة الموجودة الآن بين أيدى اليهود والنصارى (بوكـاى) وقد تبين للباحثين أن الاستشراق لا يفقد الموضوعية الا فى دراسة الدين الاسلامى أما حين يتصل بالديانات الوضعية كالهندوسية وغيرها فانه يـكون موضوعيا الى ابعد حـد ، ويرجع ذلك الى أن الاسلام يختلف مع المسيحية فى مجالات النفوذ الغربى وحـرص الاستشراق على أن يخدم الاستعمار والحيلولة دون قيام الدولة الاسلامية القادرة على امتلاك ارادتهـا .

رابعا : سموم منثورة فى مجالات البحث :

واذا كان المستشرقون قد انطلقوا فى مخطط خطير قائم على الافتراء فى مختلف جوانب العلوم الاسلامية — فهـم يركزون سمومهم واحقادهم على الاسلام واهله بتحريف النصوص لبترها ولى اعناقها لتخدم افكارهم ، فقد تصدى للرد عليهم عدد كبير من علماء المسلمين وكشف زيفهم ولم تترك مسألة واحدة مما اثاروه دون تعرية وهناك عشرات الكتب الدراسات فى هذا الشأن :

١ — الاستشراق والاسـلام :

وقد ركزوا على الاسلام فانكروا الرسالة الخاتمة كما أنكروا الوحى والنبوة ونظروا اليه على انه مأخوذ من كتبهم ، ولو فهموا حقيقة الأمر لوجدوا أن اديـان السماء تتابعا يسلم بعضها الى بعض وأن دين موسى ودين عيسى من بعده حلقات من الحنيفية السمحة دين ابراهيم مسلمة الى الرسالة الخاتمة : رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهى متكاملة كالمراحل يسلم بعضها الى بعض حتى يكون الاسلام ختامها فالأصول العامة لدين الله فى العقيدة واحدة فـلا عجب يثـير المستشرقون الشبهات : شبهات مصدرها هذا الالتقاء فى الأصول وأن تبين بعد أن وجـه المقارنة مفقود من حيث أن القرآن كتاب سماوى وغيره من الكتب قـد أصابها التحريف وانقطعت عن السلسلة حين رأى رؤساؤها الاستقلال بها ونقلها من الدين الى القومية .

ويذهب المستشرقون الى فهم الاسلام فهما ماديا خالصا فهم ينكرون الوحى وينكرون النبـوة وينكرون المصـدر الربانى للقرآن وهـم فى ذلك يصدرون عن مفهومهم المحدود للأديان الأخرى حيث يوصف الانجيل بأنه من كـلام الرسل وحيث تختلط المفاهيم فى العلاقة بين الالوهية والنبـوة .

وفى عشرات المواضع التى شكك فيها المستشرقون حول الاسلام رد علماؤنا ودحضوا الأكاذيب على نحو واسع تستطيعون الالـمام به من عشرات المؤلفات .

٢ — الاستشراق والرسـول :

فاذا انتقلت الى شخصية الرسول محمد صـلى الله عليه وسلم نجد محـور المخطط المسموم الذى حمل الاستشراق لواءه فى مراحله المختلفة بهدف الوقوف عند نبوة سيدنا عيسى عليه السلام وانكار مابعد ذلك .

وجـرت محاولتهم فى نسبة ماقدمه الرسول عن طريق الوحى الى قومه على انه مأخوذ من هذا الأعجمى أو ذاك ، فى مماحكات كاذبة من امثـال لقائه بالراهب بحيرا أو ورقة بن نوفل أو قس بن ساعدة وبما تستطيع الأدلة الساطعة ان تقف أمام هذه النقولات وهم فى هذا المجال يتعرضون ، لتعدد زوجـات الرسول وللوحى ويحاولون تصويره بصورة الأمراض النفسية والعقلية .

٣ — الاستشراق والقـرآن :

أما موقفهم من القرآن فهو موقف زائف : يقوم على الخصومة والانكار وذلك طبيعى ازاء موقف القرآن من اضاليل اليهود والنصارى وتحريفات التوراة والانجيل ، وعندما نراجع ماكتبه المستشرقون عامة نجد ان هناك اجماعا على الوقوف فى وجـه القرآن وانكار مصدره الربانى والقول بأنه من عمل محمد صلى الله عليه وسلم ويجىء هذا الرأى تعصبا ضد القرآن ونبيه أو عجزا عن فهـم الوحى فى تقدير الباحثين الذين يعتمدون النظرية المادية أو فى التشابه مع موقف الفكر المسيحى الذى يرى ان الانجيل ليس كتابا من السماء وانما هو من عمـل الرسـل .

٤ — الاستشراق واللغـة العـربية :

ولمـا كانت اللغة العربية هى مدخـل القرآن الكريم فقـد تركزت الحملة عليها والدعوة الى نشر العامية واتخاذها لغة للكتابة والتعليم بديلا من الفصحى وجرى اتهامها بالقصور وعدم الكفاية العلمية وادعاء صعوبة نطقها وصعوبة كتابتها فى محاولات ماكـرة للفصل بين بيان القـرآن الكريم وبين أسلوب الكتابة العربية وقد جرت محاولاتهم الماكرة حيث استطاعوا فى كثير من البلاد التى دخلها الاسلام أن يحولوا دون انتشار العربية معها فتوقفت الفصحى ، عند مداخل كثير من الأقطار الاسلامية واستقلت عامياتها مع اللغات الأجنبية من أجـل حصار لغـة القرآن .

٥ — الاستشراق والتـراث :

كذلك وجه الاستشراق مدفعيته الثقيلة الى التراث الاسلامى فى موقفين متعارضين :

(الأول) التنكر لقيمة هذا التراث وتصويره بأنه متخلف وأنه لا يستطيع أن يعطى العصر الحديث شيئا نافعا وينكر انه كان لهذا التراث فضل على الحضارة المعـاصرة .

(الثانى) بعث الجوانب الضعيفة والمختلف عليها ودعوات الباطنية والزنج والقرامطة وغيرها من الجوانب المضطربة والتى لا تتفق مع جوهـر الاسلام .

وفى الوقت نفسـه عمدت حركة الاستشراق الى استخدام التراث الاسلامى استخداما سيئا فقد بدات المؤامرة على التـراث منذ وقت بعيد وهى ترمى الى الاستيلاء عليه بأى ثمن ونقله الى دوائر الغـرب ثم كانت محاولة ابـراز الجـوانب الضعيفة والمضطربة والمتصلة بالخلاف والصراع بين الفرق الاسلامية وكل مايتصل بما يشكك فى العقيدة الاسلامية وخاصة دعوات الباطنية والقرامطة والحلاج وابن عربى والسهروردى .

٦ — الاستشراق والسـنة :

ان موقف الاستشراق من السنة هو موقفها من القرآن ومن سيرة الرسول عامة فان السنة هى جـزء من حياة الرسول وهى تفسير للقرآن فلابد أن تنالها هجمة الشبهات وتصل اليها سموم التحريف ، وعوامل التزييف .

ويقول العالم الفرنسى المسلم (اتيان دينيه) انه من العسير أن يتجـرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم عندما يؤرخون حياة الرسول أو يدرسون سنته ، ومن هنا نجدهم يرمون السنة بكل اتهام ويدعون أن تأخـر تدوين الحديث كان له اثره فى زيادة السنة ونقصها ، ويرمون بذلك الى اضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها فى الصدور ، وهو عمل يرمى الى وصم السنة كلهـا بالاختلاق والوضـع .

٧ — الاستشراق والحضارة الاسلامية :

كذلك وجهت حـركة الاستشراق الى الحضـارة الاسلامية كثيرا من الاتهامات والشكوك والشبهات فهم لا يطلقون اسم الحضارة الاسلامية عليها بل ينسبونها الى العرب حتى يثيروا الخلافات ويوقعوا بين المسلمين والعـرب .

ويدعـون أن الحضارة العربية حضارة سطحية ظـاهرية ويزعمون ان أصولها راجعـة الى المدنية الاغريقية، ويردها البعض الآخر الى الموالى المستعربين، وتجاهلوا أن الحضارة الاسلامية نبات جديد صـنعه القرآن وأن مصدرها هو المنهج العلمى التجريبى الذى بدأ بقوله تعالى **(قل انظروا ماذا فى السموات والأرض)** وهـم بهذا الادعاء يشوهون تاريخا امتد الف سـنه وينكرون اثـر الاسلام والقرآن على تقدمهم .

٨ — الاستشراق والشريعة :

ولمـا كانت الشريعة الاسلامية هى الغاية الكبرى من الاسلام فقد كان لابد للاستشراق من توجيه الشبهات اليها ومحاولة البحث عن تناقضات يستطيع من خلالها أن يصل الى بث اهوائه واحقاده وقد حاولوا ايهـام المسلمين بأن الشريعة الاسلامية سبب تأخرهم وعائق

أمام تقدمهم ونهوضهم وقد اثاروا الشبهات حول نصوصها وعرضوا لما اسموه (تطوير الشريعة بتطور العصر) وغير ذلك من المحاولات الباطلة التى عرفت عن الشرائع الوضعية التى تحتاج فى كل عصر الى تغييرها بينما نجد الشريعة الاسلامية شريعة ربانية منزلة قد وضعها الشارع الأكبر محققة لقيام مجتمع الامن والسكينة وجعلها ذات اطر واسعة وافية وقادرة على تقبل تغيرات العصور والبيئات وهى من أجل ذلك لا تحتاج الى تطور لأن اسسها الثابتة راسخة البنيان ، ثم هى قادرة بعد ذلك على تقبل المتغيرات .

وقد وجهت عشرات الشبهات والاتهامات الى الشريعة الاسلامية بهدف الغض من قدرها وتشويهها فى نظر اهلها وفى نظر الناظرين اليها من خارج المجتمع الاسلامى وقد باءت شبهاتهم بالفشل .

٩ ــ الاستشراق والأدب :

حاول الاستشراق وضع الأدب العربى فى مجال الاحتواء الغربى بتطبيق نظريات الادب الفرنسى وهى نظريات مادية تقوم على أن الانسان خاضع للبيئة والعصر ، وأنه مجبور وليست له ارادة ، وأنه حيوان مادى يخضع للجنس أو لقمة العيش واهتموا من الأدب العربى بأعمال الاباحيين أمثال أبى نواس وبشار والف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ويتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر وكتاب الزهرة لأبى بكر الأصفهانى (وقد طبعت هذه الكتب بمطابع الآباء اليسوعيين فى بيروت) بهدف اشاعة الفساد والاباحية فى المجتمع الاسلامى ، وهى اعمال لا تمثل بطابع الادب العربى الحقيقى المستمد من القرآن والسنة ويحاولون وصف عصر الاسلام بأنه عصر التوسع بادعاء ان العصر الجاهلى هو العصر البطولى ، وفى محاولة لاثارة الشبهات بأن الاسلام لم يقم بأى تغيير حقيقى فى المجتمعات .

١٠ ــ الاستشراق والتاريخ ..

وقد جرت محاولات المستشرقين حول تزييف تفسير التاريخ الاسلامى واخضاعه لمناهج وافدة تفسره ماديا واقتصاديا أو تخرجه من منهجه الأصيل ومفهومه الاساسى ، وبذلك تبدو صورة التاريخ الاسلامى أسام المسلمين ممزقة مضطربة ، وبذلك يفقد الهدف الأصيل من دراسته ولما كان التاريخ عاملا هاما فى عوامل بناء الأمم وتربية الافراد فقد كان حرص المستشرقين على افساد هذه الغاية وذلك ببعث الجوانب المضطربة والروايات الخلافية من هذا التراث وخاصة ما يتعلق بالفرق السياسية وصور التناقض والخصومة وكلها صور لاثمية حقيقية لها فى بحر التاريخ الاسلامى العريض الجياش الملىء بصور البطولة والحيوية والقوة والذى كان قادرا على العطاء الدائم للاجيال المتجددة وهم يركزون على دراسة الجاهليات والحضارات القديمة ودراسة الفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر الانقسام القليلة التى هى من طبيعة الأمم الكبرى ويقوم عملهم على أساس دراسة الروايات المختلفة والنصوص المتعارضة وضرب بعضها ببعض لاثارة الشبهات ولاريب أن بعث دعوات الفينيقية والاشورية والفرعونية انما استهدفت تمزيق وحدة المسلمين والغض من شأن الاسلام .

وبالجملة فان عمل الاستشراق يستهدف (كما يقول الدكتور مصطفى السباعى) الى :

(١) اخضاع النصوص للفكرة التى يفرضونها حسب أهوائهم .

(٢) تحريف النصوص فى كثير من الأحيان تحريفا مقصودا .

(٣) اساءة فهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف .

(٤) تحكمهم فى المصادر التى ينقلون منها فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به فى التاريخ الحديث ، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به فى تاريخ الفقه ، فهم يصححون ما يقوله الدميرى فى كتاب الحيوان ويكذبون ما يرويه مالك فى الموطأ .

وابرز أخطائهم :

(١) انكار الوحى والنبوة . (٢) التقليل من عظمة الحدث التاريخى الاسلامى . (٣) وصف الفتوح بالمطامع والاسترزاق . (٤) عدم القدرة على تقدير الجانب المعنوى العقيدة الاسلامية وأثرها فى الأحداث والفتوح . (٥) عدم الاقتناع بأن الاسلام منهج حياة ونظام مجتمع . (٦) الاتفاق المسبق على ترويج الاكاذيب عن الاسلام واضفاء الصفة العلمية على هذه الأكاذيب مما يشغل المسلمون بموقف الدفاع انشغالا يمنعهم من اتخاذ موقف البناء والتفنيد لنواقص الكتب القديمة . (٧) الادعاء بأن الاسلام دين سيف وفتح (وأن الاسلام يتعدد بتعدد شعوبه ، وأن لكل عصر اسلام ، وأن الاسلام دين فردى شخصى . (٨) محاولة تشويه مكانة المرأة فى الاسلام . (٩) القومية العربية مصطلح استخدم بهدف ابعاد الشعوب المسلمة عن مبادئها الاسلامية بهدف غزو العالم الاسلامى وتمزيقه . (١٠) تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الاسلامى

باطلاق كلمة (المذهب المحمدى) لاعطاء الانطباع بأن الاسلام دين بشرى من صنع محمدصلى الله عليه وسلم وليس من عند الله . (١١) يخلطون بين الاسلام كدين وبين التاريخ كواقع ، أى بين الوضع القائم فى العـــالم الاسلامى اليـــوم ، وبين منهج الاســـلام الربانى . (١٢) محاولة تمسيح الاسلام فى مجال الاجتماع والتربية والأخلاق . وكل هذه اضاليل واكاذيب كشفنا زيفها فى دراستنا الجامعة (مقدمات العلوم والمناهج) .

وبعـــد ،،

فـــاذا كان هدف الاستشراق هو محاولة صياغة العقل الاسلامى على اساس غير اسلامى فـــان علينا فى مواجهة هذه المؤامرة الخطرة ان نعـــرف مصادرنا الحقيقية ، وأن نتمسك بهـــا والا ننخـــدع بدعاوى المستشرقين .

وفى كلمة واحدة يجب ان نعمل ماوسعنا فى سبيل الحفاظ على الذاتية الاسلامية وعلى التميز الخاص وأن نعرف أبعاده ومعالمه حتى لا نسقط فى هوة الاحتواء والانصهار فى دائرة الاسمية العالمية ولنعلم ان الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى انما يستمد قوته من ضعفنا . وبقاء وجوده مشروط بعجزنا عن معرفة ذاتنا وحماية كياننـــا .

ثم انه علينا ان نقف فى حذر ازاء المصطلحات التى يقدمها الاستشراق والتغريب ويرمى بها الى صهرنا فى بوتقة الغرب المعاصر المنهار الذى مر بمرحلة غروب حضارته وسقوطها . ويجب أن نفـــرق بين التغريب والمعاصرة ، وبين التحديث والتغريب ، فالمعاصرة أن تعيش الأمة العصر ، وتتجاوب معـــه بجوهر عقيدتها ومقوماتها وقد دفع الاستشراق فى أفق الفكر الاسلامى أطروحـــات القومية والاقليمية والعلمانية والديمقراطية والاشتراكية وقد فشلت جميعها واحدة بعد واحدة ، ورفض الجسم الاسلامى الحى ، هذا العضو الغريب ونحن مطالبون اليوم برد كل أطروحة مضالة والعودة الى مفهوم الاسلام الجامع .

* * *

الباب الثالث

التبشير الغربى والتنصير العالمى

تمر قضية « الارساليات التبشيرية » بمرحلة جديدة أشد خطورة بعد أن علا صوت « الصحوة الاسلامية » تلك هى مرحلة الحرب غير المعلنة التى تظهر هذه السنوات من خلال المنظمات الجديدة التى تشكلت فى البلاد الغربية وتأسس لهـا فروع فى لبنان وغيرها ، وأخذت نشراتها ومطبوعاتها تنشر الآن بشكل واسع ومكثف ، فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى ، وخاصة فى المغرب والسودان والعراق ومصر والأردن والكويت والسعودية .

ويمكن القول بأن مرحلة « التبشير الغربى » التى شاهدها العالم الاسلامى فى فترة سابقة خلال اكثر من مائة عام تقريبا قد تحولت الى « مرحلة التنصير » العالمية ، بعد أن تكشفت خيوط عريضة متعددة تتصل بهذا التطور ، ومن أبرز هذه العوامل :

١ ــ ظاهرة الحوار .

٢ ــ ظاهرة تنظيم الأسرة .

وقد رأينا فى السنوات الأخيرة كيف كانت رحلات البابا يوحنا بولس الثانى الى افريقيا والى جنوب شرق آسيا بهدف تكثيف تلك المحاولات التنصيرية ، أضف الى هذا : المحاولات التى جرت من أجل تبرئة اليهود من دم المسيح مخالفة بذلك عقيدة جميع النصارى ، ومن قبل رحلة البابا بولس السادس الى فلسطين ولقاؤه مع البطريرك اثناغورس على جبل الزيتون فى مدينة القدس ١٩٦٤ ، وفى ختام مجمع الفاتيكان الثانى (١٩٧٤) فى كنيسة القديس بطرس فى روما رفع الحرمان المتبادل بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية الصادر عام ١٠٥٤ م وفى عام ١٩٦٤ تنازل الفاتيكان عن عدد من الذخائر التى كانت فى رعايته وعهدته فى روما ، فنقلت ذخيرة القديس أندراوس الى كنيسة كريت ، وذخيرة مار سابا الى كنيسة القدس ، وذخيرة القديس مرقص الى كنيسة الاسكندرية ، وأنشىء معهد طنطور المسكونى فى القدس ، وخصص للدراسات التى تدعو الى وحدة الكنائس النصرانية فى كنيسة واحدة ، ثم كانت رحلة البابا يوحنا بولس الثانى ١٩٧٩ الى تركيا ، والتقاؤه بالبطريرك المسكونى ديمتريوس الأول حيث صدر بيان مشترك لازالة جميع العقبات لتحقيق وحدة الكنيسة النصرانية .

التخطيط والعمل :

من خلال هذه الالتقاءات دبرت الخطط لمقاومة الاسلام ، والعمل على كسر شوكته بهدف زعزعة عقيدة الشعوب الاسلامية بالتشكيك والتنصير ، وتركزت اعمالهم على الأقليات الاسلامية ومجمعات اللاجئين ، واستغلال أوساط البؤس والحرمان ، واستغلال الحاجات الناتجة عن عدم الاستقرار .

وقد ابتكرت طرق مستحدثة لهذا الغرض منهـا طبع الملايين من الكتب وتوزيع المنشورات المشحونة بالعداء والبغضاء والافتراء على الاسلام والمسلمين ، وتزييف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أو تفسيرها تفسيرا خاطئا يتفق وخططها وتحريفها واخراجها عن معانيها الصحيحة .

كما لجأت هذه المنظمات الى طبع أشرطة كاسيت تسجل عليها تلاوات شبيهة بتلاوة القرآن الكريم فى المضمون معادية له ناسخة لتعاليمه ، كما انشئت اذاعات خاصة تروج هذه الافكار فى مونت كارلو وصوت الغفران ومركز النهضة .

وقد جرى عمل مسابقات عن طريق المراسلة ورصد الجوائز المادية والفنية ولوحات مكتوب عليها عبارات منقولة من الأناجيل ، ونتائج حائط ، وحافظات نقود .

ومن اخطر هذه الأعمال القيام بمراسلة المسلمين عن طريق صناديق البريد وذلك بالحصول على عناوين المسلمين من ادلة الهاتف أو أدلة الشركات التجارية ، وازعاجهم بارسال نشرات مسمومة ، بل لقد تكشف أن هناك تسللا متصلا الى المجتمعات الاسلامية خفية حيث وجدت خلايا سرية لبث السموم والأفكار النصرانية فى بعض العواصم العربية .

وقد تكشف فى الفترة الأخيرة أن هناك مركزا لمنظمة دولية فى بازل بسويسرا وأن المنظمة فروعا فى ألمانيا والنمسا ولبنان ، هى منظمة الشبيبة النصرانية التى ظهرت الى حيز الوجود قبل السبعينات أسسها (فالتر فاشرمان) الألمانى الجنسية ، وتمكن فالتر من جمع الأموال من الأعضاء العاملين فى الارساليات ومن بعض المؤيدين فى سويسرا والنمسا وألمانيا ، وقد قامت المنظمة

بانشـــاء مركز لطبع الكتب النصرانية المعادية للاسلام والمسلمين ولا يزال الفرع اللبناني يواصل نشاطه وعمله التخريبي بقيادة القسيس سليم يعقوب وزملائه في مدرسة تمبرلونا وقد جند الطبيب السويسري الذي ضبطت خليته بالعاصمة السودانية عام ١٩٧٩ وقد ضبطت عند مداهمة هـذا المركز ٢٠٠ الف كتـاب من الكتب المعـادية للاسلام والداعية الى الـردة ، كما ضبطت كميات من الأشرطة التي سجلت عليها أحاديث مناوئة للاسلام ، الى جانب أجهزة متقدمة للتسجيل والطباعة وقد حملت هذه الكتب المضبوطة كهجوما على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وتلاوات قرآنية محرفة ، وكانت المنظمة قد أودعت أموالا طائلة في البنـوك السودانية بالعملات الصعبة لخدمة هذه الأعمال .

وقد جاء هذا التحرك في اطـار المؤتمر الذي عقد في أمريكا (في ولاية كولورادو بأمريكا) تحت اسم « العمل على اكتشاف وتحديد المسئوليات (النصرانية) في أمريكا الشمالية تجاه تنصير المسلمين » وهو امتداد لمؤتمرات أخرى عقدت لهذا الغرض في لوزان عام ١٩٧٤ تحت اسم « تنصير شعوب العالم » وقد عمـد هذا المؤتمر الأمريكي الأخير الى تقديم استراتيجية جديدة للعمل في مواجهة المـد الاسلامي ، وذلك بان يكون الهجوم على الاسلام مستمدا من القرآن نفسه ، كمـا اتفق على انهاء الجو المتشدد مع المسلمين وايجاد جـو ودى يمكن من النفوذ الى قلوب المسلمين .. وقد جـاء في توصيات المؤتمر تحت عنوان « التنصـير » .

« يجب بذل الاهتمام الكافي والتركيز بقوة على زرع جاليات نصرانية في قلب العـالم الاسلامي ، وهـم سيحاولون بدورهم تطوير وايجاد وسائل منهجية جديدة أكثر ملائمة عند تقديم الانجيل للمسلمين ، ويجب الاهتمام الشـديد باستخدام الآيات القرآنية ذات الصـلة بهذه الموضوعات ، وخاصة في المراحل الأولى لعملية التنصير .

وقـالت التوصية : تزداد يوما بعد يوم فاعلية الدور الحيوى الذي تؤديه الاتصالات الفعالة الميسورة لنشر النصرانية وتدريسها ، وستكون مراكز الأبحاث مخولة لاعداد أبحاث موسعة من خـلال التركيز على شرائح وعينات من العالم الاسلامي ، وكذلك يكون من واجبها اعداد المـواد اللازمة الغرض نفسه ، على أن يكـون ذلك من خـلال قناتين :

(**الأولى**) **بالنسبة للمتعلمين** : وذلك يربط المشاعر بالانجيل والقصص التي وردت فيه تسهيلا لتداول تلك القصص وتيسيرا لنشر الانجيل .

(**الثانية**) **بالنسبة للنساء والأطفال** : وذلك بتوجيه العمل من خـلال النساء اللاتي يعملن كقيادات دينية أو قيادات في الجاليات وتقديم البدائل النصرانية لـكي تحل محل تلك التأثيرات التي تقتحم على المـرأة حريتها في المجتمع المسـلم .

كمـا اقترحت التوصيات : بنـاء وزرع الكنائس التي تهتم بالمتنصرين واعداد الترتيبات الخاصة بهـم والشعائر الدينية ، كمـا اشار المؤتمر الى ضرورة اقتحام تجمعات المسلمين في أمريكا الشمالية .

القيـادة العـامة :

ومن ناحية أخرى فـان الفاتيكان (وهو القـوة الأولى العاملة في مجـال التنصير في الوقت الحاضر) بالاشتراك مع الهيئات البروتستانتية والانجيلية وغيرها يشرف على أكثر من مليون من رجـال الدين الكاثوليك الموزعين على العالم كله بالاضافة الى مئات الألوف من دور الحضانة وريـاض الأطفـال والمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد العليـا والجامعات (سواء العلمانية منها أو الخاصة باعـداد المبشرين والرهبان) وتقدر ميزانية الفاتيكان السنوية بألف مليون دولار توضع تحت تصرف البابا مباشرة .

وليس الفاتيكان وحـده هو الذي يقـدم ملايين الجنيهات في أنحاء افريقيا وجنوب شرق آسيا تحت اسم « **خطة اعادة هذه المجموعات الى الصليب** » خـلال عشرين عاما ، ولكن مختلف النحـل النصرانية تدرج مبالغ ضخمة في ميزانياتها لتحقيق هذا الهدف باسـم البحوث العلمية تارة والمساعدات الاجتماعية أخـرى وبالرغم من اختلاف جنسيات بعثات التنصير ، الا أنها تتفق على الهدف والتنافس فيما بينها لتحويل أكبر عدد ممكن من المسلمين الى النصرانية ، وهذه الجماعات كلها مدعومة من المجلس العالمي للكنائس والبابوية في روما ، وتقـوم اعمالها — ظـاهرا — على التطبيب والتعليم ومساعدة الفقراء .

وهي تعتمد أساسـا على المساعدات الطبيـة والصحية في بنـاء المستشفيات والمستوصفات لمساعدة المرضى من المسلمين وصرف الدواء وعـلاج الأطفال والنساء ، ومن ثم تبدأ بالاندساس بين المسلمين في حالة الضعف والحاجة ، وفي مساعدات اجتماعية هدفها الظاهر انساني والحقيقي تنصيرى .

وهنـاك مشروعات نوادي الشباب ورعايتهم ، وذلك عن طريق تقديم السـم على شكل قصص وكتب ونشرات تروج لأفكار التحلل من الولاء الاسلامي أولا ثم التشكيك في مبادىء الاسلام وقيمه ، ثم الترويج لأفكار

النصرانية والتنصر ، بالاضافة الى المدارس ورياض الأطفال ، وتدرجا الى المعاهد والجامعات ومراكز البحوث وقد أصدرت هيئة التنصير العالمية عددا من المؤلفات على كل مسلم أن يعرفها ويحمى منها شباب الإسلام ، ومنها ميزان الحق وتنوير الافهام فى مصادر الاسلام ، والباكورة الشهية فى الروايات الدينية ، ودعوة الحق ، وأصول الايمان ، وكتاب الصليب فى الانجيل والقرآن ، وكتاب دين المسيح لم ينسخ وكتاب شخصية المسيح فى الانجيل والقرآن .

وقد ترجمت هذه الكتب الى اللغات الأجنبية كالانجليزية ، ككتاب ميزان الحق الذى الفه الدكتور فاندر أوصله بالفارسية وطبع عام ١٨٣٥ وقد تصدى الشيخ رحمة الله الهندى — رحمه الله — للرد على كتاب ميزان الحق فى كتاب اظهار الحق . الذى طبع فى الهند أولا ثم فى مكة المكرمة ، بعد مناظرات علنيه بينه وبين المؤلف فاندر لم يصمد فيها المبشر وهرب من الهند.

ولا ريب ان كتاب المسلمين مدعوون الى دحض الشبهات والأباطيل التى تقدمها هذه الكتب للناس .

ومازالت تصدر فى البلاد العربية مؤلفات تبشيرية بين الحين والحين منها كتاب مبادىء الحرب الروحية تأليف يعقوب ويلسون وتعريب وليم غطاس ، وهو كتاب يطفح بالحقد والتعصب ، ليس ضد المسلمين العرب بل ضد كل ضمير حى فى العالم فهى إدعوة الى تبليغ الانجيل بالقوة وتكشف الكتابات على ارتباط وثيق بالصهيونية من جهة والشيوعية من جهة أخرى .

* * *

واذا القينا نظرة فى خفية فاننا نجد أن مواقع كثيرة فى العالم الاسلامى اليوم تواجه هذه الحملات المنظمة فقد اشارت مجلة « ذا تشارش هرلد » الى مقال بقلم الأب الروحى جون بيوتن (١٩٧٩/٩/٢١) يتحدث عن التبشير فى منطقة الخليج العربى فيشير الى نشاط واسع فى عمان (مسقط ، مطرح ، روى) وفى الكويت وفى البحرين ، ويرجع الى التاريخ القديم منذ تسعين عاما عندما قدم المبشر « زويمر » الى هذه المنطقة فواجهته القوى الاسلامية بكل عنف فلم يجد مجالا لنشر دعوته .

وفى افريقيا نجد صورة أخرى فازاء انتشار الاسلام فى القارة ، واعتناق الوثنيين له باعتباره الدين المرتبط بالحرية والكرامة ، تجد المحاولات المبذولة فى سبيل التنصير ، وانفاق الملايين لبناء الكنائس الضخمة ، وهناك محاولة ايقاف انتشار الاسلام فى ربوع القارة السوداء حيث رسم الاستعمار خطنا دفاعيا ضد الاسلام يمتد من البحر الأحمر الى المحيط الأطلسى حيث تبدأ بارتريا (الشعب المسلم الذى قدمته أمريكا هدية للحبشة) ثم الحبشة وجنوب السودان وأوغندا وتشاد والنيجر وينتهى فى نيجيريا التى خطط الاستعمار بشطرها الى شطرين بنيجريا وبيافرا وقد فشل مخطط الاستعمار وتصدع حتى قال أحدهم :

« ان عمامة بيضاء فى القارة السوداء أخطر علينا من الف قنبلة ذرية » وقد أشار الدكتور عمر فروخ الى ما تفعله البعثات التبشيرية فى افريقيا :

توقع البعثات التبشيرية فى السنغال (مثلا) مع عدد من الاسر السنغالية الفقيرة عقودا تقدم بموجبها تلك البعثات التبشيرية الى الأسر السنغالية مساعدات عينية ضئيلة ، من أرز مثلا فى كل شهر على ان يكون لها حق اختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها ، ويكون فى العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه اذا هى خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها مثلا) .

وتختار البعثة التبشيرية من أطفال تلك الأسرة صبيا دون الخامسة من العمر ترسله الى مدرسة تبشيرية طبعا وينقطع الصبى عن اهله وينشأ نشأة نصرانية ثم يرسل الى فرنسا لاتمام تعليمه العالى ، بعدئذ يعاد الى السنغال ليستخدم فى الأغراض التى توافق هوى فرنسا ، وحينما يعود الصبى السنغالى الذى أصبح رجلا نصرانيا فرنسيا الى السنغال يعطى حق المواطن الفرنسى فى المستعمرات من حيث المستوى الاجتماعى والوظائف .

مثال ذلك كلمة سانجور معناها سان جورج (القديس جورج) رئيس الجمهورية السابق نصرانى ولكن أبويه وأخوته مسلمون) .

وقد كثر المرتدون فى افريقيا وقد عملوا بارادة المستعمر فيهم وكانوا عيونا لهم وأيادى فى وطنهم .

وفى القسم الجنوبى من السودان ، وقد كان معظم أهله من الوثنيين البدائيين ، فقد ترك للمبشرين الكاثوليك أو البروتستانت يقومون فيه بالتعليم أو بالتبشير تحت ستار التعليم ومنذ عام ١٩٢٦ جعلت الحكومة الانجليزية المنتدبة على السودان تعطى المبشرين اعانة من ميزانية السودان مساعدة لهم على التعليم .

كذلك حمل ملوك الحبشة النصارى فى القرن التاسع عشر المسلمين الأحباش بالقوة على اعتناق النصرانية أو مغادرة الحبشة ، وفى آخر الأمر سمحت

الحكومة الحبشية للولايات المتحدة الامريكية بانشاء محطة اذاعة تبشيرية فى اديس ابابا اسمها صوت الانجيل ، واضاف الاستعمار الامريكى البريطانى ارتيريا الى الحبشة واخضعها للأسرة النصرانية الحاكمة. واتخذت الجمعيات التبشيرية فى (أوغندا والكونغو) قرارا بتنمية اللهجات المحلية واللغة الانجليزية واقامة كافة العراقيل فى وجه نشر اللغة العربية وعملت على عدم استخدام اللغـة العربية فى الجنوب السودانى اذ أنها ستفتح الباب أمام انتشار الاسلام وتعريب الجنوب كما منعت صنع الملابس العربية وارتدائهـا .

كما تقـرر الحـد من هجرة التجار الشماليين ومنعهم من التواجد فى جنوب السودان وبعد خمسة عشر عاما من الصراع بين الحكومة والأقلية النصرانية ومن ورائها الدول المستعمرة والكنيسة تحقق الانتصار الكامل للقوى الكنيسة المدعومة حاليا بتوقيع اتفاقية جنـوب السـودان (اتفـاقية اديس ابابـا ١٩٧٣) التى تحظـر أى نشـاط اسـلامى الدعـاة المسلمين فى الاقليم الجنوبى وتعترف بالقوات المتمردة كقوات نظامية وأن تكون اللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية الوحيدة فى الاقليم الجنوبى .

وفى العـام الماضى زار البابا يوحنا بولس الثانى افريقيا « زار زائيـر والكونغو وكينيا وغانا وفولتـا العليـا » على حـد تعبير المعلق على الزيارة ، « على قـرع الطبول ، وعـاد على قـرع الصلبان » وقالت التعليقات أن سعى الفاتيكان كان الحـد من انقراض النصرانية فى افريقيا ، وأن الخطـر الحقيقى يأتى من الاسـلام والدعـاة المسلمون يستغلون كل المعطيات (حقيقة أو مصطنعة) للوصول الى وجدان الشخص الافريقى ، وهـم يحاولون تصوير النصرانية على أنها دين الجبابرة الذين لا يأخذون المسحوقين بعين الاعتبار بل انهـم هـم انفسهم السبب الحقيقى فى وجـود هذا الانسحاق .

وتملك الكنيسة الكاثوليكية حسب احصائية ١٩٧٦ مليونا ونصف مليون كنيسة فى جنوب افريقيا ، وهناك من الفـرق كالادفنتست من تملك عشـر طـائرات ارسالية تنقل الأطباء والأدوية والممرضات لعلاج المرضى فى الأحراش ، كما انشئت ١٥ مستشفى بلغ عدد الأسرة فيها (١٧٧٦) و ١٠٩ عيادة ومخزن ادوية ، ونجد راديو اذاعات الانجيل فى الحبشة يغطى كافة افريقيا والسواحل المجـاورة بكل اللغات واللهجات التى تنطق بهـا هذه المناطق ، والظاهرة الخطـيرة أن وراء المبشرين تكمن ظاهرة التجسس وأن احـد الآباء (الأب سميث) رفع تقـريرا عن زيارته لافريقيا ذكر فيـه أن ١٥٠٠ من الجواسيس فى افريقيا الآن وان الثلث من هؤلاء السود الذين هم فى اطراد يتولون الأعمال المصيرية الهـامة .

ويشير تقرير سنوى أنه بعد أن تحررت افريقيا من قبضة المستعمرين الأوربيين فانها تحكم الآن بواسطة المثقفين المنتمين الى قبائل الأقلية الصغيرة الذين تلقـوا تعليمهم فى الغرب والذين هم من نتاج المدارس التبشيرية النصرانية والمدارس اللاهوتية هؤلاء هـم الحكام غير المسلمين للأراضى الاسلامية فى افريقيا .

وفى اطـار مخططات التنصير العالمية تأتى مؤامرة جنوب شرق آسيا ، حيث يوجد الآن عشرون الف مبشر يملكون امكانيات ضخمة فى الحركة والانتقال ، فضلا عن اهتمامهم البالغ بانشاء المدارس والمستشفيات لجـذب الأهـالى واغرائهم وهكذا يواجه المسلمون فى ارخبيل الملايو (١٢٠ مليون مسلم) أخطر عملية تنصير ويتسلل العمل التنصيرى الى صفوف المسلمين تحت شعار : (من الكنيسة الى المجتمعات) ، وقد وضع هذا المخطط ثلاثة آلاف قسيس وسبعة آلاف متطوع من جنسيات أوربية مختلفة من خـلال عشرة آلاف كنيسة ، حيث يسيطر القساوسة والمبشرون على ادارات بعض الجمعيـات والمعاهد الزراعية والمستشفيات الكبرى ودور الأيتام ، بالاضافة الى وسائل الاعلام وهـم يملكون أهم الصحف الكبرى وبعضها يوزع أكثر من مائة وخمسين الف نسخة يوميـا .

وتتخذ حركة التنصير فى أندونيسيا نفس الأساليب التى تتبع فى افريقيا ، وهى الاتصال بالأسر التى تضـم عددا كبيرا من الأطفال فيعرضون عليهم احتضان طفل أو طفلين ، بحجـة مساعدتهم ، وهم بدورهم يتولون تربية هؤلاء الأطفـال وتعليمهم والانفاق عليهم مع اعطـاء مساعدات مالية لهذه الأسر ويتركون للمدارس النصرانية احتضان هؤلاء الأطفال وحثهم على التنصر ليشبوا وقد تشبعوا بالنصرانية واعتنقوها دون ادنى مقـاومة أو اختبـار .

وفى اندونيسيا عدد كبير من المدارس والجامعات يشرف عليها ويديرها نصارى على مستوى كبـير من الثقافة ، ومن وراء ذلك كله قـوى التنصير العالمية التى تخطط لمحـو الاسلام من ارخبيل الملايـو .

والخطر الثانى الذى يتهدد المسلمين فى أندونيسيا انتشـار المذهب الباطنى الذى لا يؤمن بالقرآن ولا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقد جرت محاولات لادراج الباطنية كدين بين الأديان لتقليل نسبة المسلمين فى اندونيسيا حيث يوجد أكثر من ٤٠ مليون مسـلم ليسوا على مستوى جيد فى فهـم الاسـلام ، ومن ثم

يكون من السهل جذبهم الى المذاهب الباطنية او الى النصرانية (من بحث للاستاذ على مختار الأمين) .

الحــــوار

وفى كل موقع من ارض المسلمين تعمل حــركة التنصير العالمية وفق مخطط مدروس ، وقد كانت قصة الحوار بين النصرانية والاسلام من المداخل الخطيرة التى اخذت تتحرك من خلالها فى المنطقة العربية فى السنوات الأخيرة ، وقد قــرر الدكتور عمر فروخ أن محاولة الحوار تقوم على جمع نفــر من المثقفين ذوى الكلمة المسموعة فى قــومهم ، على مناقشات علنية لا تمت بظاهرها الى (التبشير) وان كانت غايتها الحقيقية زعزعة العقــائد بجــر الناس الى القــول والرد ثم النفاذ من خــلال الأخطاء والجمل المتشابهة الى التأثير على ذوى النفوس الضــعيفة .

وقد بدأت دعوة « الحــوار » ١٩٦٢ بناء على توجيــه من الكنيسة الكاثوليكية بين النصارى وغــير النصارى وغاية الحوار هى زعزعة العقائد على السنة اشخاص معروفين فى قومهم ، والحوار كالمعاهدات يظفر بالغنائم فيها من كان أقوى يدا وارفع صوتا وقد ادرك المخلصون ان الحــوار هو وسيلة جــديدة من وسائل التبشير الدينى والسياسى معــا وكان المجمع المسكونى الثانى (١٩٦٦) قد قــرر اعداد رجــال دين عندهم استعداد للحوار ، رجــال دين يعرفون كيف يصغون الى الآخرين وكيف يفتحون قلوبهم لجميع حاجات النفس الانسانية كما يسمونهم : « رجــال دين من طبعهم أن يوقظوا الاهتمــام فى النفوس ويكونوا معلمين للايمان النصرانى » .

اما ظاهرة تنظيم الأسرة فترمى الى تقليل الانجاب بحجة ان ذلك سيزيد عــدد الجائعين والمــرأة والمرضى والفقراء ، بينما تعطى الجوائز السخية للأسر النصرانية الغربية والشرقية لتشجيع زيادة النســل ومع ازدياد الهجرة اليهودية الى ارض فلسطين المحتلة ، كل هذا من باب التآمر على النســل الاسلامى ، وقد كتبت ابحاث عديدة فى كشف زيف هاتين الدعويين وفساد وجهتهما .

ويمكن ان يضــاف الى ذلك فى باب الدراســة التحليلية لمؤامرة التنصير العالمية مجموعة من الحقائق :

اولا : ان الصهيونية العالمية من وراء خطط التنصير كما انهــا من وراء خطط الماركسية بهدف تمزيق وجهة العالم الاسلامى والنيل منه ، والتأثير على مفهوم الاسلام ووجهته الحقيقية ، والمعروف أن الصهيونية قد احتوت مخططات النصرانية منذ وقت بعيــد .

ثانيا : ان القوى النصرانية تعلم حق العــلم ان مخططاتها كلها منهارة ولكنها تواصل عملها دون يأس ، ليس امــلا فى ادخال المسلمين فى النصرانية ولكن بهدف اخراجهم من الاســلام .

ثالثا : ان الصحوة الاسلامية التى تواجه العالم الغربى اليوم بمحاذير مختلفة تجد من القوى الاستعمارية محاولات متعددة لاحتوائها ، ومن بينهــا ذلك المخطط الجديد الذى يرمى الى تنصير المسلمين فى مختلف انحاء العــــالم .

ولمــا كانت خطط التنصير لا تهتدى الى الحق ولا تريد وجــه الله فانه لابد أن تواجه هزيمة تكشف زيفها ومن ذلك جماعة القساوسة الذين اسلموا فى السودان وكان اسلامهم مصدرا لدخول ٤٠ شخصا — من الذين سبق ادخالهم الى المسيحية — الى الاسلام بينما ينتظر مائتــا شخص آخــر لاشهار اسلامهم .

يقول القس جيمس (الذى اصبح نجيب سليمان) اننى من ابنــاء قرية كدرو غرب مدينة كادو قلى باقليم كردفان اكملت تعليمى ثم توجهت الى الخــرطوم حيث يعيش شقيقى الاكبر ، ولمــا عجزت عن دفع مصروفات المدارس الحكومية هدانى تفكيرى للذهاب الى مدارس النصارى حيث اعتادت تلك المدارس تعليم ابناء المسلمين والنصارى على الســواء ووفروا لى العــلم والسكن والملبس ، وواصلت المسيرة ونلت شهادة اكسفورد فى الاقتصاد ، وفى نفس الوقت تعمقت فى دراسة اللاهوت واصبحت قسيسا ، وخــلال الفترة التالية كنت اقــوم بالتبشير حــول الخرطوم لجذب الفقراء والمحتاجين الى النصرانية ، وكانت الحكومات والجماعات تغدق علينا المــال للقيام بهذه الرسالة الى أن جــاء يوم اختلفت فيه مع كبير القساوسة فى مسائل روحانية ومادية ، وكانت هناك بعثــة من الكنيسة الرسولية من كنــدا وامريكا الشمالية علمت بالخلاف فاتصلوا بى واعلمونى بمبادئهم وسافرت معهم الى الولايات المتحدة وكندا وعدت لأكون كبير القسس للكنيسة الرسولية بالسودان وصرت اجذب اليها معظم الذين ادخلتهم الى الكنيســة الكاثوليكية واستطعت ان ادخــل الى النصرانية حوالى ١٤ الف شخص من المسلمين والنصارى واللادينيين .

وفى السنوات الأخــيرة راودتنى بعض الشكوك والتساؤلات عن كينونة هذه النصرانية التى لهــا اربعة اناجيل او خمسة ، من اين جاءت هذه الأناجيل ، ولماذا تختلف كلها فى النقطة الواحدة ، وهــل يعقل ان يكون المسيح عليه السلام قد قال كلاما متعارضا لمجموعات مختلفة وهو الرسول من عند الله ؟

وهكذا أصبحت حياتى هواجس وذهبت الى اخوانى ونوابى الأحد عشر رؤساء المراكز التبشيرية حول العاصمة الخرطوم ابثهم مافى نفسى من شكوك وكانت النتيجة انهم دخلوا معى فى تلك الشكوك ، ولم نجد لهـا حـلا واخيرا قررنا قـراءة القرآن الكريم لنرى ماهى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وقرأنا القـرآن فوجدنا فيه خـلاف ماهو عندنا فى الاناجيل فـزادت شكوكنا ، واخيرا قررنا التقدم بتسعة عشر سؤالا الى الملحق التعليمى السعودى بالخرطوم ، تتضمن عددا من القضايا فى الاسـلام والنصرانية لم تتضح صورتها فى أذهاننا وتعارضت وتضاربت الأقوال بشأنها ، مثـل صلب وموت وقيام السيد المسيح وما جـاء فى شأنها فى الأناجيل الأربعة وفى القرآن الكريم وقضية العذراء والتثليث فى النصرانية وكذلك أسباب تحريم لحـم الخنزير وشرب الخمر وحياة محمد عليه الصلاة والسلام ونسخ الآيات القرآنية وتعدد المذاهب والطوائف .

واستمر الحوار على مدى ستة أيام وفى ختـام الحوار اتضحت لنا الصورة أنا وزملائى القسس وتعرفنا على الحقيقة وهدانا الله الى نور الاسـلام ، وغيرنا أسماءنا وعدنا الى السودان وبدأنا الدعوة اليه فى مناطقنا السابقة ونحمد الله أن عـاد الى الاسلام اربعون شخصا وينتظر آخرون اشهار اسلامهم واكثر من مائتين للحوار والمناقشة استعدادا للدخول فى الدين وعند الله المزيد .

وهكذا يتكشف التآمر على الاسلام وتنطلق موجات جديدة من الضوء من هذه الدائرة المظلمة ، وصدق الله العظيم « ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سـبيل الله ، فسينفقونها ثم تكـون عليهم حسرة ثم يغلبون » الأنفال : ٣٦ .

وسوف تتحطم هذه المؤامرة على صخرة الاسلام العاتية وسيكشف الحق تبارك وتعالى نوره للعالمين ، وسيظهر دينه على الدين كله ولو كـره الكافرون .

١ ــ لم يمكن الله أعداءه من المسيح عليه السلام فى محاولة قتله وصلبه ، « وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم » النساء .

ولكن النصارى آمنوا بظاهر الحادث وهو صلب الشبيه ثم جاء هذا الجهاز الكنسى برئاسة يوحنا بولس الثانى ، ليمتص العداء المتبادل بين الكنائس والمذاهب النصرانية من جانب ثم ، بين النصارى واليهود من جانب آخـر ، ليواجهوا حركة المـد الاسلامى متعاونين . بينما تجرى محاولة تمويه هذه الحركات بما يسمى الحوار الاسلامى المسيحى .

٢ ــ الا أن هناك مخططا حديثا يهدف الى تفتيت المسلمين واتادتهم بالجملة عن طريق التجويع باستغلال مواسم الجفاف فى مناطق مختلفة من القارة ، واستغلال عزلة الدول الاسلامية الغنية عن ابناء دينهم فى القارة ، والاجهـاز على أى حـاكم يعارض المخطط الصليبى الاستعمارى ، حيث يطيح به انقلاب دموى لا بأس من أن يبيد فى وجهه الملايين المسلمة الفقيرة ، ثم يأتى الغوث باسم الامم المتحدة ، فى ثوب معونة اطعمة واكسية ، يوزعها المبشرون ودعاة النصرانية الذين يلبسون ملابس الاطباء والباحثين الدوليين التابعين لوكالة الغوث التى يرأسها .. ؟؟ اغا خان المسلم اسما ولا حول ولا قوة الا بالله .

٣ ــ طـائفة مسيحية تؤمن بعودة المسـيح فى المستقبل ، ومعنى ادفنتست ــ مستقبلون ، وسبتيه لانهم يعتقدون العودة يوم السبت .

٤ ــ والاسـلام واضح ليس قسمة بين باطن وظاهر ، وكل نحلة تخرج الاسلام عن حقيقته فهى باطلة كالقاديانية والأحمدية والبهائية والقرامطة .. الخ .

(٢)

حقائـــق جديـــدة عن التبشيـــر

قدم الدكتور عبد الجليل شلبى حقائق جديدة عن التبشير فأشار الى انه عقد فى الكويت مؤتمر ضم ١٥٠ من علماء المسلمين (فى ٢٨ دولة) لمناقشة اوضاع المسلمين الفقراء فى مختلف دول العالم ، وقد عرضت على المؤتمر تقارير تفيد أن أعدادا كبيرة من المسلمين فى الدول الفقيرة يتركون دينهم ويتجهون الى ديانات أخرى تحت تأثير الاغراء المـالى الذى تقدمه البعثات التبشيرية المختلفة وذكر أن هذه البعثات انفقت حوالى مليار دولار لهذا الغرض وذكر أن ٣ ملايين أندونيسى قـد تحولوا عن الاسلام وأن ٢٥٠ الفا فى دول افريقيا قد تحولوا كذلك .

كمـا ظهرت احصائيات تبين أن مليـار دولار تنفقها بعثات التبشير لتحول فقراء المسلمين عن دينهم ، وان ١٥ جماعة مسيحية فى الشرق غير الجماعات السرية تعمل على تنصير المسلمين فى الدول الأوربية والدول

الاسلامية نفسها وقد قتل المبشرون فى يوم واحد (٤٥٠٠) شخص فى اندونيسيا لأنهم رفضوا الدخول فى المسيحية .

وقد تطورت وسائل التبشير فنشأت جماعة الكرمل (ناجى الكرمل عمدة التبشير والاستشراق) وجمعيات الاخوة وبدا المبشرون يدرسون اللغة العربية واوضاع الدول وتقاليدها وعاداتها وجماعة النبى (دبكث) وهناك خمس عشرة جماعة فى الشرق الأوسط وقد اتخذ المبشرون عام ١٩٧٨ عدة قرارات من اخطرها العمل على تنصير المسلمين الموجودين فى الدول الأوربية والدول الاسلامية نفسها ويستخدم المبشرون وسائل عديدة للضغط على الافراد ومع ذلك فانه فى مقابل واحد يدخل المسيحية يدخل خمسة افراد الاسلام .

وتوجد فى اندونيسيا المسلمة ٩٨١٩ كنيسة بروتستانية و ٣٨٩٧ قسيس ، و ٨٥٠٤ مبشر ، وهناك ايضا ٧٢٥٠ كنيسة كاثوليكية (٢٦٣ قسيس) ٥٣٩٣ مبشر وتقدم الهيئات التبشيرية خدمات ميدانية لثلاثمائة الف أندونيسى : ٤٣ مدرسة بها ٤٣٠٠ طالب ، ٦٠ كتابا سنويا ، طبع مئات الآلاف من الاناجيل ، صحيفات ، مطار ، أسطول سفن وطائرات .. الخ .

واشارت الصحف الى انه عقد فى ١٥/١٠/١٩٧٨ بولاية كولورادو بأمريكا الشمالية مؤتمرا لتنصير المسلمين حيث قدم المؤتمر اربعين بحثا تناولت جوانب نظرية ودراسات ميدانية حول جميع اجزاء العالم الاسلامى دون استثناء بما فى ذلك الأقليات المسلمة فى أوربا وأمريكا وحضر المؤتمر ١٥٠ مشتركا يمثلون انشط العناصر التبشيرية فى الجامعات والكنائس والمؤسسات البروتستانية الأمريكية الأخرى ، وكان مؤتمرا مغلقا لم يسمح لغير المشتركين فيه بحضور اى جلسة من جلساته وقد قام كل المشتركين بقراءة البحوث جميعا وكتابة تعليقاتهم عليها مسبقا .

وفى سبيل نشر مخطط التبشير الغربى تقوم هذه المؤسسات على :

(اولا) : توجيه اذاعات باللغة العربية الى بلدان المغرب من فرنسا وأسبانيا وسويسرا والمانيا وغيرها .

(ثانيا) توجيه آلاف الرسائل البريدية باللغة العربية والفرنسية .

(ثالثا) اصدار سجلات متعددة ترسل الى مختلف البلاد الاسلامية يتضمن دروسا وآيات من الانجيل وقصصا ومحاورات ودراسات حول الكتاب المقدس .

(رابعا) : توجيه دعوات للاشتراك فى دراسة الكتاب المقدس بالمراسلة لنيل شهادة فى معرفة الانجيل .

(خامسا) اهداء نسخ فاخرة فى حجم كتاب الجيب وأصغر الاناجيل يوحنا بالعربية والفرنسية .

(سادسا) اهداء البومات من ورق مزوق مقوى فى احد واجهتها آيات من الانجيل واشادة بالمسيحية .

(سابعا) اهداء لوحات فنية تجسد عقيدة التثليث .

كذلك اصدرت المطابع فى الغرب عددا من الكتب فى التبشير والتنصير منها كتاب عنوانه **(اشرك مسلما فى عقيدتك)** نشرته مطبعة مودى فى شيكاغو بالولايات المتحدة عام ١٩٧٥ ، مؤلف الكتاب مبشر عريق : (تشارلز ر. مارس) قضى خمسة واربعين عاما فى مجتمعات اسلامية واستخدم كافة الوسائل فى تحقيق اهدافه التبشيرية ، مسرح أعماله فى دولتين : افريقيين : الجزائر وتشاد ، ركز فى الجزائر على البربر ، كما ركز على الفئات العرقية الصغيرة لاثارة القلاقل داخل الوطن الواحد ، مضمون الكتاب : كيفية الدخول فى جدل مع المسلمين عبر اجراء مقارنات بين القرآن والانجيل وبين المسيحية والاسلام ، خاصة فى النقط المتشابهة بينهما وذلك عن طريق دراسة مبادىء الاسلام واللغة العربية ومعرفة الواقع الاجتماعى والظروف وهو يقدم النصح للمبشرين بضرورة تعلم اللغة العربية بدرجة تمكنهم من التعرف على الكلمات والمصطلحات التى تتردد بين المسلمين ومنها : (الخبز والصلاة والايمان ، الشرك ، الزنا ، القتل) فى محاولة اظهار المفارقات فى المعنى بين الديانتين وتشكيك المسلم فى المعنى الاسلامى ، والهدف هو تشكيك المسلم فى عقيدته وملء قلبه بالحرج والشبهات .

ولقد أخبرنى الشيخ يوسف البدرى أنه اكتشف اثناء تواجده سنة (١٩٧٠ م ، ١٣٩١ هـ) بالجزائر ، مركزا من مراكز التبشير بفرنسا .. ومركزه مرسيليا ، بمقاطعة بروفنس ، ويقوم هذا المركز بارسال كتيبات مسلسلة ، شعارها : صوت النبوة ، نور لهذه الأيام (فوا دى نروفيت) ، (لوليت بورست جور) .

وتتناول هذه الكتيبات قصص الأنبياء ومن خلالها يتم الهجوم على تعاليم الاسلام ، ومعطيات القرآن الكريم ، مؤكدين على أن التوراة والانجيل لم يحرفا لفظا ، وانما تم التحريف فى شروح بعض الآباء .. وترسل هذه الكتيبات مقروءة .. مطبوعة ، أو مسموعة مسجلة على اسطوانات ، على عناوين شباب لا يعلمون سر اختيارهم ، وينتهى الكتيب بأسئلة ، ويطلب من القارىء الاجابة عنها وارسالها على صندوق البريد الخاص بمرسيليا ، ليحصل على جائزة مع ضمان وصول الكتاب التالى من السلسلة اليه ، وفيهما ينكرون اسماعيل ، ويؤكدون أن الذبيح اسحاق .. الخ .

كما اخبرنى ايضا ان الأب غوركى بأفغانستان نشر كتابا بعنوان : (الخبز والملح) بالفرنسية والعربية معـــا ، قصى فيه قصة الشاب غفار المسلم وكيف ان المسيح تلبس تدينه لمـــا شاركهم الخبز والملح ثم يقص قصة الشاب المسح ، وبعدها يدعو أسرته والأقارب الى النصرانية .. وكان الرهبان الذين يحملون الجنسية الجزائرية يوزعونه فى حفلاتهم على ضيوفهم المسلمين من شباب الجزائر الذين يستضيفونهم فى الأديرة .

* * *

وأشار الدكتور نجيب الكيلانى الى تسخير عـــلم النفس والاجتمـــاع والسياسة والاقتصاد والمنـــاهج الفلسفية والعلمية بصفة عامة فى التـــأثير على الرأى العام الاسلامى وذلك من خـــلال مسرحيات ومقالات ونصوص سينمائية تحمل فى طياتها الدعوة الى اعتناق النصرانية والتنفير من الاسلام وغيره من الديانات ومن أهـــم ما يعمدون اليه التركيز على مناهج التربية والتعليم والتقليل من شـــأن اللغـــة العربية والاشادة باللغات الأجنبية ونشر المصطلحات والمناهج الغربية وتشجيع تعلم اللغات وتقديم المنح الدراسية والمساعدة للوصول الى المناصب العالية وفتح الآفاق أمام المخدوعين من الكتاب والنقـــاد والفنانين .

ولقد كانت (القصة) هى المجال الخصب للدعوات التنصيرية وفى مقدمتها قصة (دراكولا مصاص الدماء) بعد أن أهيل عليه التراب يرفع يده بالصليب ، وتصوير القساوسة والرهبان بصورة ملائكية فريدة ، فهـــم يخوضون الأخطـــار دون خـــوف ويقتحمون المشكلات ويحرص أبطـــال القصة على تلمس مشكلات المجتمع والاحتياجات الملحة للناس ، وفى نفس الوقت النيل من مختلف العقائد والديانات المنافسة واظهارها بمظهـــر الانحراف والجمود والدجـــل .

بينما يرسمون صورة عـــالم الدين الاسلامى فى أدبنا العربى بصورة فردية ، بخلاف رجل الدين فى الغرب الذى يرسم على أنه سنـــاط الأمل والرجـــاء فى الدول المتخلفة والمتقدمة .

ويرمى (الأدب التنصيرى) الذى يشجعون على ترجمته الى اللغة العربية على :

١ — توهين عـــرى الالتقاء بين المسلم وتراث العقيدة والسـلوك . ٢ — التمهيد لمفاهيم غربية أشـــد التصاقا بالاتجاه الدينى والنصرانى .

ومما يؤدى الى التماس السلوك الغربى المنافى لعقيدتنا فى السهرات والاختلاط وحفلات الرقص وتجاهل العمل بالفرائض وتقبيل أيدى النساء والاختلاط غـــير المشروع بهن ، واعتبـــار المشروبات الكحولية أمـــرا متقبلا والاستهانة بالحلال والحرام والسخرية من الطهارة والالتزام الدينى والخلقى .

وتمجد احدى الصحف شاعرا لأنه انتحر ويعتبر ذلك قمة الرفض والصمود والثبات على المبدأ ، هـــذه المفاهيم تسربت الى حيـــاة المسلمين عبر الآداب الغربية والفنون الوافدة فهدمت الكثير من قيم مجتمعاتنا وتقاليدها ، وهذا ما يريده المنصرون المنشقون معهم من رجـــال السياســـة .

* * *

ولايتوقف التبشير عن الاشارة الى مايسميه خطر الاسلام واثارة الرعب فى الغرب ليتخذ موقفا متشددا مع صحوة المسلمين ونهضتهم . فيقول المبشر الكاثوليكى (جيردنر) أن الاسلام يقف على أبوابنا من ســـاحل الشمال الافريقى ، يواجه أوربا بل يلامسها حقيقة على طرفى المتوسط عند هـــرقل وفى القسطنطينية ، هـــذه الكتلة الصلبة من المحمديين الممتدة من افريقيا الشمالية الى غرب ووسط آسيا ، انهم كخابور ثابت لا يتخلخل ، يفصل الغرب المسيحى عن الوثنية أو الشرق المتخلف ، ولو أمكننا أن نحـــل مشاكلنا فى اليابان أو كوريا أو الصين أو منشوريا والهند فان هذا الخابور الضـــخم المعادى والغريب وغير المتعاطف قد يمزق الشرق والغرب المسيحيين الى نصفين فاصلا الشقين تماما وعـــازلا اياهما عن بعض .

ويعلق على هذا الأستاذ / عبد الفتاح الفاوى أحد كتاب الاسلام فيقول :

ان ماتفعله منظمات التبشير ليس لـــه الا معنى واحد هو أنه خوف من الاسلام ، فهم يعرفون ما الاسلام وما دعوته وكيف يجذب الناس اليه بدون دعـــاة أو مبشرين ومن ثم فهم يقاومون الاسلام ، ويحاربون الاسلام بهذا التبشير ولذلك فانهم لا يعنيهم الدخول فى المسيحية بقدر ما يعنيهم صد الناس عن الاسلام ، وان تجرانا وأردنا أن نصوغ لهم مبدأ فليس الا : لا تدخل الاسلام وكن على أى دين شئت ، ولذلك فانهم أكبر ما يحاولون اخراجهم من دينهم الى المسيحية . أن الغرب يستخدم فى التبشير والدعوة الى المسيحية كل امكانياته المادية والتكنولوجية ويرصد لهذا العمل الميزانيات ، فى الجانب الآخر نجد الاسلام يقاوم هذا العمل لا بأعمال الدعاة من الحكومة الاسلامية ولكن الاسلام يقاوم ذلك بمبادئه وهيكله وقـــوامه .

* * *

البـــاب الرابـــع

إحيــاء الفــرق والدعــوات الهدامــة

(أ) كان من اكبر أهداف التغريب والغزو الثقافى عن طـريق مؤسستيه (التبشر والاستشراق) احيـاء الدعوات الهدامة القديمة والفرق القديمة ومن ثم ظهرت البهائية ، القاديانية (الاحمدية) الباطنية ، والماسونية وجددت فى الباطنية ممثلة فى الاسماعيلية والنصيرية نشـاطها .

وكذلك كانت محاولة احيـاء الماضى الفرعونى والاغريقى والجاهلى وتمجيده وبعث الأساطير واعادة صـياغة الوثنيات والفلسفات السريانية والمجوسـية والباطنية واحياء عشتروت وزيوس وباخوس ، بهدف :

١ ــ هدم التصورات الاسلامية واخراجها عن مفاهيمها الأصيلة .

٢ ــ التشكيك فى المقولات الاسلامية ومحـاولة اخضاعها للمفهوم الوثنى الماسونى القـديم والحديث الذى يختلف عن مفهوم التوحيد الاسلامى .

٣ ــ التزييف والتلفيق المتعمد لهـذه البطولات والمواقف واخضاعها الى مقـاييس ومفاهيم العلـوم الاجتماعية والفلسفية المـادية .

وقـد كان من الضرورى العمـل على كشـف المخططات الوافدة التى تعمل للقضاء على الشخصية الاسلامية بنشر الالحـاد والانحلال الخلقى ومن ذلك دعوة تحديد النسل والاختلاط بين الجنسين والدعوة الى العامية واستبدال الحـروف اللاتينية بالحـروف العـربية .

واغلب هـذه الفرق تقـول بالحلول وتـؤول القرآن ، وقد كانوا خير عون للمستعمرين وقد استغلوا فى القديم والحديث ضد الجماعة الاسلامية يكيدون لهم ويفتكون بهم وقد استغل الاستعمار هذه الفرق وامدها بالقوة حتى رفعت الباطنية راسها وراس أحد قادتهم (اغاخان) جميع مسلمى الهند وتكلم باسمهم وترى روح الاستعمار واضحة فى البهائية والبابية والقاديانية .

كما عمد التغريب والغـزو الثقافى الى احيـاء الشعوبية القديمة بهدف هدم الاسلام من خلال انتقاص العرب واللغة العربية والبيان العربى ونشأت مدرسة شعوبية جديدة تهاجم كل ما هـو عربى أو اسلامى ، وتعمل سرا وعلانية على افساد تراث المسلمين العربى الثقافى ، وبما يختلفون فيه من آراء ويدسوا من معتقدات وما يحدثوا من شبهات وقد وصف الامام ابن الجوزى (الباطنية) : بأنهم قوم تستروا بالاسلام ومالوا الى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تبـاين الاسلام بالمـرة ، ومحصول قـولهم تعطيل الصانع وابطـال النبـوة والعبادات وانكارهم البعث وان كانوا لا يظهرون ذلك فى أول أمرهـم .

(ب) وكان أبرز هذه الدعوات الهدامة المنطلقة من ايران والهند : البهائية والقاديانية . فالبهائية ظهـرت فى ايران ، بدأ البهـاء دعوته بأنه المهدى ، ثم ادعى الألوهية . قال إن جميع الديانات جاءت مقدمات لظهوره وانها ناقصة لا يكملها الا دينه وأنه هو المتصف بصفات الله ، وهو مصدر أفعال الله وان اسم الله الأعظم هو اسم له وانه هو المعنى برب العالمين وكما نسخ الاسلام الأديان التى سبقته تنسخ البهائية الاسـلام .

وقد قام البهـاء بتأويلات لآيات القرآن العظيم غاية فى الغرابة ــ والباطنية بتنزيلها على ماوافق دعوته الخبيثة وان له السلطة على تغيير أحـكام الشرائع الالهية واتى بعبادات مبتدعة يعبده بهـا اتباعه .

وقـد تبين لعلماء المسلمين بشـهادة النصوص الثابتة فساد عقيدة البهائيين الهدامة ، ولاسيما قيامها على اساس الوثنية البشرية فى دعوى الوهية البهـاء وسلطته على تغيير شريعة الاسـلام وخروج البهائية والبابية عن شريعة الاسلام واعتبارها حربا عليه وكفر اتباعهما كفرا بواحـا سافرا لا تأويل فيـه .

وقد تأكدت عـلاقة البهائية باليهود فى احتضانها لهـا فى حيفا منذ ظهور عباس البهاء وترويجها لها فى فلسطين المحتلة ، كما عقد مؤتمر البهائيين العالميين فى فلسطين المحتلة منذ سنوات وقد تبين ان البهائية وهى الاحيـاء للافكـار الوثنية واليهودية القـديمة والفارسية المجوسية توضع فى قالب جديد .

(ج) واصطنعت القـوى الاستعمارية فى الهنـد (القاديانية) وفق مخطط مدروس يرمى ــ كما يقول الدكتور أحمد خليل ــ الى تأسيس طائفة جديدة تدعمها

نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، مما تعتبر كفرا بنصوص القرآن الصريحة ، وقد كان من اعمالهم دعوتهم الى نحلتهم باسم الاسلام مع بقائهم فى مجتمع المسلمين كأنهم جـزء منه وفتح باب المجادلة والمناظرة لأحداث صراع عنيف فى وسط المسلمين وجعل هذا الجدل موجها لأحداث خـلاف بين المسلمين .

وقد أعلن القاديانيون ولاءهم للمستعمر البريطانى واعتبروا ذلك جـزءا من ايمانهم ، ومن هنا اعتبرهم المستشرقون من الحركات الاسلامية الاصلاحية مـع النحو الذى ذهب اليه براون فى كتابه (طوالع الاسلام) الذى تابعه فيه بعض كتاب الاسلام البارزين الذين لم تتبين لهم الأغراض المسمومة التى تخفى وراء الدعويين المبطلتين وان الحركتين قد نشأتا فى أحضان النفـوذ الأجنبى واستهدفتا ضرب الاسلام فى اعظـم قيمـه الأساسية وهى فريضة الجهاد وحاولت هاتان الفرقتان بث الفتنة وزعزعة العقائد واثارة الشبهات والشكوك واضعاف شوكة المسلمين وتثبيط عزائمهم فى مقاومة النفوذ الأجنبى والحيلولة بينهم وبين الكشف عن حقيقة عقيدتهم .

وقد حاول الاستعمار اعداد هذه الدعوات لتحمل لواء الولاء له قبـل خروجه من البلاد المحتلة ، ولكى تكون عاملا من عوامل تمزيق وحدة المسلمين والحيلولة دون قيامها ، ومن ثم مكنت بريطانيا للقاديانية فى الهند وخصصت لهم امارة تسمى الربوة داخل باكستان ، ومكنتهم من تسلم المناصب السياسية العليا فى الدولة والجيش فأصبحوا عاملا خطيرا فى مواجهة أهل السنة والجماعة وضرب مفهوم التوحيد الخالص .

وقد أشار غلام احمد القاديانى فى ختـام كتابه (شهادة القرآن) الى حقيقة موقفه فقال : لقد قضيت معظـم عمرى فى تأييد الحكومة الانجليزية ومؤازرتها والفت فى مفهوم الجهـاد ووجوب طاعة أولى الامر وقدمت فى ذلك من الكتب والنشرات ، لو ضم بعضه الى بعض لـملأ خمسين خزانة **وقد عشت حياتى اجاهد بلسـانى وقلمى لأصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص الحكومة الانجليزية وانادى بالغـاء فكرة الجهاد التى يدين بهـا معظم جهالهم .**

ولـما رأى القاديانيون ومن وراءهم فساد الدعوة وسقوطها . حاولوا استنقاذها بظهور الدعوة الأحمدية التى تتخفف كثيرا من دعاوى غلام القاديانى تخففا ظاهرا خادعا ، وآية ذلك ان الترجمة التى قام بها الاحمدية (محمد على اللاهورى) مليئة بسموم القاديانية ومليئة بالتحريف والتشويه لمعـانى كتاب الله مـع استغلال تفسـير القرآن فى خدمة اغراضها ونواياها وتنفيـذ مؤامراتها الحاقدة على الاسـلام ومحاولة تشـكيك المسلمين فى عقيدتهم السمحة وهى تستهدف اساسا :

١ — قطع صلة هذه الامة بماضيها وخير ايامها وافضل رجالها .

٢ — فتح الباب أمام الأدعياء ومدعى النبوة .

٣ — الخروج على النبوة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسـلام .

٤ — خـلق روح اليأس فى نفوس المسلمين من ناحية مستقبلهم بما يدفعهم الى الاستسلام أمام خطط الحصار والاحتواء التى يقوم بهـا القوى الثـلاث : الغربية والماركسية والصهيونية .

والمعروف أن القاديانية بعد هلاك غـلام احمد انقسمت فرقتين . فرقة قـالت بنبوته وفرقة قـالت بولايته وللفريقين مآرب سياسية خطيرة وليست من فرق المسلمين .

وقد أشـار الدكتور محمد اقبـال الى ان القاديانية مؤامرة مدروسة ترمى الى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد امتـد خط القاديانية بطابعهـا اللاهـورى ، الذى خدع كثيرا من الناس واتسع نطاقها واستفحل خطرها وخاصة فى باكستان نفسها فنزعت الأحـزاب والهيئات تطالب الحكومة بجعلها اقلية غـير اسلامية واصدر القضاء أكثر من حـكم بأن القاديانيين غـير مسلمين مع بطلان التزوج بينهم وبين المسلمين ثم جاء قـرار (٧ سبتمبر ١٩٧٤) من البرلمان الباكستانى حاسما قاضيا باعتبار جميع الفئات القاديانية : اقليات غير اسلامية (واعتبار اتباع الميرزا غلام احمد سواء أكانوا من فئة القاديانية او من فئة اللاهورية اقلية غير مسلمة بموجب الدستور ، وأن أى رجل لا يؤمن بالنبوة المطلقة لمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى انه آخر الرسل أو أى شخص يدعى النبوة فى أى معنى او شكل للنبوة وبأى تفسير لكلمة النبوة ليس بمسلم وان من يؤمن بادعاء أى مدع للنبوة أو يعتبره مجددا دينيا يكون غير مسلم بموجب الدستور (القـانون) .

وتنتشر القاديانية فى افريقيا فى ٩ دول بمفهوم اعداء الاسلام ، واكبر مراكز القاديانية فى غانا (٢٢ مركزا — ١٦٥ مسجدا) ونيجيريا (٢١ مركزا — ٢٢ مسجدا) وسيراليون (٩ مراكز — ٤٤ مسجدا) وكينيا (١٩ مركزا — ٤ مساجد) وتنزانيا (١١ مركـزا) وأوغندا (٥ مراكز — ٩ مساجد) .

وقد تحددت أخطار الدعويين على الوجه الآتى :

أولا : انكار ختام النبوة والرسالات بمحمد صلى الله عليه وسـلم .

ثانيا : انكار فريضة الجهـاد .

ثالثا : تأويل آيات القرآن الكريم على نحو مخالف لطبيعة الاسلام ولخدمة دعواهم .

رابعا : التحالف بين اليهودية والبهائية والقاديانية فى حرب الدعاة المخلصين على مستوى العالم الاسلامى وتداحتلوا كثـيرا من كراسى الدراسات الاسلامية فى الجامعات الغربية لبث آرائهم الفاسدة .

خامسا : الاعتقـاد بالتناسخ .

(د) ولـم يتوقف التغريب والغـزو الثقـافى عن بث الدعوات من داخل المجتمع الاسلامى بل اثار دعوات أخرى خارجية كان فى مقدمتها « الماسونية » التى تبين انهـا منظمة سرية تخفى تنظيمهـا تارة وتعلنه تارة بحسب ظروف الزمان والمكان ، ولكن مبادئها الحقيقية التى تقوم عليها هى سرية فى جميع الأحوال محجوب علمهـا حتى على اعضائها الخـواص الذى يصلون بالتجارب العديدة الى مراتب عليا فيها ، وانهـا تبنى صلة أعضائها بعضهم ببعض فى جميع بقاع الأرض على اساس ظاهرى للتمويه وهو الاخـاء الانسانى المزعوم بين جميع الداخلين فى تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والمذاهب ، وانهـا تجتذب الأشخاص اليهـا ممن يهمها ضمهم الى تنظيمها بطريق الاغراء بالمنفعة الشخصية على اساس أن كل أخ ماسونى مجنـد فى عون كل اخ ماسونى آخر فى اى بقعة من بقاع الارض يعينه فى حاجاته وأهدافه ومشكلاته ويؤيده فى الاهداف اذا كان من ذوى الطموح السياسى على أساس معاونته فى الحق والباطل ظالما أو مظلوما ، وهذا أعظم اغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال ويقوم الاحتفال بانتساب عضو جديد اليهـا تحت مراسم وأشكال رمزية ارهابية لارهاب العضو اذا خـالف تعليماتها وان الأعضـاء يتركون أحـرارا فى ممارسة عباداتهم الدينية ويستفيد من توجيههم وتكليفهم فى الحدود التى يصلحون لهـا ويبقون فى مراتب دنيـا ، أما الملاحدة أو المستعدون للالحـاد فترتقى مراتبهم تدريجيا فى ضـوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتهم ومبادئها الخطيرة .

وقد تبين انها فى أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجـذور ويهـودية الادارة العليـا العالمية السرية وصهيونية النشاط وأنها ذات أهداف سياسية ولهـا فى معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية فى العـالم .

وانهـا فى اهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان جميعا لتهدمها بصورة عامة ، وتهدم الاسلام فى نفوس ابنائه بصورة خاصة ، وانهـا تحرص على اختيـار المنتسبين اليها من ذوى المكانة الماليـة أو السياسية أو الاجتماعية او العلمية أو اية مكانة يمكن أن تستغل نفوذا لأصحابها فى مجتمعاتهم ولا يهمها انتسـاب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها .

وانها ذات فـروع تأخذ أسماء أخـرى تمويها وتحويلا للانظار لكى تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الأسماء اذا لقيت مقاومة لاسـم الماسونية فى محيـط ما وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من ابرزها منظمة الأسود (الليونز) والروتارى الى غير ذلك من المبادىء والنشاطات الخبيثة التى تتنافى تماما مع قواعد الاسلام وتناقضه مناقضة كلية ، وقد تبين العلماء بصورة واضحة ـ العـلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العـالمية والتى بها استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثير من المسئولين فى البـلاد العربية وغيرها فى موضوع قضية فلسطين وتحـول بينهم وبين كثـير من واجباتهم ، ولذلك ولكثـير من المعلومات الأخـرى التفصيلية عن نشـاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة قرر المجمع الفقهى (لرابطة العالم الاسلامى) فى قرار له (نشرته جريدة الندوة فى ٥ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ) اعتبـار الماسونية من أخطـر المنظمات الهدامة على الاسلام والمسلمين وأن من ينتسب اليهـا على عـلم بحقيقتها واهدافها (معتقدا جواز ذلك) فهو كافـر « وذلك فى ضوء حكم الشرع فى التمييز بين من يرتكب الكبيرة من المعاصى مستبيحا لهـا وبين من يرتكبها غير مستبيح فالأول كافـر والثانى عاص فاسق » .

وقد اشارت أبحاث كثيرة جادة الى أن الماسونية تعمل على التشكيك فى العقائد والنيل من الاديان واشاعة الكفر والالحـاد والارهاب ومن ناحية أخرى تدعو الى الاباحية والفسـاد والرجس والانحلال والتفسخ الخلقى ولذلك فقد اقاموا نوادى العـراة فى فرنسا وهى نواد لا يدخلهـا العضـو المنتسـب رجـلا كـان أو امرأة الا عاريا كيوم ولدته أمه ، وكذلك قامت نواد لتبادل الزوجات ليس فى الرقص فحسب وانما فى ممارسة الجنس لكسر الرتابة والتنويع كما يدعون ، كما شجعوا اقـامة البلاجات واحواض السباحة المشتركة وصالات الرقص المختلط المغلقة ، وترى الماسونية فى هذا العمل خدمة للصهيونية العالمية التى ترى أن انهيار الاخـلاق فى العالم وسيطرة الشهوات والغرائز الجنسية والانهماك فى لقمة العيش والحرص على جمع المـال ، كل هذا

يمهد لهــا الطريق للسيطرة وبسط النفوذ على العالم .

ووسائل الحركة الصهيونية لتحقيق ذلك واضحة فى (بروتوكولات صهيون) عن طريق تقويض دعــائم الاسرة بالاباحية وعرض الافــلام الخليعة الماجنة ، والأزياء الفاحشة المتجددة ، والمجلات والكتب الجنسية المهيجة والقصص الغرامية المثيرة والصور العارية فى أوضاع شتى والهدف من هذه الكتب هو افساد الاخلاق وترويج الاباحيــة واستغلال الجنس لتحقيق الأربــاح الطائلة وفى نفس الوقت التمهيد لسيطرة امبراطورية الربــا .

ويقول مستر جورج روبنسن الانجليزى الماسونى كاتم أسرار أكاديمية (ايدنبرغ) فى كتابه عن الماسونية مايــلى :

« لقــد حصلت لى الوسائط التى مكنتنى منــذ خمسين سنة أن أتتبع الدســائس التى دسها البعض على الدين بحجة مناهضة الخرافات وعلى السلطات بحجــة تحــرير الشعوب من العبودية فوجدت أن كل هــذه الدســائس مرتبطة مع الماسونية التى ليس لهــا من غاية سوى دك أركان الديانات وتقويض أساس كل الدول ولو نجحت وســائل الماسونية لجعلت الدنيــا مستنقعا من الدم وشعلة من النــار ، ولهذا القــول مصداقه فى كثير من البلاد التى تمت فيها السيطرة على الحــكم لماسونيين أو صهيونيين أو شيوعيين أو ذيول شيوعيين ، وليس ما يحدث فى فلســطين ولبنــان وأفغانستان وغيرها ببعيد ، اذا اذاقوا الناس الأمرين فهــم يمثلون عملة نقدية ، فالماسونية تمثــل قيمهــا المــادة التى صنعت منهــا العمــلة ، والصهيونية والشيوعية كلتاهما يمثلان وجهى العملــة » .

ويمكننا أن نجمــل ما خططته الماسونية للقضاء على الاسلام فى الماضى والحاضر فى الآتى :

أولا : الدعــوة الى الشعوبية والاقليمية والتى هى أول فصول المؤامرة على الاســلام .

ثانيا : مهاجمة العرب حملة لواء الاسلام وأصحاب الدولــة الاسلامية بمهاجمة تاريخهم وأسلوب حياتهم وطمس ذاتهم وكيانهم ومهاجمة فكــرة الشرف العربى ، والعــرض الاسلامى والطعن فى نظرتهم الى المــروءة ومهاجمة القيم العربية والفضائل الخاتية التى تتمثل فى مفهوم الشرف والكرامــة .

رابعا : مهاجمة التاريخ الاسلامى وتزييفه وطمسه والدس فيه والافتراء عليه .

خامسا : الطعن فى أصــول القيــم الاسلامية وجذورها (عبد المنعم مبارك حسن) .

وتستهدف الماسونية الى اكــراه المسلمين على قبول (العلمانية) فى التربية والتعليم والتشريع وأخيرا فى الأسرة والعلاقات بين الأفراد منها عن طريق مايسمى بتنظيم النســل واقتباس شرع الناس بدلا من شرع الله فى علاقة الرجــل والمــرأة .

وتروج الماسونية لنقل المسلمين من محيط ايمانهم بالاسلام الى ذوبانهم فى عالمية يقودها رأس المــال فى الدول الصناعية والفكر الاشتراكى فى النظم الماركسية .

ومن وراء الماسونية الزعمــاء أصحاب الصناعة والسيطرة ، وترمى النوادى المتنوعة ـــ الى احتواء أكبر عــدد من المثقفين الوطنيين وأصحاب النفوذ السياسى ورجــال القانون والفــكر والصحافة ليبشروا بروح الأممية والهيومنزم (المذهب الانسانى الماسونى) بين مواطنيهم لخدمة هذا الغرض البعيد المــدى .

ولقــد تردد القــول بأن الروتارى هى واجهة الماسونية وحاولت بعض الجهــات انكار ذلك والقول بأن الروتارى منظمة للخدمة الانسانية ولا صلة لهــا بالماسونية وذلك خطأ . فان أهداف المنظمة غامضة ، وأنهــا ذات تنظــيم دقيق ومتكتم ويقــول مارون فى كتابه عن الروتارى ان المجموعة الأولى التى اشتركت فى تأسيس الروتارى كانوا أعضاء فى محافل ماسونية وقد كان من مقررات أول مؤتمر صهيونى فى بال ١٨٩٧ غزو المنظمات السرية واقامة ديانات جديدة من أخطرها وأشدها انتشارا الماسونية وسرها الأمين الليون كلوب وساعدها الايسر الروتارى كلوب وجمعية شهود يهوه والدرمون وغيرهــا .

(هـ) اليوجــا : ومن الدعوات الوافدة (اليوجا) وهى من الطقوس الهندية التى جرت محاولة نشرها واذاعتها فى البلاد الاسلامية والعربية وهى مستمدة من تعــاليم البوذية والنرفانا والافكار الغامضة ، ولهــا صــلات بالماسونية والتناسخ وتراث الغنوصية القديم بدعوى الوصول الى الصفاء العــام من خلال حركات جسدية معينــة .

وتأتى المهاريشى لتوسع نطــاق الدعــوة الى التناسخ ، وهى بمثابة دين جديد وقد وصفت بأنهــا بنت الصهيونية العالمية ، وأن نشاطها البارز الذى قامت وتقــوم به فى أنحــاء مختلفة من العالم لترويج تعاليمها يتركز فى مخالفتها للشريعة الاسلامية وتحذير الدول والشعوب الاسلامية من خطورتها وأصول هذه الحركة وجذورها وعناصرها ومراميها ونظمهــا الرامية الى حــكم العــالم هى وليدة الصهيونية العالمية وهى نظــم تهدف الى التحلل من كل علاقة روحية وينزعمها

الهندوس (ماهيش يوغى) المهاريشى ، الذى يدعـــو الى تحقيق حلـــم الفلاسفة فى ايجاد المجتمع المثالى ، وأن زعيمها يمكنه التحكم بالظواهر الطبيعية حســـبما يريد ، وقد أمضى وقتـــا طويلا فى الولايات المتحدة بعد الهند حيث ركـــز على مجموعات الهيبيين بصورة خاصة أسماه (التركيز الذهنى) عبر حلقات الجنس والحشيش وســـائر انواع المخدرات ثم انتقل الى سالزبورج فى النمسا والحركة حكومة تسمى الحكومة العالمية وتضم ١١ وزيرا منهم ٤ نســـاء وتسمى حكومة عصر التنوير العالمية وتضـــم كل الدساتير والأديان والثقافات ويحمل شخص (ماهيش يوغى) طابع الدجـــل والاستغلال والانحراف ويصفونه براسبوتين العصر ، ويحلم بأن يمســـك زمام العـــالم عن طريق حكومة الحشاشين وهدفه العمل على تقويض المبادىء السماوية فى صفوف الشبان والشابات ونشر الاباحية والانحـــلال .

وقد أصبح اليوم شخصية عالمية بارزة ، بل أصبح قديسا ورسول ســـلام له أموال موزعة فى مؤسسات دولية وقد أقـــام معاهد علمية فى بعض عواصم العالم منها أكاديمية لعـــلوم الهندوس الدينية ومعهد القانون الطبيعى ويتبنى دعوته الفلسفة الهندوسية ويعتمد على قـــوة قانون الطبيعة .

وتعنى فلســـفة المهاريشى الاعتمـــاد على الذات والاستغناء عن الله (تبـــارك وتعـــالى) وعن الوحى والنبـــوة ، وهو يقـــدم مذهبه هذا كبديل للاسلام ، وتلك أضاليل الدعوات الهدامة ، وهى الاعتقـــاد بأن البشر يستطيعون أن يهـــدوا أنفسهم بأنفسهم .

ويمكن القـــول بأن المهاريشى يدعو الى دين جديد والى اعتناق عقيدة تجـــدد الفكر الباطنى والغنوصى والأساطير وهى جمـــاع شـــذرات من عـــلم النفس ومبادىء اليوجـــا والنظم الاكاديمية وشطحات التصوف الهندى ، جمع هذا الخليط وأخذوا يشوشون به عقول الناس الســـذج وقلوبهم .

وهى نحلة من نحل الوصول الى الحق عن طريق الباطل بالتأمل الذاتى وهى نظريات قديمة حاول الدعوة اليها كثيرون وفشلوا وقد استطاعت هذه الدعوة عن طريق الماريجون والحشيش وحقن الهروبين أن تســـطر على عقول عشرات الألوف من الشبان الأمريكيين والاوربيين بدعـــوى التخلى عن الآلام ويكذب هذا الفكـــر حقيقة أساسية أن هداية الانسان لا تأتى مطلقـــا عن طريق الفكر التجاوزى المهاريشى ، وانما تأتى عن طريق الوحى والنبـــوة ، الوحى الذى يريهم بريق الحق والنبوة التى تقدم القـــدوة .

(قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير)

(وكذلك أوحينا اليك روحـــا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض الا الى الله تصير الأمور) .

ان البشر بدون هـــدى الله لا يستطيعون حـــل مشكلاتهم وتتماثل مبادىء المهاريشى مع مبادىء الماسونية وتخدم اهداف اليهود فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

البـــاب الخـــامس

التعليـــم والثقافـــة والتربيـــة

ماهو الخنجر المسموم الذى طعن به المسلمون ؟.

ذلك هو السؤال الذى تلح الأحداث المتوالية فى العالم الاسلامى على القائه وتطلب الاجابة عنه ، وهو تساؤل مقدم اليوم على كل سؤال ، لقد تحدث المصلحون عن مقـــاتل متعددة أصيب المسلمون بهـــا فى كيانهم وذكروها وأولوها اهتمامهم وبحثوا أمرها ، ولكنهم لم يركزوا كثيرا على « الخنجر » الذى طعنوا به فى هذه المقاتل ، وأولى لهـــم أن ينتزعوه من جسمهم أولا قبـــل أن يعالجوا مكانه النـــازف بالدم ، ذلك لأنهـــم اذا لم ينتزعوه فسوف يظـــل ينزف ولن يكون جدوى لشىء ما من اصلاح أو تصحيح أو تحرير أوعـــلاج ، اذ لابد أن يبدأ العمـــل من نقطة أولية :

هى نقطة الخنجر ، ذلك الخنجر فى تقديرى وفيما وصل اليه اعتقادى واعتقـــاد الكثيرين من العاملين فى دراسات التغريب والغـــزو الثقافى هو « التعـــليم » وما يتصل به من شأن التربية والثقافة ، هذا هو الخنجر المغروس فى الجسد الاسلامى ، وما يزال ينزف دمـــا ، ولقـــد كان المستعمرون غاية فى الدهـــاء عندما بدأوا معركتهم مع المسلمين والعـــرب من المدرسة وعن طريق برامج التعليم ومن خـــلال الارساليات والسيطرة على اجهزة المعـــارف والتخلص من المناهج والمقررات والكتب التى كانت تدرس فى مختلف أنحـــاء العالم الاسلامى والبلاد العربية ، الأزهر والزيتونة والقرويين ومعاهد الحديث ورجالها والعاملين بهـــا ، واحلال مناهج جديدة ومقررات جديدة ، واذا كان يرمز الى هذا بدنلوب فى مصر فان البلاد الاسلامية قد عرفت عشرات من امثاله وأنـــداده .

واذا كانت مفاهيم الثقافة الاسلامية القائمة على الكتاب والسنة قد انحسرت فى بيوتنا ومجتمعنا فانمـــا مرد ذلك كله الى هذ االخنجر المدفون فى أعماق الجسم الاســـلامى .

واذا كان المسلمون قد طعنوا فى شريعتهم فأقصيت عن مجال التطبيق فى مجتمعاتهم وحـــل محلها القانون الوضعى فانما مرد ذلك الى التعليم الذى خرج أجيالا تحتقر الشريعة وتؤمن بعظمة قـــانون نابليون .

واذا كان المسلمون قد طعنوا فى لغتـــهم وبرزت دعوى العاميات فى مختلف انحـــاء الوطن العربى وغيرت الأبجديات فى بعض الأقطار الاسلامية فانما مرد ذلك الى مناهج التعليم التى خدعت العرب والمسلمين بدعوى عظمة اللغات الأجنبية ودخول اللغة اللاتينية الى المتحف فلماذا تبقى العربية العجـــوز .

واذا كان المسلمون قد طعنوا فى مفهومهم الاسلامى للاقتصاد فانما يرجع ذلك الى ان المسلمين العرب درسوا فى مدارس الارساليات وفى المدارس الوطنية الموجـــودة فى العالم أن الربا هو القاسم المشترك الأعظم على كل الأنظمة والمشروعات .

واذا كان المسلمون قد طعنوا فى مفهومهم السياسى الاسلامى فانما يرجع ذلك الى تلك الصور الزاهية التى قدمت لهـــم فى مدارسهم وجامعاتهم عن الديموقراطية والليبرالية والجماعية وغيرها من أنظمة الغرب فخدعهم .

واذا كان المسلمون قد طعنوا فى مفهومهم للعلم فانما يرجع ذلك الى تلك المقررات المدرسية والجامعية التى ترد العلوم الحديثة من كيمياء وفيزياء وتاريخ طبيعى وتكنولوجيا الى علماء الغرب وحدهم متجاهلة ذلك الدور الخطير الذى قام به المسلمون والعرب فى بنـــاء الطابق الأساسى من منشأة العلم وأنهم هـــم الذين قدموا المنهج العلمى التجريبى الى البشرية كلهـــا .

واذا كان المسلمون قـــد طعنـــوا فى مفاهيمهم الاجتماعية فانما مرد ذلك الى مناهج التعليم الذى يدرس المجتمعات الغربية وفهم مدرسة العلوم الاجتماعية ، الذى يقوم على انكار فطرية الأسرة وأصالة الدين وثبات الأخـــلاق ويدعو الى التطـــور المطلق والى الجبرية الاجتماعية ، كل ذلك يدرسه أبناء المسلمين فى مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم على أنه حقائق مقررة ، لا على انه نظريات مؤقتة مرتبطة ببيئاتها وعصورها ، قابلة للخطأ والصواب لأنهـــا من نتاج عقليات بشرية تخطىء وتصـــيب .

هذا هو الخطـــر الواضح من وراء الخنجر الذى طعن به المسلمون . ومفهوم هذا الخطر فراغ النفس الاسلامية فى العالم الاسلامى كله من حيث أنهـــا قد

انحسرت عن بيوتها مفاهيم الثقافة الاسلامية القائمة على القرآن والسنة ، وضعفت القدرة التى تبنى الشباب ، فانها تسلم الى المدرسة شبابا غضــا ، يحس بالفراغ فى مجــال وجدانه وعاطفته وفكره ، فلا يجد الى مفاهيم الاسلام سبيلا ، ثم اذا به يلتقى بتلك المفاهيم التى تصور له فكر الغرب على صورة العقيدة ، وتمــلأ نفسه بحب تاريخ الغير ، وترفع فى نظره شأن لغــة الغرب وتقدم له العــلم والاقتصاد والقانون والاجتماع من نتــائج مجتمعات أخرى على أنه هو الفــكر الانسانى والثقافة البشرية .

واين الفــكر الاسلامى فى ذلك كلــه والمسلمون لهم منهج حياة كامل ولهم مفهوم جامع للحياة والمجتمع والسياسة والاقتصاد والتربية .

هذا كله ما لا يزال ضائعا ولا يزال ناقصا ولا يزال مهمــلا .

ومن هنــا فان هذه النفس المسلمة التى عجزت عن أن تملأ فراغها الروحى والفكرى بمقدراتها وقيمها لا تلبث أن تملأه بأى شيء ، وبما يقدم اليها زاهيا براقا فى كتب ملونة مزخرفة ، بينما هى تعجز عن أن تجد من فكرها ما يرد عنها الخطر أو يصحح لها الخطأ أو يزيح عن نفســها الشبهات .

تلك هى القضية الأولى أيها السادة فى التحدى الخطير الذى يواجهه المسلمون اليوم فى كل مكان ، ومن هذه النقطة نصل الى كل قضية وكل أزمة ، وكل موقف ، ومن خلال الطريق الطويل استطاعت قوى الصهيونية والاستعمار والشيوعية أن تحقق ما وصلت اليه لأنها استطاعت أن تبث فكــرها فى النفس الاسلامية وأن تحتويها وأن تنقلها من دائرة الاســلام المرنة الجامعة المتكاملة الوسطية الى دائرة الغرب المغلقة القاتلة .

ومن هذه النقطة نصل الى كل ما تطمعون فيه من وحدة وتقدم وقيام أمة الاسلام فى أرضها بدورها الربانى الانسانى العالمى الذى هو مفروض عليها والذى هو حق فى أعناقنا جميعا والذى يجب أن نلقى عليه (الله) تبارك وتعالى صادقين والا فنحن آثمون مأخوذون بجــريرة الذنب لا سمح الله .

لكى نفهم هذه القضية الكبرى أعمق فهم لابد أن نبحث عن أبعادها الى أقصى مدى ولا نقع فى الأخطاء التى فرضها علينا نفوذ الدائرة المغلقة بأن نقصر البحث على ماهــو أمامنا من واقع لأن كل واقع أمامنا لابد أن يكون متصــلا بأبعاد أخرى غير منظورة فى المكان أو التاريخ ونحن فى الاسلام نؤمن بالتكامل والنظرة الجامعة ونرى كل العناصر مؤدية الى بنــاء عمــل واحد فــلا نفرق بين التربية أو الاخلاق أو الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة أو الفن .

كذلك فنحن فى واقعنا القائم يجب أن تكون نظرتنا ممتدة الى يوم أن بعث الله تبارك وتعالى رسوله بهذه الرسالة من ناحية والى اليوم الآخر الذى يقع فيه الجزاء حتما وأن نعرف أن روابطنا بالأمم ليست حديثة وانما هى قديمة جــدا ، وليست اقتصادية أو سياسية أو دينية وانما هى كل هــذا .

ولنعرف الحقيقة الكبرى التى رسمها القرآن وهى أن عالم الاسلام تكون من قلب عالم أهــل الكتاب وهو منذ وجــد صراع معه وسيظل كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليهــا .

هذا هو التحدى القائم الذى يجب أن يظاهــر حيــاة المسلمين وحضارتهم ولا يغيب عنهم لحظة ، ذلك أن الأمم لا تموت الا اذا فقدت عنصر التحدى أو الطموح ولقد كانت أزمة المسلمين فى مرحلة ضعفهم وتخلفهم هى فقدان عنصر الطموح والاستنامة الى ما وصلوا اليه ، هنالك اندفع العدو الذى يرقبهم وينتظر منهم لحظــة غفلة فنــال منهــم .

« ود الذين كفــروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » فليأخذ المسلمون بالحذر ليجعلوا التحدى نصب أعينهم ، هــذا التحدى الذى هو صورة مغايرة لهدف محدد يتكرر تحت أسماء مختلفة فى التاريخ من حــروب صليبية فى المشرق الى حــروب الفرنجة فى المغرب الى حــروب التتار الى الاستعمار الحديث الى الصهيونية العالمية الى الدعوات الهدامة شيوعية واباحية والحادية ووثنية ومادية .

ونحن نعرف أن معركة حاسمة دارت بين الاسلام والغــرب هى معركة الحروب الصليبية ، وقد عاشها المسلمون بالمقاومة والجهــاد مائتى عام وانتهوا منهــا بالنصر ، ولكن هل كان هذا هو نهاية الشوط بالنسبة للغرب ، وهل توقف طموحه للسيطرة على أرض الاسلام وبلاد الاسلام ، ان شيئا من ذلك كله لم يحدث ، لقد استمرت المؤامرة واطردت وتبلورت فى مفهوم جديد .

كان ذلك المفهــوم يتصور أن المسلمين قد غلبوا الغرب وهزموه لأنهم متقدمون حضاريا وعسكريا فلابد من هزيمتهم حضاريا وعسكريا ، فانقض الغــرب على ميراث المسلمين ونقــل منهج العلم التجريبى وانطلق وسبق به المسلمين حتى كانت معارك الدولة العثمانية مع الغرب فى آخرها تمنى دائما بهزيمة المسلمين لأمر

واحـد هو أن الغرب استحدث أساليب فى الصناعة والحـرب عجـز عنها المسلمون .

غير أن الغرب لم يقف عند هذا فى صراعه ومؤامراته ولكنه وصل الى مقطع الأمر كله وذلك عندما قـرر أن المسلمين مهما تخلفوا فى ميادين الصناعة والعلم فسوف تبقى لهم عقيدتهم الراسخة التى تحمل طابع الجهاد والتى تدفع بألوفهم الى ساحات الاستشهاد فى سبيل الدفاع عن الحق ، وعن الأرض ، وعن العرض ، اذن فالمعركة يجب أن تبـدأ أولا من هذه النقطة الخطيرة ولابد من تزييف هذه العقيدة وامتصاص ما فيها من قـوة وجهاد وايمـان يفقد المسلمون هذا السر الخطـير الكامن فى نفوسهم . وقـد تصور الغـرب أن المسلمين عندئذ يصبحون قطيعا من السائمة التى تنطوى وتقهر ومن هنا بدأت معركة أطلق عليها أسماء كثيرة .

(التبشير ، الاستشراق ، التغريب ، الغـزو الثقافى ، الاحتـواء) .

* * *

الوثيقـة الأولى :

لقد وضعت الخطة منذ وقت مبكر وان لم تكتشف الا بعد سنوات طويلة وكانت أولى علاماتها المستكشفة فى وصية لويس التاسع بعد هزيمته فى المنصورة بما يمكننا من القـول بأن نهـاية الحروب الصليبية كانت بداية المخطط الجديد للغزو الثقافى والفكرى ومحاولة دحر الاسلام كفكر بعد العجـز عن دحـر أمتـه .

وتعد وصية لويس التاسع أخطر وثيقة فى هذا الاتجـاه فهى التى فتحت الباب واسعا أمـام عملية التبشـير والاستشراق .

وعلى أثرها مباشرة بدأت حركة أوروبا المعروفة الى ترجمة القرآن والتعرف على الاسلام وبدأت نواة التبشير والاستشراق فى المعـاهد الاوروبية : دراسة اللغـة العربية والاسلام والقرآن بمفهوم الـرد عليه وانتقاصه واثارة الشبهات حـوله .

وقد ظاهر هذه الحركة عملية « سرقة » التراث العربى الاسلامى من البلاد العربية والاسلامية بواسطة القناصل والتجار . واستسمحكم العذر فى أو أقـول « سرقة » لأن عملية الاستيلاء على الفـكر الاسلامى فى الأندلس أيضا كانت « سرقة » بالرغم من أن المسلمين كانوا يؤمنون بأن العـلم للجميع حتى العلم التجريبى الذى هو الآن من أسرار الامـم الحديثة والتى عجـز المسلمون والعـرب خـلال قـرن ونصف قـرن فى الحصول على أصوله ومعادلاته .

أما المسلمون فكانوا يعلمونه فى جامعات الأندلس وجزيرة صقلية فى حرية تامة ، غير أن الغرب فى تناهى حقده لم يقف عند هذا الحـد ، بل انه عـزل الموقع الاسلامى كله وصادره بمـا فيه واخرج منه المسلمين اخراجا ، وكذلك فعـل فى الأندلس حيث احرزت أوروبا كل ثمرات النتـاج الاسلامى العلمى والفكرى بأرضه ومعـامله ومعاهده وحوائطه ولم تبق للمسلمين حتى مجـرد القدرة على استئناف تجاربهم وهـم فى أرض أخرى هاجروا اليهـا .

لقد عكف لويس التاسع بعد هزيمته فى المنصورة خـلال محبسه فى دار ابن لقمان يفكر ويستعرض هذه الحملات الصليبية المتوالية على بيت المقدس ودمشق ومصر وكيف هزمت هزيمة منكرة وكيف هزمت حملته فى دلتا النيل ، وسيق الى الاعتقال ، وكيف كان المصريون والعرب والمسلمون يقاتلون ببسالة عجيبة فى الدفاع عن بلادهم خـلال سبع حملات متوالية ووصل الى نتيجة حاسمة : هى أن المسلمين لا يهزمون مادام فكـرهم باقيـا ومادامت عقيدتهم قائمة ، ذلك لأنها تدفعهم فى قـوة الى الاستشهاد فى سبيل حماية الذمار ومقاومة الغاصب وتطهير الأرض من دنس الغـزاة ، والاسلام يجعل القتال فى سبيل تحرير الأرض دينا وعقيدة ولذلك فان سبيل الغرب الى الانتصار على المسلمين والسيطرة على أرضهم يجب أن تبدأ أولا من « حـرب الكلمة » ولابد من أن تقوم فى الغرب قوى من الباحثين والدارسين يترجمون القرآن ويدرسون العربية ويعملون على القضاء على تلك المفاهيم القوية التى تتصل بالجهاد فى سبيل الله ، فاذا استطاع الغرب أن يفعل ذلك فقد استطاع أن يقضى على القـوة الروحية والنفسية القائمة وراء تلك المقاومة الجبارة وعندئذ يمكن للغرب السيطرة على العالم الاسلامى ، ومن هذه النقطة بدأت حرب الكلمة بالتبشـير والاستشراق والتغريب والغـزو الثقـافى والسيطرة على التعـليم والتربية والثقافة والفـكر والصحافة وقد استطاعت هذه الخطة أن تحقق للغرب انتصاراته التى يمكن أن يطلق عليها اسم (الاستعمار الغربى الحديث) ولا ريب أن وثيقة لويس التاسع تنصح بهذا الاتجـاه الخطير وتدعو اليـه .

ولقد بلغ لويس درجة القداسة فى نظـر الغرب لأنه حمل الصليب وحـارب به فى مصر ثم كانت حملته التاسعة المشهورة على تونس .

واذا كانت الحمـلات الصليبية قد توقفت منـذ استعاد المسلمون عـكا بقيادة الأشرف خليل عام ٦٩٠ هجرية ١٢٩١ ميلادية وعلى أثر ذلك قـامت الدولة الاسلامية العثمانية الكبرى بعد تسع سنوات لا غير من

سقوط الحروب الصليبية وهزيمة اوروبا ، هذه الدولة التى استمرت حتى عام ١٣٣٧ هجرية الموازية لعـام ١٩١٨ الميلادى اى أنهـا استمرت تحمل لـواء الاسلام خمسة قرون ونصف القـرن .

نقول اذا كانت الحملات الصليبية قد توقفت منذ عـام ٦٩٠ هجرية فـان أوروبا لم تتوقف فقد استأنفت حركتها مرة أخرى بعد وقت قصير حين تدافعت بعـد سقوط الأندلس على الطريق الافريقى من ناحية الغرب دون توقف : الأسبان والبرتغال ومن ورائهم الانجليز والفرنسيون والهولنديون .

اما فى أفق البلاد العربية فـان عام ١٨٣٠ م كان هو علامة الخطر حين بدأت فرنسا فى غـزو الجزائر وامتدت المعركة الى تونس فمصر والسودان . منذ ذلك اليوم بدأت طـلائع التبشير تعمـل واخذت حـركة الاستشراق تزدهر وكانت بؤرة العمل هى ساحل البحر الأبيض الشرقى : فى مواجهـة الشـام من الشرق واستانبول من الشمال ومصر من الجنـوب .

وانتقلت المطابع وبدأت المدارس وتصارعت قوى البروتستانتية الأمريكية والكاثوليكية الفرنسية على تقديم مناهجهـا .

ثم جاءت حكومات الاستعمار فى كل البلاد العربية فأخذت مناهج مدارس الارساليات ونفذتها تـوآ .

وفى عديد من مصادر تاريخ اللقـاء بين الشرق والغرب نجد اشارة الى وصية لويس التاسع الذى كان أول من أشـار الى تجنيد المبشرين الغربيين فى معركة سلمية لمحاربة تعاليم الاسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويا واعتبار هـؤلاء المبشرين فى تلك المعركة جنـودا للغـرب .

واذا كانت الحروب الصليبية منذ بدأت ١٢٩٩ م وانتهت ١٤٩٩ فـان انسحاب المسلمين من الأندلس انتهى ١٤٩٣ م وكان ذلك بعد أن استولى محمد الفاتح على القسطنطينية عام ١٣٥٤ م (٨٥٧ هجرية) فى ظل ذلك كله بدأ العمل تـوا على انشاء قاعدة للغرب فى قلب الشرق العربى يتخذها نقطة ارتكاز له ومعقـلا لمعركته العقائدية الفكرية التى تستهدف حصار الاسلام والوثوب عليـه .

ولقد أختيرت هذه الأراضى على شاطىء البحـر الأبيض الشرقى مسرحا لهذا العمل منـذ ذلك الوقت وتحرك العمل بين بيروت والقاهرة والقسطنطينية . فى نفس الوقت الذى كان فيه عمـل مماثل يتحرك فى تونس والجزائر ومراكش ، وأعمال أخرى فى المناطق الاسلامية فى الهند وفى جـاوة واندونيسيا والفيليبين .

* * *

الوثيقـة الثانيـة :

اما الوثيقة الثانية فهى تقرير من أحـد معاهد الارساليات بقلم الأستاذ نبيه أمين فارس يكتشف فيه ابعاد الخطة كلها وهى فى نظرنا وثيقة تطبيقية لمخطط لويس التاسع يقول : « بينما كان الشرق الأدنى مطمحا لأفكار بنـاة الامبراطوريات كان ايضا مطمح انظـار جمـاعة اخـرى من الناس تنشد أن ينجز عن طريق (الكلمـة) ما عجز أجدادها الصليبيون عن تحقيقه عن طريق السيف . وبعبارة أخرى تنشد احتـلال مهـد المسيحية واخضاع العالم كله للمسيح . ان هذا الحلم المسيحى قديم — قـدم المسيحية ذاتها — وهو يستمد وحيـه الدائم من الوصية العظمى كمـا سجلها ابو المبشرين ، القديس بولس » .

ولعـل سبب سيطرة هذه الوصية كـرة اخرى على عقول المسيحيين يعود الى اليقظة الدينية التى عمت انكلترا فى أواخـر القرن الثامن عشر ، واليقظة الدينية المقابلة لهـا فى الولايات المتحدة التى تمثلت فيما سمى بروح انكلترا الجديدة وعلى ذلك فقد شهدت السنوات الأخيرة من القـرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر ظهور كثير من الجمعيات التبشيرية التى كرست نفسها لحمل الانجيـل الى جميع البشر ، ويمكن أن يضاف الى هذين العاملين عامل آخـر هو ازدياد المطامع السياسية والاقتصادية فى ممتلكات رجل اوروبا المريض (يقصـد الدولة العثمانية الاسلامية) ومن المحتمل أن يكون لهذا العامل الأخير علاقـة باختيار الشرق الأدنى ميدانا مفضلا للنشاط التبشيرى .

ومن أهـم هذه الجمعيات التبشيرية التى ظهرت فى هذه الفترة : الجمعية التبشيرية الكنيسة التى اسست فى لندن عام ١٧٩٩ والمجلس الأمريكى لمندوبى البعثات التبشيرية . وقد أرسل المجلس الأمريكى بعد تسـع سـنين من تأسيسه أول مبشرية الى الشرق الأدنى وكانت المشكلة الاولى التى واجهت أولئك المبشرين هى اختيـار مركز ملائم لهم . وقدم سوريا ١٨٢٣ مبشرون آخرون وانتقلوا الى بيروت وكان غرض البروتستانت ان يتمكنوا بالاشتراك مع كنائس الشرق الناهض من كسب الكفار (أى المسلمين) الى دين المسيح غير انهم سرعان ما وجدوا أن الاسلام لم يكن قد فقد سيطرته على قلوب المؤمنـين وصمم المبشرون منـذ البـداية على

استعمال سلاح الكلمة حيث فشل استعمال السيف وفى سبيل هذه الغاية أسسوا المطبعة الأمريكية أولا فى مالطة ١٨٢٢ثم فى بيروت ١٨٣٤ وأخذوا يفتحون مدارس للبنين والبنات بصورة منظمة حتى بلغ عـدد هذه المدارس ثلاثا وثلاثين فى أقل من هذا العدد من السنين وعكفوا على انجـاز تلك المهمة العظيمة : مهمة اعداد ترجمة عربية صالحة مقروءة للتـوراة .

وعدوا فوق ذلك حمل لواء الحرية الدينية بصورة خاصة والمطلقة بصورة عـامة .

* * *

الوثيقــة الثالثــة :

ومن الجزائر تقدم هذه الوثيقة : من قلم الدكتور محمد تقى الدين الهلالى نشرها فى الفتح عام ١٩٣١ .

« ان هؤلاء الأوروبيين الفاتحين المبعدين للأحرار المخربين للديار مازالوا يحرمون عبيدهم من كلمة الجهاد ويعدون ذكراه فضلا عن فعله من اعظم الذنوب وهو آية الهمجية والتعصب الدينى المقوت ، وبلغ ببعضهم الأمر ان حرموا على المسلمين تفسير آيات الجهـاد فى كتب الفقه وبعينى شاهدت صحيفة الاذن التى حصل عليها شيخنا محمد بن حبيب الله الشنقيطى رحمه الله فى مدينة المشرية قسـم وهران من الجزائر وفيها أن الاذن بتدريس علوم الدين مقيد بأن المدرس لا يفسر اى آية أو حديث يدل على الجهـاد والا يدرس شـيئا من ابواب الجـهاد فى كتب الفقه ولمـا راجت دعاية هؤلاء فى الشرق صـار المسلمون ينفرون من لفـظ الجهـاد » .

ويعـد المبشرون أن أولى فرصهم جاءت بعـد سقوط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨ حيث أمكن منذ ذلك الوقت تفسيخ الدولة العثمانية وتوسع بعثات التبشير على النحـو الذى حقق تنفيذ مناهج التعليم على النحـو الذى رسمته مخططات الغـزو حتى ليقول الدكتور زويمر زعيم المبشرين وكبيرهم فى الشرق فى مثل هذا التاريخ الذى نقلنا فيه وثيقة الجزائر تقريبا ماياتى :

— ان السياسة الاستعمارية لما قضت من نصف قرن — أى منذ عام ١٨٨٢ تقريبا — على برامج التعليم فى المدارس الابتدائية أخرجت منها القـرآن ثم تاريخ الاسلام وبذلك اخرجت ناشئة لا هى مسلمة ولا هى مسيحية ولا هى يهودية . ناشـئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقـا فـلا للدين كرامة ولا للوطن حـرمة .

الوثيقــة الرابعــة :

وهذه الوثيقة يقدمها عميـد المبشرين فى البلاد العربية فى الثلاثينات (وهى أخطر مراحل تاريخ العالم الاسلامى الحديث فهى مرحلة تكوين الأسس والقواعد والخطط التى خرجت من بعد نتائجها الخطيرة) .

يقول صمويل زويمر فى تقريره فى مؤتمر المبشرين (سنة ١٩٢٤) : فى كل حقل من حقول العمل يجب أن يكون العمل موجهـا نحو النشء الصغير من المسلمين وموزعا فيما بينهم ليحيط بهم وليكونوا منه على صـلة مباشرة ، ويجب أن يقدم هذا على كل عمـل سواه فى الأقطار الاسلامية فان تنور روح الاسلام فى الناشىء الحديث يبتدىء باكرا من عمره فيجب والحالة هذه أن يؤتى بالنشء الصغير من المسلمين قبل أن يتكامل نمو عقليتهم وأخلاقهم وحينئذ يستعصى على المبشر ولم يزل التعـليم التبشيرى هو افضـل طريقة للوصول الى قلوب المسـلمين) .

ويعود فى المؤتمر التالى بعد عشر سنوات عـام ١٩٣٣ فيصور ما تحقق من نتائج وما يجب التأكيد عليه فى المرحلة القادمة فى مؤتمر المبشرين فى القدس :

ان مهمــة التبشير الذى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست هى ادخال المسلمين فى المسيحية فـان فى ذلك هداية لهم وتكريما . وانما مهمتكم ان تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها وبذلك تكونون انتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الاسلامية .

هذا ما قمتم به خـلال الأعوام المائة السابقة خير قيـام .

لقد قضينا فى هذه الحقبة من الدهـر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الاسلامية ، ونشرنا فى تلك الربوع مكـامن التبشـير والكنائس والجمعيـات والمدارس المسيحية تلـك التى تهيمن عليهـا الدول الأوروبية والأمريكية . ولذلك جـاء النشء الاسلامى طبقا لمـا أراده له الاستعمار المسيحى لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف اهمية فى دنيـاه الا الشهوات فاذا تعلم فللشهوات واذا جمـع فللشهوات واذا تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل المـال يجـود بكل شىء .

وفى الوقت نفسه تقول المبشرة (اناليجان) :

« ليس ثمة طريق الى حصن الاسـلام اقصر مسافة من هذه المدرسة ، ان المدرسة اقوى قوة لجعل

الناشئين تحت تأثير الدين المسيحى ، هذا التأثير يستمر حتى يشمل اولئك الذين سيصبحون يوما قادة أوطانهم » .

* * *

الوثيقة الخامسة :

وهناك وثائق اخرى حية : تتمثل فى أفراد واحداث اما فى عام ١٩٠٩ فقد ثار الطلاب المسلمون فى احدى المدارس الارساليات الكبرى لاجبارهم على الصلاة المسيحية يوميا فأصدرت هذه الكلية بيانا قالت فيه :

« ان هذه الكلية مسيحية اسست بأموال شعب مسيحى هم اشتروا الأرض وهم اقاموا الابنية ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر اذا لم يسندها هؤلاء ، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليما يكون الانجيل من مواده فيعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ وكل طالب دخل مؤسستنا يجب ان يعرف سابقا ماذا يطلب منه .

ثم جاء النص الآتى : « ان الكلية لا تؤسس للتعليم العلمانى ولا لبث الأخلاق الحميدة ولكن من اولى غاياتها أن تعلم الحقائق الكبرى التى فى التوراة وان تكون مركزا للنور المسيحى » .

* * *

الوثيقة السادسة :

قد كشف ذلك طالب عربى معروف هو عبد القادر الحسينى (ابن كاظم باشا الحسينى وبطل معركة القسطل فيما بعد) الذى وقف فى حفل توزيع الدبلومات بالجامعة الأمريكية فى احدى العواصم العربية (القاهرة) على المنصة وفى يده الشهادة التى اخذها ثم اتجه الى الحاضرين وكانوا علية القوم وقال :

« ان هذه الجامعة تظهر أمام الناس فى مظهر المدرسة العلمية ولكنها فى الحقيقة بؤرة افساد للعقائد الدينية وهى تطعن فى الدين الاسلامى ولذلك لا يصح للمسلمين أن يبقوا أولادهم بها » .

كان ذلك يوم ٢٧ مايو عام ١٩٣٢ .

فاهتزت الدنيا للحدث وأسرع المبشرون الأساتذة يمزقون الدبلوم من يد الطالب وينهرونه ولم يلبث عبدالقادر أن نشر قصته فى الصحف وأعلن عن الكتب المقررة التى تهاجم الرسول والاسلام وحاولت الجامعة ان تتنصل وتقول أن هذه الكتب ليست مقررة .

وكان الدكتور وطسون مدير الجامعة قد اعلن قبل ذلك بقليل قائلا :

أن المعتقدات الاسلامية آخذة فى الانحلال وانها غير ملائمة للحالة الحاضرة وأن الجيل الناشىء الذى نتصل به نراه مهتما كل الاهتمام لا بالاسلام ولكن بالمسائل المادية والالحاد ، ونحن نسر حين نستطيع أن نجعل فتى مسلما يقبل مبادىء المسيحية ووحى المسيح .

وقال الدكتور وطسون :

واننا نراقب سير القرآن فى المدارس الاسلامية ونجد فيه الخطر الداهم ، ذلك ان القرآن وتاريخ الاسلام هما الخطران العظيمان اللذان تخشاهما سياسة التبشير .

* * *

الوثيقة السابعة :

وهناك وثائق تشهد على اصحاب المخطط نفسه ، ذلك انه عندما بدأت حركة التغريب التى تضم التبشير والاستشراق فى تقدم خمسة من المستشرقين لدراسة العالم الاسلامى كله وقدموا تقارير شاملة عن مختلف الأقطار نشرت تحت عنوان هوزر اسلام (المترجمة وجهة الاسلام) .

وفيها يتحدث كبيرهم هاملتون جب عن التعليم فيقول وهى وثيقة اخرى نقدمها للباحثين :

« ان ادخال طرائق جديدة فى البلاد الاسلامية كان سيطلب نظاما جديدا فى التربية من عهد الطفولة فى المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال للدراسات العالية ، وان اصلاح التعليم على هذا النحو لم يكن فى ذلك الوقت يخطر على بال السلطات الدينية الاسلامية ، ولكن هذا الفراغ ملأته هيئات أخرى فقد انتشرت فى منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس فى معظم البلاد الاسلامية ولا سيما فى تركيا وسوريا ومصر وذلك يرجع غالبا الى جهود جمعيات تبشيرية مسيحية مختلفة . وربما كان اكثرها عددا المدارس الفرنسية وقد كانت المدارس الانجليزية فى الامبراطورية العثمانية اقل منها فى الهند وكانت المدارس الهولندية قاصرة على جزر الهند الشرقية .

هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت ادواتهم والأهم انها علمتهم اللغات الأوروبية التى جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبى فصاروا فى سبيل حياتهم مستعدين للتأثر

بالمؤثرات التى فعلت فعلها أيام الطفولة (أى التعليم على الطريقة المسيحية) .

وفى أثناء الجـزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة الى أبعد حـد من ذلك بانماء التعليم العلمانى تحت الاشراف الانجليزى فى مصر والهند ولعل هنـاك نصيبا من الحق فى التهم التى ترمى بهـا هذه المدارس الأجنبية من أنهـا مفسدة لقومية التلاميذ وان كنا لا نستطيع القـول بأن التطورات السياسية التى أعقبت ذلك فى البلاد الاسلامية أيدت هذه التهمـة .

ولكن الذى فعلته بلا ريب أنهـا ربت فى التلاميذ خروجا على الأنظمة الاجتماعية واضعفت من هذه الوجوه سلطان النزعة الاسلامية القديمة على التلاميذ واخلت فى بناء المجتمع الاسلامى أداة هامة وقطعت بعض الأواصر التى كانت تربطه وتحفظه » .

وقول (جب) راسما خطة المستقبل : « لقد استطاع نشاطنا التعليمى والثقافى عن طريق المدارس العصرية والصحافة أن يترك فى المسلمين ولو من غير وعى منهم أثرا يجعلهم فى مظهرهم العـام لا دينيين الى حـد بعيد ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر فى كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العـالم الاسلامى على حضارته من آثـار » .

هذه صورة سريعة الخنجر الذى غرس فى جسم الأمة الاسلامية جاءت بعد خمسين عاما محققة للهدف مكونة للأجيال التى أرادهـا الاستعمار .

تحقق هـذا منذ أن دعـا اليه لويس التاسع وحـدده غلادستون عندمـا وقف فى مجلس العمـوم البريطانى ومعه المصحف الشريف وقال : اننا لا نستطيع أن نحكم المسلمين مادام هذا الكتاب باقيا فى الأرض .

ثم جـاء كرومر وقال : جئت لأمحو ثلاثا : القرآن والكعبة والأزهر . وجاء تقرير لورد دوفرين الى اللورد جرانفيل وزير خارجية انجلترا بعد الاحتلال البريطانى لمصر محددا الخطة التى توقف نمو الأزهر وتركز على التعليم المدنى وترفع من شأن العامية وتخفض من شأن القرآن . قال دوفرين فى تقريره الذى نشرته المقتطف فى المجلد السابع ص ٦٦٨ : « اخال ان أمل التقدم فى مصر ضعيف طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية ، لغة القرآن ، كما فى الوقت الحاضر حالة كونها لا تتعلم اللغة العربية الدارجة لأن نسبة اللغة المصرية الدارجة الى لغـة القـرآن كنسـبة الايطاليانى الى اللاتينى والاغريقى القديم ، وعربية الفلاح لغـة قائمة بنفسها وقواعدها خاصة بها واذا لم توجد الاحتياطات الفردية للحصول على النتائج المقبلة فى المدارس العديدة التهذيبية التى أشرت اليها يستمر الجيل الجديد كسابقة وغـير صالح لخدمة وطنه سواء كان للقيادة العسكرية أو فى الصنائع أو فى الخدمات وتبقى عبـارة مصر للمصريين كما كانت اسما بلا مسمى » .

ولقـد كانت مهمة كرومر واضحة ومستمرة فهو دائب فى كل عام أن يرددها :

« فى مصر جيل جديد يختلف عن أجداده فى أشياء كثيرة فيمكن أن تحدثه نفسه يوما بأن يسـد الى تلك الاركان القديمة يدا لا تعرف حرمة القديم فيكون أشـد عليها من يد حكومة تمدها اليوم طبقا لارشاد قـوم لا شأن لهـم فى الأمر (يعنى الانجليز) لأنهم لا يدينون بالدين الاسلامى ، فاذا كان لهذا الحساب نصيب من الصواب فالأجدر بأبناء اليوم أن يشرعوا فى الاصلاح ويلافوا الأمر قبـل حلوله » .

هـذا فى مصر ، والتاريخ يحفظ مثله فى تونس والمغرب والجزائر لكرومرها ودنلوبها : وفى كل بلـد اسلامى كرومر ودنلوب يجرى على نفس الخطة وينفذ نفس المخطط .

ويعلق اللورد لويد (المندوب السامى فى مصر) بعد كرومر بعشرين عاما فى كتاب له تحت عنوان (مصر منذ أيام كرومر) على خطة التعليم فيقـول :

« ان التعـليم الوطنى (فى مصر) عندما قـدم الانجليز كان فى قبضـة الجامعة الأزهرية الشـديدة التمسك بالدين والتى كانت أساليبها الجافة تقف حاجزا فى طريق أى اصلاح تعليمى وكان الطلبة الذين يتخرجون من هـذه الجامعة يحملون قـدرا عظيما من غـرور التعصب الدينى فلو أمكن تطوير الأزهر لكانت هذه خطوة جليلة الخطر فليس من اليسير أن يتصور لنا أى تقدم طالما ظـل الأزهر متمسكا بأساليبه هذه ولكن اذا بدا أن مثل هذه الخطوة غير متيسر تحقيقها فعندئذ يصبح الأمل محصورا فى ايجاد التعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح » أ.هـ.

وقد حقق الاستعمار هذا تماما حين فرق التعليم فى العالم الاسلامى الى دينى ومدنى فجمد الأول وحجب خريجيه عن مناصب القيادة ودفع الثانى دفعة قوية الى الصراع والتعارض والخصومة وأعـلاه فى خبث ومكر شديدين .

وجملة القول فى هذا أن الخنجـر الذى طعن به المسلمون قد وضع بذكاء فى موضع القلب وقصد به أن تكون المناهج كلها وخاصة فى العقيدة والتاريخ واللغـة

قائمة على أساس فلسفة الغرب ومفاهيمه واعـلاء شخصيته وتاريخـه ، وحتى يكـون تاريخ المسلمين وعقيدتهم ولغتهم هى موضع احتقار شبابها ومثقفيها . أحدثكم عن النتائج فأنتم تعلمونها وان كل ما يتصل بأزمة المسلمين والعرب اليوم انما مرده الى هذا الخنجر المغروس قريبا من القلب وهو ما يزال ينزف بغزارة . اناشدكم الله أن تبحثوا عن السبيل الذى يمكنـكم من اقتلاعه وتضميد جراحـه !!.

***

(أولا)

أسلمـــة التعليـــم

ان نقطة البـدء فى تحرير المسلمين من التبعية الأجنبية ومن الفكر الوافد هو أسلمه مناهج التعليم حتى تنطلق من مفاهيم القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وكل عمـل فى مواجهة التغريب والغـزو الثقافى ينطلق من غير هذا المنطلق لا يمكن أن يؤدى الى النتيجة الحاسمة ، ذلك أن المسلمين فى الأساس قد أحيط بهم من منطلق منـاهج التعليم الذى قدمته لهم الارساليات التبشيرية تحت أسماء زاهية وخـادعة : وهى مناهج علمانية مفرغة من الدين والأخلاق والمسئولية الفردية والجـزاء الأخروى فأنتجت تلك الاجيال الحائرة التى تضطرب بها الحياة اليوم فى العالم الاسلامى من مشرقه الى مغربه وما جرت من ازدواجية فى الثقافة واللغة والنظرة العامة للحياة واختلاف النظامين التعليميين المتصارعين (النظام الاسلامى الأساسى والنظام الغربى الوافد) لاختلافهما فى الغاية والمنهج والتقاليد والظروف ودخول العقـل الاسلامى تحت طائلة التبعية التى أخرجته فعـلا عن أصالته فقد انطلقت مناهج التعليم التى تدرس بمقتضاها العلوم والآداب والفنون فى البلاد الاسلامية من منطلق العلمانية والمادية وانكار الغيبيات ونسبة الأمـور الى الطبيعة بدلا من الله تبارك وتعالى واقرار نظرية دارون الباطلة ومفهوم التحليل النفسى لفرويد والتفسير المادى للتاريخ الذى هـو قسمة الآن بين المنهجين الليبرالى والماركسى وكذلك انحراف الفكرة الأصيلة فى العلاقات بين الرجـل والمرأة ، أمـا وزوجة ومحاولات اخضاع الفنـون والآداب لمناهج التجريب والنظرية المادية مع اختلاف النظرة الى العلوم الانسانية التى لا تخضع لهذه المناهج . ومن هنـا فقد تزايدت الأخطـار وارتفعت الاصوات الى اعـادة بنـاء نظام التعليم الاسلامى ، لاعـادة تكوين الشباب المسلم ، ولمـا كان المسلمون الآن قد عقدوا العزم على الخروج من دائرة الاحتواء والتبعية والحصار فلابد من العمل على بناء نظام تربوى أصيل يقوم على مفهوم الاسلام لنفسه : ١ ــ ربانيـا . ٢ ــ ثابت الأسـس . ٣ ــ موافقا للفطـرة . ٤ ــ شاملا لكل جوانب الحيـاة ٥ ــ موحـدا للطاقات البشرية . ٦ ــ عاليا ايجابيا متفائلا فعالا.

ان كل ما يمر بنا فى المجتمع الاسلامى من ازمات انما يعـود الى أننا مازلنا محاصرون بمنهج الغـرب التعليمى المفرغ من قيم الاسلام الحقيقية : القائمة على الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخـر .

ولذلك فاننا مطالبون أن نستكمل هذه الفجـوة بالدراسة الاسلامية التكميلية التى يفرضها علينا ديننا وهى اثـراء وجداننا الاسلامى وعقلنا بنتـاج القرآن والسنة وما كتبه علماء المسلمين مما يحقق لنـا الغنى والسعة فى مجال معرفة ربنا وديننا والاخطار المحيطة بنـا والمؤامرات التى تدبر لنـا حتى نتجنبها وأن نقف من الفكر الوافد المترجم والمقرر فى المدارس والجامعات موقف الحـذر واليقظة فنعرضه دائما على مقـررات الاسلام وفى ضوئها نرفض منه ونقبل وفى مجال الكتاب الاسلامى اليوم ثروة ضخمة معروضه للمسـلم تنمى ثقافته الاسلامية وتقدم له المؤشرات الحقيقية والاصيلة للمفهوم الاسلامى الجـامع .

وهـدف التعليم الاسلامى هو بنـاء الشخصية الاسلامية المؤمنة بالله العارفة لدورها وهدفها فى الحياة: تعمير الأرض وفق شريعة الله واقامة المجتمع الربانى فى وفق منهج الله . ودفع الحياة كلها على طريق عبادة الله ، احلالا لحلاله وتحريما لحرامه ، وفى مقدمة ذلك التعرف على سنن الله فى الكون والعلم بخواص المـادة وطرق الاستفادة منها فى خدمة العقيدة ونشر حقـائق الاسلام وتحقيق الخير والفلاح للناس ، وتوجه عمليات البحث والاكتشاف كلها لخير الناس ومنفعتهم .

وهكذا تلتقى علوم الشريعة مع علوم التجريب (الطب والهندسة والرياضيات والتربية وعلم النفس) فى مفهوم الاسلام لانها تتحرك داخل اطـار الاسلام ومفاهيمه مقترنة بأحكامه وتعاليمه سواء على المستوى العـام أم على مستوى التخصص لفقهاء الأمة .

أسس المنهج الإسلامى للتربية والتعليم

ويقرر الباحثون : أن كل نظام تعليمى يحمل فى طياته فلسفة منبثقة من تصور معين ولا يمكن فصل اى نظام تعليمى عن فلسفته المعاصرة له ومن ثم فانه لايجوز أن تتخذ فلسفة أو سياسة تعليمية . أو تربوية مبنية على تصور مغاير للتصور الاسلامى وهو ما يحدث الآن حين الأخذ بالنظم غير الاسلامية لأنهـا فى النهاية تصادم التصور الاسلامى وتناقضه وفى الوقت ذاته فان للاسلام تصورا عاما شاملا ينبثق من اسس تعليمية وتربوية قائمة بذاتها ومتميزة عن غيرها ولذا فان نظام التعليم الاسلامى يجب أن يقوم على أساس هذا التصور الخاص المتميز ، أما الوسائل فلا ضير من الاستفادة منهـا فى التجارب البشرية الناجحة مادامت لا تصادم هذا التصور ولا تناقضه . ومصادر المعرفة فى التصـور الاسلامى نوعـان :

(أولهما) : الوحى فى الجوانب التى يعـلم الله سبحانه أن الانسان لا يهتدى فيها الى الحق من تلقاء نفسـه والتى لا تستقيم فيها الحياة على وجههـا الا بمقررات ثابتة عند الله المحيط بكل شىء علمـا .

(ثانيهما) : العقل البشرى وادواته فى تفاعله مع الكون المادى ، نظرا وتأملا وتجربة وتطبيقا فى الأمور التى تركها الله العليم الحكيم لاجتهاد هذا العقل وتجاربه بشرط واحد هو (الالتزام) القائم فيهـا على الأصول العامة الواردة فى شريعة الله المنزلة بحيث لا تحل حراما ولا تحرم حلالا ولا تؤدى الى الشر والضرر والفسـاد فى الأرض من أجـل ان تحقق التربية غايتها وأهدافها بتوجيه ضرورة التوسع فى قراءة القرآن وحفظه ابتداء من المرحلة الابتدائية مع التوسع التدريجى فى التفسير والفقـه والاكثار من مدارس تحفيظ القرآن والاهتمام بالعلوم الاسلامية وزيادة دروسها ، وأن يكون دراسة الفقـه الاسلامى موصولة بالواقع الحاضر ومشكلاته وقضاياه ، مع التوكيد على حقيقة هامة هى أن الحلول الاسلامية واجبـة التطبيق بشـكل متكامل فى المجتمع الاسلامى كمـا تكون دراسة الشريعة بكل فروعها هى الدراسة الأساسية فى كليات الحقوق مع عقد مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية عند الحـاجة وعلى أيدى نخبة من المتخصصين الذين يجمعون بين الايمان العميق والتخصص الدقيق والقدرة على ابراز مافى الشريعة من شمول وتكامل وسمو ، وقدرة على تحقيق مصالح الأمة وتلبية حاجات الجماعة دون الوقوع فى الانحراف والنتائج الضارة التى نشـأت من تطبيق القـوانين الوضعية بشهادة المجتمعات المعـاصرة : الرأسمالية والشيوعية على السواء والعناية بدراسة الثقافة الاسلامية فى جميع مراحل الدراسة والدراسة الجامعية بصفة خاصة ، والكليات العسكرية بما يبين عظمة الاسلام وشموله وسمو قيمه ومبادئه ونظمـه واصلاحه لأحوال البشر فى كل زمان ومكان ، وعرض أمجاد التاريخ الاسلامى فى شتى المجالات وما قامت به الأمة الاسلامية من انجازات انسانية مادية وسياسية وعسكرية وحضارية ، استحقت بهـا أن تكون (خير أمـة أخرجت للناس) وبيان فضل النظم الاسلامية على النظم البشرية الجائرة المنحرفة فى القديم والحديث سواء كانت نظما سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية مع العناية بعرض الانحرافات القائمة فى الحضارة المعاصرة بشقيها الرأسمالى والشيوعى مع ما يقابلها من نظـم قويمة فى الاسلام ، مع ضرورة تصنيف العلوم الى نوعين :

١ ـ العلوم القائمة على الوحى المتمثلة فى علوم القرآن والسنة وما يستنبط منها مع ملاحظة اللغـة العربية التى هى مفتاح فهم القرآن والسنة .

٢ ـ العلوم الأخرى كالعلوم الكونية القائمة على التجريب وعلوم الآداب والاجتماع والتربية ، وما الى ذلك من العلوم المكتسبة مع اتخاذ الخطوات الكفيلة بتعريب التعليم فى كل المراحل وخاصة فى البلاد العربية وتكوين مدرسة اسلامية لهـا معايير خاصة بهـا حتى تستطيع القيـام بنقـد الآداب الدخيلة على الفـكر الاسـلامى ، وتحقيق نوادر المخطوطـات واستنباط مجموعة جديدة من العلوم الاجتماعية يتفق منهاجهـا والاسـلام لاحلالها محـل العلوم الاجتماعية الغربية ورفض فكرة ترقيع وتلقيح العلوم الاجتماعية بالصبغة والافكار الاسلامية ، وتدرس تاريخ العلوم والمعرفة لدى المسلمين ودورهم فى تطوير هذه العلوم علميا واجتماعيا ومنجزاتها وتوكيد الحقيقة التاريخية من ان المسلمين هم الذين قدموا للبشرية المنهج التجريبى فى البحث العلمى الذى قامت عليه النهضة العلمية الأوروبية المعاصرة .

(المؤتمر العالمى للتعليم الاسلامى ـ ١٣٩٧)

فى مواجهة أزمة التعليم :

تتركز ازمة التعليم المعاصر فى العالم الاسلامى فى انهـا وافدة وليست اصيلة الجذور وقائمة على مفهوم تقبل فساد المجتمع واضطرابه وزيفه ويرجع ذلك الى خلو التعليم المعاصر من الأخلاق والقيم ، فقد أصبحت النظم التربوية المعاصرة على قدر من الجمود والتحجر مما يدعـو الى الغائها من أساسها واحلالها بنظم تربوية حديثة ، واختصار نظـم التعليم المعاصر على نقـل المعلومات ومقدار دورها التربوى ، واختصار هـدف الطلاب من التعليم على الحصول على جواز مرور الى العمل ، وفشل نظام المناهج المحددة فى ترتية النشء وفشل نظـام الامتحانات كأسلوب للتقييم ، وخطـر الفصل بين المواد الانسانية والعلمية ، وانقطاع النظم التعليمية المعاصرة عن الحياة والمجتمع ، وافتقارها الى النظـرة الانسانية الشاملة . وفقدان القدوة الحسنة والعجز عن فهم طبيعة النفس البشرية وضعف النيـة الأخلاقية والتربية الدينية : ويتطلب هذا :

أولا : اعـادة صياغة المعارف الانسانية كلها من جديد من خـلال تصور اسلامى صحيح .

ثانيا : عدم الفصل بين المعارف الدينية والدنيوية والاهتمام بالتربية قبل المدرسة وجعل الانسان هو المحور الحقيقى للتربية .

ثالثا الفصل بين الجنسين فى مراحـل التعليم واحيـاء رسالة المسجد والدعوة الى تخصيص جـزء من زكاة الأموال للانفاق على مراكز التربية الاسلامية واعـادة نظام الموقف الاسلامى والوقف على التربية الاسلامية .

رابعا : العمل على وقف جميع المدارس التبشيرية والنشاط التبشيرى فى العالم الاسلامى وكل ما يتصل بذلك من اثـر التبشير والاستشراق .

خامسا : أن يكون التعليم بمختلف مراحله فى الدول العربية بلغة القرآن الكريم .

سادسا : الاهتمام بالتدريب العسكرى فى تربية البنين والتمريض المنزلى فى تربية الاناث .

د. زغلول النجار

* * *

(ثانيـا)

اسـلمه التربيـة

دخلت أساليب التربية القرن الوافدة (ديوى) وغيره الى افق التعـلم المعاصر فى البـلاد الاسلامية بمفاهيم علمانية ومادية ، ترمى الى خلق أجيال مفرغة تفريغا تاما من الصلة بالله والتماس اخلاقية الاسلام فى التعامل الاجتماعى ، ومن ثم خرجت الأجيال المعاصرة كلها غير ذات هوية واضحة فى علاقاتها بالله تبـارك وتعالى والناس والمجتمعات وبالرغم من أن العالم الغربى يعلم أبناءه الديانة المسيحية ويقيم منهجه الاجتماعى من داخلها فاننا لا ندرس الاسلام الا على أنه دين عبادى يقصر العلاقة على الانسان مع الله تبارك وتعالى وتحجب مفهوم العـلاقة بين الانسان والمجتمع . ومن هنـا فقدت التربية القومية فى بلادنا عنصرا هاما من عناصر التربية الاسلامية .

والاسلام فى مجال التربية يتعامل مع الانسان فى كيانه الجامع : عقـلا وروحـا وجسـدا وهو بهذا يمتاز عن النظريات الحديثة من ناحية المضمون ومن ناحية التكامل الجـامع .

ولقد حرص النفوذ الأجنبى على فصل التعليم عن التربية ومن ثم سقطت هذه الأجيال المتوالية فى أزمات التمزق النفسى والانفصال الشـبكى .

ويتميـز الفـكر التربوى الاسلامى بخصـائص أساسية دفعت المسلمين الى طـرق أبواب المعرفة بانواعها ولم يقتصر على عـلم دون آخـر .

ويقـوم الفكر التربوى الاسلامى على خصائص خمـس :

١ ــ الأصـالة . ٢ ــ الفاعلية والايمان .
٣ ــ الشـمولية والتعـامل . ٤ ــ التـوازن .
٥ ــ الأخلاقيـــة .

وتستمد أصالة المنهج الاسلامى قوتها من نظرته الخاصة الى الانسان وماهيته وعلاقاته مع العالم المادى والمجتمع ، من خـلال النظرية الجامعة للكائن البشرى على أنه كريم على الله استخلف فى هذه الأرض ، ومن

هنا كان التلازم الوثيق بين النظرة الخاصة الى الانسان وبين طبيعة النظام الاجتماعى الذى ينبثق فيه ، وعدم التوقف عن الايمان بالجانب المحسوس من الانسان والحياة ، وهذا هو الفارق العميق بين النظم التى بنيت على اساس الاهتمام ، بالمحسوس ، واغفال الجانب الروحى ، ومن ثم أهملت التوحيد والعقيدة والأخلاق وهذه هى سمة الشمولية أما (الأخلاقية) فانها تجعل أعمال المسلم ليست غاية فى ذاتها وانما هى طريق للوصول الى الله وكل عمل لا يراد به الوصول الى الله جل شأنه عمل باطل .

أما (التوازن) فهو الذى يجلب السعادة والطمأنينة والطريق الصحيح والشريف والحماية من الفساد والانحلال والاباحية .

أما النظم الوافدة القائمة على الانشطارية وانكار الاخلاقية فقد جرت على المسلمين الويلات والمحن ومن ثم فقد المجمع الاسلامى معالمه ولم يعد اسلاميا ولا غربيا لان الغرب لا يسمح له الا بالقشور وسىء الاخلاق

ومن ثم تعرضت الهوية الاسلامية للخطر ، ومن ثم كان لابد من اعادة صياغة المسلم وبناء عقيدته على اساس منهج الله من جديد .

ومما امتاز به نظام التربية الاسلامية مفهوم الثواب والعقاب التى تتجاهلها النظريات المطروحة فتدفع الناس الى السقوط فى الموبقات دون خشية المسئولية والجزاء الاخروى .

ولقد كشف الباحثون وجوه التقصير فى منهج التربية الوافد القائم على اساس (تعليم بلا تربية) وأبانوا كيف كان من منهجها استثراء الجرائم التى تنتشر اليوم بين الشباب الجامعى وخريجى الكليات . لقد اصبح طلبة الجامعات رؤساء عصابات تقتحم البيوت وتفتح الخزائن ، لقد ادى الخضوع لانظمة الغرب فى جميع مجالات الحياة عامة وفى المجال التربوى بشكل خاص الى فقدان « هوية الامة » اذ لم تعد لها هوية خاصة تميزها عن غيرها من الامم ، بل لم تبق أمة واحدة كما كانت فى ظل الاسلام بل اصبحت أمما وشعوبا مختلفة متناحرة ومتحاربة .

واذا كانت المدرسة لا تؤدى واجبها فى التوجيه الأخلاقى كما اعترف به عدد من المسئولين عن التعليم فذلك لان فاقد الشىء لا يعطيه واننا فى حاجة الى (تربية المربين) الذين هم القدوة والمثل الاعلى للطلاب والذين يجب أن يختاروا على نحو دقيق بحيث يكونون نماذج فى الخلق والسماحة وتوجيه ابنائهم الى الصلاة ومعرفة الله وحسن التعامل مع الناس ، بعد أن طغى سباق الدرجات وبعد أن تضاعفت المواد المعقدة التى لا يستفد منها الطالب شيئا بعد مغادرة المدرسة ، وما تزال مدارسنا قاصرة على تربية الشباب تربية تمكنهم من حسن التعامل مع المجتمعات وبالنسبة للفتاة فلابد من تعليم خاص بها تختلف اختلافا واسعا وعميقا عن تعليم الفتيان لان المهمة تختلف .

ولابد أن تحقق المدرسة هذه المهمة التربوية التى هى العلاقة بين الكل والجزء ، فالتربية هى الاطار الذى تتحرك فيه وسائل التعليم وترسم لها وجهتها ، ولما كانت التربية الاسلامية قائمة على بناء الشخصية القادرة على فهم مسئوليتها ازاء المجتمع والامة والحياة وهى اداة لبناء الارادة التى هى عماد الكيان الانسانى القادر على حمل المسئولية بالصدق والاستقامة والعدل ، فان التربية تعنى خلق الوعاء القادر على تلقى التعليم فى الانسان والمسلم يتعلم ليكون علمه نافعا لبناء مجتمعه وحياته ولتربية كيانه النفسى والاجتماعى فالعلم النافع هو وحده الذى يقيم كيان الفرد والأسرة والامة كلها .

وفى ضوء هذا الايمان يتلقى المسلم العلوم الرياضية والطبيعية ويأخذ من آخر معطيات البشر فيها دون تحرز لانه مطالب بأن يكون قويا وقادرا ومتقدما . ومن العجز أن يكون متخلفا ومتأخرا وهو فى مجال العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما يتعلق بالقانون والتربية وما يتصل بالاخلاق والنفس فانه يستمد أصول هذه المفاهيم الاساسية من ثقافته الاسلامية الاصيلة التى تشكلت منذ أربعة عشر قرنا ذلك لان هذه العلوم الانسانية مما لا ينقل من وطن الى وطن ولا من أمة الى أمة فلكل أمة ثقافتها الخاصة والذاتية ولها طوابعها النفسية والاجتماعية التى شكلت عليها أصول آدابها وثقافتها .

ومن هنا فلابد أن نعتمد مفهوم الاسلام فى الفارق بين التربية والتعليم ، فمصطلح التعليم مصطلح ضيق واقل شمولا واضيق مدلولا ، أما التربية فهى تشمل جميع جوانب الشخصية الانسانية حيث يتناول السلوك والعاطفة والاتجاهات الاخلاقية وايقاظ المشاعر السامية والخلق الجميل .

واذا كان هدف نظريات التربية الغربية هو كسب الرزق وتحقيق الذات وايجاد المواطن الصالح فان هدف التربية الاسلامية أكبر من ذلك وابعد من انه « تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى » فان قضية الايمان هى القضية الاولى للمسلم والعبودية لله تحررنا من العبودية كلها .

ويؤكد الدكتور خورشيد أحمد فى منهجه الذى

اعلنه لبناء نظام تربوى جديد للعالم الاسلامى على عــدة نقاط هــامة :

اولها : الا تقتصر التربية الاسلامية على نقــل المعارف والعلوم التى حصلها السلف وانما واجبها أن تمد الاجيال الجديدة بالمهارات اللازمة لكسب معارف وعلوم جديدة واكتشاف حقــائق عن طريق الســمع والبصر والفــؤاد .

ثانيا : ان المفهوم الاسلامى الذين يرتكز على الايمان بأن الله تبارك وتعالى هو المصدر الحقيقى للمعرفة لانه العالم بكل فــرد وهو الذى منح الانسان معرفة الاشياء ، وأن اصطناع الحاجات فى الحيــاة لاهداف الحياة هو المفهــوم الذى يشكل الايدلوجية لنظامنا التربوى والتعليمى ، فواجب النظام التربوى التعليمى أن يخــرج رجالا ونساء وفق الاهداف التى حددها الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم وهى معرفة الله وصفاته وأركان الاسلام والايمان .

ثالثا : ارتباط التعليم والاخلاق : ودورهما فى تكوين الشخصية الاسلامية أن كلا من التعليم وتنشئة الاخــلاق عملية مرتبطة بالاخرى فالتعليم من الكتب وتحصيل الحكمة العملية والقيم الاخلاقية عملية واحدة متصلة الحلقات فى تكوين الشخصية الاسلامية .

فالتعليم والاخلاق وجهان لحقيقة واحدة

وقد ركز القرآن على أن من وظائف النبى تعليم الكتــاب والحــكمة وتزكية النفوس وتكامل هــاتين الوظيفتين فى التربية معنــاه ترابط التعليم وعملية التزكية فى عملية واحدة تتم فى آن واحــد .

رابعا : الأسلوب الاسلامى فى التربية هو الاسلوب الذى يسد حاجة المجتمع الاسلامى الايديولوجية والمادية والتكنولوجية بطريقة تجعل المسلمين يصبحون قــادة العالم الاسلامى ليس لان للمسلمين حقا طبيعيا فى أن يكونوا قادة البشر وانما لان الاسلام ينشر النور ويهدف لاعادة تركيب نسيج الحياة البشرية على أساس تقوى الله ومساواة البشر وأخوتهم بالعدل وهذا يخالف بنية النظام العالمى اليوم التى تركز على الالحاد ومصالح الصفوة المختارة واستغلال الانسان للانسان .

خامسا : أن تكون التكنولوجيا فى خدمة المثل العليــا .

ولابــد من استحداث نظــام جديد يختلف عن المفهوم الالحادى ومصالح الصفوة واستغلال الانسان للانسان ، فهذه هى المهمة التى وكل الله تعالى بهــا المسلمين لتحقيقها ويترتب على ذلك اعادة بناء الفكر الانسانى بناء جديدا وان يسبقوا الآخرين الى اكتشاف المعــارف والعلوم وأن يكبحــوا جمــاح التكنولوجيا ويخضعونها لخدمة المثل العليا .

ومن هنا فان العالم الاسلامى فى حاجة الى نظام تربوى جديد وليس امامنا طريق آخــر لبقائنا كمجتمع متميز عن باقى المجتمعات سوى تحقيق هذا الهدف ، لابد أن تلتزم جميع الدول الاسلامية بتنفيذ استراتيجية التربية والتعليم الاسلامى بأن يبــدأ التعليم فى المنزل ويستمر فى المسجد والمدرسة والكلية وينبغى تدريب الوالدين وخاصة الامهات على تربية الابنــاء تربية اخلاقية أولية فى المنزل حتى تتشرب عقــول الاطفال حب القيم الخلقية .

ولابد من اعطاء اهمية كبرى لتلاوة القرآن وسيرة الرسول واتمام دراسة جميع تعاليم الاسلام الاساسية فى المرحلة الثانوية وتنمية روح محبة الرسول والصحابة وأن يكــون المجتمع المدرسى مشــبعا بروح الفضائل الاسلامية وأن تدرس جميع المواد بطريقة يمكن معها شرح وجهة النظر الاسلامية ، وأن ننمى روح البحث عن المشكلات الاكاديمية وغيرها من وجهة نظر اسلامية وبالجملة فان هدف التربية الاسلامية :

١ ــ المحافظة على فطرة الناشىء ورعايتها .

٢ ــ تنمية مواهبه واستعداداته كلهــا .

٣ ــ توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحــو صلاحها وكمالها .

٤ ــ التدرج فى هذه العملية على خطط متدرجة.

ان التربية الاسلامية لابــد أن تستضىء بنــور الشريعة الاسلامية وتسير وفق أحكامها .

ابــرز : خصائص التربية الاسلامية هى التكامل والاخلاقية والايمان بالله تبارك وتعــالى .

اولا : فهى تربية عقليه روحية جسدية بحيث تشــمل الانسان بكل جوانبه وهى توجــه العقــل والوجدان الى التعرف على وجــود الخالق المبدع ، وغايتها أخلاقية فيها يكون الانسان حرا يستخدم علمه وحياته فى سبيل العطاء للغير والمجتمع وأن يكون العلم للحياة والتركيز على أخلاق التربية : التى ترمى الى تطهر النفس من الرذائل وتنمية روح العطاء والبــر (مقداد يالجن)

ثانيا : تكوين عقيلة علمية مؤمنة يعتزون لعقله اسلامية وتنظرون بمنظار الاسلام الى الكون والحياة ، تقوم على البصر والبصيرة معــا والبصيرة هى اســم الادراك التام الحاصل فى القلب وتكوين روح الالتزام بالعلم والمسئولية العامية أمام الله تبارك وتعالى .

(ثالثـــا)

أسلمـــة الثقافيـــة

ثقافة اى امة هى خلاصة عقيدتها وجوهر فكرها وقيمها ومن ثم فـــان الثقافة العربية لابد أن تكـــون اسلامية الانتماء والتوجه ، وأن يكون هنـــاك اتصال موصول بين العصور حتى لا ينفصل العصر الحديث فى قضاياه ولا تحدياته . وهو الخطر الذى تواجهه الثقافة العربية الاسلامية اليوم فى ضوء التحديات الوافدة فنحن مطالبون بأن نضع مناهج تعبر عن ارادتنا ومن ثم يجب أن تسترد الجامعة والصحافة أمانة الالتزام الاسلامى فقد بدأها المستعمر على انها مؤسسات بلا هـــوية ودراسة فكر الاغريق والرومان وغيرهم دون أن ندرس فكر الاسلام وحضارته أو درسها درسا مشوها فى معالمه مليئا بالدس المقصود لكى يكون المواطن المسلم خصما عنيدا لثقافة دينـــه .

ولابد من اعادة النظر فى مناهج الثقافة وان يكون منطلقها العقيدة الاسلامية والالتزام بالدفاع عن قيـــم الاسلام فتصبح الثقافة العربية (نسبة الى اللغـــة) تستمد وجودها الراهن من التعاليم الاسلامية وترتبط بالاسلام ارتباطا لازما وشاملا ، فالبلاد العربية تمثل وحدة ثقافية تقـــوم على وحدة الدين ووحدة التراث ووحدة اللغة هذه الوحدة هى الدرع المتين الذى حفظ للعرب سماتهم العامة التى استمدوها من القرآن وحفظ لهـــم كرامتهم ، كما كانت المرتكز الاساسى للتحـــرر والانطلاق وهى التى مهدت وتمهد لوحدة شاملة وتعنى الوحدة الثقافية ــ كما يقول دكتور ابراهيم حسان ــ اذابة الفوارق (التصورية والحسية والسلوكية) بين المجتمعات والاستفادة من ضرورة الترابط الوجدانى الذى تبنيه العقيدة الاسلامية فى خلق ترابط وتعاطف .

واذا كان العلم لا وطن له فان الثقافة لها وطن . ومعنى هـــذا أن ثقافتنا مستمدة من عقيدتنا وقيمنا وكيفية تناولنا للامـــور .

وتكون الثقـــافة فى جوهرها هى ما تؤدى الى تكوين رؤية خاصة يرى بهـــا الكون والانسان وتدخل فى خصائصها اللغة العربية وآدابها ضمن العناصر التى تكون ثقافة الانسان المســـلم .

ويكون دور العلوم والمعرفة تغذية هذا الوجدان بما يقدمه ويدعمه دون أن يقضى على تميزها الخاص القائم على عقيدتها وأخلاقها ونظرتها للحياة وانتمائها ، وحالاتها الروحية والمعنوية والوجدانية .

ومن هنـــا فنحن مطالبون بأســـلمة الثقـــافة وتحريرها من التبعية الغربية والوافدة التى تحاول أن تقضى على تميزنا الخاص الذى يشكله الاسلام فى الدرجة الاولى وباكبر قدر من التميز .

ولا يحـــول هذا دون التوسع فى مجال العلوم والتكنولوجيا على أن تحـــول هذه المـــادة لتنصهر فى مفهوم الاسلام نفسه وتتحرك فى دائرته دون أن تطغى فتغير طابعه أو تقصر عن العطاء بما يصل به المسلم الى أرقى درجات التقدم العلمى .

ولا ريبان هذا التوازن بين الحفاظ على القيم الذاتية وعلى التقـــدم العلمى يحقق التوازن الحقيقى الذى تتسم به الثقافة الاسلامية اذ لابد من تدعيم المعنى الروحى وتكامل القيم حماية للامة من الغزو الثقافى .

اما دعاوى التغريبيين من أن هناك تناقض بين حمـــاية الشخصية الاسلامية من الغزو الفكرى وبين قبول التليفزيون والاذاعة والطائرة والكمبيوتر . فان هذا لا يجـــاب عليه بغير ابتسامة السخرية ، اذ ان المسلمين يعلمون أن الأدوات لا تحارب وأن المســـلم يقبل كل تقدم علمى وكل انجاز حضارى شريطة ان يستعمل فى مضمون اسلامى فليست الآلة هى الغـــزو الفكرى ولكن ما يدخل اليها من مفاهيم مغربة .

ليست الادوات الحضارية المستحدثة من الغزو الثقافى وانما هى معطيات مشاعة بين الأمـــم تملؤها بثقافاتها وقيمهـــا .

وليس فى هذا الفهم من عيب وليس فى حماية شخصية أمتنا من الاحتواء فى دائرة التغريب والغزو الثقافى من بأس ولكن البأس كل البأس هو الاستسلام له وليس الذين يحافظون على شخصية الامة وثقافتها اناس مغالقون يخشون على حياتهم من العـــلم ونوره ولكنهم هـــم الغيورون الوأسعى النظرة والأفق .

ومن هنـــا فنحن فى دعوتنا الى اسلحة الثقافة نطالب اجهـــزة الاتصال بالتحرر من دورها السلبى والتغريبى فقد أصبحت برامج التليفزيون والموضوعات

المنشورة فى الصحف والمجلات التى تسهلك أجهـزة الاتصال مواد وافدة يصدرها الينا من العالم الخارجى ولا تشارك فى استنباتها فى بيئتنا العربية واصبح الاتجاه الجماهيرى يخضع لصناعة ضخمة تملكها شركات غير وطنية وهى صناعة تسيطر عليها التكنولوجيا المتقدمة التى لا نملك منها الا القليـل .

* * *

(٢)

لابد من مراعاة هذه القواعد :

اولا : الطـابع المميز الثابت لهـذه الثقـافة والخصائص الجوهرية .

ثانيا : القرآن هو المصدر الأول لمقومات الاصالة فى الثقافة الاسلامية مشروحا بقول وفعل وحال النبى الكريم صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : ان تحديد المنابع الاصيلة للثقافة يوفـر الضمانات الموضوعية لتحقيق الأصالة وتثبتها عن طريق استيعاب وسائل التربية الثقافية . .

رابعا : بربط القرآن دائما بين المعرفة أو الثقافة والنتائج العملية المترتبة عليها من حيث النفع او الضر .

خامسا : يربى القرآن العقـل والبصيرة على الكفاءة وفى رؤية الوحدة من خلال الكثرة وتلمس الرباط الموحد الذى ينظم ما يبدو متنافرا متباينا .

سادسا : يربى القرآن فى المسلمين ملكة النقد النزيه مع الدقة والامانة فى نقل او رواية اقوال الغير وضرورة التفرقة الحاسمة بين العلم والظن .

سابعا : الربط بين جانبى الفكر والوجدان مع تأكيد اهمية الربط بين النظرية والتطبيق .

ثامنا : ان العقيـدة الاسلامية التقية لم تـكن يوما حجر عثرة فى سبيل تطور الحياة الاسلامية وان عقيدة القضاء والقدر لا تؤدى الى الجمود أو الموقف السلبى .

(محمد كمال جعفر)

* * *

الباب السادس

فى مواجهة المؤامرة

علم تصحيح المفاهيم ودحض الشبهات

على طريق مسيرة الفكر الاسلامى الجادة عبر القرون الطويلة بالاحتكاك مع الثقافات المختلفة التى حاولت أن تحتويه أو تنحرف به عن مفاهيمه وقيمه عمل رجال الاسلام على الوقوف فى وجه هذا الخطر مدى العصور بتحرير مفهوم الاسلام الأصيل الجامع من كل المفاهيم الباطلة وتصحيح مساره ، وقد امتدت هذه المعركة زمنا طويلا وجاهد فى سبيلها اعلام كثيرون فى مقدمتهم الشافعى وابن حنبل والغزالى وابن تيمية وابن القيم وكثيرون . وفى العصر الحديث وبعد أن سقط العالم الاسلامى فى براثن النفوذ الاجنبى الا اجزاء قليلة منه ، عمد النفوذ الاجنبى الى احتواء الفكر الاسلامى باثارة هذا «الفكر البشرى الوثنى والباطنى» مرة أخرى واعادة طرحه فى افق الفكر الاسلامى فأعاد مجددا كل السموم والتحديات والافتراءات التى بثتها الباطنية والمجوسية والفلسفات الوثنية ودعوات التحلل والانحراف والزندقة والاباحية التى عرفت فى عصور ماقبل الاسلام .

وقد اجتمع هذا الركام فى العصر الحديث تحت اسم « التغريب والغزو الثقافى » وعملت قوى الاستشراق والتبشير على اذاعة هذا الفكر المسموم عن طريق : المدرسة والجامعة والصحافة ودوائر الثقافة .

وجندت له الكثير من أصحاب الاسماء اللامعة والضمائر الخربة .

ولقد عملت حركة اليقظة الاسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجرى المنطوى على مواجهة هذه الشبهات .

وقامت فى ذلك بدور كبير واستطاعت ان تدحض زيفها وان تقدم المفهوم الاصيل ولذلك فقد حق على اهل الدعوة الاسلامية فى مشرق القرن الخامس عشر أن يقيموا « منهج المواجهة مع الفكر الوافد » على ان يصبح علما كاملا له اصوله ومناهجه وأن يدرس فى الجامعات والمعاهد كاشفا هذه الحقائق التى وصل اليها المخلصون الابرار فى مختلف المجالات .

وهذا ما دعوت المفكرين الى اقراره والعمل به حتى يكون هذا القرن الخامس عشر هو الذى يحمل راية الحسم فى هذه القضية باخراج المسلمين من ظلمات شبهات التغريب والغزو الثقافى وادخالهم فى عصر « الرشد الفكرى » والمواجهة الحاسمة لهذا الركام الضخم الذى طرحته المحاولات الخطيرة التىنسقها الاستشراق والتبشير تحت ظلال النفوذ الغربى والماركسية والصهيونية لافساد جوهر الاسلام وتمييعه ومحاصرة مفاهيمه القائمة على التوحيد والعدل والاخاء الانسانى والجهاد واحتوائه وصهره فى بوتقة الفكر الاممى العالمى بهدف القضاء على « روح الاصالة الاسلامية » وعلى ازاحة تلك « الذاتية الاسلامية » ذات الطابع الخاص الذى يتميز به المسلمون وفكرهم « صبغة الله ومن أصدق من الله صبغه ونحن له عابدون » .

ذلك لان دعاة النفوذ الاجنبى الغربى بقواه المختلفة : ماركسية وصهيونية دائما موقنون بأن المسلم لا يمكن أن يهزم الا بعد اخراجه من قيمه وذاتيته وكيانه الخاص الذى صنعه به الاسلام . ولذلك فان محاولة « التغريب » نفسها واضحة من اسمها وهى : العمل على تغريب المسلمين فى عقائدهم واخلاقهم وقيمهم . وهم يؤمنون بأنهم اذا استطاعوا ذلك ، فقد المسلمين خاصيتهم التى حققت لهم الثبات مع الزمن والاستمرار فى الوجود والقدرة على مقاومة كل عدو باغ فاذا خرج المسلمون من ذاتيتهم ذابوا فى الأممية وانتهى امرهم وأصبحوا صورة مكررة رديئة للبشرية الضالة .

وصدق الله تبارك وتعالى حين قال :

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » ..

هذا الخطر الخطير الذى يتجمع كل قوى اعداء الاسلام على العمل له هو اقتلاع هذه الذاتية ومحو هذا الخاصية التى اختصوا بها والتى صنعها لهم الاسلام

والتى هى مصــدر قوتهم فى حياتهم وفى قدرتهم على مقاومة كل عدوان واداتهم فى اداء رسالتهم المرتجــاة للبشرية بتبليغ كلمة الله تعالى الى العالمين .

هذا الخطر اهم كثيرا فى نظر القوى المختلفة عن امتلاك ثروات المسلمين لان هذا العمل « التغريب » سيمكنهم من امتــلاك نفــوس المسلمين وارواحــهم فيقودونهم كيفما شاءوا واذا تمكنوا منها فلن تصبح ثروات المسلمين وحدها ملكا لهم بل سيصبح المسلمون انفسهم عبيدا للقوى الأممية المسيطرة الآن .

ولذلك فان هذا المنهج الذى دعوت الى اقراره ليكون علما قائما بذاته انما يستهدف هذه الأمور :

اولا : كشف زيف هذه النظريات والايدلوجيات المثارة والمطروحة فى افق الفكر الاسلامى على أنهــا « علم » والتى تدرس فى بعض الجامعات والمعاهد على انهــا « حقائق مقررة » ، بينما هى لم تصل بعد الى درجة العلم من حيث أنهــا « فروض » افترضها عقل بشرى يخطىء ويصيب ، وقد جاءت ردا على تحديات مجتمعاتها وعصورها ، ولذلك فهى ليســت صالحة لتكون منهج حياة لغير عصرها او بيئتها وهى لن تصلح لتصدر الى أمم اخرى تختلف من حيث العقيدة والشريعة والاخــلاق .

وعلينا أن نكشف تلك الحقائق التى واجهت كل هذه الايدلوجيات من حيث عجزها عن تحقيق المجتمع الامثل من ناحية ومن حيث أنها لم تلبث الا قليــلا من الزمن حتى احتاجت الى كثير من الاضافة والحــذف وعلينا أن نبين مدى الفرق بينها وبين المنهج الربانى الخالد الذى لا يعتوره النقص مهمــا مرت الدهور أو اختلفت البيئات لانه من صنع العــالم القدير العليم بالبشر فى أعمق أعماق نفوسهم ومطامحهم واهوائهم وقد جاءت رسالة السماء وحدها القادرة على العطاء الدائم الذى لا يتوقف .

ثانيا : كشف محاذير هذه الحضارة الغربية فى مرحلة التدهور والأفول : والابانة عن انحرافها الخطير عن منهج الله تبارك وتعالى والتعريف بالآثار الخطيرة التى احدثتها من حيث أوقعت البشرية فى « الازمة » والنفس الانسانية فى التمــزق والانحراف والتحلــل باندفاعها وراء شهوتى البطن والفــرج التى يمثلهما منهج الراسمالية والفرويدية والماركسية جميعا .

وكيف جاءت الحضارة الاسلامية للبشرية محررة اياها من عبودية العقيدة الوثنية وعبودية الانسان للانسان وكيف سقطت حضارات المــادية والاباحية والالحاد التى عرفت بالفرعونية والرومانية والفارسية.

وادخل الاسلام البشرية فى عصر التحرر من الظلم والعبودية والرق . وفتح لهم القرآن باب البحث العلمى وصولا الى « المنهج التجريبى » الذى قام به المسلمون والذى هو عماد الحضارة المادية المعاصرة .

وعلينــا أن نعلن بدون مواربة افول الحضارة الغربية لانها خرجت عن منهج الله وان البشر تتطلع الى شروق الحضارة الاسلامية مجددة بعد أن توقفت عن العطــاء .

ثالثا : تعميق المفاهيم الجديدة التى بدأت تشق طريقها فى عالم الغرب كاشفة عن فساد التفسيرات الدينية التى قام بها الاحبار والرهبان خارجين برسالات الله عن طريقهــا الحقيقى وعن تسلسلها الطبيعى ، واعطائها حجما أكبر من حجمها الحقيقى وخاصة ماكتبه فى العصر الحديث علمــاء اللاهوت والدكتور موريس بوكاى عن التحليل العلمى للكتب المقدسة التى فى أيدى الناس ومدى اضطرابها وبشريتها ومعارضتها للحقائق التى كشف عنها العلم بينما يلقى القرآن بهذه الحقائق فيثبت أنه من عند الله .

رابعا : تأصيل المفاهيم التى أصبحت الآن بمثابة الحقائق والتى تقرر أن العلم لا يستطيع ان يقول الكلمة الاخيرة لا فى مسئولية الانسان ولا فى حقيقة الكون وانه ليس الا اداة من ادوات التعرف على مجموعة متواضعة من الحقائق تفسر « ظاهر الاشياء » وأن نظرية دارون التى كانت منطلقا للفكر المــادى قد تكشف زيفها واثبت العلم وكشفت الارض عن الجماجم والعظام التى دحضت فرضية الصلة بين الانسان والقــرد فقد عبرت هذه الجماجم عن استقلالية كل عنصر منذ خلقه الله جل وعلا وان الانسان منذ خلقــه الله ومشى على الأرض كانت قامته مثلما هى اليوم قائمة مسنونة وبذلك تساقطت كل ما رقبته هذه النظرية الضالة وتبين فساد نظرية التطور الدائم كما تبين فساد نظرية الثبات الدائم ، واقــر العلم بأن هناك ثوابت وأن هناك متغيرات كان الاسلام قد سبق فأعلن عنها منذ خمسة عشر قرنــا .

وكيف أن القرآن حمل مفاهيم واضحة عن اول الخلق والحياة على وجــه الارض وقد جاءت الابحاث العلمية لتصدقها وتؤكدها .

خامسا : تعميق الوثائق التى قدمها علماء الغرب فى الكشف عن عظمة الشريعة الاسلامية وخصوبة الفقه الاسلامى وعمق عطائه فى مختلف مجالات الحياة فقد انهت المؤتمرات القانونية والفقهية ابحاثها منذ قرابة خمسين عــاما بقرارات واضحة الدلالة فى ســلامة الشريعة الاسلامية وكمالها وقد تبين لعلماء الغرب من كنوزها ما اذهلهم وجعلهم يعترفون راغمين بأصالة هذه

الشريعة ، بل أنهم لم يتوقفوا عن أن ينقلوا منهـا الكثير ويطبقوها تحت أسماء مختلفة وقد اعترفوا بفضل الاسلام أساسا على القانون المعاصر الذى نقل اغلبه من فقه مالك حين نقلـه علماء نابليون الى الغرب لاول مـرة .

وكيف أن الغرب الذى يعترف بفضل هذه الشريعة الغـراء مازال يحـول بين المسلمين وبين تطبيقها فى مجتمعاتهم ويفرض عليهم القانون الوضعى وهم مازالوا عاجزين عن التحرر من ربقة هذا القيد الأسيف .

ولقد تبين للغربيين اليوم عن طريق أعـلام من مفكريهم بما لا يدع مجالا للشك انه لا يصح للانسان ان يشرع لنفسه ولمجتمعه وانه لابد من « جهة أعلى » هى التى تشرع له ، وانه حين يخضع الانسان لقانون بشرى فانما يكون قد خضع للاهـواء وللظن وهو ما يؤدى الى تدمير المجتمعات وهم يرون دمار حضارتهم اليوم نتيجـة ذلك ومع انهم يكتشفون هذه الحقيقة فانهم مازالوا سادرين وراء مناهج وأيدلوجيات لم تستطع أن تحقق لهـم مطامح الروح ولا سعادة المجتمع ، هـذه الأيدلوجيات التى يتراوحون فيها يمينـا وشـمالا بين الديمقـراطية والراسمالية والاشتراكية وبين الفـردية والجماعية ، وقد تبين لهم فساد هذه الايدلوجيات وعجزه من الاستجابة الحقيقية .

سادسا : علينا أن نستأنف البحث الذى بـدأ فى العالم اليوم بحثا عن منهج اقتصاد جديد بعد أن أعلن فشل وهزيمة المناهج الاقتصادية المعاصرة وعجزها عن العطاء فالعالم اليوم حين يطالب بمنهج يجد فيه الرحمة والمسـاواة ويتخلص به من ارستقراطية الراسمالية ودكتاتورية الماركسية لن يجد الا الاسـلام فهو الذى يستطيع أن يعطيه ماهـو فى حاجة اليـه .

وكمـا تبين لهـم فساد منهج الاقتصاد العالمى فقد تبين لهم فساد نظريات فرويد ودوركايم وفريزر التى أوصلتهم الى اضطراب الأسرة وانتشار الجريمة وحوادث الاجهاض واستشراء الاباحية وامتهان كل القيم بما ظهر من حركات الوجودية والهيبية والعرى الجماعى ، ومع ذلك فهم سادرون فى غيهم ، يحاولون الانتقال من المادية الاباحية الى نظريات الروحية الاباحية فى مفاهيم البوذية والثيوصوفية واليوجا والغنوصية الشرقية .

ولو كانوا يبحثون عن الحق لمـا عدوا الاسلام الذى يجدونه واضحا أمامهم وفى طريقهم قبل أن ينتقلوا من أقصى الغرب الى اقصى الشرق .

ولقد تبين لهـم فساد نظرية فرويد فى الجنس وكشفت الابحاث العلمية عن انه ليس الجنس وحده مصدر التصرفات البشرية ، وتبين لهم فساد التفسير المادى للتاريخ وكشفت الابحاث العلمية عن ان للتاريخ مصادر متعددة وان الاقتصاد هو فى الدرجة الثالثة او الرابعة ومـع ذلك فالبشرية الضالة مازالت متشبثة بضلالها وتجر وراءها عالم الاسـلام .

سابعا : علينا أن نصحح مفهوم قدرة الله عز وجل واحيائه فى مختلف العلوم والثقافات بعد أن عمد الفكر الغربى الى انكار الله تبارك وتعالى صانع كل شىء وانكار النبوة والبعث والجزاء ومسئولية الفرد فى الحياة والتزامه الخلقى وعمد الى تصوير الحياة بصورة مادية خالصة وتجاهل جانب الروح والمعنويات والغيبيات وعالم ماوراء المـادة وقد تبين له فساد ذلك كله وجـاء تفجير الذرة محطما لكل هذه النظريات المادية التى تخالف الآن مايقرره العلم التجريبى الذى أخذ يؤمن بعالم الغيب ويؤمن بوجود الله تبارك وتعالى الخالق القادر القائم وراء هذا الكون كله يديره ويدبره لحظة بعد لحظة ويعرف علماء الفلسفة المادية هذه الحقائق العلمية التجريبية ولكنهم سادرون فى غيهم يضللون الناس ويسخرون من الأصالة والفطرة ولقد أدخلت الفلسفة المادية البشرية فى حيرة شديدة بانكارها لعالم ما وراء المـادة ولا يخرج لها الا بالايمان بالله الواحد الاحـد ، ذلك هو منطلق الفطرة الذى يهدى الى مسئولية الفرد فى بناء المجتمع الربانى على هدى من الالتزام الخلقى .

ثانيا : علينا أن نكشف فسـاد مفهوم القوميات الوافد الذى طرح فى أفق الفكر الاسلامى للقضاء على مفهوم الوحـدة الاسلامية والوحـدة الفكرية الجامعة القائمة على أساس لا اله الا الله والمستمدة من مفهوم القرآن الاصيل ، هذا المفهوم الضال المظلم الذى فتح الباب واسـعا أمـام الفرعونية والفينيقية والاشورية والبابلية والبربرية والذى يستهدف فى العصر الحديث انبعاث أفكـار بائدة قضى عليها الاسـلام الذى أعلن الانقطاع الحضارى فى مختلف أجزاء عالم الاسـلام عن كل ما سبقه من دعوات سواء كورش فى فارس أم طوران فى تركيا أم وثنية العرب أم قيصرية الروم . لقد كانت نظرية القومية العربية بمثابة مؤامرة استهدفت تمزيق الوحدة الاسلامية السياسية والاجتماعية والفكرية التى كانت مترابطة تحت كلمة التوحيد ولقد تجاوز المسلمون اليـوم مرحلة الوطنية والقومية وكشفوا زيف هـذه الاطروحة الفاسدة ، التى قصد بها دعاتها الى القضاء على رابطة التجمع الاسلامى فى مواجهة النفوذ الغربى الزاحف .

تاسعا : يجب أن يكشف علم تصحيح المفاهيم عن نتيجة التجربة التى خاضها العالم الاسلامى فى مواجهة

التبعية للنظام الديمقراطى الليبرالى الراسمالى الغربى وفى مواجهة التبعية للنظام الماركسى الاشتراكى البلشفى وكيف أن المجتمع الاسلامى قد لفظ كلتا التجربتين بعد ان جرى شوطا فى اصطناعهما واحدة واثر واحدة كمحاولة للعصرية والتقدمية وكيف ان هذه التجربة حملت معها الهزيمة والنكبة للبلاد التى أجرت هذه التجربة وكانت نهايتها تلك النكسة المروعة التى أودت بثروات الامم ومقدراتها وكادت أن تحصدها حصدا لولا ان علت صيحة الاصـــالة والتماس المنـــابع التى دعت المسلمين الى استخلاص التجربة الغربية بشقيها والايمان بأنه لاسبيل أمام الأمة الاسلامية الا طريق واحد هو طريق الله بالحق الذى دعـــا اليه الاســـلام .

« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به » .

هذا كله هو منطلق ذلك العلم الذى يطلق عليه علم تصحيح المفاهيم وتحرير القيم فى مواجهة شبهات التغريب والغزو الثقافى . فان علينا نحن المسلمين أن نكشف زيف هذا الاتجاه المضلل الذى تتردى فيه البشرية وأن نحـــرر انفسنا أولا من اصر هـــذه الفلسفات التى تحاول احتواء الفكر الاسلامى . هذا واجبنا أولا ، أن نقدم هذه الحقائق الى قومنا المسلمين وقد طرحت هذه النظريات كلها فى أفق فكرهم ، وتسألهم : هل يسيرون وراء ضلال الغرب وهواه ؟ وهـــل يؤمنون بالحضارة الغربية وهى فى مرحلة الانهيار ؟ وهل يخضعون لهذه الأيدلوجيات المتصارعة المتهالكة ؟ ان هناك قوى ضالة مضلة ماتزال توقد النار لتغرى الناس بهذه الاهـــواء المضلة وتدفعهم دفعا الى اتون الشهوات الصاخبة ، وهناك أقلام مسمومة تحاول أن تحطم كل القيم ، وأن تزيف حضارة الاســـلام وتثير الشبهات حول القرآن والسنة وسيرة الرسول وتاريخ الاســـلام وهى تروج لمفاهيم زائفة وأفكار باطنية ، وتحيى من التاريخ تلك الشخصيات الشاذة الغريبة الضالة والمنحرفة أمثـــال الحلاج والسهروردى وابن عربى وأبى نواس وبشار وهنـــاك من تخصص فى تشـــويه الشريعة الاسلامية والادعاء بأنها موقوتة أو من يحاول مهاجمة اللغة العربية ويدعو الى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية وماتزال هذه المخططات تجرى مجرى الدم فى فكرنا الاسلامى عن طـــريق الجـــامعة والصحيفة والثقافة ويحـــاول الاستشراق والتبشير من خلال هذه المراكز وعن طريق مخططات متجددة متغيرة اخضاع ثقافة الاسلام وفكره وتاريخه ولغته الى ما يسمى باسم « التقـــارب » أو « الحوار » ولا ريب أنه ليس هناك تقارب حر ولا حوار أصيل ، وانما هناك هدف بعيد من وراء ذلك هو تجريد الاسلام من ذاتيته الخاصة وميزته المفردة .. وذلك فى محاولة لتضليل المتطلعين اليه كمنقذ للبشرية من وهدتها الحائقة وازمتها العسيرة ، والراغبين فى التماس الاسلام كمنهج حيـــاة بعد أن عجزت الايدلوجيات الغربية عن العطـــاء .

(٢)

وبعـــد :

فاذا تقرر هذا المعنى فيحق لنا أن نضع خطوطا عامة لمنهج هذا العلم :

« علم تصحيح المفاهيم ودحض الشبهات عن طريق الاصالة الاسلامية » وقد سبقنا الى ذلك علماء أجلاء فى مثل هذه الازمة التى نمر بها واجهوها بكل قوة ويقظة ووضعوا أصول المقاومة والمواجهة لكل حملات التشكيك وشبهات التغريب وعلينا أن نقتفى طريقهم تحريرا للفكر الاسلامى من دخـــائل التبشير والشعوبية وكشفا عن الاخطاء الشائعة التى بلغت من كثرة ترددها أن أصبحت كالمسلمات وتصحيح المفـــاهيم وتطبيق عـــلم الجـــرح والتعديل على الكتاب الذين خدعوا الكثيرين من حيث بريق الشهرة وضجيج الدعاوى والاعلان ، هؤلاء الذين يكنون خصومة عميقة لفكر المسلمين وان كانوا يخدعون بالدعوة الى التقدم والعصرية وهم لا يتركون فرصة تمر دون النيل من قيم فكرنا وذاتية أمتنا ويهدمون كياننا ومن قبل رد ابن تيمية على المناطقة ورد الغزالى على الباطنية والفلاسفة ورد ابن حزم على الفرق وقدم ابن الجوزى كتاب تلبيس ابليس كمنهج فى هذا المجال كما كتب القاضى ابن العربى كتاب العواصم من القواصم ، وفى العصر الحديث ظهرت كتابات كثيرة فى هذا المجال فقد رد جمال الدين الأفغانى على الدهريين وكشف محمد عبده فساد تفسيرات النصرانية وجلى رشيد رضا شبهات النصارى ودحض ولى الله الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة كثيرا من شبهات اليهود والنصارى .

ومن الحق أن يقال انه قد اصبحت هناك ضرورة قائمة لهذه المواجهة وكشف الشبهات وتصحيح المفاهيم يقـــوم على أساس تحـــرير قضايا الفـــكر ودراسة المصطلحات السارية المتداولة وكشف وجهة نظر الفكر الاسلامى فيها وابراز مفهوم الاسلام القيم المختلفة وهو مفهوم يختلف قطعا عن مفاهيم الفكر الغربى والفـــكر الشرقى جميعا لهذه القيم .

ولا شـــك أن الدعوة الى تصحيح المفاهيم هو عمـــل كبير الاهمية فى مطالع القـــرن الخامس عشر الهجرى : هذه المرحلة الخطيرة الحاسمة فى حياة أمتنا بوصفها انتقالا من اليقظة الى النهضة ومن التبعية الى الرشد الفكرى ، وذلك يتطلب القـــاء نظرة واسعة على

الاخطاء الكثيرة التى ترددت فى العصر الحديث وتضمنتها الابحاث والمؤلفات والكتب الدراسية المقررة والمفاهيم التعليمية المختلفة التى حاول النفوذ الاجنبى والاستعمار الفكرى فرضها ودعمها وتعميمها وصقلها وتجديدها كلما بليت واعطائها صورة الحقائق الاساسية التى لا تقبل الشك بينما هى زائفة ليس لها أصل علمى تعتمد عليه أو سند تاريخى يضمن الثقة بها وقد شجع على ذيوعها سقوط فكرنا فى مرحلة التقليد والترديد الببغائى دون وعى حصيف أو تقليب واع او محاذرة يقظة لكلمات وخصوم هذه الأمة وهذا الفكر .

ونحن لا ندعو الى حرب أو خصومة ازاء ما يقال ولكن نطالب بالنظرة الحذرة اليقظة حتى لا نخدع ولا يدلس علينا بالزائف من القول ان ينتقص حقنا وحقائقنا.

علينا ان نواجه فى وضوح :

— شبهات التبشير والاستشراق ..
— شبهات بروتوكولات صهيون والاسرائيليات الجديدة.
— شبهات المذاهب والدعوات المادية والاباحية الوثنية التى صيغت فى قوالب علمية براقة خادعة وان كانت لا تستطيع أن تصمد أمام ضوء الحقائق الاسلامية الكاشف الذى يعربها ويفضح خبيئتها ..

ولقد كان الفكر الاسلامى ولا يزال — استمدادا من مصادره الاسلامية القرآنية — على المحجة البيضاء ولكنه أصيب بالانحراف والاضطراب حين انصرف أهله عن أصوله القائمة على التوحيد والحق والعدل وترابط المعنوى والمادى معا .

ولقد واجه الفكر الاسلامى عملية الغزو الفكرى والثقافى منذ قديم واستطاع بعد معركته الاولى التى امتدت قرنين كاملين فى مواجهة الباطنية والمجوسية واخوان الصفا والفلاسفة أن يتحرر من كل هذه الزيوف وأن يستعيد طابعه الأصيل وذاتيته الحقة بعد حرب عنيفة مع الوثنيات اليونانية والمجوسية والهندية القديمة واستطاع أن يحطم مفاهيم الاعتزال والفلسفة الالهية والجبرية الفلسفية وأن يقيم مفهوم التوحيد الخالص مفهوم أهل السنة والجماعة .

وهو اليوم يواجه نفس الموقف ويحتاج الى تجمع واع أصيل لاداء هذه الرسالة ، وهو قادر على ذلك ويقظ لكل المؤامرات التى تراد به ، متفتح الآفاق لكل الثقافات والمفاهيم يأخذ منها ويرفض على قاعدته الأساسية العميقة الجذور ، وهو بقوته الذاتية المستمدة من القرآن قادر على كشف الزيف ورفض الخطأ ودحض الشبهة .

(٣)

لقد كان هدف حركة التغريب (الاستشراق والتبشير) هو العمل على الحط من شأن العرب والمسلمين فى أنفسهم وتشجيع العاميات جريا وراء تفكيك عروة وحدة الفكر الجامع ، ولقد جرت محاولات كثيرة لفصل الادب العربى المعاصر والفكر العربى المعاصر عن أصولهما الاسلامية ومصادرهما الاصيلة ثم تبين أن هذا العمل كان عسيرا بل ومستحيلا .

كما جرت المحاولات لتدمير الشخصيات البالغة فى تاريخنا وفكرنا وخاصة أولئك الذين حرروا الاسلام من التبعية كما جرت لاعلاء شأن أبى نواس وبشار والحلاج وعمدت الى اتهام الفكر الاسلامى بانتقاص الحرية وعرضت حياة ابن رشد والسهروردى أمثلة على ذلك ، واتصلت الشبهات بمختلف ميادين الفكر سياسية واجتماعية كما ظهرت عشرات الكتب تحاول أن تفرض مفهوما زائفا وخاطئا فى سبيل خدمة هدف تدمير الذاتية الاسلامية المتميزة ، وتمييعها واحتوائها وصهرها فى أتون الفكر العالمى والأممى .

وجرى البحث لاعلاء شأن كتب المحاضرات والنوادر والأساطير التى يرددها الرواة الكذابون المزيفون ، وجرت المحاولات لان تكون هذه الكتب مصادر علمية يعتمد عليها فى استخراج صورة للمجتمع الاسلامى وقد شدد الدكتور طه حسين وصحبه على الأغانى وألف ليلة وغيرها من الكتب الفاسدة لتكون مصدرا لتصوير الحياة الاجتماعية الاسلامية .

كما نسقت الشبهات المضادة للاسلام واقوال خصومه فى موسوعات أهمها دائرة المعارف الاسلامية والموسوعة الميسرة والمنجد وقد وضعت فى أيدى الباحثين فهم يلجأون اليها فى كل وقت دون معاناة ، غير ابهين بمدى الخطر الذى يحيط بها والهدف البعيد الذى يراد من وراء نشر هذه الشبهات الزائفة ووضعها فى قالب علمى خطير .

وقد وجهت هذه الموسوعات من اجل خدمة السموم التى قدمتها اليهودية العالمية والصهيونية والتلمودية من أجل دعواها الزائفة ولذلك فانها فى سواد القدس وفلسطين وابرهيم واسماعيل واسحق تقدم تحريفات خطيرة تختلف عن مفهوم الاسلام الاصيل المستمد من القرآن الكريم .

ولقد تبين بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الشبهات والاخطاء انما يراد بها القضاء على ذاتية الاسلام والمسلمين واخراجهم من قيمهم ومزاجهم النفسى واثارة

اليأس فى قلوبهم وتشكيكهم فى مقدراتهم وتشويه معالم فكرهم وأدبهم ، وما تزال هذه الحملات مستمرة لم تتوقف بصورها المتعددة ومصادرها الكثيرة .

والهدف هو محاولة التأثير على النفس الاسلامية وافساد ثقتها اتعميمها ودفعها الى طريق اليأس والشك والنظر بعين الانتقاص الى مقوماتها التى هى مصدر قوتها والتى هى الطريق الوحيد الذى يجب أن تسلكه فى سبيل دحر عدوها ورد عدوانه فى مختلف مجالات الفكر والسياسة والحرب وهى المنطلق الحقيقى للقوة والنصر والحرية وافتقاد المسلمين مكانهم الحقيقى فوق هذا الكوكب من أجل هذا كله أدعو الى الاعلان عن علم جديد نجند له كفاياتنا ومقدراتنا وليكون معلوما لنا جميعا بأن هناك اكثر من سائة مؤلف اجنبى ملىء بالخطأ والسموم وهى متداولة فى جامعاتنا ومكتباتنا وهى معارضة تماما لمفهومنا الاسلامى الاصيل وان هناك علوما تدرس فى جامعاتنا ومعاهدنا عن علوم النفس والاجتماع والأخلاق والسياسة والاقتصاد ، فكل ما تدرسه جامعاتنا معارض تماما لمفهوم النظرة الاسلامية الحقة وهو ليس علما ولكنه فروض فلسفية بشرية تخطىء وتصيب فعلينا أن تقوم هذه القوة القادرة على كشف هذا الزيف كله وتحطيم هذا البناء الزاحف ، وهدم هذه الدائرة المظلمة التى حاولت أن تحتوى شبابنا وأمتنا وتردها عن الاصالة الاسلامية ..

هذا والله ولى التوفيق ،،

* * *

البـــاب الســـابع

أسلمـــة القوانيـــن

(١)

تختلف منطلقات القانون الوضعى الغربى الوافد عن الشريعة الاسلامية فى مصادر كثيرة أساسية أبرزها

١ — ان الشريعة الاسلامية من عند الله تبارك وتعالى
٢ — وانها تؤسس مجتمعـــا من نقطـــة البـــدا .

٣ — وانها تقرر أن بنى الانسان جميعا من اصل واحد لا فضل لجنس على جنس وان التفاضل يكون بالتقوى والعمل الصالح وان القانون يسوى بين الناس جميعا .

وهـــذه العناصر فى مفهوم القـــانون الاسلامى (الشريعة) تختلف اختلافا واضحا عن مفهوم القانون الغربى الوافد المستمد من مفاهيم الحضارة الرومانية القديمة والتى تعلى شأن طبقة السادة والامراء على طبقات الشعب الاخرى والتى تقر الرق أساسا للمجتمع والتى تجعل القانون حكرا على طبقة السادة وحدهم وليس على سائر المواطنين .

فضلا عن أن الشريعة الاسلامية هى مقررات ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مع الزمن (مع وجود المسائل النوعية والمتغيرات) باختلاف القانون الوضعى الخاضع دائما للتطور حسب متغيرات البيئات والعصور .

وقد أرسى القرآن العظيم قواعد الاسلام على وحدة الخـــالق ووحدة الخلق ووحدة النفس البشرية ووحدة الدين الحنيف ووحدة الانسانية ووحدة الكـــون ووحدة التشريع وأن المـــال كله لله والناس مستخلفون فيه .

ولمـــا كان المسلمون قد خضعـــوا خـــلال فترة الاستعمار والنفوذ الاجنبى للقانون الغربى الوافد بعد أن حجبت أحكام الشريعة الاسلامية فان التجربة التى تمت فى المجتمـــع الاسلامى قد اثبتت عجـــز القانون الوضعى عن اقامة المجتمع السليم ، وكانت عاملا هاما فى تدمير الاسرة وتحطيم عوامل وحدة المجتمع ولذلك فان المسلمين مطالبون اليوم بتحرير انفسهم من قيود القانون الوضعى والعـــودة الى اسلمة القانون ليس بتنقيـــة القانون السائد من مخالفاته الصريحة للشريعة ولكن بالعودة الى أصل الشريعة نفسه الذى يتقدم القانون ويكشف عن مدى الفوارق العميقة بين منطلعات القانون الوافد وبين منطلعات الاســـلام .

وقد تبين لرجال القانون الغربيين من خلال عدد من المؤتمرات التى عقدت خلال نصف القرن الاخير تميز الشريعة الاسلامية بطابع مختلف عن القانون الغربى والتى تقوم اساسا على الايمان بالله وعلى المسئولية الفردية وعلى الايمان بالجزاء الاخروى والبعث . وابرز ما تمثل فى الاحكام الاسلامية التى تنفرد بها عن باقى الشرائع هى الايمان بحق الله ورقابته . فعقد البيـــع مثلا اذا استكمل أركانه وشرائطه فقد يكون عقدا قانونيا صحيحا يترتب عليه آثـــاره بين المتعاقدين بشرط أن يكون التنفيذ مراعيا فيه رقابة الله تبارك وتعالى فاذا لم تراع فيه تعاليم الله فهو نافذ دنيويا ومستحق لمؤاخذة الله اخرويا وهكذا كل حكم من احكام الشريعة الاسلامية يوجد فيه المعنيان معا : الدنيوى والدينى ويكون الوازع الدينى أعظـــم وازع يكفل اطاعة القوانين وتنفيذها سرا وعلانية وهذا هو أبرز الاصول التى تنفرد بها الشريعة الاسلامية .

ثانيا : تميز القانون الاسلامى : ١ — بالعدل بين القريبوالبعيد (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهمـــا) .

٢ — العدل بين العدو والصديق (ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا : اعدلوا هو أقرب للتقوى).

ثالثا : كذلك يقوم القانون الاسلامى على أساس فكرة متقدمة وقوية تهدف الى تقويم الاخلاق ، واذا كان كل نظام قانونى ينطوى على عنصر خلقى فان فـــكرة تهذيب الاخلاق التى ينطوى عليها النظام الاسلامى لم تكن نتيجة تطور بطىء بل انها شرعت مع المبـــادىء الجوهرية للنظام القانونى فهى تشكل جـــزءا مكمـــلا لكيـــانه .

رابعا : فقد جاءت أحكام الحدود والقصاص رادعة تحول دون وقوع الجريمة أساسا وليست عقوبة لهـــا

بعد وقوعها وهذا ما تتميز به الشريعة الاسلامية على شرائع الأرض وقوانينها قاطبة .

خامسا : ان القصاص لا يقف عند حد من وقع منه الاعتداء مباشرة بل يتعداه الى من كان لنفوذه وسلطانه دخل فى هذا الاعتداء .

سادسا : العدل يجب أن يصل الى الناس بلا تمييز وقبل أن يطلبوه واعفاء صاحب الشكوى حتى من اثمان الورق الذى يكتب عليه شكواه .

سابعا : ان اقامة الحدود هى عبادة الحاكم فاقامة الحدود عبادة وكل من لم يتم الحدود فقد تخلى عن هذه العبادة (ولكم فى القصاص حياة) والاسلام يجعل العقوبة فى جرائم الدماء لشفاء غيظ المجنى عليه فقد أعطاه الله حق القصاص وحق العفو بخلاف القوانين الوضعية فانها لا تعطى المجنى عليه حق العفو عن الجانى .

ثامنا : الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، والجمع بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة والتوفيق بين المصالح المتضاربة والجمع بين الثبات والتطور .

تاسعا : تغطية الشريعة الاسلامية لكل جوانب حياتنا : تربويا وقانونيا وثقافيا واقتصاديا وسلوكيا وقد جاء الاسلام حاكما على الناس والمدنيات ولم يجىء محكوما بهم فليس الاسلام مطية ذلولا لانحرافات الحضارة والمجتمعات الحديثة .

عاشرا : وحدة جميع المجالات التى يشملها التشريع (الدولة — الاسرة — الاقتصاد — العلاقات الاجتماعية) فى مجال الاخلاق ترتبط هذه الوحدة بتربية المسلمين وفقا لمبادىء وأسس اخلاقية ثابتة موحدة فى الاخوة والرحمة والسخاء والكرم وغيرها من أمهات الفضائل والقيم الاسلامية وذلك ليجد المسلمون أنفسهم على طريق واحد وعلى مسيرة واحدة لان تحكيم شريعة الله فى كل الشئون هو مصدر الوحدة الاسلامية الحقيقية لان الوحدة الاسلامية وحدة فكر وعقيدة ودين .

(ثانيا)

الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى

الشريعة الاسلامية هى الاصول الثابتة التى لا تتغير من الاسلام وهى ملزمة لانها من صنع الله تبارك وتعالى ، أما الفقه الاسلامى فهو التفسير الذى تقدمه المسلمون بما يحقق مطابقة الشريعة الاسلامية لمجتمعاتهم وعصورهم وقد احتوى القرآن على متن أحكام الاسلام كلها فى الجملة ثم جاءت السنة النبوية والسيرة النبوية فأوضحت كل ذلك وشرحته وبينته للناس :

(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) .

وقد بذل الفقهاء الجهد والطاقة فى سبيل الوصول الى الحق والصواب والعدل والمصلحة ، واتفقت كلمة المشرعين على أن أصول الاحكام : الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولما كانت الاحكام الواردة فى القرآن والسنة أكثرها أحكام كلية فقد واجه الائمة بعد الفتح حالات كثيرة جديدة لم تكن معروفة فى جزيرة العرب فوضعوا لها الاحكام ، ومن ذلك فى العراق مسائل الرى الناشئة عن نهرى دجلة والفرات(واجهها أبو حنيفة وتلميذاه ابو يوسف ومحمد) .

وفى مصر واجه الشافعى مشاكل الرى الناشئة عن النيل فضلا عن مشاكل المعاملات والحيازات ، وبالنسبة للامم التى دخلت تحت حكم الاسلام كالفرس والروم فقد كانت لهم عادات خاصة فاذا دخلها الاسلام كان لابد أن يعرضوها على الأئمة ليقوموها هؤلاء بدورهم على اساس الأصول الكلية للاسلام ويقروها أو يحكموا ببطلانها وقد عرفت الشريعة الاسلامية بخصائص أساسيا : أهمها ..

١ — السعة والدقة فى بناء الأحكام .

٢ — الحرص على التوازن فى الحكومة بين الفرد والجماعة .

٣ — تجريد الاحكام من كل عصبية وعاطفة فكرة العدل والحق المطلق .

٤ — مرونة المصادر والاصول .

وكل هذا قد أكسب الشريعة صفة الخلود وقابلية الاستجابة لتغطية جميع الحاجات التشريعية تبعا لمصلحة الامة فى مختلف مراحل نموها ، وعلى أساس المحافظة على اصالتها وروحها فى تطورها وتطور الانسان الشامل .

* * *

(٢)

أصول الشريعة الاسلامية جاء بها القرآن وفصلتها السنة النبوية ثم جاء دور الفقه ، وهو العمل الذى قام به الفقهاء الذين فصلوا هذه الشريعة وقننوها واستنبطوا الاحكام الاسلامية العملية من القرآن والسنة وقد مضى هذا العمل فى نماء حتى جاء الامام الشافعى

فوضع قانونا للاحكام أطلق عليه بعد ذلك (علم اصول الفقه) أصبح من بعد بمثابة المنهج الذى تسير عليه أعمال الفقه الاسلامى ، وهو العلم الذى يبحث فى الادلة الشرعية وفى طرق استنباط الاحكام منهـا .

وقد نشـأ الفقـه الاسلامى بعيدا عن المؤثرات الاجنبية التى تخالف روح الاسلام اذ نشأ فى كنف الجـو الاسلامى العام ، وهو يعبر عن ابرع محاولات العقول تعاليم الاسلام وحياة المسلمين فى الأقطار المختلفة ، لذا نرى الخلافات بين الفقهاء كانت تدور حـول تفسير الايات القرآنية أو صحة الاحاديث النبوية او مواضعات المجتمعات المختلفة بين مجتمع كالمدينة ومجتمع كالعراق والشـام ومصر وتدل كثرة مذاهب الفقـه الاسلامى على سـعة المحاولة لتكيف الأحداث من وجهة نظـر الاسلام وقد جـاء الخلاف بينهم نتيجة رغبة الفقهاء فى ضرورة الحرص على بقـاء الجماعة الاسلامية آخـذة بالاسلام فى منهاج حياتها اليومى .

* * *

قضـــايـا الشريعـــــة

(١)

نظرية النسبية الأخلاقية وقضية تطوير الشريعة

ارتفعت الصيحة عن طـريق كتابات العلمانيين والتغريبيين حـول دعوى تطوير الشريعة فى جملـة دعواهم الى تطوير الدين وتطوير اللغة وغيرها وهى قضايا غربية متصلة بالفكر الغربى الذى اثار كثيرا من القضايا المرتبطة بمفهـوم المسيحية الغربية وعلاقتها بالمجتمعات الاوروبية وصلة الكنيسة بدوائر العـلم والحكم فيها وهى قضية يقف منها الاسلام موقفا حاسما فالاسلام دين ربانى عالمى خـالد قام على أسس واسعة قادرة على متابعة متغيرات المجتمعات والعصور ومن ثم فانها تستطيع استيعاب مختلف الظروف والاوضاع دون أن تخرج عن أصولها الاصيلة وثوابتها القائمة فعـلا ، وانما تجرى الحركة دائما فى اطـار الثبـات .

وعـلاقة الشريعة الاسلامية بفلسفة التطـوير بمفهومها الشامل — كما يقول الدكتور أحمد عبد الرحيم ابرهيم — هى علاقة تضاد ، ذلك ان الشريعة جاءت لتبقى والى الابد فى حين تصر فلسفة التطور الشامل على نبذ كل ما يمت الى الماضى والغـاء كل الحقائق الثابتة كما جـاء فى المنافستو الشيوعى ١٨٤٨ .

لقـد كشف لنـا المنهج الاسلامى عن طابعين : (الأول) هو التشريع وجوهره العدل (خذ ثمرة جهدك وتحمل تبعة أخطائك) .

(الثانى) الأخلاق وجوهره الايثار وشعاره اعط غيرك من ثمرة جهدك . (من عمل صالحا فلنفسه) ، (الا تزر وازرة وزر اخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى) .

ويقول ابن القيم : ان الاصل فى العقود كلها انما هو العدل الذى بعثت به الرسل والشارع جل شأنه نهى عن الربا لما فيه من الظلم ، وعن الميسر لما فيه من الظلم ، وكلاهما اكل أموال الناس بالباطل ، وكل معاملة نهى عنها الاسلام فهى ظلم ، واغتصاب لثمرة جهود الآخرين وكل معاملة اجازها فهى عدل . هذا هو المبدأ الذى يراد تطويره لكى يوافق الفلسفة النسبية ، ثم (الايثار) كيف يمكن تطويره فالاسلام يقدم مناهج اجتماعية متكاملة تضمن لجماعته حياة انسانية كريمة ، وخاصة حقوق الشيوخ والمقعدين وجميع الفئات التى لا تستطيع أن تعمل ، يوجب على الحاكم المسلم أن يأخذ لهم حقوقهم من أصحابها اذا لم يبادروا الى تقديمها طواعية واختياريا ولا يقف الاسلام عند حدود ذلك بل يدعو الى مزيد من البذل والعطـاء ، الى حيث البذل مع الخصاصة أو العطاء مع الحاجة ، هذا هو المبدأ المطلوب تطويره بغية افساح المجال للاخلاق النفعية الفردية الانانية التى تسـود اليوم المجتمعات الاوربية ، هذه هى دعـوة المذعورين من تطبيق الشريعة والداعين الى استيراد منهج الحياة الاوربية .

« ان صيحة تطوير الشريعة ، تغيير الأخلاق ، تطـوير العقائد ، الغـاء الثوابت ، صيحات ترددت أصداؤها فى العالم الاسلامى ، وهى ليست بالفلسفة الحديثة أو المعاصرة فقد كانت تمثل لبـاب الفلسفة السوفسطائية التى ظهرت قبل سقراط والتى انكرت وجود الحقيقة العلمية كما أنكرت القيم الخلقية الثابتة الدائمة المطلقة .

ومعنى ذلك أن كل شيء ينبغى أن يتغير بل يجب أن يتغير تبعا لتفسير القوى الحاكمة والمؤثرة فى المجتمع ، والنظـم والتشريعات ليست استثناء من هذه القاعدة فالتغيير والتبديل والالغاء والتطوير بعض منها ، ثم ماتت الفلسفة السوفسطائية النسبية واقيمت على انقاضها مذاهب أخرى شيدها سقراط وافلاطون وارسطو تعترف بثبات الحقائق العلمية والقيم الاخلاقية ، وفى العصر الحديث بعثت الفلسفة النسبية فى ثوب جديد على يد (تشارلس دارون — ١٨٨٢) وتحت اسم جديد وفى مجال جديد هو علم الحياة (البيولوجى) قال دارون : ان الانسان شكل متطور عن القردة والقردة شكل متطور عن حيوانات أرقى وهى بدورها شكل متطور عن كائنات أرقى وبتسلسل التطورحتى ينتهى الى أدنى اشكال الحياة ومع الحملة على الأخلاق ، ويعتبر المناهضون للحقائق الثابتة والقيم المطلقة كما توهم أعداء الدين فى الغرب والشرق أن نظرية التطـور هى السلاح الذرى الذى يمكن أن يسـبق أعداءهم ويفتح البـاب على مصراعيه لفلسفتهم النسبية التى تنادى بتطور كل شيء ، وتدين بالعداء والمقت لكل ثابت وللدين على وجه الخصوص ، واذا كان العلم يقول أن كل شيء يجب أن يتغير ويتطور فان على الدين أن يستجيب لنداء العلم ، هذه الاستجابة تبدأ بتقطيع الاجزاء التالية من الدين وهى : التشريع الدينى والأخـلاق الدينية واحـلال الشريعة الوضعية والاخلاق الوضعية محلها واذا اقتنـع المتدينون بهذه الخطوة الاولية تيسر اقتناعهم بالخطوة النهائية وهى نبذ الايمان بالله وبالكتب السماوية ، ونيتشة أبرز ممثل للفلسفة النسبية فى مجال الاخلاق واعدى اعداء الدين . واخلاقيات الدين ، وقد اتسمت فلسفة التطور بالطابع الحماسى الانفعالى حتى وجدنا (ارنست هيكل) العالم البيولوجى يزور الأجنة ليثبت وجود تشابه بينها وتبعا لذلك يثبت وجود تشابه بين أنواع الحيوانات فى الماضى السحيق ، وبذلك تنتصر فلسفة التطور وقد كشف زيف هيكل ، ولم تجد الفلسفة النسبية فى الاخلاق (وفلسفة نيتشة أحد مذاهبها) رواجا كبيرا لدى فلاسفة الاخلاق ، وقد أرسى عمانوئيل كانت (١٨٠٢) قواعد الأخـلاق الثابتة المطلقة قبل ظهور دارون ورفض فكرة نسبية القيم وتطورها رفضا مطلقا فالأخلاق عند كانت لا يمكن أن تلزم أحدا الا اذا كانت مبادئها ثابتة لا تتغير .

« ومن هنا فان تطوير الشريعة فكرة غريبة ثبت افلاسها » .

« فقد انتهت الفلسفة الأخلاقية الاوربية المعاصرة الى الرفض القاطع النسبية واكدت على ثبـات القيم وقال (ماكس سيلر ويلكورى هـاريمن) ان القيـم الأخلاقية مثل القيم الرياضية فى ثباتها ورسوخها أما فى الشرق الاسلامى فقد شكلت فلسفة التطور تيارا قويا استمد الطاقة من فلسفة دارون وفلسفة أوجست كونت (الوضعيـة المنطقية) والفلسفة الماركسية وحـركة الاستشراق المعادية للاسلام ، وفى الوقت نفسه ادار انصار التطور ظهورهم لكل المذاهب الأوربية التى تقول بثبات الاخلاق واطلاقها وثبات القيم الانسانية الأساسية وثبات التشريع تبعـا لذلك وتجاهلوها تجاهلا تاما ، ولقد كان واضحا منذ البداية وحتى اليـوم ان أنصار التطور فى الشرق الاسلامى لا هدف لهم سوى احلال الافكار والنظم والقيم والتشريعات الاوربية محل الافكار والنظم والقيم والتشريعات الاسلامية وقد ادركوا أن هذا الهدف لايمكن أن يتحقق الا اذا نجحوا فى اقناع الناس بأن التطور الذى جاء به (دارون) مبدأ كونى شامل وليس خاصا بعلم الحياة وبأنه ليس سوى مجرد نظرية ظنية بل حقيقة تجريبية ، معملية ، وعلى هذا يجب أن يخضع له الفكر والاعتقاد والتشريع والأخلاق ، وأن يطبق على كل علم وأدب وفن بما فى ذلك تفسير القرآن وعلوم الحديث فيؤخذ من كل شيء ويترك بميزان التطـور الكونى الشامل ولم يذكر أنصار التطور حيوانا واحـدا تحول من نوع الى نوع ، بفضل الانتخاب الطبيعى ، ولم ير الناس أى تطور من أى نوع كان فى الاحياء الموجودة على ظهر البسيطة من آلاف السنين ، والسؤال : (كيف ظهر الانسان عقب ظهـور القردة) لا يزال يتردد حائرا على ألسنة العلماء وبالرغم من كل هذه الحقائق اندفع نفر من أدبائنا وكتابنا اندفاعا حماسيا الى تبنى (فلسفة التطور) الشامل وجرى فى أثرهم عدد من علماء الدين استهوته العبارة السهلة التى تقول ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، وجرت أقلام عديدة بعبارات مثلها أو قريبة منها ، فقال قائل : ان الاسلام دين لين يستطيع أن يوفق بين روحه وبين كل مظاهر الحياة وأن نجد فى نصوصه ما يساير الأطوار المختلفة التى تخطاها البشرية فى عصورها المختلفة ، وقال القائلون أيضا : ان من الممكن أن نوفق بين الاسلام وبين حضارة الغرب وثقافته على اختلاف الأصول والوصول على أساس أن التطور هو روح الشريعة الاسلامية ومن هؤلاء ضياء كوك الب (تركيا) اسماعيل مظهر (مصر) والغالبية الساحقة من أساتذة الفلسفة وعلماء الاجتماع ، وجميع من اعتنقوا الفلسفة الشيوعية التى اعلنت الغاء الدين وكل الحقائق الثابتة مع الغاء الملكية الفردية فى المانفستو الشيوعى ١٩٤٨ ولكن الحقيقة لم تعدم من يعرفها ويتبناها ويدافع عنهـــا .

وقف فى المواجهة : جمال الدين الأفغانى ، محمد رضا آل العلامة الأصفهانى ، الدكتور بشارة زلزل ،

ابراهيم الحورانى وغيرهم من النصارى والمسلمين وكانت معارك شرسة لا يزال نقعها عاليا فى حياتنا الثقافية ، ويحاول ايضا التطور اشعالها من جديد كلما الحت الأمة فى المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية وتفتح لها مجلاتنا وصحفنا صدرها وقد كشف أكاذيبها حجب الرأى المعارض فآفة الرأى الهوى ، وعلى الصحف الا تحمى الرأى الواحـــد » ا . هـ .

عن بحث الدكتور احمد عبد الرحمن

(٢)

ان تجربة اتاتورك فى الغاء الأحكام الشرعية (حتى فى الزواج والطلاق والميراث) انطلقت من محور أساسى مغلوط هــو أن القوانين الشرعية أساسها الدين وأن الدين ثابت لا يتغير ، وكان عدم التغير فيه ضرورة من ضروراته وليس الأمر كذلك بالنسبة للحياة فهى معرضة لتحولات مستمرة ولهذا فى رأيهم أن يبقى الدين (وجدانيا) أى علاقة بين ضمير المرء وربه ولاصلة له بالحياة والمجتمع والدولة ، وأن تكون نظم الحياة مستلهمة من مقتضياتها فى التحول والتطور ، وليست قائمة على أسس دينية جامدة تحول دون ترقى الأمة وتطورها وتمشيا مع مقتضيات المدنية المعاصرة ، فهل هذا التبرير صحيح من جهة نظر العقل والعلم المحض ؟ ويجيب على هذا التساؤل الخطير الدكتور يوسف القرضاوى فيقول :

هذا التبرير من جهة نظر العقل والعلم المحض يقول لا ، ومنطق العقل والعلم والواقع يؤيدنا ، لقد افترض التقرير أن أحكام الدين كلها ثابتة لا مجال فيها لتغير أو تطور بحال من الأحوال ، كما افترض أن الحياة كلها متغيرة متحولة لا مجال فيها للثبات بوجه من الوجوه وكلا الافتراضين مردود .

(أولا) فليس صحيحا ان كل أحكام الدين ثابتة وغير قابلة لدخول الاجتهاد فيها وطروء التغيير عليها فمن أحكام الدين ما يتعلق بالتعاقد التى تحــدد نظرة الدين الى الله (جل شأنه) والكون والحياة والانسان ، وهذه حقائق ثابتة لا تتغير ، ومنها ما يتعلق بشعائر العبادات الرئيسية التى تحدد صلة الانسان العملية بربه ، وهى التى تعتبر أركان الاسلام ومبانيه العظام وهذه فى أسسها العامة ثابتة وان كان الاجتهاد يدخل عليها فى كثير من التفاصيل .

ومنها ما يتعلق بالقيم الخلقية ترغيبا فى الفضائل وترهيبا من الرذائل وهذه تتميز بالثبات أيضا فى مجموعها وهذه الثلاثة لا يحتاج الناس الى تغييرها بل الى ثباتها واستقرارها لتستقر معهــا الحياة وتطمئن العقــول والقلوب ..

بقى أمر نظم الحياة الاجتماعية مثل نظام الأسرة والمواريث ونحوها ، ونظام المعاملات والمبادلات المالية ونظام الجرائم والعقوبات والأنظمة الدستورية والادارية والدولية ونحــوها ، وهى التى يفصل أحكامها الفقه الاسلامى بمختلف مدارسه ومذاهبه .

وهذه ذات مستويين :

١ ــ مستوى يمثل الثبات والدوام وهو ما يتعلق بالأسس والمبادىء والاحكام التى لها صفة العموم وهو ما جاءت به النصوص القطعية الثبــوت ، القطعية الدلالة التى لا تختلف فيها الافهام ولا تتعدد الاجتهادات ولا يؤثر فيها تغير الزمان والمكان والحال .

٢ ــ ومستوى يمثل المرونة والتغيير وهو مايتعلق بتفصيل الاحكام فى شئون الحياة المختلفة وخصوصا ما يتصل بالكيفيات والاجراءات ونحوها وهذه قلما تأتى منها نصوص قطعية بل اما ان تكون فيها نصوص محتملة أو تكون متروكة للاجتهاد رحمة من الله تعالى من غير نسيــــان .

ومن الناس من يتوجس خيفة من المناداة بالرجوع الى الفقه الاسلامى واتخاذه أساسا تشريعيا وقضائيا ، ومصدر الارتياب والتوجس هو الأساس الربانى والصفة الدينية للفقه الاسلامى فمن المتفق عليه ان المصدرين الأساسيين لهذا الفقه هما كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضى ان يتسم هذا الفقه بالثبات أو الجمــود ، وان تقف العقول البشرية أمامــه موقف التسليم والاتباع لا وقفة الابتكار والابداع اذ لا مكان للعقل أمام الوحى ولا مجال للاجتهاد فى تقرير النص ، وهذا ما يجعل أسباب المرونة وقابلية التطور معدومة أو ضعيفة .

والعارفون يعلمون تمام العلم أن من يقول هــذا الكلام لا علم له بالفقه الاسلامى وخصائصه ومميزاته ، التى هى ثمرة خصائص الاسلام نفسه ، فان من ابرز هذه الخصائص انه يجمع بين الثبات والمرونة معــا فى تناسق محكم وتوازن فريد ، فلم يمل مع القائلين بالثبات المطلق الذين جمدوا الحياة والانسان ولم يجنح الى العاملـــين بالتغـــير المطلـــــق .. كذلك الذين لــم يجعلــوا لقيمــة ولا لمبـــدأ ولا لشىء مــا ثباتا أو خلودا بل كان وسطا عدلا بين هؤلاء وهؤلاء ، فالاصول الكلية ثابتة خالدة شأنها شأن القوانين الكونية التى تمسك السموات والأرض أن تزولا والفروع الجزئية مرنة معبرة فيها قابلية التطور شأن ما فى الكون والحياة من متغيرات لازمة لحركة الانسان والحيــاة وما ينطلق الفكر الى الحركة والتطور والتجديد ومعنى هذا أن فى الفقه منطقة مغلقة لا يدخلها التغير او التطــور هى منطقة الاحكام القطعية وهذه هى التى تحفظ على الامة وحدتها الفكرية والسلوكية . ومنطقـــة مفتوحة هى منطقة الاحكام الظنية ثبوتا ودلالة وهى معظم أحــكام الفقه ، وهى مجال الاجتهاد .

(٣)

فساد نظريــــة علــــم الجريمـــــة

نظرية العقوبة فى الشريعة الاسلامية تقــوم على الاعتقاد بأن الانسان مخلوق يتمتع بالخيار الكــامل فى افعاله وهو يقترف الجرائم بارادته وسبق قصده ولذلك لابد من انزال العقوبة التى تكون عبرة ونكالا للاخرين فيخافون من مصير المجرم ويجتنبون الاتيان بمثل ما اتى به وطبقا لهذا التصور قررت الشريعة الاسلامية تتل قاتل العمد وهذا ما يكذب النظرية التى ظهرت فى أوربا فى نهاية العقد الثامن عشر باسم (علم الجريمة) وادعت أن الجريمة ليست عملا متعمدا بل هو عمل اضطرارى وان سبب الجريمة يكمن فى احوال الحيــاة والامراض العقلية والعسر المادى والاحوال الاجتماعية وطــالبت باعتبار المجرم مريضا ومعالجته بدلا من معاقبته ، ولقد حظيت هذه النظرية بقبول عــام فى الغــرب والغيت العقوبات الرادعة للجرائم الاخلاقية . ولقد أوضحت البحوث والتجارب العملية خطــأ هذه النظرية التى تعتبر الجرائم عملا اضطراريا فقد اتضح أن الناس فى المجتمعات المزدهرة والصحية أكثــر ميــلا الى اقتراف الجرائم منهم فى المجتمعات الفقيرة وغير الصحية واخفقت التدابير العلاجية فى الحيلولة دون الجرائم بل لقد ارتفع معدل الجــرائم فى الدول التى سلكت طــريق تخفيف العقوبات وقد أجمع الباحثون على أن (الحــدود) لم تشرع لاقامة المجتمع المسلم ولكن لحماية المجتمع المسلم ووقايته ، ذلك لان المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية تعنى أول ما تعنى بالتربية الاسلامية للفرد والشورى فى الحكم والطاعة من غير معصية للحاكم ورفض الاستبداد الســياسى .

(٤)

قضيــــة الإسلام والسيــــــاسة

تواجه الشريعة الاسلامية حملة ضارية فى الوقت الذى تتفتح فيه العقول والقلوب لفهــم الحقيقة التى اصبحت حتمية فى وجــه الاعصار الشديد الذى يواجه المجتمعات الاسلامية اليــوم والذى يجعــل القوانين الوضعية عاجزة عن تأمين هذه المجتمعات وحياتها بعد ان انتشرت تيارات العلمانية والمادية والاباحية عن طريق وسائل التسلية والترفيه التى حملت ســموم الجنس والجريمة على نحو خطير .

هذه الحملة يقودها بعض رجــال القانون الذين كانت بينهم وبين الدعوة الاسلامية فى وقت من الاوقات مواقف ناتجة عن الغرض الشخصى او الحسد أو الخلاف الذى يقع دائما بين الهيئات والاحزاب وقد تأتى هذه الخصومة وهذا الخلاف نتيجة عدم الاحاطة بأبعاد القضية ولكن الدعوة الاسلامية مازالت قادرة على مواجهة هذه الحمــلة المسعورة برجالها الذين يؤمنون بأن الشريعة الاسلامية ليست هى أمل المسلمين وحدهم ولكنها أمل البشرية كلها اليــوم .

ولعل أخطر القضايا التى تثار اليوم هى مسألة ترابط الاسلام والسياسة وهى قضية يستمد الخــلاف فيها مفاهيمه من العلاقة بين المسيحية والسياسة على النحو الذى جرى فى الغرب وانتهى الى الفصل بينهما .

والمعــروف ان المسيحية انسلخت من الشريعــة اليهودية التى هى جــزء منها ومن ثم لم يعد لها منهج حياة خاص ، أما الاسلام فقد جــاء دينا شاملا منظما لكل جوانب الحياة والحكم جزء منه ، وقد نظم الاسلام أمور الحكم سواء فى الولاية العامة أم فى القضاء ، وقدم نظاما للحاكم لادارة شئون الرعية دون أن يسمى ذلك اقحام للسياسة فى الدين وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حاكما ورئيس دولة ، وقد عقد المعاهدات وارسل الجيوش وكتب علماء المسلمين عشرات الكتب فى السياسة الشرعية .

وقد جاء احياء هذه السنة بعد أن حجبها النفــوذ الغربى على أن أيدى الاخوان المسلمين دليلا على صدق الدعوة وعلى أن الاسلام دين ودولة ومصحف وســيف وعبادة وجهاد وحكم وقضاء وتجارة واخلاق ولم يكونوا بذلك مبتدعين كما ادعى بعض كبار المحامين ولقد حجب النفوذ الغربى سلطة الحكم وشئون السياسة ونظــام الشريعة الاسلامية فى القضاء والحكم والاقتصاد جميعا حتى يفرض نظام وافد على هذه الأمة وكان لابد أن يحيى الله تبارك وتعالى على يد دعاته هذه السنة من جديد فيتنامى أمرها حتى تصبح بعد أكثر من خمسين عاما مطلبا شعبيا اسلاميا عاما لا يستطيع احد تجاهله أو الابتعاد عنــه .

ولقد حاول البعض بعد فتنة كتاب (الاســلام واصول الحكم) الذى نقله الشيخ على عبد الرازق عن المستشرق مرجليوث اليهودى كما ثبت من النصوص أن يدعى أن هناك مذهبين فى الاسلام : احدهما يقول بأن الاسلام دين ودولة والاخر يقول بأن الاسلام دين عقيدة فحســب .

وقد أخذ بهذا الرأى بعض رجال القانون أمثـال عبد الحميد لطفى وعمر سرعى عن نظـرة عجلى غير مستوعبة أو عن هدف نفسى خفى ، وقول من يدعى أن الديمقراطية هى الشورى وان الاشتراكية هى العدل الاجتماعى قـول لا يرقى الى درجة المناقشة فيه لانه يسوى بين شريعة الله الخالدة وبين مناهج البشر ، وهو خداع ساذج ضال ، فان الاسلام منهج جامع متكامل يختلف تماما عن الديمقراطية والاشتراكية وان جاء فيهما ما يشبه ماق الاسلام بحكم انهما ظهرا بعد الاسلام بعدد من القرون ولكن ما أبعد الشبه وما أعجب المقارنة .

وربمـا انطلقت هذه المحاورات نتيجـة للتجربة الايرانية أو رغبة فى التخفيف على القضاة العلمانيين الذين يخشون من ان تطبيق الشريعة الاسلامية سيعيدهم مرة اخرى الى دراستها ومن هنا تنطلق دعوات مسمومة تقول باعادة النظر فى القوانين القائمة وحذف ما يخالف الاسلام منها وهى محاولة ظالمة لان منطلقات القانون الربانى تختلف اختـلافا واسعا وعميقا عن منطـلق القانون الوضعى الذى صنعته عقول البشر وفيه أهواؤهم ومطامعهم وشهواتهم .

كذلك فان الاسلام لا يقـر الحكومة الدينية ولم يعرفها فى تاريخه كله .

(٥)

مقارنـة الشريعة والقانـون الوضعـى

يحاول أعداء الشريعة الاسلامية اثارة الشبهات حول الحدود وفى مقدمتها قطع يد السارق ويدعو البعض الى أن العقوبة الجسدية (الحدود والقصاص) يمكن ان تستبدل بأنواع أخرى من العقوبات يتفق مع المقاييس المعاصرة على النحو الذى قال به (هانز نسيك رئيس الجمعيـة الدولية لقـانون العقوبات) وهى دعـوة الى احـكام الشريعة الاسلامية وتطويعها لمجـاراة القـانون الوضعى وقد كشفت هـذه التصريحات عن المطامع الخفية فى الغرب نحو احتواء الشريعة الاسلامية بل ان القرار الذى اتخذته الجمعية العمومية لمحكمـة النقض باستبقاء مالا يتعارض من القوانين الوضعية مع الشريعة الاسلامية ايضا هو محاولة لتغريب الشريعة الاسلامية وهو تيار بدأه الدكتور السنهورى منذ وقت بعيد وما يزال الغرب بقواه المسيطرة على المجتمعات الاسلامية يرمى الى انقاذه واستمراره .

والمعروف أن هذه البدائل أو غيرها ليست ممكنة لان احكام الحدود والقصاص مقررة اما بالقـرآن او السنة ومن الواجب أن يذكر أن هذه الاحكام محـددة بجواز العفو حيث حبب الاسلام للمجنى عليه ان يعفو عن الجانى وعندما يتسـع نطاق العفو يضيق مجـال القصـاص .

ولقد جاء التشريع الاسلامى بخصائصه واهدافه المنفردة عن التشريعات الاخرى لانه من صنع الله خالق البشر والعالم بما يصلح احوالهم ويحفظ استقرارهم من احـكام وقواعد وانه لا جريمة ولا عقوبة فى الشريعة الاسلامية الا بنص ولقد أحصى التشريع الاسلامى ذلك ولم يترك للقاضى حرية اختيار العقوبة . فلا يجـوز للحاكم على سبيل المثال ان يعفو عن جرائم الحـدود او القصاص أما اذا تصرف القاضى فى عدم القصاص فاننا بذلك نكون قد أعطينا الفرصة لظهور جريمة الثأر، لماذا ننسى المعتدى عليه وننادى بالرحمة للقاتل ، ان الشريعة قد اعطت للقاضى حرية تقدير العقوبة وذلك فى الجرائم التى لم تقرر لها عقوبة محددة ، انه ليس لأى انسان كائنا من كان أن يشفع فى جرائم الحـدود والقصاص أو يشرع عقـابا لهذه الجرائم أو يقـول باستبدال عقاب بعقاب لان الله سبحانه وتعالى قد أراد بهذه الاحكام ان يسد الطريق امام الاهواء الشخصية والمنازعات العاطفية والاسلام لم يفـرق بين شخص وآخـر فى توقيع العقوبة فلا فرق بين حاكم ومحكوم ولا بين مالك واجير ، وبالنسبة للمسئولية الشخصية تجاه الفعل الاجرامى فالانسان مسئول عن فعله فقط (الا تزر وازرة وزر أخرى) باستثناء الدية التى تتحملها أسرة القاتل فى حـال العفو عن القصاص (عن بحث للدكتور بخيت حسنى وعبد الفتاح الشيخ) ويقرر الدكتور احمد فتحى سرور بأن هنـاك اختلافا جذريا بين الشريعة والقانون الوضعى ، فالشريعة تنتمى لنظـام قـانونى مختلف كل الاختلاف عن القانون الوضعى ويبدو هـذا واضحا فى مصدر كل منهما فمصدر الشريعة دينى هو الله والرسول صلى الله عليه وسلم مفوض عنـه .

أما القانون الوضعى فمصـدره وضعى : هـو الانسـان .

واختلاف الشريعة عن القانون الوضعى ناتج عن انه اختلاف بين نظامين ، فنظام الشريعة نظام الهى أما نظام القانون الوضعى فنظام بشرى . ان الذين يتكلمون عن السياسة الجنـائية يلاحظون أن أهـم مظـاهر التغيرات الاجتماعية هو اعتناق القيم المادية وهبـوط القيم الروحية والشريعة تريد مواجهة هذا الأمر حينما تجعل القيم الروحية والانسانية ذات الاولوية فى الحماية

ويرى الدكتور يوسف قاسم ان الله سبحانه وتعالى قد أنزل الشريعة لتحكم كل ما يطرا على وجـه الكرة

الارضية حتى تقوم الساعة وهو سبحانه وتعالى يعلم أن هناك افعالا لا تتغير ولا تتبدل فالنفس الانسانية واحدة فى كل زمان وفى اى مكان وهناك جرائم كثيرة تقع للاعتداء على النفس كجريمة القتل والاعتداء على الاعراض ولذلك فقد وضع الحدود لامهات الجرائم التى لا يطرأ عليها تغيير ولا تبديل وهذه العقوبات من حدود وقصاص قد فرضت لمواجهة ما يستجد من اعمال اجرامية فى المستقبل فقانون الله مفتوح يستوعب كل ما يجد من أمور ، هذا هو المنهج الالهى فى التجريم والعقاب اما المنهج النبوى فى تطبيق المنهج الالهى فقد أوضحه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : (ايها الناس من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله . اما من يبين لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله) وبذلك يحذر المستهتر وكل من يخترق الحياء العام للمجتمع . اما من يستتر بستر الله فأمره الى الله . ومن هنا فتطبيق الحدود جاء لردع المجرمين الذين يعكرون صفو المجتمع والشريعة لا تهدف الى العقوبة فى حد ذاتها وانما وضعت الحدود لتحذير من تسول له نفسه بانتهاك حرمة الناس او الاعتداء على المجتمع بجريمته ، لذلك فتطبيق الحدود رحمة بأهل الارض جميعا . والفقه الاسلامى نظام كونى متكامل لا ينقص شيئا من النظم الفقهية الى يعاصرها » .

وقد أشار مؤتمر جامعة عين شمس للقانونيين : أن القانون المدنى الحالى لا يمثل الشريعة الاسلامية وهو مأخوذ من القوانين الفرنسية واللاتينية وقد جعل الشريعة فى المرتبة الثالثة ، والدور الذى تركه القانون لمبادىء الشريعة الاسلامية دور ضئيل كما انه لا يجوز الاخذ بحكم فى الفقه الاسلامى يتعارض مع مبدأ من المبادىء العامة التى يقوم عليها التشريع المدنى فى جملته حتى لا يفقد التقنين المدنى تجانسه وانسجامه ، وليس القانون المدنى فقط هو الذى لا يمثل الشريعة الاسلامية بل كل قوانينها لا تمثل الشريعة الاسلامية .

اما قواعد الشريعة الاسلامية فهى مرنة وهناك نوعان من اصولها :

النوع الاول : يحكم المسائل الثابتة التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان وهنا قواعد تفصيلية كالتزام احكام الأسرة والحدود والمواريث .

النوع الثانى : تتغير بتغير الزمان والمكان منها ما فصله الرسول (صلى الله عليه وسلم) كالعبادات ومنها ما ترك لكل زمان ومكان ومصادر الشريعة الاسلامية مصادر قطعية لا يمكن مخالفتها وهى الكتاب والسنة وما اجمع عليه المسلمون .

ومصادر غير قطعية يجوز الاجتهاد فيها ، ويجوز الحكم فى المسائل غير المنصوص عليها فى الكتاب والسنة بنص قطعى أو اجماع عليها وقد جرى حصر أوجه التعارض والاختلاف بين النصوص القائمة فى القانون الوضعى وبين نصوص قطعية فى الشريعة الاسلامية وحصرت أوجه المعارضة فى موضوعات معدودات هما :
١ — بيع التركة . ٢ — بيع الحقوق المتنازع عليها .
٣ — التقادم . ٤ — نظام الفائدة .

وأوجه التعارض بين القانون المدنى والشريعة الاسلامية ، تركزت فى مسائل الحدود وخاصة حد السرقة والزنا والقذف .

(دكتور محمد عمران)

(٦)

فى مواجهة تيارات العلمانية والقومية يتطلب الامر منا أن نكشف الحقائق الصحيحة فى هذا المجال لتكون مخرجا للامة الاسلامية من الاحتواء والحصار الذى وقعت فيه نتيجة سيطرة مفاهيم الليبرالية والقومية عليها :

أولا : كان فصل الدين عن الدولة فى الغرب ختام الجولة الساخنة بين الكنيسة والدولة بالنسبة للانسان الاوربى ، اما فى النظرة الاسلامية فان الدين والدولة لم ينفصلا فى حقيقة التعبير الاسلامى فهما حقيقة واحدة وليستا حقيقتين وهنا يكشف بوضوح أن فكرة الدولة فى الاسلام تختلف بصفة أساسية عن فكرة الدولة القومية الحديثة وأن كلا من هذين النوعين مختلف عن الآخر ، ففى حين أن الاسلام ينشىء الدولة كأداة لتحقيق الهدف الربانى فان الدولة القومية تصدر فى الوجود لسبب مغاير تماما ، اى لاستبعاد الله والاستعاضة عنه (بالمصلحة ــ القومية) بل أن الحقيقة الرصينة تقول أن جميع الدول القومية تعد نتاجا للمدنية الغربية ونشرة السيطرة الاستعمارية .

(كليم صديقى)

ثانيا : ان الاسلام كنظام شامل للحياة لا يمكن أن يسود لو لم يكن هناك وجود سياسى يكون فيه معظم الساسيين مصممين على تطبيق الشريعة أو القوانين الاسلامية .

ان هدف الحكم الاسلامى هو تطبيق العقيدة (أى أوامر الله) وأن الشورى هى أساس النظام السياسى فى الاسلام وأن حقوق والتزامات المواطنين فى الدولة الاسلامية يتم تقريرها بواسطة الشريعة .

الباب الثامن

أسلمة الاجتماع

(١ - ج) الاجتماع الإسلامى

قدم القرآن الكريم الاسس الرئيسية لعلم الاجتماع الاسلامى ..

١ — تقرير كرامة الانسان وفرديته . ٢ — قيام الأسرة واصالتها . ٣ — الناس جميعا لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى. ٣ — المسئولية الفردية والالتزام الاخلاقى . ٥ — الايمان بالبعث والحساب والجزاء . ٦ — السعى فى الارض وبناء الحياة . ٧ — تحرى الحلال والبعد عن الحرام . ٨ — تكامل القيم الروحية والمادية التى تشكل السلوك والاحاسيس والتصرفات . ٩ — الايمان بالله الواحد الاحد خالق كل شىء .

هذه هى القاعدة الاساسية لعلم الاجتماع الاسلامى الذى حجبته مفاهيم العلوم الاجتماعية الغربية الوافدة ، والذى بدأ كتاب الاجتماع المسلمون يعيدون صياغته من جديد استمدادا من القرآن الكريم ومتابعة لما قدمه ابن خلدون على ايمان راسخ :

أولا : بأن المجتمع الاسلامى يقوم على مفاهيم وعقائد وقيم يختلف عن المجتمع الغربى حيث يقوم المجتمع الاسلامى اساسا على وحدة الفكر وفق مفهوم عقلى وروحى مشترك وقد حقق الاسلام صهر جميع أفراد المجتمع فى بوتقة واحدة بالرغم من تباين اصولهم واختلاف جنسياتهم وتمكن من صهر مفاهيمهم وثقافاتهم فى اطار التوحيد الخالص . ثم تكونت وفق هذا حضارة لها طابعها الذى يتسم بالتكامل والوسطية والتوازن .

كما قدم القرآن منهجا جامعا لمفهوم التقدم وجعله هدف الحركة فى المجتمع الاسلامى نماء وعمرانا وسعيا الى الكسب الحلال وبناء الحضارة .

ثانيا : يقوم بناء المجتمع على اساس الحب ، التكافل ، الاخاء ويتمثل تكوين الفرد ليكون بنية صالحة فى بناء المجتمع .

فالانسان هو أعظم الاحياء وهو سيد الكون تحت حكم الله ، ولذلك فهو موضع الاعداد السليم الكريم ليكون نموذجا حيا : رجلا أو امراة كتكوين أول وحدة من وحدات المجتمع ، همـا وحدة الاسرة .

فبناء الانسان هو هدف كبير : اساس هذا البناء يقوم على أن يصبح الانسان شخصية سوية ويكون فى نفس الوقت لبنة فى بناء المجتمع ويتحقق هذا البناء فى مجالات ثلاث : هى الجسم والعقل والروح ويقوم ذلك اساسا على مبدأ التوافق بين الفردية والجماعية ، فالمجتمع فى خدمة الفرد والفرد فى خدمة المجتمع وهما يتكاملان .

ثالثا : يقوم منهج الحياة فى المجتمع على التقاء عاملى (الروح والمادة) فلابد من جهد حيوى قوامه الحركة والعمل مرتبط فى نفس الوقت بايمان راسخ بالله ، ومن هنا يجرى العمل على اساس القيم الاخلاقية .

رابعا : أقر الاسلام قوانين دورة المجتمع البشرى : فابن خلدون يقرر أن المجتمع البشرى تطور من البداوة الى الملك الى الحضارة ثم الى الاضمحلال والفناء ويشبه حياة المجتمع بالجسم الحى ، الذى ينمو على مراحل ثم يضمحل ، وينحل حين تبلغ الغاية مداها ثم يعود المجتمع الى التكون مرة أخرى مارا بنفس المراحل .

خامسا : جاء الاسلام بأعظم عقيدة توازن موازنة سوية بين الفرد والجماعة اذا تم التكافل الاجتماعى على اساس الاخوة الاسلامية وهو طراز فريد من التعاطف الانسانى كان له أثره فى القضاء على العنصرية الطبقية . كما حرر العقيدة من التعصب المقيت ، وكفل للمراة حقوقها الاجتماعية والاقتصادية وعالج توزيع الثروة معالجة عادلة تحول دون تكديسها فى يد فرد أو أفراد قلائل ، وهو نظام لا يقضى على نشاط الفرد وميله الغريزى للمبادرة والابداع كما يقيم التنافس على أساس القدرة والعدالة معا .

وقد حققت تجربة الحكم الاسلامى فى صدر الاسلام نجاحا باهرا فى خلق مجتمع متوازن تتكيف فيه ارادة الفرد مع صالح الجماعة حيث تكفل الجماعة للفرد حقوقه وتفرض عليهما معا واجبا يقوم فى الدرجة الاولى

على نقاء الضمير وقانون الاخــلاق اللذين تحتمها عقيدة الوحدانية وشريعة الاسلام هذا التوازن بين الفــرد والجماعة هو الذى شقيت الانسانية دون الوصول اليه . فأما فردية مغرقة فى ذاتهـا او جماعية جامدة تصب الافراد فى قالب واحد من الميول والاهــواء .

سادسا : ويقوم مفهوم المجتمع فى الاســلام على والجماعة ويقيم التكافل الاجتماعى على أساس الاخوة وهى طراز من التعاطف الانسانى من شأنه أن يقضى على العنصرية والتفرقة الطبقية ويحرر العقيدة من التعصب. ويعالج توزيع الثروة معالجة عادلة تحول دون تكديسها فى يد فرد ، وهو فى نفس الوقت لا يقضى على نشاط الفرد وسيله للابداع بل يقيم التنافس على أساس القدرة والعدالة معــا .

وقد حقق هذا المنهج خلق مجتمع متوازن تتكيف فيه ارادة الفرد مع صالح الجماعة فبينما تكفل الجماعة للفرد حقوقه وتفرض عليهما معا واجبا يقوم فى الدرجة الاولى على سلطان الضمير وقانون الاخــلاق اللذين يحتمهما هذا التوازن بين الفــرد والجماعة .

سابعا : وفى دائرة المجتمع وعلاقة الفرد بالفرد نقد أمرين ١ ــ التعادل بين ثنائية الفرد نفسه وبين الفرد والفرد من ناحية أخرى . ٢ ــ التوازن بين الفــرد والمجتمع كما يقر الاسلام طبيعة الانسان على حقيقتها : مادية وروحية ، واقعية ومثالية ، وبذا لا يحول بينه وبين متــاع الحياة المادى ، ولكنه يحوط هذا الاعتدال ودون أن ينتج عنه عدوان على حق الاخرين ودون أن يتخذ الانسان ما يحصل عليه من جــاه ومكانة وسيلة للظلم أو العدوان أو الافساد فى المجتمع .

ثامنا : وفى دائرة المجتمع وعلاقة الفرد بالفرد فقد أقر الاسلام نظام الاسرة وهى أصغر وحدات المجتمع حيث تقوم على أساس الزواج باشراك فردين ذكر وأنثى فى حياة واحدة ، وهو نظام لا يقضى على فردية الرجل أو المراة ولا يطلب صهر أحدهما فى الاخر بل يستبقى الخصائص الفردية لكل منهمــا دون أن تذوب أو تفنى .

الواقــــع القائــــــم

ولا ريب أن المجتمع الاسلامى القائم اليوم مختلف تمام الاختلاف عن هذا النموذج الذى أقامه الاسلام نتيجة التغيرات التى أحدثها النفوذ الغربى عن طريق فرض مفاهيمه وقيمه عن طريق التعليم المغــرب وعن طريق حجب الشريعة الاسلامية عن التطبيق وعن طريق دخول أدوات التغير الاجتماعى الخطيرة فى مجــال المعاملات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وقد جــاءت هذه الغزوة عن طريق تقليد مناهج الغرب سواء الراسمالية أو الماركسية ، وارتباط أساليب السلوك والعيش فى المجتمع الاسلامى بهــذه التقاليد الوافــدة .

ان المجتمع المسلم اليوم يضطرب اضطرابا شديدا بتيارات عديدة من الانحلال والانحراف الذى يجــرى جريا مضطردا نحو الجريمة والاباحة فقد ضعفت زواجر الدين وحدوده ، وخفتت عوامل الخوف من الحساب والعقاب وانطلقت فى النفوس رغبات وأهواء ، وجــاء ذلك نتيجة تقبل أسلوب العيش الغربى ومفاهيمه دون تقدير لمــا يصلح لمجتمعنا وما يجب أن نتجنبه . ولقد تذفت المعاملات أموالا كثيرة من الحرام وتخاطف الناس هذا المــال دون تقدير لمصادره ، واحتالوا على امتلاكه ، وكان لوسائل التسلية والنشر من صحافة واذاعة وتلفاز ومسرح أثرها البعيد فى تحويلات المجتمع نحو الخروج من آداب الاسلام والتخفف من التقوى والخوف من الله تبــارك وتعالى ، وكــان لهــذا ارتباطات بمؤامرات الصهيونية الزاحفة الى مجتمعنا ، وفق تخطيط مرتب للنفوذ الاجنبى منذ توقف النفوذ العسكرى والسياسى الغربى وخفيت الوسائل والادوات من وراء الصحافة والمسرح والثقافة ، ومن خــلال مؤسسات جــديدة ، وخاصة المخطط الذى رسمه الغرب جملة للسيطرة على بلاد الاســلام وما قام به الامريكيون من سيطرة على البلاد العربية والاسلامية بعد انسحاب فرنسا وانجلترا من المنطقة وقد رتبوا ذلك من خلال مؤسسات تبشيرية خفية وراء مشاريع الامم المتحدة وعن طريق المعونات الخارجية وقد تنامى ذلك وارتبط مع الصهيونية العالمية ومع نفوذ الشيوعية الذى سيطر على بعض البــلاد العربية سنوات الستينات وما بعدها وما يتصل بفرض المفاهيم المــادية ، ثم كان التحول من الماركسية الى الانفتاح الاقتصادى الذى أعطى طريقا للتدافع نحــو الحــرام والانفــاق على المحرمات .. اننا ننظــر الى مجتمعنا الاسلامى فنجد عــدة تيارات خطيرة ..

- تيار المخدرات وله قصة طويلة .
- تيار القمار وله قصص مذهلة .
- علب الليل التى دخلت القضــاء وكشفت عن فنانات وقوادات .
- تسجيلات الفيديو التى حملت البــوم افــلام الجنس الخطير الى البيوت والى مخادع النوم.
- رحلات السياحة .
- افلام الجنس والجريمة التى بلغت غايتها فى الهبــوط .

وتمر المجتمعات الاسلامية اليوم بحالة من القلق الاجتماعى والفكرى تغمر كل جوانب المجتمع ويبلغ هذا القلق ذروته عند الشباب طلاب العلم ومساوىء العصر تنكشف الآن أمام الجيل الجديد حين يرى أن هذا الجيل ليس موضع تقدير الأجيال من حيث المثل الاعلى ، وهناك البيت الاسلامى وفساده واضطراب عـلاقات الرجل والمراة واضطراب القدوة فى الأب والقدوة فى الأم ، وأثر التعليم (العلمانى) واخطار وسائط الاعلام والسينما والمسرح والاذاعة والتليفزيون والصحافة .

ولا شك أن المجتمع الاسلامى يعانى من ازمـة اخلاقية كانت نتيجة لعهد من التسلط والاستبداد اهدرت فيه القيم وامتهنت الحريات وديست الكرامات وكانت كلمة الحق تهوى بصاحبها الى جحيم الضياع والحرمان والعذاب والهلاك فكان من الطبيعى أن تقوم حياة المجتمع على النفاق والخداع والاحتيال والتدليس .

واننا لنجد عشرات الاتجاهات والمذاهب والمدارس التى ظهرت فى المسرح والسينما والفنـون التشكيلية والعلوم الانسانية كذلك فان صراعات الدول الكبرى تتمثل فى مذاهب فلسفية وتيارات فنية فى الرواية والقصة والقصيدة والشعر والنقد ومدارس جديدة فى المسرح والسـينما والتصوير والنحت تتدفق على المجتمعات الاسلامية الأفـلام الاجنبية (فى الجريمة والجنس) وحيث تستورد البـلاد ٨٤٪ من الأفـلام ، واغلب الافـلام من أمريكا ، ويتجه مضمون الافـلام المستوردة الى الترفيه وتقـديم الجريمة والمغامرات البوليسية ويجسـد التليفزيون العنف على شاشاته تجسـيدا يغرى النشء بصفة خاصة لممارسته ، ويوسـع دائرة الجريمة لما يكشف من اساليبها وخفاياها كشفا له أبعد الأثر وخاصة عند ضعاف النفوس وهـو مما يشيع الخمول بين الصغار والكبار ويولد حالة مـن السلبية وينشىء جيلا من الأميين لادمانهم على المشاهدة ويقضى على عـادة الاطلاع والقراءة وقد استطاعت القوى الأجنبية أن تستخدم هذه الوسائل فى افساد المجتمعات وترمى بعض الجهات ان تجعل من هذه الوسائل ملهاة تلهى النفس عن واقع الأمور الجارية .

***

المؤامـرة على المـراة المسـلمة

لقـد تبينت للمراة المسلمة فى السنوات الاخيرة مجموعة من الحقائق كشفت لها وجـه الحق فى تلك المؤامرة الضخمة التى اطلق عليها (حركة تحرير المراة) واثبتت الوقائع والأحداث والوثائق الخطة التى دبرها النفوذ الغربى لهدم الاسرة المسلمة ودفع المراة المسلمة الى ميدان الغواية تحت اسم الحرية وهو بذلك يرمى الى تدميرها وجعلها اداة من أدوات المتعة بينما يرقى بها الاسلام الى اعلى الذرى .

أولا : حرر الاسلام المراة من الرق البشرى الذى اتسمت به مفاهيم العلاقة بها فى الاديان الاخـرى وفى الغرب حتى العصر الحديث .

فقد قامت الحضارة الغربية على قاعدة أن (المراة متعة) وهو مفهـوم رومانى قديم يستمد جذوره من الحضارة الاغريقية القائمة على الفحش والشهوات ومن هنا فقد كان الاتجـاه الغربى كله ولا يزال قائما على تحسين هذه المتعـة وبهرجتها فى ملابسها وحركاتها وكلماتها وقد زينوها واقاموا لها كل ما يتصل بما يريده الرجـل فى متعته منها وفى نفس الوقت حرموها من الحقوق الحقيقية ، فالقانون لا يخصها حق امتـلاك ارادتها وحتى الآن لا تأخذ القدر الذى يأخذه الرجل وان كانا يعملان عملا واحدا ولا تستطيع أن تأخذ شيئا الا باذن زوجها أو والدهـا .

ثانيا : تبين أن المقصود من (تحرير المـراة) فى نفوس دعـاة التغريب من المسلمين هو تحريرها من دينها وخلقها وعادتها وعندما تكشف زيف هذه الدعوى استطاعت المراة المسلمة أن تعرف وجهتها الحقيقية ، وأن تتمسك بالحدود والضوابط التى أقرها الاسـلام راضية مطمئنة ايمانا بقوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهـم) .

ثالثا : ان المراة الغربية لما عرفت الاسلام خالفت نساء قومها اللاتى لا يحترمن اجسادهن ويظهرن مفاتنها للناس جميعا ، حيث تقول احداهن وهى تسأل عن ضيق ملابس المـراة المسلمة : تقـول :

لابد أن اكون تماما كالاسلام مادمت قد اعتنقته عن ارادة واختيار والا اكون كاذبة ولماذا اكذب ، ان احدا لم يجبرنى على الاسلام ان جهادى فى الاسلام هو التصدى لتصحيح سوء الفهم عن حسن نية أو عن سوء نية الذى وقـع فيه بنو موطنى من علماء الاستشراق .

رابعا : آمنت المراة المسلمة بأن التضحية بتحديد الابناء فى سبيل العمل لزيادة الموارد جريمة كبرى ، وقد كشفت الابحاث صحة ذلك وفى مقدمة ذلك بحث الدكتورة ابدا الين (جربه ايفننج استاند) الذى بنيت فيه أن سبب الازمات القاتلة فى أمريكا وسر كثرة الجرائم فى المجتمع ان الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخـل الاسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الاخلاق ، مما يستدعى

عـودة الامهات فورا الى البيت حتى يعـود للاخلاق حرمتها وللابناء الرعاية التى حرمتهم منها رغبة الأم فى أن ترفع مستواهم الاقتصادى .

خامسا : اثبتت الابحـاث التى اجراها المركـز القومى للبحوث الجنائية ، أن التقصير فى رعاية الابناء هى المشكلة رقم واحد فى حياة ٨٣ فى المائة من النساء العاملات فضلا عن المشاكل الاخرى وهى :

١ ــ عدم رعاية الزوج . ٢ ــ التعرض للاختلاط .
٣ ــ الجمع بين العمل واعباء المنزل . كما اظهر البحث ان ٥٢ فى المائة يؤيدون عودة المراة العاملة الى المنزل خلال فترة تربية الاطفال ، ذلك أن اكبر قدر من اجرها يضـيع على استخدام وسـائل النقـل والاستعانة بالشغالات .

وتقـول الدكتورة ناهد رمزى أن المجتمع مازال يلعب دورا خطـيرا وسلبيا فى علاقة المراة بالعمـل فى مفاهيمنا وقيمنا الثقافية التى مازالت ترى أن العمـل قيمة (ذكرية) .

سادسا : تبين أن المناهج الدراسية تعامل المراة معاملة الرجل ولا تقدم لها مناهج خاصة تربى فيهـا وجدانها وكيانها الانثوى ولا تعنى بمهمتها الحقيقية وما يتعلق بالزوج والطفل والاسرة .

سابعا : ان قضية المساواة بين اجنسين قضية باطلة اساسا من ناحية محاولة تصور الرجل والمراة وكأنهما جنس واحد ، دون مراعاة التركيب البيولوجى والمهمة الاساسية لكل منهما على النحو الذى نظمـه القرآن الكريم (الذى قـرر القوامة للرجل وجعل لـه درجة تمكنه من قيـادة السفينة ، فالالتزام الاسلامى يؤكد على تبادلية الاعتماد داخل الكيان الاجتماعى ، والتمايز فى الادوار ، هذا التمايز القائم على نوع الجنس باعتباره تكاملا داخل النسق الاسرى وليس باعتباره للتفضيل بين جنس وآخر على اساس ان التفرقة بناء على لأفضلية أمر مرتبط بتقاليد الغربى فى العصـور الوسطى ولا يتوافق مع مبادىء العـدل والمساواة فى الرؤية الاسلامية ، (على حد تعبير السيدة لويز لميـاء الفاروقى) .

ثامنا : أن تعدد الزوجات فى الاسلام ليس تجنيا ولا انتهاكا للاحترام الواجب لوضع المراة ، بل هـو تشريع يمتاز بالتيسير على خلق الله واستخدامه ، من حيث أساسه تقـوى الله ، وهو بعيد كل البعد عن التصور الغربى لـه .

الأســـرة المسلمـــة

قدر الاسلام اهمية الدور الذى تقوم به الاسرة ونظامها فى البناء الاجتماعى .. فالاسلام يرى فى الاسرة منطقة انطلاق اساسية لاى اصلاح اجتماعى وعلى اى مستوى وتعامل هذا بما انتهى اليه الغرب من اضفاء الشرعية على النزعـات الجنسية والمتمردين مما قضى تدريجيا على الدور البنائى القيمى للاسرة (جيب أ. مفتى)

فوضع المراة المسلمة فى المجتمع الاسلامى مدخول نتيجة سيطرة المفاهيم والقيم والثقافات عند الاسلام الوافدة على المجتمع ، وما تزال البلاد الاسلامية تعانى وتناضل من أجـل التحرر من تأثيرات القوى العلمانية وان كانت قد استسلمت لانماط السلوك والعادات .

ولابد للباحث المسلم من تحذير واع للخطر الذى يتهدد الاسرة المسلمة التى اصابها كثير من الاضطراب نتيجة الانحراف عن قيمها ومفاهيمها الاصيلة ، ولابد من العودة الى الالتزام بتشريعات الاسلام للاسرة .

١ ــ تيسير الزواج بين الشباب والشابات .
٢ ــ غرس قيمة الايمان بالله فى نفوس افـراد الاسرة .
٣ ــ قيام الوالدين بمسئوليتهما فى حماية أبنائهم من الانحراف وتنقيتهم وتقديم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبـة .

بنـــاء الطفل المسلــــم

فى طريق اسلمه المناهج تجدنا فى حاجة شديدة الى بناء الفرد المسلم منطلقا الى بناء الاسرة المسلمة فالمجتمع المسلم ، وتجرى عملية الغزو فى مجال الطفل المسلم على نحـو اشـد قوة وابعد مـدى ذلك لان بروتوكولات صهيون (أساس عملية التغريب والغـزو الثقافى) قد أشارت الى ضرورة الاهتمام بالاطفال ونقلهم من محاضن الاسلام الى مجالات الاغراء والتدمير ومن هنا ظهرت هذه القصص المنحرفة التى تلقن للاطفال سواء عن طريق المسرح أو السينما أو أدوات الاذاعة أو القصص المكتوبة حيث نجد سيلا عارما من هـذه الادوات الغازية تحاصر اطفالنا وتقدم اليهم السموم فى أوعية خلابة براقة تخطف ابصارهم فيقبلون عليها فى نهم شديد فى غياب البديل عن الساحة التى تحميهم من خطر الثقافات الوافدة على حسهم ونظرتهم وذوقهم ، ومن شـأن الاستسلام لهذه التيارات ــ كما يقـول الاستاذ عبد الرحيم محمد ابرهيم فى رسالته (الغـزو الفكرى للطفل المسلم وكيف نواجهه) أن تحيلهم الى نسـخ محشوة من الأفكار والعادات والتقاليد الاوربية التى تناسبهم فينشئون وقد اهدرت شخصياتهم واصبحوا غرباء عن ثقافتهم ومجتمعهم فتنقطع صلتهم بجذورهم ويصبحون قابلين للصياغة فى قوالب جديدة وفق المخطط الاستعمارى المعد بذكاء ودهاء ومكـر .

وحتى يمكن انفاذ هذه الغاية الخطيرة فقد رصدت الاموال الطائلة وامتلات اسواقنا بالعديد من مجلات وكتب وصحف الاطفال المترجمة عن اللغات الاوربية ، ولا يكفى خطر تيار الترجمة العميق فان كتاب التغريب فى بلادنا يقدمون (أدبا عربيا) زائف يستلهم النموذج الغربى ويركز على غايتى الامتاع والتسلية ويسرف فى أمرين : ١ ــ فى قصص المغامرة والخيال والخوارق والاساطير . ٢ ــ وفى احيــاء العادات البالية التى يغرق فيها مجتمعنا والتى لا تمثل قيم الاسلام بقدر ما تمثل عادات موروثة من عصور قديمة كشــم النسيم وحفلات الزار وتقاليد الموتى والافراح وغيرها . فــان التركيز على هذه التقاليد التى يحاربها الاسلام والتى تعيش فى البيئة وهى خارجة عليه ومستمدة من مفاهيم وثنية قديمة ، من شأن أحيائها وتلقينها للاطفال أن تشب نفوسهم وهى تعتقــد انها من اصــول القيم والعادات الطبيعية . ولعل هذا العمل الذين يقوم به كتاب عرب اشد خطرا من القصة المترجمة ، ونحن نهدف الى تربية جيل جديد من الاطفال يكون اشد تمسكا بدينه عارفــا بوجوه الخــير والشر وما أمر الله به وما حرمه حتى تطمأن على أنه يكون قــادرا على مواجهة التحديات والسموم التى بينهــا الاستشراق والتبشير ودعـــاة الشعوبية والتغــريب .

وهنا يجب أن نركز على مسئولية الآباء والأسرة (١) فى حماية الأطفال من هذا السيل الوافد وحســن اختيار ، ما يصلح(٢) وفى تثقيف الطفل اسلاميا واشاعة روح الايمان فيه ولو تصر فى ذلك الكتّاب المدرسى ويأتى بعد دور الآباء فى القدوة والتوجيه المدرسى وأمام المسجد ولا يكفى فى رعاية الطفــل تزويده بالثقافة الاسلامية فحسب بل يجب حثه الى أداء الشعائر وأن تعمــل الاسرة على ربط افرادها بالفروض وقت الاذان .

ويتحتم على رجال الدعوة الاسلامية العمل على بنــاء ادب الطفل الاسلامى فى مواجهة اخطــار الفكر الوافد المنثور الان فى طول البلاد الاسلامية وعرضها وان تقوم صحافة اسلامية لحماية الطفل المسلم وتوجيهه واختبار المادة الملائمة للسن ، وتبسيطها بالطريقة التى يستوعبها عقله وأن يقدم بأسلوب مشوق للمتابعة ، وخاصة فى مجال الاحداث التأثيرية والبطولات الفردية والشخصيات الاسلامية فى مجال الشجاعة والبنــاء ، ويقوم الادب الاسلامى للطفل على اساس حماية هذا الطفل من الاخطار التى تواجهه فى مطالع حياته وفى بدء اتصاله بالمجتمع على تدرج وببساطة وبعيدا عن الحشو والتعقيد وتخويف الأطفال بالنار وأن تقدم لهم صورة بأسلوب بسيط يرمى الى كسب الثواب واجتناب الاخطار والحث على السلوكيات الجيدة ، وأن تكون الوجهــة مستمدة من الاسلوب القرآنى الذى يجمع بين الترغيب والتحبيب فى الثواب كما يجب حمايتهم من الاراء المثيرة للجدل والاستغراب ، ومن اسلوب الانفعال .

واخطــر ما نحمى منــه الطفــل تلك القصص الاسطورية الغربية التى تشوه مزاج الطفل المســلم وترسم فى عقله الباطن صورة بطولية زائفة لبطل غربى خيالى أمثال طرزان وغيره مما تمتلىء به مجلات ميكى وميكى جيب وسوبر ميكى وسوبرمان وهى كلها تصدر وفق خطة مشبوهة .

وفى كتب التراث الاسلامى صور ومواقف رائعة تفتح الذهن وتنمى الخيال وتعطى الطفل المسلم مناعة ضد الثقافة الوافدة المرتبطة بالفكر الادبى .. ولنعلم ان شبابنا المسلم اليوم يعيش فى فراغ ثقافى واسع ، وهناك اغراءات كثيرة يجب حمايته منها بتقديم البديل ، الذى يبرز القيم الاسلامية الرشيدة ويعكس معالم النفوس النقية المتعطشة الى حب الخير والاسوة الحسنة .

***

الباب التاسع

القرآن الكريم : مدخل إلى صياغة إسلامية للعلوم

(١)

دعا قادة اليقظة الاسلامية الى صياغة اسلامية للعلوم : الاجتماع والاخلاق والنفس والى صياغة لمنهج اسلامى فى الادب ، بعد أن تبين عجز معطيات المناهج الغربية عن العطاء فى مجال الاسلام وتعارض مفاهيمها فى مجال التطبيق فى المجتمعات الاسلامية ومن هنا قدم العلماء المسلمون تصورا اسلاميا تنطلق منه الصياغة الاسلامية للعلوم ، على النحو الذى قدمه الدكتور محمد المبارك الذى يرى أن التصور الغربى للوجود منحصر كله فى الانسان والطبيعة ، والعقل عندهم طريق معرفة الحقائق وليس ثمة طريق آخـر ، وأن الانسان سيد نفسه وهو فى نفس الوقت حيوان اجتماعى مفكر فحسب وليست النفس الانسانية الا مجموعة من الغرائز ، وفى مقابل هذا التصور القاصر يقدم الاسلام تصورا مختلفا ، فالتصور الاسلامى يعتبر الانسان والكون ليسا وحدهما فى الوجود بل كلاهما يبتدىء من الله وينتهى الى الله سبحانه وتعالى وأن الطبيعة أوجدها الله وهى تسير على سنن مطردة ، وأن العقل ليس وحده أداة الوصول الى الحقيقة ، بل هناك طريق آخـر هو الوحى وأن الانسان ليس حيوانا مفكرا فحسب وأن الله هو المشرع للانسان والنبوات منذ بداية الخلق هى الصلة بين الانسان والله (تبارك وتعـالى) .

ولكى يقوم تصور اسلامى لعلم اجتماع اسلامى لابد من خطوات خمس تعتمد بصفة أساسية على ماورد فى القرآن الكريم والسنة الشريفة :

أولا : اشارة القرآن الكريم الى الطبيعة الاجتماعية الانسانية .

ثانيا : اشارته الى الحوادث والظواهر الاجتماعية والطبيعية .

ثالثا : ارتباط حوادث الطبيعة بعضها ببعض .

رابعا : اشارة القرآن الكريم الى قوانين الظواهر الاجتماعية أو سنن الله تعالى فى المجتمع الانسانى .

خامسا : التغير والتغيير وكثرة تحدث القرآن عن تبدل الاجيال وهلاك الامم .. ومن هنا ينبغى أن تكون بيننا ميتافيزيك علم الاجتماع منطلقا من مصدر الاسلام نفسه وان دراسة القضايا الاجتماعية لابد أن تتم كما حددها الاسـلام وان يكون المنظور الاسلامى واضحا ونحن نجرى البحوث الميدانية فى المجتمع الاسلامى .

(٢)

ويرى الباحثون فى عـلم الاجتماع الاسلامى أن يجرى التحرك فى مجالين مختلفين معا : الاول أن تكون نقطة البدء ـ بعد القرآن الكريم هى القواعد التى ارساها ابن خلدون وهى منطلقة فعلا من فهمه العميق للقـرآن الكريم ، ثانيا : مراجعة وتقييم النظريات العربية فى علم الاجتماع على ضوء التفسير الاسلامى لها وليس العكس عن طريق مجموعة من علماء الاسلام واساتذة علم الاجتماع لوضع اسس هذا العلم بعيدا عن هؤلاء الذين تشبعوا بعلم الاجتماع الغربى ونسوا انتماءهم الاسلامى .

وقد كتبت فى السنوات الأخيرة أبحاثا كثيرة حول بناء قواعد المدرسة الاسلامية لعلم الاجتماع .

(٣)

صياغة المسلم صياغة تمتزج فيها الدينى بالدنيوى على انهما وجهين لعملة واحدة بحيث يصبح الاحساس الداخلى الفردى اجتماعيا ينتقل حثيثا من الانانية الى الغيرية ، ويجعل طاقاته الكاملة وقدراته الظاهرة منطلقة لخدمة المجتمع والعطاء الخير وفق مفهوم الدنيا مزرعة للاخـرة .

وعندما بزغ الاسلام انشأ رابطة اجتماعية جديدة قامت مقام رابطة الدم والعرق والنسب هى رابطة الاخوة المتميزة بالتضحية والبذل وحماية الضعفاء بالزكاة التى هى حق الله وحق المجتمع ، واخراج الجماعة من الفساد والظـلم الاجتماعى .

(٤)

ان الاسلام فى قرآنه وسنته سـنة محمد عليه الصلاة والسلام يطرح قواعد عامة وخطوطا عريضة يريد بهـا أن يشكل الأرضية الصلبة التى تتحرك عليهـا

العلاقات الاجتماعية فالقرآن يحدد موقف الانسان من العلم وطبيعة دوره فيه والغاية التى خلق لها والمصير الذى يسعى اليه من خلال ممارساته الواقعية .

ويدعو القرآن الكريم الى مجتمع متوازن يحصل فيه الاغنياء والفقراء على قدر كامل من العدل والتراحم ، ويعارض ظاهرتى الترف والغنى الفاحش لأنهما يناقضان فكرة العدل الاجتماعى ، وفى مقابل هاتين الظاهرتين يقدم القرآن دعوة البذل والاحسان والغيرية والعفو ويدعو الى توزيع الفرد على جميع الفئات المحتاجة فى المجتمع .

أسلمـــــة العلـــــوم

نشأ العلم التجريبى فى رحــاب الاسلام ، وكان مصدره القـــرآن ، ثم تلقفته أيدى الاوربيين فصاغته صياغة مادية وثنية أخرجته من مفهومه الاسلامى الاصيل

أولا : نسبوه الى الانسان والطبيعة وتجاهلوا الخالق الاعظـم ..

ثانيا : فرقوا بين المادى والنفسى .

ثالثا : فرقوا بين النظرية والتطبيق .

رابعا : اعــلوا شــأن الجنس والعنصر والدم وهضموا حق الامم الملونة .

خامسا : أسرفوا فى جهة الصناعة الاستهلاكية .

سادسا : وضعوا البشرية على حافة الدمــار بصناعة الأسلحة الذرية والصواريخ العابرة للقارات .

سابعا : هضموا حق الامم مالكى الخامات واعلوا شأن الامم القائمة على الصناعة العالمية .

ثامنا : فرضوا النظام الربوى وسيطروا به على العالم الثالث .

ونتيجة للاخطار التى حاقت بالامة الاسلامية نتيجة هذا التحول الخطــير فان المسلمين مطالبون بأسلمة العلوم واعادتها الى أحضان الاسلام مرة أخرى .

وذلك يكشف عن حقائق :

١ — الاعتراف بفضــل المسلمين على الحضـــارة المعاصرة .

وان المسلمين هم اول من وضع الاسس الصحيحة للبحث العلمى ، يظهر ذلك جليا فى أبحاث الحسن بن الهيثم والبيرونى وان الفضل الرئيسى هو الاسلام الذى اثار الابصار وحث على النظر والتفكير فى المحسوسات وعلى البحث عن الدليل والبرهان فى الاراء والافكار .

والاسلام هو الذى بين ان ظواهر الكون تخضع لقوانين النسبية واكد على عالمية العلم سواء فى الاخذ أو العطاء (دكتور يوسف محمود) .

والواقع أن عطاء الاسلام البشرية ، للحضارة ، للعلم هو صفحة من أروع الصفحات التى سجلها تاريخ الانسانية ، ومع ذلك فانه مازالت سحب كثيفة تسيطر على آفــاق البحث ، مرجعها الى أحقــاد الاستشراق والتبشير التى تعمد الى تزييف الحقائق والتقليل من حجـم الاحداث والتى تهدف بهذا الى الغض من الدور الضخم العميق ، الذى قامت به الحضارة الاسلامية خلال ألف سنة كاملة قبل أن تدخل مرحلة التوقف عن العطــاء .

ولقد سبق مفكرو الاسلام علماء الغرب على تقنين مختلف للعلوم الطبيعية الطبية والكيماوية ، التى نمت بعد ذلك نموا حجب مع الاسف مصادرها الاولى ، ولقد عــاد بعض المنصفين فى السنوات الأخيرة ليؤكدوا ان أعمال : ابن سينا — الزهراوى — ابن النفيس — ابن الهيثم ، الخوارزمى ، جابر بن حيــان ، البوزجانى ، البيروى ، الصولى ، ابن يونس (فى الرياضيات والفلك والطبيعة) كانت بمثابة المصابيح التى أضاءت منهــا أوربا قناديلها والمصادر التى استقت منهــا نظرياتها وقد قــدم العلماء المسلمون نظريات الجاذبية وسرعة الضوء والراصدات الفلكية وتحضير المركبات ووصــف النباتات والحيوانات والادوية الفردية والمركبة مما كان بمثابة الزاد الذى اعتمدت عليه النهضة الاوربية وانتشرت فى جامعات باريس واكسفورد وكمبردج وغيرها .

وقد أشار المؤرخ الغربى (هوتشر) الى أن العرب والمسلمين هــم الذين انشأوا علم (نقد الاخبــار) اذ كان أساس ضبطها هو التوقيت الدقيق لها بالسنين والشهور والايام ، وهو ضابط انفردوا به عن نظرائهم عند اليونان والرومان وأوربا فى العصور الوسطى ، وقال المؤرخ (بكل) : أن التوقيت على هذا النحو لم يعرف فى أوربا قبل عام ١٥٩٧ وأن طريقة النقد التى انصبت على الرواة ضمنت الى حد كبير صحة الاخبار المتصلة بالقسم التاريخى من السيرة وبحوادث الدولة الاسلامية ومن ناحية أخرى نرى أن (بيكون) رفض الاساس الذى قامت عليه الفلسفة طوال عصورها الوسطى ، ايمانا منه بأن هذا الاساس لا يمكن أن يؤدى الى علم جديد ، وهذا الاساس هو المنطق أن القياس المنطقى ، وأعلن بيكون : أن القياس المنطقى وسيلة عقيمة لان عليك أن تسلم بمقدماته تسليما لا يجوز فيه الشك ، أما الاساس الذى وضعه بيكون للبحث هو (الملاحظة والتجربة) وكان فى ذلك متابعا للنموذج الاسلامى ، فقد سبقه الى هذا الحسن بن الهيثم الذى مازال اراؤه تحتل مكان الصدارة

فى الرياضة والبصريات ، وهكذا حدث ذلك التحــول الخطــير ، فى الفكر الغربى من القياس المنطقى وفق المنطق الارسطاطاليسى الى المنهـــج الاستقرائى ، الذى وضعه علماء المسلمين ، وقد لجأ هذا الفكر الى التجربة التى اطلق عليها اسم (الاختبـــار) بل ان الفضل الاكبر فى نجاح الرحلات البحرية الاستكشافية يرجع الى ما كتبه أحمد بن ماجد وما قدمه المسلمون من المراجع الجغرافية التى ترجمت ، ومدرسة الخرائط التى قامت فى جزيرة ميورقة ، معتمدة على جهود العرب السابقة وقد كان الفضل الاكبر فى نجاح فاسكودى جاما هو مصاحبة ابن ماجد له ، وهو الذى قاده من شرق افريقيا واوصله الى الهنـــد .

٢ — أن المسلمين حين أخذوا علـــوم السابقين قـــوموا اخطاءها ، فنقدوا كتب ارســـطو وبطليموس وغيرهما وعلقوا واضافوا عليها ولم يقبلوا من التراث القديم الا ما كان متفقا مع مفهومهم الاصيل القائم على التوحيد والاخاء البشرى وكان ابرز عمل قام به المسلمون هو أنهم انشأوا (علم سنن الكائنات) عن طريق التجريب الذى كانوا يسمونه الاختبار .

● فى مجـــال الفلك والطبيعة جـــاءت جداول الخوارزمى والتبانى وابن يونس عمـــلا رائدا وصفه الباحثون الاوربيون المحدثون : بأنهم توصلوا فى نهـــاية القرن العاشر الى أقصى ما يمكن أن يصل اليه الانسان فى رصد الكواكب والنجوم بالعين المجردة .

● فى مجال علم النجوم والحركات الفضائية (أبو العباس أحمـــد الفرغانى) صاحب كتـــاب الكامل فى الاسطر وجوامع علم النجوم وقد قام بقياسات طـــول خـــط الارض المستقيم وكان أول من ادرك أن مدار الشمس والكواكب يجرى على مر الزمن فى اتجاه خلفى وتتلمذ عليه أبناء شاكر وثابت بن قـــرة .

● فى مجال الضـــوء جاء العملاق (ابن الهيثم) بكتابه عـــلم المناظر الذى يعتمد عليه روجـــر بيكون (— ١٢٩٤) وليونارد دى فنشى — ١٥١٩ وجاليليو — ١٦٤٢ وهم مؤسسو البحث العلمى الحديث .

وقد اجرى ابن الهيثم التجريب بواسطة الخزانة ذات الثقب التى هى فى الواقع صورة لآلة التصوير ، وتمكن من وضع نظريته حول مسيرة الضوء وسيطرت نظرياته فى الفيزياء والبصريات على علوم الغرب حتى يومنا هذا .

ومن ناحيـــة أخـــرى دحض الفلكيون المسلمون النظريات القديمة التى قـــالت بأن الظواهر الطبيعية ثابتـــة وغير متغيرة فبفضل تدقيق الفلكيين العـــرب وتجريبهم وحساباتهم الدقيقة اثبتوا أن انحراف سمت الشمس يأخذ تدريجيا فى النقصان وكان الفرغانى هو أول من اكتشفه ، كما كان المسلمون أول من راقبـــوا تغير أوج الشمس الذى وصفه اليونان بأنه طول واحد ، وانتصر تجـــريب المسلمين وانهزمت نظريات ارســـطو وبطليموس .   (عبد المقصود حبيب)

وعلينا أن نضيف الى ذلك أن الغرب حين اخـــذ ما أخذ من التجريب الاسلامى قد باعد بين نفسه وبين المفهوم الاصيل لهذه القيم والاساس العميق الذى قامت عليه الحضارة الاسلامية فلم يقبـــل فى مجال العلـــوم تحركها فى اطـــار الرحمة ولم يقبل فى مجال الاقتصاد دفعها فى اطـــار الاخاء البشرى ولم يقبل فى مجال القانون جعلها واحدة للبشرية كلها كما غيب عنها أن تكون الوجهة خالصة لبناء المجتمع الربانى وانما اقامها على اساس الاستعلاء بالعنصر وسيطرة القوى على الضعفاء وسحق الصغار واعتبار الغربيين وغيرهم سادة وكل ماحولهم عبيد ولمـــا احتل بلادهم استولى على مقررات الشعوب من الطاقة ومذخور الأرض ووجهه فى سبيل بناء حضارة استهلاكية قائمة على الخمـــر والربا والاباحية والترف وبذلك ادخل البشرية كلها فى عالم الازمة الخانقة .

٣ — وقد أشار كثير من الباحثين المسلمين الى الدور الخطير الذى قام به (القرآن الكريم) فى بنـــاء العلوم الاسلامية ، حيث انه من منطـــلق المصطلحات القرآنية تحددت علاقة الانسان بالكون :

فالتفكير الذى الح عليه القرآن فى عدد من الآيات هو الذى يؤدى الى الاكتشاف .

ومن التسخير الذى اورده القرآن فى مواضع عديدة هو الذى علم الانسان سيادته على الكون .

يقول الدكتور عماد الدين خليل : انه بعد مائة عام من نزول الايات القـــرآنية التى تمت على (التفكـــير والتسخير) استوعب المسلمون علوم ذلك الزمن واضافوا اليها وظلوا سادة العالم مدة ستمائة عام سطعت منهـــا أسماء الرازى وابن حيان والخوارزمى والبيرونى وابن النفيس وغيرهم ولم يظهر اسم أوربى واحد فى مجـــال العلوم الا بعد عـــام ١١٠٠ م ولكن علمـــاء المسلمين استمروا فى عطائهم مدة ٥٠ ســـنة بعد ذلك الى أن توقف العطـــاء .

والسؤال هو : لماذا بحث علماء المسلمين وطوروا تلك العلوم فى القرون ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ للميلاد .

هناك ثلاثة أجوبة محتملة :

١ ــ ان السبب وراء ذلك هو اوامر القرآن الكريم بالبحث والتفكير .

٢ ــ مكانة العلماء ورجال المعرفة فى الاسلام : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

٣ ــ اعتراف الاسلام بالطابع العلمى للعلم فهو لم يحجر على اتباعه تلقى العلم من اى مكان كان فالحكمة ضالة المؤمن .

والمجتمع الاسلامى نفسه مجتمع انسانى لا يعطى اعتبارا للون أو العنصر أو الاقليم الجغرافى واول مجتمع اسلامى فى عهد الرسول جسد هذا المفهوم وقد بدا العطاء العلمى فى المجتمع الاسلامى بالتراجع بعد عام ١١٠٠ م وتوقف نهائيا عام ١٣٥٠ م ، لماذا لا احد يعرف بالتحديد!

هناك عوامل خارجية تمثلت فى غزو المغول وتدمير بغداد .. ولكن العوامل الداخلية هى الاهم وتمثل فى لجوء المسلمين الى (التعليق) بدلا من (التفكير) وكذلك فى انعزالهم عما كان يجرى فى العالم وخاصة فى اوربا ، وعندما بدأ المسلمون يحسون خطر التفوق التقنى الاوربى فى القرن ١٨ حاولوا الحصول على المنتجات التكنولوجية وخاصة العسكرية منها ، وهذا الاتجاه لا يزال سائدا حتى الآن ، اتجاه الحصول على المنتجات قبل استيعاب المفاهيم العلمية التى قامت عليها وهذا يدل على جهل العلاقة الرئيسية بين العلم والتكنولوجيا .

علينا أن نعترف أولا بأنه ليس هناك طرق قصيرة للتكنولوجيا فأولا : يجب أن تصبح العلوم الاساسية جزءا من ثقافتنا ، وهذا هو الطريق للسيطرة على العلوم الطبيعية ، وعلى التكنولوجيا وعلى الذين يدعون الى (نقل التكنولوجيا) أن يدعو اولا الى (نقل العلوم البحتة) وعلينا فى الطريق الى استعادة امجاد ماضينا العلمى وأن نركز على « التدريب » العلمى القاسى لننمى طاقتنا البشرية العاملة ونسعى لاكتساب العلوم الاساسية والطبيعية ونخصص مالا يقل عن ١ ــ ٢٪ من الدخل القومى للبحث والتطوير العلمى وتخصيص ربع هذه النسبة للعلوم البحتة ، فما هو بحث الآن فهو تطبيقى غدا (النسبة المذكورة تعادل ٨/٤ مليون دولار) وحبذا لو اسس اتحاد للعلماء المسلمين على هيئة مؤتمر علمى اسلامى بحيث يتمتع العالم المسلم بحرية التنقل والاقامة والبحث فى اى بلد أو مفهوم علمى كما كان مطبقا امام ابن الهيثم وابن سينا وغيرهما دون أن يكون للانتماءات السياسية اثر على ذلك .

أن الاسلوب الحالى فى نقل التكنولوجيا للبلاد الاسلامية غير مثمر ، لقد اتفق العالم العربى وحده (٤٠٠ مليون دولار) فى عام ١٩٧٨ على عقود تكنولوجية بطريقة تسليم المفتاح وهذا الاسلوب لا يفيد علماءنا ولا مهندسينا بشىء وهذا يجعلنا مستهلكين لا مبدعين للتكنولوجيا » .

(١)

أعادة كتابة العلوم الاسلامية

ومن هنا نشأت فكرة اعادة كتابة العلوم الاسلامية على النحو الذى حدده دكتور زغلول النجار على هذا النحو :

اولا : ان المسلمين حين تربوا على الاسلام ادركوا ان قضية الاهتمام بالناحية العلمية هى قضية تعبدية بالدرجة الاولى وليست مجرد الحصول على شىء من القوة أو الغلبة أو التسلط فى هذه الدنيا ، فحين يتعرف المسلم على بديع صنع الله تبارك وتعالى فى هذا الكون فهو يتعرف على خالقه ، ولقد احصيت عدد الآيات القرآنية التى تحض الانسان على النظر فى الكون فوجدتها تفوق (٧٥٠ آية) الى جانب أن القضية لابد منها للقيام بأعباء الاستخلاف الانسانى وتسخير الكون لما أراد الله (تبارك وتعالى) .

ثانيا : لم يفرق الجيل الاول من المسلمين (وهو الجيل القدوة) بين العلم التجريبى وبين العلوم الشرعية من الفقه والتفسير ، فكان المسلم فلكيا ومفسرا وطبيعيا وفقيها . ان اهم ما يشكو منه العلماء الآن قضية التفتيت فى المعارف ، فالتخصيص الدقيق جعل الناس ينحصرون فى دوائر ضيقة فجاءت نظرتهم للحياة نظرة جزئية جدا ، نظرة غير انسانية لانها غير متكاملة ، ان النظرة الكاملة هى التى يستطيع الانسان من خلالها التعرف على قوانين الله (تبارك وتعالى) فى الكون والقيام بواجبات الخلافة فى الارض على احسن وجه ، فكلما تعرف على قوانين اكثر كانت قضية عمران الحياة على الارض أيسر ولا يمكن أن تتحقق وظيفة الانسان الشرعية على الارض مالم يحصل على العلم التقنى والمجتمع الاسلامى يحتوى على كل التخصصات ، وتبقى العلوم الشرعية (وهى ما يفهم من الدين بالضرورة) فرض عين على كل مسلم ، أما فيما وراء ذلك من التخصصات فيتبقى فروض كفاية .

ثالثا : التصور الاسلامى لقضية العلم ، تختلف عن التصور الغربى الاوربى حيث يتلقى العلم اليوم من خلال فلسفة ، حمل العالم الاسلامى تراث البشرية من المعارف فى الحضارات السابقة والمعاصرة لبعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) حضارة الفرس والروم والهند والصين ومصر القديمة ، جمع كل ذلك وصفاه بمنطق النظرة الاسلامية الصحيحة وأضاف اليه اضافات اصيلة ،

وحين اخذته عنه أوربا بعــد ذلك عن طريق المدارس الاسلامية فى الاندلس وجنوبى أوربا بصـــفة عـــامة (صقلية وجنوبى ايطاليا) ظهـــر الفارق واضـــحا ، فالمسلمون لم يجدوا فى تعاليم الاسلام وأصوله ما يمكن أن يقف حائلا دون نشاطهم العلمى بل وجدوا فى القرآن أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما يدفعهم الى ذلك دفعــا ، بينما كان الموقف مختلفا تماما فى عصر النهضة ، منذ ما بدات أوربا تأخذ بالاسباب انطلاقا من القاعدة التى علمتها لهم الامة الاسلامية ومدارسها فى شمالى أفريقيا وجنوبى أوربا .

رابعا : قدم المسلمون الدليل الذى حطم الاسطورة الوافدة عن ضرورة الفصل بين العلــم والدين ليحصل التقدم ، فقدموا نماذج على أعلى درجات من التخصص العلمى والتفوق ، وفى نفس الوقت تمثل أعلى مراتب التصور والفهم الاسلامى والثقافة الاسلامية .

خامسا : النظام العلمى الغربى بالرغم من تفوقه الملحوظ فى بناء قواعد تعليمه وتقنية جديدة ، فهو ينهار من ناحية بناء الانسان ، والمشكلة ليست فى العلم فحسب ولكن فى خلق العلم وهدفه المفقود فى الفلسفة الغربية وليست فى المعرفة بقدر ما هما فى اخلاق المعرفة .

سادسا : لقد كتب الغرب العلوم من منطلق الحادى صرف ، ثم نقــل ذلك الى العـــالم الاسلامى فلما انتهت الى المسلمين نفروا منهـــا ورفضوها .

سابعا : رؤية الاسلام الوسطية جعلت الاسلام قادرا على أن يقدم للبشرية الحل الأمثل لانه منهج وسط لا يميل الى اى جانب من الجوانب المتطرفة ، وانه النظام الروحى الوحيــد الذى يستطيع ايقـــاظ ضمير الانسان ويجعل من نفسه على نفسه رقيبا ذلك ان فهم المسلم لطبيعة مهمتـــه فى الحياة (عبـــادة الله والاستخلاف فى الأرض) مهمة أساسية لان كلا الجانبين فى مهمته مكمل للاخر ، ان فهم رسالة الانسان فى هذا النطـــاق يحقق مفهوم الاسلام فى التعبد لله سبحانه وتعالى والسعى وراء الرزق فى نطاق الايمان بالله والسعى فى كسب العلم فى اطـــار من الايمان .

(٢)

صياغة العلوم الاجتماعيـــة صياغـــة إسلامية

وفى نطاق اسلمة العلوم تعالت الصيحة الى صياغة العلـــوم الاجتماعية صياغة اسلامية وقد كتب الاستاذ اسماعيل الفاروقى عن ضرورة التفرقة بين العلـــوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، حيث أن العلوم الطبيعية هى المفتاح لتحقيق السيطرة على الكـــون وقد اطلقت الرؤيـــة العلمية طاقات هـــائلة لاستكشاف الطبيعـــة واستغلالها ولـــكن يجب التفرقة بينها وبين العلـــوم الاجتماعية والانسانية لمفهوم التجريب وقوانين العـــلم الاجتماعية والانسانية لمفهوم التجريب ووانين العلـــم المادى ، وخطأ العلماء الاجتماعيين فى أن استنتاجاتهم غير مكتملة ، ومن هنا فان العلوم الاجتماعية تعد ناقصة ومن ثم فهى غير ذات جـــدوى بالنسبة لطالب العـــلم المســـلم .

ان الاسلام يؤكد أن وصايا الله او الامر الاخلاقى يعد بالضرورة خاصا بالمجتمع ، انه بالضرورة يتصل بالنظام الاجتماعى فى الامة ولا يمكن أن يسود الا بهـــا فقد تجاوز الاسلام حدود الفضيلة المسيحية ، فى حين أن المسيحية عرفت (الخـــلاص) فى اطـــار النية اى الشعور الشخصى فى لحظة معينة فان الاسلام قد عرفه عن طريق العمل (الحياة العامة فى اطار الزمان والمكان) فقد صاغ الاسلام الايمان بالاخرويات من أجل تدعيم ذلك الصرح التاريخى من الافكار والقيم والقوانين والمؤسسات وجعل القيم الدينية والاخلاقية ليست قيمة فردية ولكن فى اطـــار الامـــة .

أما المجتمع الغربى فقد فصل بين العلوم والقيم الجوهرية تحت اســـم مبدأ (الواقعية) مما أدى الى التدهور الاخلاقى الحتمى للمجتمع ، لقد كان من نتيجة البحث الجنسى المحرر الذى أجراه (كنزى) هو تحول الانتباه عن الزنا وتركيزه على منع الحمـــل .

والغرب يقيم فكره على الفصل بين القيم ، الفصل بين النظرية والتطبيق ، الفصل بين العلوم والاخلاقية ، الفصل بين العلم وبين الالتزام الفردى .

ومن هنا فلابد من اضفاء الصفة الاسلامية على العلوم الاجتماعية سواء كانت تتصل بالفرد او الجماعة ، بالانسان او الطبيعة ، بالدين او العلم ، حتى تعيد تنظيم نفسها تحت لواء مبدأ التوحيد :

(الله تبارك وتعالى الخالق سبب الأسباب وهدف وغاية لكل شىء فى الوجود)

وأن توجـــه المعرفة للالتزام بأمره بالنمط الالهى الذى أوحى به حتى تجلب السعادة والهناء للبشر .

أما العلوم التاريخية الانسانية ، فيجب أن تعنى بخلافة الله على الارض اى خلافة الانسان والدراسة الاسلامية ترفض الاعتراف بتشـــعب العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية بل أنها تتطلب اعـــادة تصنيف فروع الدراسة وتقسيمها الى العلوم الطبيعية (التى تتناول الطبيعة) والعلوم الخاصة بالامة التى تتناول الانسان

والمجتمع فالعلوم الطبيعية تعمل على استكشاف النمط الالهى فى نطاق الاشياء المادية والمعرفة الانسانية فى نطاق الشئون البشرية .

ولاريب أن اضفاء الصفة الاسلامية على العلوم الاجتماعية يجب أن تعمل على اظهار علاقة الحقيقة مع النمط الالهى المتصلة به ، النمط الالهى بعد المعيار الذى يجب أن تعمــل الحقيقة على احلاله فان تحليل الأمر الواقع يجب الا يغفل ما يجب أن تكون عليه الأشياء

اضفاء الصفة الاسلامية على العلوم الاجتماعية يحقق :

— رسم النمط الالهى فى الشئون الانسانية .
— تحقيق ارادة الله فى المجتمع .
— تقام اخلاقية العمل الانسانى .

(٣)

هناك حقيقة يجب أن نعرفها فى دائرة البحث عن اسلمـــة العلـــوم ..

هل العلوم فى الغرب محايدة أم منحازة

لقد ترددت كثيرا دعوى باطلة بأن العلوم فى الغرب محايدة واننا يجب أن نأخذها على طبيعتها الغربية ، والحقيقة وكل الدلائل تكشف عن أن العلوم فى الغرب منحـــازة .

فالعلوم الاجتماعية وعلم النفس (صناعة اليهود) هى علوم منحازة ذلك ان كلا العلميين يخدم (الايدلوجية) وترى الماركسيين يهاجمون العلوم الاجتماعية وعــلم النفس الراسمالى والعكس يحدث أيضـــا .

وقد تبين أن كلا المنهجين لا يقوم على عمل مستقل بل هو فى خدمة هدف ، وكذلك منهج العلوم التجريبية نفسه فهو فى الدول الراسمالية يخدم هدفها وفى الدول الشيوعية يخدم هدف الشيوعية وبذلك يثبت أن العلم منحاز ؛ ولقد مضى الوقت الذى كان يطلق على نظريات الفلسفة انها علم وعلى ما يتعلق بالانسان على أنه علم ، بمعنى انه يخضع للمادة وتكشف بكل دليل اليــوم أن العلوم الانسانية لا يمكن أن تخضع لمناهج المـــادة .

وقد قدم بعض الباحثين أدلة أخرى فى هذا المجال .

١ — ففى مجال العلم الاجتماعى المعروف باسم علم (الانثربولوجيا) أو علم الانسان كان لبعض خبراء الاجانب دور تاريخى فى عهد الاستعمار التقليدى ، وقد بدأ بعضهم تحت شعار (التنمية) دورا جديدا فى استقلال شعوب العـــالم الاسلامى (العالم الثالث) فى ظــل الاستعمار الجديد ونفذ هذا الدور تحت شعار (التقدمية) ويتبنى قضايا الانسان المقهـــور .

٢ — من ناحية أخرى فالحقيقة العلمية هل هى حقيقة مطلقة ؟ لقد ثبت انها حقيقة قائمة على افتراضات متغيرة ، ومعلومات متجددة ، هذه الافتراضات العلمية نفسها لهـــا ارتباطاتها بأوليات اجتماعية منهجيـــة ، وبأوليات مبعثرة ، ففى غضون الحرب العالمية الثانية تبـــرز الوظيفة الاجتماعية للعـــلم فنجد علماء الفيزياء (العلوم الطبيعية) مرتبطون بشـــكل مباشر ببحـــوث التسليح ، فمشروع القنبلة الذرية فى أمريكا وتفجيرها فى هيروشيما ونجازاكى ، يبرهن على عدم حياد العلم وعلى انحيـــازه .

ومن الثابت ارتباط البحوث العلمية فى الدول الغربية بالمؤسسات الصناعية وان أولويات البحث العلمى نفسه تحددها الى حد كبير المؤسسات الصناعية الشىء الذى يجعلنا نؤكد أن العلم منحـــاز .

ان حاجة المجتمع هى التى تتحكم فى توظيف العلم وهى التى تفرض أوليات البحث ، واذا كان هذا فى الغرب فان فى روسيا نجد أن العلم اكثر تبعية للمذهب الماركسى وخدمة لـــه .

(٤)

نظرية النفس الغربية ليست علما وإنما هى فروض ثبت ان أغلبها فاسد

يختلف علم النفس الغربى عن مفهوم الاسلام فى عـــدة عناصر :

أولا : ينكر وجـــود الروح فى جوهرها وصفاتها وأعمالها منفصلة عن الجسد وتبقى حية بعد فنائه لان هذه الروح لا يمكن ملاحقتها أو اخضاعها للتجريب ، وبالتالى فهو ينكر وجود الله تبارك وتعالى وينكر الوجدان الدينى كما ينكر العقل الذى يسيطر على الغرائز ويعتبر الانسان حيـــوانا .

ثانيا : يرى أن كل المعتقدات الدينية يمكن دحضها باستخدام تفسيرات منبثقة من عـــلم النفس .

ثالثا : الهجوم على مصداقية العقيدة الدينية .

وكانت اول ضربة جاءت من خلال فلسفة ماركس ولينين بأن الايمان بالله والخلود والنظام الاخلاقى هـو ضرب من ضروب الزيف والخرافة .

رابعا : من اخطائه انه يعتبر الغريزة الجنسية هى المهيمنة على كل تصرفات الانسان فيضع البشر فى مرتبة اقل من مرتبة الحيوان ومن هذا التفسير الخاطىء يجعل الحياة كلها خلافا حول الجنس الى درجة انه يجعـل غاية الانسان فى الحياة هى اشـباع الغريزة الجنسية وربما كانت الحروب بين الدول بسبب النساء والجنس .

ومن المسلم ان الصحة الجنسية هى فى العفـة والسيطرة على النفس بعكس ما قال فرويد ان الصحة فى الاباحة وان الامراض النفسية فى العفة حيث تسبب ما يسميه الكبت .

وان يكبت الانسان شهواته ويلجمها أحكم واشد حزما من الاباحية والامتناع عن العملية الجنسية يزيد قوة المخ والادراك ويزيد قـوة البدن أيضا ومقدرته على مقاومة الامراض بعكس الحال عند المسرفين فى العلاقة الجنسـية .

خامسا : من أخطائه انه يجعل الانسان عبدا للدنيا والمال وتسيره غريزة التملك فيكون سـعيدا وصحيحا نفسيا اذا كان غنيا ومريضا نفسيا اذا كان فقيرا وهذا مخالف للواقع والعقل فان الفقراء يملكون فضيلة الصبر وفضيلة القناعة وفضيلة الايمان بالله ، وصحتهم النفسية والبدنية احسن من صحة الاغنياء باجماع الآراء والمؤمن سيد للدنيا والكافر عبد لهـا .

سادسا : من اخطائه انه يعتبر الانسان خاضعا للمجتمع وحده ويجعل غاية السعادة والصحة ارضاء الناس ، وهذا المذهب يشجع على الرياء والنفـاق فان القـوة والطاعة فى المجتمع هى فى ارضاء الله ولو باغضاب الناس لان قلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن .

سابعا : من أخطائه انه يعتبر الايمان مسألة خاصة ونسبية فهو ينكر وجود الله (تبارك وتعالى) ويقول أن الانسان لو اعتقد فى أى شىء فانه يتأثر به وعلى هذا فيكون الدين وهما لا حقيقة وهذا عكس كلام الله تبارك وتعالى من أن الاعتقاد فيما سوى الله لا ينفع وأن الحجارة لا تسمع ولا ترى وان النافع والضار هو الله وحـده .

الفقرات (من ٤ — ٧) سعد حسن لطفى

ثامنا : ان علم النفس ليس علما بالمعنى المتعارف عليه للعلم ، بل لا ينطبق عليـه شروط العلم الواجبة وأهمها اليقين والموضوعية وهى شروط العلوم الطبيعية

تاسعا : لغلبة الاتجاه المادى فى علم النفس جعله يتصور النفس الانسانية تصورا ماديا فهى عنده مجموعة غرائز تتطلب الاشباع المادى والمباشر ، والانسان فى اطار هذه النظرة المادية مدفوع دائما بقوى لا معقولة ومغلوب على امره تصدر عنه أعمال قهرية وكل ما يملكه العقل من « حيـل » هى تبرير هذه الافعال أو البحث عن وسائل مقبولة لاشباعها أو التسامى بها ليزاولها بصورة أجمل .

عاشرا : معظم النتائج التى توصل اليها أصحاب الاهتمامات النظرية فى علم النفس وعلى رأسهم (فرويد) استخلصت من الحالات المرضية ثم عممت على حالات الاسوياء وتبنت نماذج نظرية كاملة فى هذا الاطار الزائف .

حادى عشر : قوبلت آراء فرويد وأصحاب مدرسة التحليل النفسى عـامة بالنقد العنيف داخـل الاطار السيكولوجى ذاته وتتسع دائرة هذا النقـد ابتداء من فرويد شخصا وشخصية حتى التحليل النفسى مدرسة ، ومنهجا وفلسفة حيـاة .

(سعد حسن لطفى)

ويرى العلماء انه يجب رفض هذه المذاهب النفسية جملة وتفصيلا بسبب تضاربها ولا يجوز التوفيق بينهـا وايجاد مذهب وسط ، ذلك أن الحقيقة ليست وسطا بين خطأين ومن وجهة نظر الطب النفسى يرى أن الاستقامة هى أساس الصحة البدنية والنفسية وأن الفساد هـو أساس الأمراض النفسية وأن الايمان بالله هو العـزة والقوة والصحة وعدم الايمان أساس كل الامراض .

ولا يوجد فى علم النفس التربوى أو خلافه هـذا الباعث الذى يجعل الناس يتسابقون وينساقون فى أعمال الخير ولا ذلك الديدبان اليقظ الذى يسمونه (الضمير)

حقائق عن العلوم وأثـر النظرية المادية عليها :

١ — غلبة المادية على علم النفس ، وغلبة المادية على جميع العلوم الانسانية .

٢ — لا يوجد فرع من فروع العلم التجريبى — ومنه العلوم الفيزيائية — يؤدى الى المعرفة اليقينة .

٣ — المادية فلسفة حيـاة وجراثيمها مضمرة فى العلوم الطبيعية وأهمها الصراع بين الدين والعـلم .

٤ — أحد مصادر التحدى الحضارى الذى يتعرض له المسلمون اليوم وما يحمله تيار العلم — الوافد الينا من الغرب ومن الشرق من خلفية المادية واضحة فى طياته جعلت من الكفر بكل ماهو غير عادى مادى سمة هـذا العصر .

٥ — سـيطرة المـادية على العـلوم الطبيعية ومضمونها الالحادى مثل مبدأ (أزلية المادة) والطائفية ونسبة كل شىء فى الكون الى الطبيعة وقوانينها ومحاولة تفسير التدرج فى عمران الأرض على أنها عملية مادية تلقائية بحتـة .

٦ — ضرورة استخدام منهج دراسة الكــون فى دراسة النفس ، لان دراسة الكون والانسان واكتشاف سنن الله وتأمل آياته فيهما من أعظم الادلة على ابداعه سبحانه وتعالى وقدرته فى خلقه .

ان (الملاحظة) باعتبارها جوهــر العلم التجريبى الذى يحض عليه الاسلام هى (عملية تحليلية) فالاشخاص كالاشياء لا تعرف الا بخصائصها وسمائها كما أنها لا تميز الا بأضدادها فنحن نصف الشىء بأنه مستدير أو حــاد او ثقيل ، أو بهذه الصفات جميعا ، وبالمثل فاننا نصف الشخص بأنه يستجيب بسرعة أو بعنف أو بدقة أو بغير ذلك من الطرق والخصائص : هى تجريدات نصل اليها بتحليل الكليات وتجريد احدى السمات من كلية معنية لا يؤثر فيها لانها تظل ثابتة محتفظة بكيانها الكلى الذى هو عليه قبل التحليل .

(فــؤاد أبو حطب)

* * *

البـــاب العاشـــــر

أسلمـــــة المعرفـة

(تدم الاسلام منهج المعرفة ذا الجناحين للبشرية لاول مرة : مادة وروحا معا) بعد أن تردى فى المنهج المادى تارة والروحى تارة اخـرى .

اسلمة المعرفة هى تقديم التصور الاسلامى للمعرفة الانسانية : والمعرفة مصطلح أوسع من مصطلح العلم (الذى يقتصر على العلم التجريبى) أو التربية أو الثقافة فهى ترمى الى اسلمة نحـو عشرين علما من العلوم الحديثة التى تضطرب بها ساحة الفكر الاسلامى وهى مترجمة عن المعرفة الغربية وقائمة على عقيدة الغـرب وخصائص مجتمعه وهى فى مجموعها تختلف عن التصور الاسلامى اختلافا عميقا واسعا ، نتيجة اختلاف المفاهيم الروحية والاجتماعية والعقلية وصدور التصور الغربى من مصادر وثنية اغريقية ورومانية ومسيحية غـربية تختلف عن الدين المنزل ، ومن هنا فان استمرار تدريس هذه المواد فى مدارسنا وجامعاتنا دون تحريرها من عنصر التبعية هو خطر بالغ على تكوين الشخصية الاسلامية لانه يدفعها مرحلة بعد اخرى الى الذوبان فى أتون الفكرة الغربية وتبخر التصور الاسلامى الحقيقى وفى عشرات من العلوم التى بين أيدى المسلمين الآن تصور غربى وثنى مسيحى يختلف اختلافا عميقا عن التصور الاسلامى سواء فى مجـــال الدين او النفس او الاخلاق او الحضارة او التـــاريخ .

ولذلك فان اسلمة المعرفة تعنى اعـــادة صياغة الأمة الاسلامية وصيغها بصيغة الاسلام روحا وفكـرا ومنهجا ، هذه الصياغة الاسلامية من شأنها أن تقضى على الثنائية او الازدواجية القائمة الآن فى مناهج التعليم ومعاهده ، ويأتى هذا ايمانا بأنه لا خبرة الغرب ولا خبرة المستغربين من المسلمين بقادرة على حل مشاكل المسلمين وان الحاجة ماسة الى تحريك عقول الملتزمين بالاسلام من اهل التخصصات الحديثة فى الامة وتكليفها بحل هذه المشكلات وان اسلمة المعرفة هى الطريق الوحيد لانقاذ الامـــة .

وعلى المسلمين ان يتأملوا فى فعـل الشيوعيين عندما تسلموا السلطة فى روسيا لقد رفضوا كل العلوم الغربية واستبعدوها بوصفها علوم بورجوازيه وشعروا بالحاجة الى اعادة بناء كافة العلوم فى ضوء المفاهيم الماركسية اللاتينية ، وان على العالم الاسلامى الا يتردد فى ان ينحو نحو المثال الشيوعى ، وانه لابد من اتباع طـريقة (اسلامية المعرفة) التى يجب أن تمـر بثلاث مراحـل :

١ ـــ الاعادة والبحث والدراسة لكافة العلوم الاجتماعية والانسانية وتوضيح أوجه نقصها والعناصر التى تتلاءم مع مفاهيمنا . ٢ ـــ اعادة تعيين ما تبقى منها بحيث تتمشى مع تراثنا الأدبى والفنى والفكرى . ٣ ـــ الانتفاع الكامل بالتجارب الفكرية والمكتشفات التى حققها العالم المتحضر وفى نفس الوقت بعث الحياة فى علومها التقليدية .

وقد قـــرر الاسلام مفهوما واضحا للعلم والمعرفة ومناهجها المتنوعة للعلوم على الاسس الآتية :

أولا : ان الايمان بالله هو البداية الصحيحة لمعرفة حقيقة الكون والحياة ، والصلة بين الله سبحانه وتعالى ومخلوقاته ضرورة منطقية تفرضها حقائق الكون والحياة وقد أرسل الله تبارك وتعالى الرسل رحمة منه وفضلا لتبلغهم رسالة السماء ولتهديهم الصراط المستقيم .

وانه لابد من الايمان بوجود الله تبارك وتعالى لأن الايمان يجده الانسان عميقا فى نظرته وفى حسه ويعرفه العقل حتما ، ولان من الايمان بالغيب ، حتى العلم وان كان قائما على التجربة والحقائق المحسوسة الا أنه فى نهاية المطاف يقف عاجزا أمام بعض الظواهر ولابد من الايمان باليوم الآخـــر لان الوجود الحقيقى اكبـــر من ظاهرة الوجود ، انه الدنيا والآخرة لا الدنيا فحسب ، والوقوف عند الحس فى التعرف على الكون موقف بدائى سطحى لا يليق أن يصطدم مع الواقع حين يتسع أفق المعرفة وتعمق الخطط العلمية لابعاد الوجود .

ثانيا : ان العلم الكامل هو لله تبارك وتعالى وقد اذن الله سبحانه للناس بالتعلم والتماس العلم منه سبحانه وهذا فضل كبير منه على عباده ولقد حـــدد الله تبارك وتعالى مصادر العلم وفروعه (العلم التلقائى ـــ العلم التلقينى ـــ العلم اللدنى) . ومن العلوم ماهو فـــرض

عين ومنها ماهو فرض كفاية .. ويقرر الاسلام ترابط العلوم شرعية وتجريبية وتكاملها ولا يعسر انفصالها .

ثالثا : تقرر الاسلام حتمية ارتباط العلم بالدين وجريمة الفصل بينهما ، فالعلم يدعو الى الايمان كما ان الايمان يدعو الى العلم ، وقد ترددت الجذور الثلاثية فى القرآن جذر (آمن) ومشتقاته ٧٧٩ مرة ، وجذر (علم) ٨٥٤ مرة وهذا يدل على ان الايمان يسبق العلم وان هناك ترابطا وثيقا بين العلم والايمان .

وان أسلمة المعارف الحديثة يقتضي النظرة العميقة للمشكلة فى العالم الاسلامى من حيث أن العلوم الحديثة شيدت بطريق الخطأ على قاعدة الفصل بين الدين والدنيا ففقدت بذلك أساسها الاخلاقى .

ومن هنا يجب وضع مبادىء لاسلمة المعرفة تتلخص فى الآتى :

١ — اعتبار طلب العلم فريضة على المسلمين من المهد الى اللحد .

٢ — اعتبار العلم المفروض هو الذى يدخل فى اطار وحدانية الله عز وجل وصالح الانسانية جمعاء وتحريم البحث الذى يفقد الهدف أولا يستحق العناء .

٣ — التوحيد بين الانسان وبين معارفه .

٤ — استحالة استيعاب الفلسفات الغربية (الرأسمالية والشيوعية) داخل الهيكل الاسلامى للمعرفة والعمل لغرابتها عليه .

٥ — على الانسان أن يكون مؤمنا برسالته قبل أن يقدم على المساهمة فى برامج الاسلمة .

٦ — علوم الوحى لها مكانة متفوقة ويجب ان تنبثق منها كل الارشادات والتعاليم .

٧ — ضرورة التقارب بين العلماء الشرعيين والعلماء الطبيعيين .

٨ — اعادة صياغة الكتب المدرسية فى العلوم بحيث تعكس وجهة نظر العالم الاسلامى فى العلوم .

٩ — ابراز المساهمة الفذة التى قام بها علماء المسلمين فى هذه العلوم .

ويقرر المفهوم الاسلامى للمعرفة : أن للمعرفة مصدرين أساسيين :

هما العقل والوحى ويختص كل واحد منهما بنوع من الحقائق . أما العقل فهو الطريق لاثبات نبوة النبى الصادق ورد نبوءة المتنبىء الكاذب ، وليس من شأن العقل وضع ماجاء به الوحى موضع الشك والتحقيق فى صحته لخروج ذلك عن اختصاصه ، ولان الوحى هو مصدر مباشر للحقائق فى مصدرها ، وهو الله سبحانه وتعالى فدرجة اليقين فيه اعلى من اليقين الحاصل عن طريق العقل ، أما الوحى فهو التعليم او الاخبار الالهى المباشر للانبياء من الله سبحانه والاصل فى اختصاص الوحى : الاخبار عن حقائق عالم الغيب مما يريد الله تبارك وتعالى تبليغه الى البشر . ومن اختصاصه معرفة القيم المطلقة فى الخير والشر سواء اكان ذلك مما يستطيع العقل ادراكه أم لا ، ويدخل فى اختصاص الوحى تحديد العبادات التى أمر الله عباده بها .

* * *

مما يكشف تباين النظرة بين المعرفة الاسلامية والمعرفة الغربية موقف كل منهما من الدين والكون والانسان ذلك أن مختلف المعتقدات تحتوى على أقوال خاطئة فيما يتعلق بالكون واصله ومصير الانسان .

ونقطة الخطأ فى هذا النقد من وجهة النظر الاسلامية هى التعميم لأنه يسوى بين التراث الدينى للانسان بكل أساطيره وشطحاته وبين الاسلام باعتباره الدين الالهى الخاتم ، ولن يدهشنا نحن المسلمين دحض ماهو نتاج الحدس الانسانى بواسطة الاكتشافات العلمية .

ان المسلم يدرك أنه يؤمن بالاسلام لان الاسلام هو الحقيقة التى تنبع من الخالق ذاته ، الذى هو مصدر جميع الحقائق ، وليس كنتيجة لرد فعله العاطفى أو الواقعى لوضعه فى الكون أو كنتيجة لكون التقوى قيمة مستحبة ، أن النظريات الاجتماعية التى تتحدث عن أصل الاديان مثل الخوف البدائى والرهبة من قوى الطبيعة الغامضة وتجسيد تلك القوى أو نظريات علم النفس المتعلقة بالدين ، مثل صورة الاب التى يتم تجسيدها فى الله لا تنطبق على المسلمين ، ان المسلم لا يبحث عن شىء مهدىء ليقلل من مخاوفه أو يشرح الأشياء ولكنه يؤمن ايمانا قويا بالحقيقة العظمى : حقيقة الله والتوحيد به . لقد انهار الدين فى الغرب عندما اصطدم بالعلم لاسباب تتعلق بالدين الغربى ، وبالظروف التاريخية لنهضته العلمية ، واذا حدث ذلك فى البلدان المسلمة فلن يكون بسبب وجود صراع أساسى بين الاسلام والعالم فلا يوجد اساسا ذلك الصراع ولكن بسبب وقوع القيادة الفكرية الاسلامية فى المائة عام الماضية بأيدى الغربيين .

ان الاسلام فقط هو الذى يستطيع أن يغير الافتراضات السابقة للعلم وأن يقدم أساسا صلبا للنشاط العلمى ، ان الاسلام فقط هو الذى يقدر على تنسيق

جميع الأنشطة الانسانية بما فى ذلك الانشطة العلمية والفلسفية والفنية والاقتصادية والسياسية ، وفى الحقيقة فان كل نشاط فى الاسلام يعتبر عبادة لله لو انه كان يتم اداؤه لتحقيق الهدف الذى خلق الانسان من اجله ، وهو أن يكون خليفة الله فى الارض وهذا المفهوم للعمل لا يوجد فى الواقع أى مبرر لاصدام بين العلم والاسلام ، ان العلم هو تنظيم للمعرفة الانسانية وليس تنظيما للعالم ، وبذلك فهو لا يفرض علينا اية رؤية معينة للكون ، ان المادية والحتمية المثالية وغير ذلك من المذاهب تعد فلسفات فيما وراء العلم ولا تنبع من العلم بطريقة منطقية . واذا كان العـــلم يستطيع تنظيم المعرفة الانسانية عن طريق تجزئتها الى موضوعات محل بحث والى افتراضات محل اثبات فان (قضية الالوهية) بعيدة عن متناوله ، ان الحقيقة البسيطة هى ان الانسان اذا توصـــل الى اثبات وجود الله ، فانه يكون قد عبر عن الله من خلال تصوره هو ، وأن الدرس الذى يجب أن نتعلمه جيدا هو اننا يجب الا نحاول السعى وراء اثباتات لوجود الله فى نطاق المعرفة الانسانية ، أليست آيات الله كافية للبشر ؟!

ان الرؤية الاسلامية للعلم تعطيه القـــدرة على تصنيف المعرفة الانسانية تفاريق وأجزاء ، أما الرؤية الكاملة للعام فانها خارج نطاقه ، والعقل المسلم ينبغى أن يلتزم بأساسيات فاذا كان العقل بصفة عامة يستطيع أن يناقش صـــفة محمد كرسول أو يرفض دعـــواه فى الرسالة قبل أن يدخل الى الاسلام فانه عندما يسلم لا يملك مطلقا الحق فى هذه المناقشة وعندما لا يكون الشىء قابلا للملاحظة فانه يكون موضوعا لا شأن للعلم به ، وكل ماهو فى عالم الغيب يمثل حقيقة اسلامية مؤكدة ، ولكن ليس عن طريق العقل والعلم دائما عن طريق الوحى والايمـــان .

أما الرؤية الاسلامية لعالم الغيب والشهادة فـــان القرآن يعلمنا اياها على النحو التـــالى :

١ ــ ان الله الخالق مريد فاعـــل ليس كمثله شىء .

٢ ــ ان الخلق ليس أثرا ضروريا لتجلى قدرة الله ولكن الله يخلق ما يشاء .

٣ ــ ان الكون بكل ما فيه حقيقة وليس وهمـــا .

٤ ــ ان كل شىء خلقه الله منحه تركيبا وشـــكلا وحجما معينا ثم زيد بالهداية .

٥ ــ ان خلق الله يتسم بالكمال ويوجـــد توازن وانسجام من العمليات المختلفة وسوف يستمر ذلك الى ما شاء الله . (محمد معين صديقى)

هذا هو الفـــارق العميق بين المعرفة الاسلامية والمعرفة الغربية .

(ابحاث سعيد محمود عرفة ، محمود غازى ، كارم السيد غنيم ، اسماعيل راجى الفاروقى) ..

ولقد رسم الدكتور اسماعيل راجى الفاروقى خطة العمل المؤدية الى أسلمة المعرفة على هذا النحو :

اولا : اهداف خطـــة العمل هى :

١ ــ اتقان العلوم الحديثة . ٢ ــ التمكن من التراث الاسلامى . ٣ ــ اقامة العلاقات المناسبة بين الاسلام وكل مجالات المعرفة الحديثة . ٤ ــ البحث عن وسائل الربط الخلاقة بين التراث والمعرفة الحديثة . ٥ ــ الانطلاق بالفكر الاسلامى فى المسار الذى يقـــوده الى تحقيق سنن الله تبارك وتعـــالى .

ويجب أن تتم عملية مسح شامل لكل عـــلم من العلوم ، نشأته وتطوره التاريخى ونمو مناهجه واتساع ميدان رؤيته ، حتى يمكن أن يقف المسلمون على أساسه وأن يتفقوا على الجهود التى سيبذلونها فى أسلمته من حيث طبيعته وتاريخه وخصائصه وحدوده ويجب أن يظـــل تراث الاسلام هو نقطة الانطلاق فيمـــا يتعلق بأسلمة أى علم من العلوم ، ان اسلمتنا للعلم ستكون ضحلة جدا اذا لم تأخذ تراثنا فى الحسبان ولم ننفـــع بنظرات اسلافنا الثاقبة . وأن العالم المسلم الذى تدرب فى الغرب كثيرا ما ينهزم أمام استغلاق التراث الامر الذى يدفعه بقوة الى الاعراض واليأس والحكم بأن ليس فى التراث شىء حول موضوع البحث مع أن الحقيقة أنه هو الذى لا خبرة له بتصنيفات التراث التى تدرج تحتها مثل تلك المـــادة الملائمة لموضوعه وعلينا فى سبيل اســـلمة المعرفة الاجابة عن ثلاثة أسئلة ..

الاول : ماهى مساهم التراث الاسلامى ابتداء من القرآن وانتهاء بالمجددين المحدثين فى حملة القضايا التى يثيرها هذا العـــلم ؟

الثانى : كيف تتطـــابق أو تتعارض مســـاهمات التراث الاسلامى مع ما أنجزه العلم وأين وصل التراث الى مستوى رؤية هذا العلم وآفاقه وأين قصر عنهـــا أو تخطاهـــا ؟

الثالث : ما مدى معرفة المجالات والقضايا التى يجب أن تبذل جهود المسلمين مستغلا لسد النقص فيها ؟

تتم خطة اسلمة المعرفة بمنهج متكامل كما يلى :

الأول : أسلمة التعليم والغاء ثنائيته التى قسمته الى نظامين اسلامى وعلمانى ويجب أن يندمج النظامان ويتكاملان فى نظام واحد وأن يشبع بروح الاسلام ليصبح

جزءا وظيفيا لا يتجزأ من برنامجه الفكرى ، ويجب الا يسمح لهذا النظام الجديد أن يظل تقليدا للغرب ولا أن يترك حـــرا يخط لنفسه اى طريق بل يجب ان ينـــاط بالنظام التعليمى رسالة ، محددة ، هذه الرسالة هى نقل الرؤية الاسلامية وتربية الارادة لتحقيقها فى الزمان والمكان .

ويتم تقييد ذلك عن طريق ما يلى :

أولا : فرض دراسة الحضارة الاسلامية . .

ان دراسة الحضارة هى الطريق الوحيد لتنمية معنى الشخصية فى الفرد وكيف يكون على وعى بذاته من لا يعرف أسلافه ؟ أعنى من لا يعرف الروح الذى بعث فيهم الحيـــاة .

ثانيا : أسلمة المعارف الحديثة . .

على المتخصصين من علماء المسلمين أن يتقنوا كافة العلوم الحديثة وأن يفهموها حق الفهـــم وأن يصبح فى حوزتهم وطوع أمرهم كل ما يمكن أن تقدمه من فوائد وعليهم أن يدمجوا هذه المعارف الجديدة فى بناء التراث الاسلامى عن طريق الحذف والتعديل واعادة التفسير والتكييف لكل مكوناته طبقا لمـــا تمليه قيم الاسلام ونظرته الى العالم ومن الواجب أن تحدد بوضوح جهة التلاقى والملاءمة بين الاسلام وفلسفته كل عـــلم .

ثالثا : القضاء على الانشطارية والثنائية . .

١ ـــ القضاء عى الفصل بين الوحى والعقل . ذلك أن هذا الفصل أمر مناف لروح الاسلام كله ومعارض لما فى القرآن من دعوة أساسية للعقل أن يزن كل الامور بميزان العقل وأن يفضل الامور الاكثر معقولية والمنهج المتسم بالوسيطة . ان دعوة الاسلام عقلية وانتقادية ، خلافا لتلك الأديان التى تحاول أن تجرف عقل الانسان وتسيطر على ضميره بغية أن يسلم راغما بمـــا ليس بمعقول ، بل بما هو سخيف .

ان الاسلام يهيب بالناس دائمـــا أن يستخدموا ذكاءهم والا يقول أحدهم الا الحق الذى هو على يقين منه والا ينعزلوا بحال عن الواقع ، ولا تخلو صفحة من صفحات القرآن من مثل هذا الحث والالزام وبدون العقل لا يمكن أن تدرك حقائق الوحى ادراكا كاملا أو تنكشف طبيعتها السماوية أو يعترف بها وبدونه تستوى دعاوى الوحى مع غيرها من الدعاوى الباطلة ، واذا قبل الوحى على غير أساس من العقل فانه يكون قبـــولا شخصيا اعتباطيا قابلا للتبدل وليس لأى أطروحة دينية قائمة على أساس المزاج الشخصى أن تزعم أنها مستحقة للقبول لدى البشر جميعا أو لدى نسبة معتبرة منهـــم لفترة طويلة وحين بالغ المسلمون فى التأكيد على الحدس على حساب العقل أدى ذلك الى فتح الابواب لفساد العقيدة ، ان عدم فصلها عقليا عن اللغو يعطى الفرصة لخرافات وحكايات العجائز أن تتزيى بزى الحقيقة وتتسرب الى العقيدة ، ومثل ذلك تماما ، أن المبالغة فى التأكيد على (العقل) على حساب العقيدة الحدسية قد أفسدت حياة العقل اذ حجمته فى المادية والنفعية والآلية والخواء .

٢ ـــ الفصل بين الفكر والفعـــل . .

عندما انقسمت الرابطة بين الفـــكر والعقـــل فى المجتمع الاسلامى حتى بدا كل منهما يتدهور فأصحاب القيادة السياسية ومن بيدهم القوة ينتقلون من أزمة الى أزمـــة محرومين من الانتفاع بفـــكر العلماء ومشورتهم وحكمتهم ، كانت النتيجـــة تخبطا فى العمل ينفـــر من الموضوعات الجيدة ويضع القادة فى مزيد من العزلة ، أما المفكرون فقد أصبحوا غرباء ومبعدين عن المشاركة الفعالة فى شئون الامة .

منهج اسلامية المعرفة :

ان أسلمة المعرفة أساس ضرورى لازالة الثنائية الموجودة فى النظام التعليمى وهى بدورها أساس لازالة الثنائية من الحياة وعلاج انحراف الامة وتقوم المبادىء الاساسية لذلك على عـــدة قواعد :

وهى وجدانية الله (تبارك وتعالى) ووحدة الخلق ووحدة الحقيقة ووحدة المعرفة ووحدة الحيـــاة ووحدة الانسانية .

والمعرفة الاسلامية تعتبر أن كل شىء فى نطـــاق المعرفة انما يحقق غاية أرادها الله تبارك وتعالى أو يخدم غاية أخرى مرادة الله تعالى أيضـــا .

وأن الامانة الالهية حملها الانسان . وأن الانسان وجـــد لحمل الامانة وأن الارادة الالهية على ضربين : الأول : السنن الالهية التى يجرى الكون على أساسها وهى قوانين الطبيعة وهذه السنن ثابتة ومتحققة على مستوى الكون كله . وتفهم عن طريق الوحى أو العقل . الثانى: مايحققه عن طريق الحرية والاختيار وهى القوانين الخلقية أن حمل الانسان للامانة الالهية يجعله فى مقام الخـــلافة أو النيابة وتتمثل خلافته فى انقـــاذ القوانين الاخلاقية .

والاسلام لا يفصل الدين عن الدنيا ، ومنهجه لبناء الثقافة والحضارة منهج شامل .

الباب الحادى عشر

أسلمة الفن

(١)

لقد قدم الاسلام مفهوما للفن يقوم على أساس التوحيد الخالص . فالجمال فى الاسلام هو منطلق للتعرف على عظمة الخالق ، فى منظر السماء الزرقاء ، أو البحر الغوار ، أو الوردة الجميلة ، أو الجبال المجللة بالثلوج، وما من منظر من مناظر الجمال الا وهو مصدر للتعرف على عظمة الله تبارك وتعالى والاقرار بجلاله ، ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى فى قوله تبارك وتعالى :

(الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير)

ومن هنا كان الفن مصدرا للايمان فان النفس المؤمنة المخبتة لله تبارك وتعالى تنتقل بمجرد النظر الى الجمال والفن من الكون الى المكون وتذكر جلال الله وقدرته على هذا الصنيع الباهر الذى يرتد الطرف امامه حسيرا .

وهو الخالق العظيم الذى صنع دوائر الفن جميعا فى الورود والازهار بألوانها العديدة واحجامها العجيبة المتعددة وربط بين زرقة السماء وبياض الغيوم وخضرة الزرع وجعل الفاكهة أصنافا ومذاقات ، ومن هذا العطاء الالهى كله نشأت الفنون والاشكال اما الآداب والفنون التى تتفنن الطبيعة فى جمالها الذاتى دون ان توصل الى الله تبارك وتعالى فهى فنون ضالة لا قيمة لها .

فالفن فى الاسلام يقوم على الارتباط بالله أساسا ولا تعارض التوحيد باحياء الوثنية ، ولا تخلد الفانى ، ويقدم الاخلاقى على الجمالى وكان أبرز معالم القيد الاسلامى هو (التجريد)

ولقد أحسنت دكتورة لوى لمياء الفاروقى حين قالت : أن عنصر الجمال الهام فى الفن عند المسلم ليس التمثيل الجمالى للجسم البشرى ، ولا فى الرمز لحقائق الطبيعة بل ان الفنون الاسلامية اينما وجدت سواء أكان ذلك فى أفريقيا أو جنوب شرق آسيا أو فى أى جزء من اجزاء العالم : هى فنون تجريدية كلها ، ومن اجل ذلك فليس هناك مما يصور الطبيعة أو الانسان ما يمكن أن يثير فى عقل المشاهد أو وجدانه هذه المعانى العميقة التى تحركها هذه الجملة التى تبدو بسيطة فى ظاهرها وهى جملة (لا اله الا الله) .

فالتجريد يستمد من فكرة التوحيد التى تقول بأن لا اله الا الله الواحد العالم المسيطر الرحمن الرحيم وخالق هذا الكون كله . ذلك أن صفات الله فى الاسلام تجعله لا نظير له وهو عز وجل منزه عن كل شىء وليس كمثله شىء فى الارض ولا فى السماء .. وعلى ذلك فليس هناك ما يمكن أن يستخدم كرمز للذات الالهية أو ما يقوم مقامها ويعنى هذا أنها ترفض تمثيل الأشخاص أو اتخاذ هذا التمثيل مجالا لها ومن أجل هذا ابتكر الفنان المسلم وطور واتقن مجموعة من المواضيع المجردة التى تثبت صلاحيتها للتعبير عن النواحى الجمالية فى رسالته الدينية وفى مقدمة ذلك الخط العربى والشكل الهندسى والاشكال النباتية .

وقد حرص الفنان المسلم على البعد عن محاكاة الطبيعة وعالم الطبيعة الواقعى بشكل مباشر وتوجه الى العالم العلوى المجرد وكان مبدأ محاكاة الطبيعة من خلال التجريد الذى يتطلبه فكر التوحيد ، ويرمى البعد عن الواقعية الى تحرير الانسان المسلم من انشغاله بذاته ومن انشغاله بالطبيعة ايضا حتى يتفتح عقله تماما لتأمل العالم العلوى .

(٢)

يحدد الدكتور محمد كمال جعفر تميز المفهوم الاسلامى للفن فى خمس نقاط :

اولا : ينفرد الاسلام بتماسك نظرته الجمالية والفنية وتكاملها وتناسقها وتلاقيها فى نظرته الى الحق والخير وبهذا يكون النمط الفريد وذلك فى مقابل التباين والانفصام بين اجزاء النظرة الغربية الحديثة للجمال .

ثانيا : تسمح النظرة الاسلامية بالحقيقة الموضوعية للجمال الموجود فى الطبيعة والمصنوع بين الانسان وذلك يعنى أن اعجابنا بالجمال وتقديرنا له ليس تغيرا ذاتيا محضا لا أساس له من الواقع كما يدعى

ذلك بعض المحدثين الذين يرون ان الطبيعة خرساء مالم ينطقها الانسان .

ثالثا : تفى النظرة الاسلامية بالنوعين المشهورين للمتعة الجمالية ..

أولهما : هذه المتعة العابرة التى يصاحبها استرواح النفس والاسترخاء بعد العمل المضنى وهدوء الاعصاب وثانيهما : المتعة التى تنعش الذهن وتوقظ الحواس وهذه المتعة الحقيقية الكاملة التى يحققها مصدر جمالى قيم وهى : المتعة التى يحرص الاسلام على تغذيتها وانمائها

رابعا : تشد النظرة الاسلامية انتباهنا دائما الى ما وراء حواسنا حفزا للهمم واتاحة التمتع بأرقى مجالى المطبوع والمصنوع ومعنى ذلك ان الاسلام لا يرضى لمعتنقه ان يكون سطحيا او شكليا .

خامسا : تحرص النظرة الاسلامية على رعاية كافة الملكات والطاقات الانسانية ولا ترضى مطلقا ان تعطل ملكة او تهمل طاقة او تركن جارحة او عضوا لان فى ذلك تعويقا لسير الحيــاة .

وتعتبر النظرة الاسلامية فى مجال الجمال والفن الطاقات النفسية ثروة تفوق قيمتها اية ثروة اخرى عند ذوى البصيرة والعقل المستنير .

فى ضوء هذا المفهوم الاسلامى للفن ، يتبين ان هناك خلافا واسعا وعميقا بينه وبين مفهوم الفن الغربى ومن هنا فان على المسلمين الا يقبلوا مفهوما وافــدا ولا يحكموا هذا الفنك الوافد فى تفسير الفن الاسلامى ، وقد تبين ان الدارسين الغربيين فشلوا فى تفــهم روح الفن الاسلامى وادراك اسلاميته حينما طبقــوا عليه معايير الفن الغربى واصدروا احكاما جائرة مصدرها العجز عن تقدير ذاتية هذا الفن وارتباطه بروح الاسلام البعيدة عن الوثنية والاستعلاء على الطبيعة وتخليد الجوانب الفانية منهــا ..

ويمكن ان يوضع مفهوم الفن الاسلامى فى عــدة نقاط اساسية :

اولا : ليس العمل الفنى الاسلامى تقليدا للطبيعة .

ثانيا : رفض كل ماليس بحقيقة ممثلة فى « لا اله الا الله » .

ثالثا : تنزيه الخالق وحده وفناء العالم المخلوق .
رابعا : ان تؤخذ الكلمات والتصورات والافكار التى تعبر عن الذات الالهية بلا كيف حيث لا يمكن التعبير عنها بشىء .

(٣)

يرى كثير من الباحثين ان القــرآن الكريم تمثيل النموذج المثالى لكل الاعمال الفنية سواء اكانت من فنون القول او من غيرها .

اولا : انه الكتاب الذى لم يهتم برواية القصص كسلسلة من الأحداث ولم يحاول وصف الناس او الافراد او الاشياء كذوات طبيعية محددة ، ان القرآن الكريم هدفا آخــر خلاف وصف الافراد عند البشر او الاشياء فى عالم الطبيعة وعندما قص القرآن القصص لم يرو القصة مرة واحــدة وبشكل نهائى لمــا هو فى الاعمال الدرامية او الملحمية المعروفة بل ان القصة الواحدة تروى اكثر من مرة وبغرض الدرس او المغربى المقصود منهــا بشكل يختلف فى كل مرة عن المرات الاخرى بشكل طفيف وهو بهذا يقدم نموذجا رائعــا للمبادىء الاساسية للفن : (التجريد — التحوير) ومحاولة البعد عن الطبيعة فى المعالجة الفنية ، وكما ان القرآن رفض ان تكون القصة التقليدية والوصف التفصيلى للحوادث والبشر هو محور موضوعاته فــان الفن الاسلامى قد فعل نفس الشىء وعندما تعرض القرآن لبعض الامور فقد عالجها بطريقة التحوير ولم يحاول ان يؤكد هويتها المادية الطبيعية .

ومن هنــا وضع القــرآن الاساس الاول للفن الاسلامى وهو الابتعاد عن التشبه بالطبيعة وتجسيمها .

ثانيا : ان التركيب اللغوى للقرآن جاء مصدر ايحاء للفنان المسلم وكل آية فيه يمكن أن تعتبر وحدة فنيــة كما أن كل آية يمكن أن تعتبر عنصرا قائما بذاته وليس لاى آية اهمية او اسبقية على آية غيرها ، كمــا أنه لا توجد آية بعينها تحــوى معنى النهاية او الخاتمة لسلسلة ما قبلها من الآيات .

ان طبيعة هذا الكلام القرآنى المحكم توحى وتؤكد فكرة تكرارية النموذج بشكل لانهائى ومستمر .

ثالثا : ان الاسلام (عقيدة التوحيد) قد اثر تأثيرا قويا وعميقا فى الفن الاسلامى ، وهو فن فرضته طبيعة الرسالة الدينية التى سادت هذه المنطقة وشكلت ظاهره وباطنــه .

فــالفن الاسلامى لا ينتج الا من التــزام عميق بالمبادىء الاساسية التى يقوم عليهــا .

رابعا : الفن التجريدى الغربى لا علاقة له بالتجريد فى الفن الاسلامى .. ففى الفن الاسلامى ينشأ التجريد عن مبدأ دينى فنى بغرض الابتعاد عن وصف الطبيعة وذلك لجذب انتباه المشاهد الى فكرة السمو الاسلامى أما التجريد فى الفن الغربى فى القرن العشرين فهو رد

فعل للمغالاة الواقعية المبالغ فيها فى فنون القرن ١٩ فقد وجد الفنانون بعد أن اتخموا بوصف الطبيعة انهم فى حاجة الى من يجاوز هذه المرحلة الى احساس اعمق من مجرد السطح القريب وقد أدى ذلك الى تشويه الواقع والثورة عليه ، الا انهـم لم يفقدوا ارتباطهم الكـامل بالشخصية الانسانية أو واقع الطبيعة .

خامسا : وجه كثير من الباحثين الغربيين المتعصبين اتهامات كثيرة للفن الاسلامى من باب الحقد والكراهية على النحو الذى عرف فى كتابات كريزول وهرتزفيلد ، أما كريزول فقد حاول انتقاص الحضارة الاسلامية وابراز تفوق الحضارة المسيحية عليها ووصف العمارة بأنهـا عمارة المسلمين وليس العمارة الاسلامية وغـض من عمل عبد الملك والوليد فى بناء قبة الصخرة .

أما هرتزفيلد فقد انتقد استخدام الكتابة الدينية فى الفن الاسلامى وقال انه لا شك تعبير عن التعصب لدى المسلمين أن يكتبوا على اى عمل من الاعمال الفنية انه من القرآن او الشهادتين أو عدد كبير من عبارات التهانى وطلب البركة يشكل لهـا معنى ..

(دكتورة لوى لمياء الفاروقى)

* * *

البـــاب الثانى عشـــر

أسلمـــــة مفهـــــوم الحضـــــارة

(١)

يجب أن ننطلق فى فهم الحضارة « اسلاميا » من منطلق القرآن الكريم والسنة النبوية وان نحدد أولا الاطـــار الاسلامى لهذا الفهم ايمانا بأن للاسلام مفهوما للحضارة يختلف اختلافا واسعا وعميقا عن مفهوم الغرب وانه وان طرح فى افق الفكر الاسلامى عشرات الابحاث التى حاولت أن تصور للمسلمين الحضارة بمفهوم غربى أو بدعوى أن الحضارة غربية أساسا وأن الاسلام ليس الا مرحلة فيهـــا بين حضارة اليونان وحضارة الغرب القائمة ، فان هذا التصور غير مقبول اطلاقا لانه لاتعتمد على حقيقة علمية صحيحة وانما هو من اهواء الاستعلاء الغربى الذى يتصـــور أن الجنس الابيض هو الجنس الاعلى والممتاز الذى صنع الحضارة وهو استعلاء ان يطول أمره .

والواقع أن الحضارة الغربية المعاصرة هى عصارة حضارات عديدة أغلبها نشأ فى المشرق ، وكان الاسلام هو أبرز هذه الحضارات عطاء من اجـــل قيام المنهج العلمى التجريبى ركيزة هذه الحضارات والذى هو من صـــنع المسلمين وان كان الغربيون قد تجاهلوا هـــذه الحقيقة أو اخفوها فالى أمـــد .

وقد أكدت أبحاث العلماء المنصفين بأن الاسلام قدم مفهوما للحضارة كان ولا يزال جديدا على البشرية قوامه التوحيد الخالص على أســـاس الرحمة والعدل والاخـــاء البشرى مسقطا اهـــواء الحضارات القديمة وخاصة عبادة الاوثان ، وعبودية الانسان للانسان من خلال فلسفات قامت على الاجناس العليا من السادة والدنيا من العبيد فقد حطم الاسلام هذا المفهوم وكما حـــرر الانسان فقد حـــرر المـــرأة وكرمها وازال واد البنات والرق وبذلك حرر العبيد والاماء وفتح لهـــم باب المكاتبة والعتق ، وهكذا قـــدم الاسلام مفهـــوما للحضارة تختلف اختلافا جذريا عن حضارات ما قبـــل الاسلام : الرومانية والفرعونية والفارسية وكـــذلك بالنسبة للحضارة الغربية المعاصرة .ر

وحين يقرر الاسلام مفهوما متميزا للحضارة فاننا مطالبون بأن ننظر من خلاله الى الحضارة المعاصرة التى قامت بمفاهيم المنهج العلمى التجريبى الاسلامى ولكنها انحرفت عنه وتجاهلت البعد الربانى وأوغلت فى الاعتداد بالانسان وغلت فى رعاية الذات الانسانية على نحـــو تأكيدها وجعلها وحدها الحقيقة ، فأصبح اشباع رغباتها هو معيار الخير والشر .

وعلى حـــد تعبير الدكتور اسماعيل الفاروقى : لقد غلا الغرب فى استغلاله للطبيعة واستثمرها وطوعها لاشباع رغباته دون وازع اخلاقى مما ادى الى قلب توازن الطبيعة فى كثير من الحقول ، ومضى فى تالية الرغبات واحترام الذات وكانت فريستهم هى الطبيعة فتمكنوا منها وتفجرت لديهم ينابيع المعرفة الطبيعية فنشأت العلوم وترعرعت . ولقد أسرفت حضارة الغرب فى استنزاف ثروات الطبيعة وتوجيهها نحو الترف والفساد والانحلال وهى بذلك « تقف على طريق معارض للهدف الربانى معارضة للتسليم بكلمة الله والتساوق والانسجام مع خلائقه ونظمه وسننه فى العالم فالانسان الغربى منشق على نواميس الكون متنافر معها بدءا ومصيرا » .

ويمكن القول فى تبسيط شديد أن الحضارة الغربية خالفت منهج الله وخرجت عليه ومن أجل ذلك فهى تتلقى الضربات المتـــوالية فى مختلف مجـــالاتها السياســـية والاجتماعية والاقتصادية لانها عجزت عن أن تتواءم مع الفطرة أو توازن بين قيم الروح وقيم المـــادة .

فغلت فى القيم المادية وتنكرت تماما لقيم الروح .

ولذلك فاننا يجب أن نكون لنا نظرتنا المستقلة الى الحضارة الغربية وان نزنها بميزان الاسلام وان نقضى قضاء تاما على ظاهرة الانبهار والموالاة الخادعة التى تعنى فى الحقيقة تنكـــرنا لمفهومنا الحقيقى للحضـــارة ودورها فى المجتمعات الانسانية .

ويجب أن نفهم أن أزمة الحضارة الغربية اليوم هى نتيجة انحرافها عن طريق الله واستعلائها على قوانين

الامم ونواميس المجتمعات فليس وصول الحضارة الى كشف اسرار العلم هو بذاته مصدرا من مصادر النجاح الحقيقى ، الا اذا وجهت العلم وجهته الربانية الصحيحة واذا كانت الحضارة الغربية قد وصلت عن طريق العلم الى انكــار الخالق والى الخروج عن منهجـــه والى الاستعلاء على دين الله الحق ، فانها بذلك تمهد لنهايتها المحتومة وهى نفس النهاية التى وصلت اليها الحضارات الســـابقة .

لقد عجزت الحضارة بعد ان يسر (الله تبــارك وتعالى) لها الكشف عن بعض قوانين العلم والتكنولوجيا ان تتجه الى الهدم والتدمير وان تضع كلمة (الطبيعة) مكان كلمة الله ، وان تندفع فى الطريق المادى الخالص متنكرة الروح والتوازن بين مقدرات الانسان نفسه حتى تحــطم ذلك الانسان على صخرة الشهوات والادمان والخمر والأمراض الزهرية والدعارة والغلمة وتبادل الزوجات وتقنين الشذوذ الجنسى .

يقول مارتن بولى فى كتابه (انسان المستقبل). لقد بدأ الانهيار فعلا فى المجتمع الصناعى بانهيار بنيان الأسرة وسلطة الاب بعد ضعف وانقطاع الصلة بين الاصول والفروع والجدود والاعمام والعمات .. بل ان الاطفال انفسهم ينزعون اليوم الى مغادرة البيت فــور انتهائهم من الدراسة ، بل ان الزوجة نفسها التى تعتبر آخــر حجر فى بنيان سلطة رب الاسرة بـــدأ وضعها يتغير ، اولا بالتمرد على الالتزامات التى توثقها الاسرة وثانيا باخراج عدد كبير من الزوجات فى العمل خارج المنزل ثم تزايد معدل الطلاق ، حتى العلاقة بين الآباء والابناء أصبحت تعصف بها الشكوك بعد سيل الدراسات والنظريات التى تبين العلاقة الوثيقة بين الشذوذ العقلى والعلاقة الاسرية فى الغرب وساهم التليفزيون كعامل اساسى فى القضاء على الحياة العامة وسياسات الجماعة فقد خلط تصورات العالم الحقيقى بتصوراته الخاصة وخلق حقائق جديدة ، لقد دمرت العرف الافكار العظيمة وقضت على الأسرة واطاحت بنظام الزواج وسفهت الحب الرومانى وتلصت الديمقراطية التقليدية الى اسطوانات دعائية مسجلة » .

ويشير والتر شوبارت : الى جانب آخــر فيقول :

ان الروح الغربية يتفشى فيها الخوف والقلق ، وهى شديدة الأثرة نزاعة الى الفردية محبة للتنافس ، ان الغرب قد جعل الانسانية ذات تراث واسع بتفوقه فى الصناعة ولكنه جــرد الانسان من الروح .

ان الفرد من خلال هذا النموذج الثقافى ، لا يعنى بخلاص روحه وانما يهمه فرض سلطانه وتوسيع دائرة نفــوذه .

ويقول الفيلسوف بيريج سوركن :

ان كل جانب من حيـــاة المجتمع الغربى ونظامه وثقافته ، انما هو فى أزمة طاحنة ..

ان جسد المجتمع الاوربى مريض وعقله مريض ، لاتوجد نقطة ضعف واحدة على جسده الا ويعتورها الالم، وقد اضطرب جهازه العصبى بجميع اليافه العصبية فلم يعد قادرا على اداء عمله على النحو السديد .

فالمجتمع الغربى فى أزمة شاملة والمرض تفشى فى جسده وعقله وفى حضارته وثقافته وفى سلوكه وفكره ؛ ان ثقافته الحسية تحتضر وتموت والامل يراود سوركين بزوغ فجر ثقافة مثالية جديدة وتعيش أوربا اليوم فى عتمة وتضطرب خطواتها ويحل عليها الليل فترة انتقال بظلامه وكوابيسه المزعجة .

ثمة خطر جسيم فى بناء الثقافة الاوربية الا وهو نظرتها الى الانسان وحياته ومكانته فى العالم ، والاحداث الواقعية فى الحياة الاوربية والامريكية تبرهن على وجود هذا الخطأ المميت ، فقوة العلم تستخدم لابادة البشر (٦٠ مليون قتيل فى الحرب العالمية الثانية) وتدمــير المدن والتقدم العلمى الصناعى لم يقرب الاوربيين من مثلهم الاعلى وهو الســـعادة .

صفوة القول : اذن ، ان قوة العلم قد سخرت لابادة الانسان نفســـه ومعرفته المتنامية ابعدته عن السعادة وعن فهم نفسه وحياته وهذا هـــو التناقض بعينـــه .

(٢)

فاذا كانت هذه شهادة أهل الغرب فى حضارتهم فما هو موقفنا نحن ؟ لقد حـــاول الغرب أن يحتوينا بحضارته ، حين فرض نموذجه على المجتمعات الاسلامية وحجب عنها شريعتها وسيطر على اقتصادها وقوانينها.

وكانت دعوة التغريب والغزو الثقافى ترمى الى فرض المنهج الغربى وتبنى طريقة معيشة الغرب الحديثة بدعوى انها الوسيلة الوحيدة التى ترفع المسلمين الى مستوى البلاد المتمدينة وبالرغم من أن هذا الاسلوب قد فرض على المسلمين وساروا فيه شوطا طويلا الا انهم لم يستطيعوا عن طريقه أن يحققوا اى تقدم حقيقى على النحو الذى حققته اليابان حين استطاعت أن تستوعب اسلوب الغــرب التكنولوجى وتحافظ فى نفس الوقت على شخصيتها الخاصة بقيمها وعقائدها ، أما بالنسبة لعالم الاسلام فقد حرص الغرب على ان يدمر قواعد الذاتية الاسلامية وفى نفس الوقت لا يمــكن المسلمين من امتلاك الاسلوب العلمى ، وكان اسلوبه فى التعليم

موجها اساسا الى تخريج مغربين يؤمنون بالتفسير الغربى لتاريخهم وتقاليدهم ويرغبون فى الانصهار كلية فى حضارة الغرب ومن ثم فان الريادة الفكرية الآن فى العالم الاسلامى هى ريادة مغربة مدخولة لا تفهم ولا تؤمن بالفوارق العميقة بين الحضارتين الاسلامية والغربية .

بل انها تعادى الفكرة الاسلامية عداء شديدا لانها منحازة الى المنهج الغربى أو المنهج الماركسى ، تركز على الدفاع عن وجودها وترى فى البناء الاسلامى خطرا عليها .

أن جميع النظريات الوافدة التى حملها الغرب الى البلاد الاسلامية هى مجموعة من النقائض حاولت ان تشكل بالمزج أو التركيب نظرية ملفقة واضح فيها التمحل والصناعة ولذلك فهى لم تستطع أن تقدم شيئا نافعا لانها ضد طبائع الاشياء وضد الفطرة ، فهى جماع مختلط غامض من القومية والماركسية والاشتراكية والثورة والاسلام على بعض الوجوه ، ولقد فشلت كل هذه المحاولات فى أن تقدم شيئا ايجابيا نافعا .

(٣)

ومن هنا فان هناك مجموعة من الحقائق يجب ان تكون واضحة أمامنا . ونحن بسبيل عرض المفهوم الاسلامى للحضارة :

أولا : ليس النمط الراسمالى الذى عرفته أوربا هو النمط الأرقى .

ثانيا : المشروعات المستقبلية التى تقوم على أساس هذا تخطاها الواقع .

ثالثا : المجتمعات التى تكونت بعد سيطرة الرأسمالية الاوربية على اغلب بلاد العالم ليست مجتمعات أصيلة بل تابعة هجينة انقطعت عن مسارها التاريخى ولم تأخذ مسار أوربا .

رابعا : ان الحضارة الاوربية وضعت لنفسها هدف السيطرة على العالم واخضاعه لسلطانها ، كما وضعت لنفسها هدف خدمة الاقلية المتسلطة دائما لا لخدمة المجموع الانسانى العام بل الى ركض مسعور لتطوير البضائع الاستهلاكية باتجاهات حكمتها عمليات المنافسة والربح ، لتحقيق اعلى درجات السيطرة على الآخرين واستنزاف جهودهم وثرواتهم .

خامسا : ان التطور العلمى والفنى فى الحضارة المعاصرة اتجه نحو التضاد مع الطبيعة والبيئة والحاجات الفطرية للانسان .

سادسا : ان الدوافع التى امتلات بها صدور الاوربيين مع اوائل القرن السادس عشر تكشف عن شره شديد للسيطرة على العالم ونهبه حتى الحدود القصوى بقصد التمتع بأكبر قدر ممكن من الترف .

سابعا : استخدام كل الاساليب البراقة السلع الاستهلاكية والعمل على ما يثير الغرائز من اشاعة الجنس والمخدرات .

ثامنا : فرضت الحضارة الاوربية المسيطرة بالاستعمار على المدرسة والجامعة وأجهزة الاعلام مناهج الغرب بكل ما تستند اليه من فلسفات وما تحمله من مبادىء ومعايير ومقولات ، الامر الذى أبعد اعدادا متزايدة من المثقفين فى بلادنا عن سياقهم التدريجى وزرع فى عقولهم التغريب وعددا لا يحصى من المقولات المشوهة حول الاسلام والتراث والتاريخ والنمط المجتمعى الاسلامى . (منير شفيق)

(٤)

ومن هنا فان علينا أن نحدد موقفنا تماما من هذه التبعية وان نعمل على الخروج منها بأسلمة مفهوم الحضارة أساسا وان من حق الاسلام علينا أن نحدد موقفنا تماما تجاه الحضارة الغربية .

يقول محمد اسد (ليوبولدفايس) ان تقليد المسلمين فرادى وجماعات بطريقة الحياة الغربية يعد من أعظم الاخطار التى تستهدف لها الحضارة الاسلامية هذا التقليد نشأ بسبب تنوط المسلمين الذين رأوا القوة المادية فى الغرب ثم وازنوا بينها وبين الحالة المؤسفة فى بيئتهم الحاضرة ، اذ قد نشأ عند بعضهم اعتقاد خاطىء مؤداه أن النظام الاسلامى فى الاجتماع والاقتصاد لا يتفق مع مقتضيات التقدم ، فيجب من أجل ذلك أن يحور حسب الأسس الغربية .

خطأ الاعتقاد بأن تقليد المدنية الغربية هو المخرج الوحيد من واقع التفكك الاسلامى ، ان مكمن الخطر فى تقليد الغرب لا يكمن فى الاشياء التى تقلد فحسب ، بل انه يكمن كذلك فى اقتباس الآراء والمثل العليا الغربية التى تقطع بالتدريج تلك الصلات التى تربط العالم الاسلامى بماضيه ، ومن هنا فانه يفقد شخصيته الثقافية الى جانب انه ينتهى الى ان يفقد أساسه الروحى اذا ظل سائرا فى طريق التقليد .

ان المشكلة اليوم هى مشكلة مسافر وصل الى مفترق طرق ، انه لا يستطيع أن يظل واقفا فى مكانه ، فلابد أن يتجه نحو المدنية الغربية أو حقيقة الاسلام .

* * *

(٥)

نعم : نحن مطالبون اليوم بتحديد موقفنا ، وهو التحرر من نقائص الحضارة الاوربية الحديثة (الفلسفة الفكرية والسلوك العملى) مع استيفاء ماكان صالحا من خبرتها فكرا وعملا ، يقول العلامة محمد المبارك : ان التحرر من غزو الحضارة الغربية لا ينبغى أن يفهم منــه اعراضنا عن الاخذ بمكاسبها العلمية فى ميدان الطبيعة والصناعة فذلك واجب فورى ، كما أنه لا يتنافى مع التعاون فى اطــار المصلحة المتبادلة ، مع أصحاب هذه الحضارة بل التعاون الانسانى العالمى فى نطاق عقيدتنا وقيمنا الاخلاقية الانسانية ، وانما التحرر من فلسفتها العقائدية البتراء الناقصة التى هى سبب بلائها والتحرر ايضا من القواعد السلوكية المنبثقة عنها ومن الذوبان الخطر فى فلسفتها هذه وثقافتها ومن التبعية لها فى مجال السياسة .

« وأهم العمليات واخطرها واشدها صعوبة هى احلال الاسلام باعتباره نظاما عقائديا كاملا ، أى بعقيدته ونظمه المتفرعة عنها محــل الثقافتين : ثقافة العصور الوسطى المتجمدة والمشتملة على انحرافات ، وثقافة الغرب القائمة على الفلسفة المادية سواء فى قطاعها الشيوعى أو الرأسمالى .

« ان احلال الاسلام أو عودته ــ لا تعنى مجرد اقامة شعائر الاسلام التعبدية ، بل هى عملية جذرية تستطيع المواجهة فى معركة العقــائد السائدة والتى ينبغى أن يكون البديل الاسلامى لهــا نظاما عقائديا اسلاميا ينطلق من المضمون الاساسى للنظرة القرآنية ومن المشكلات المعاصرة ومن الازمات الماثلة بعد حلها على ضوء هذه النظــرة » ..

وفى هذا الصدد ينبغى أن نفصــل بين المضمون القرآنى المشتمل على نظرة الانسان الى الانسان والكون والحيــاة والله المهيمن عليهم جميعــا وبين الاساليب والاجتهادات التى تمثل الجهد البشرى المشكور الذى قام به اعلام المسلمين فى العصور الماضية ، فمن المضمون القرآنى المؤيد والمبين بالسنة الصحيحة تكون الانطلاقة وتكون صياغة نظرتنا الذاتية الجديدة بأسلوب زماننا ومن خلال مفهومنا واجتهاداتنا التى لا تتجاوز الاصل الثابت فى ضوء المشكلات المطروحة ..

(٦)

ويسلمنا هذا الى التعرف على مفهوم الاســلام للحضارة ، هذا المفهوم المتميز حيث تتلاقى الأمم فى النظريات الرياضية والتجريبية وحقائق المعرفة والعلم وتختلف فى الثقافات والنظريات السلوكية والأخلاقية ، وهذا التمايز كما يقول دكتور محمد محمد حسين مقصود لذاته لانه هو الاصل فى تمايز الامم ودفع بعضها ببعض وهو من سنن الله الكبرى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) ، (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) ويتميز المسلمون بالمقدار الذى يعتمدون فيه على قيمهم وعقيدتهم ، التى تجعل منهم جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له ســائر الجسد بالحمى والسهر ، ومن طريق المخالفة لغيرهم فهو الذى يصونهم من الذوبان والفناء فى غيرهم وهذا واضح من قــوله تعــالى :

(وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ..

فالآية تدعــو المسلمين الى الاجتماع على طريق الاسلام من ناحية وتنهاهم من ناحية أخرى عن اتباع طرق غير المسلمين لانها تؤدى الى تفرق جماعتهم .

« ولقد لفت نظرى المخطط الاستعمارى الصهيونى الذى يدبر لتمييع الطابع المميز لشخصية الامة الاسلامية تمهيدا لامتصاصها » .

وهنا يأتى مفهوم الاسلام للتجديد والاصلاح ..

فالتجديد صــفة لحركة اسلامية يمكن أن تــرد للاسلام جدته ليعود الى صورته الصحيحة كما بدا أو لينفى عنه ما شابه وما خالطه مما انحرف به عن الجادة والاصلاح هو تخليص المجتمع الاسلامى مما أغراه من تحــلل ادى الى تخلف المسلمين ، والخطر هو تطويع الاسلام لاشكال الحضارة الغربية ومفاهيمها وتطــوير المجتمع لتكون فى نهاية المطاف صورة من صور المجتمعات الغربية ، ان النظم الجمهورية والديمقراطية التى تبدو فى ظاهرها تأييدا لسلطة الشعوب فى اختيــار قادتها وزعامتها كانت تستهدف فى حقيقتها سيطرة اليهــود بالتحــكم فى اختيار أوليائهم لهذه القيادات والزعامات واستبعاد أعدائهم وخصومهم منها بسيطرتها على الرأى العــام والانتخابات عن طريق السيطرة على رءوس الاموال ووسائل الاعــلام ..

(٧)

ويدلل بعض الباحثين ارتباط الحضارات بالاديان ، فيقول : تختلف الأديان الثلاثة فى الروح ومنهج الوصول الى المعرفة والى الايمان أيضا عن طريق الاعتماد على العقل والعلم ، ولكل من الاديان اليهودية او النصرانية مميزات رغم اشتراك الديانات الثلاث فى أمور جوهرية

مثل الايمان بالخالق الواحد الذى ابدع هذا العالم وبالرغم من اشتراك الديانات الثلاثة فى الناحية العامة فى امور جوهرية فان هناك انفراد الاسلام بأمور كثيرة مميزة قد يكون أولها مفهوم التسمية التى تسمى بهـــا .

فالاسلام هو اسلام الوجه لله ، اسلام التراث من وجوه شتى اختبارا مع الصدق والاخلاص فى ذلك وتبرئة العقل والقلب من كل شوائب الشرك ومع منتهى التعظيم والاجلال والمحبة لله بحيث يكون للاسلام فى الظاهر سلوك وفى الباطن حالا وطبيعة ؟؟

فالاسلام هـــو الموقف الفكرى والنفسى للانسان وهو موقف جميع المخلوقات فالكون كله بسمواته وارضه مسلم لله والمخلوقات كلهـــا ساجدة لله وهى مسبحة بجلاله وبحمده بلسان واحـــد .

ولمـــا كان كل بناء حضارى يحتاج الى اساس من فكر وايمان وهو روح الحضارة والى مؤمن بالفكر يحمل روح الحضارة ويشرع فى البناء أو على الاقل يهيىء له الظروف ، فالاسلام نفســـه بجميع جوانبه أساس للحضارة الاسلامية والمؤمن بروحها الذى شرع فى البناء هم العرب والمنقذ هو الامـــة الاسلامية ومن اندمج فيها من أهل الديانات والمذاهب الاخرى والمناسبة هى خروج العرب ومعهم الاسلام واللغة العربية وميراث الحنيفية الابراهيمية الى مسرح التاريخ العالمى الكبير ولقاؤها مع الحضارات الاخـــرى .

وقد انبثق العلم من القرآن ســـواء من حيث المنهج ، وهو منهج حسى عقلى لان الله أمر باستعمال الحواس والعقل معـــا .

وقد غرس الاسلام حب المعرفة بفضل ماجاء فى الكتاب الحكيم من اشادة بالعلم ورفع شـــأن العلماء وتعظيم للحكمة ومن أوتيها ، ومن حث على النظر فى الكون وفى آيات الله وفى النفس الانسانية واسرارها مع ترك التقليد للموروث وتجنب الحكم بالظن والهوى ومع الاهتمام بطلب العلم اليقين والمطالبة بالدليل والبرهان .

(٨)

ويكاد يجمع الباحثون فى الحضارة الاسلامية عن ان ميزتها ومكانتها بين الحضارات العالمية انها تقـــوم باسم الله تعالى وعلى يد الانسان وانها متفتحة تقبل كل الثمرات الروحية والعقلية والمـــادية لعناصر الحضارة الصحيحة وهذا هـــو سر تجددها المستمر ونصوص القرآن صريحة فى أن الله تبارك وتعالى قد استخلف البشر فى الأرض واستعمرهم فيها اى طـــلب عمارتها على حـــد تعبير الدكتور محمد عبد الهادى ابو ريدة الذى يقول ان الحضارة الاسلامية تتميز بأنها تكـــون الانسان المؤمن المجاهد ، تكوينا شاملا لحياة الدين ولحياة الدنيـــا .

وهذه الحضارة قادرة على النقد والاختيار وتتغلب كمـــا يتغلب الجسم القـــوى على كثير من العوارض والازمات التى واجهتها ومرجع قدرتها على البقاء أنها حضارة روحية ، عقلية ، اخروية ، دنيوية ، مادية ، علمية فلسفية ، بحيث تتمثل كل شىء وتحوله الى ذاتها العميقة ، ولا يمكن استئصالها الا بازالة من يحملهـــا وينفذها ويتمثلها وقـــد يجمع المسلم فى ذاته كل هـــذه العنـــاصر .

وهى حضارة تنتشر انتشارا تلقائيا وتجد طريقها بوسائل بسيطة لان روحها واسسها الفكرية والاخلاقية تنجلى فى المسلم البسيط ، تتكشف روحه الاسلامية فى عبادته وسلوكه ومعاملته فى اى مكان كان وهى حضارة عالمية انسانية شأنها شأن الاسلام نفســـه ، وابرع مظاهرها الوحدة رغم تنوع مظاهرها لانها مبنية على التوحيد وقد تعرضت لازمـــات ومعوقات ، وهجمات مدمرة وعداوات قاسية ولكنها استطاعت البقاء ، كما أنها تعرضت للركود والانكماش ولكنها كالكائن الحى الذى تكمن قوته فى داخله تسكن تحت مجارى الاقدار وتصبر حتى اذا تهيأت لهـــا الظروف المؤاتية تفتحت وازدهرت من جـــديد .

(٩)

ويقـــرر عدد من الباحثين أن جوهـــر الحضارة الاسلامة هـــو التوحيد ، فالتوحيد هـــو الذى يعطى للحضارة الاسلامية هويتها وهو الذى يصبغ كل مايدخل اليها من عناصر فيؤسلمها ويظهرها فتخرج من عبورها الى التوحيد متجانسة مع كل ما حولها ، ومن أبـــرز ما تتسم به امتزاج الايمان بالأخلاق بالقانون فقد جاءت حضارة الاسلام خاتمة لرسالات السماء لمعالجة هذا الانفصام القديم فى كيان الانسان اصلا بين روح وجسد وبين عقلـــه وعاطفته وبين تطـــوره المادى وسلوكه الاجتماعى وبين دينه ودنياه ، جاء الاسلام تخليصا لكل جهاد الانسان الروحى ليقيم ميزان التعادل فى ضمير الانسان وفى حياته . والجمع بين العنصرين ، والترابط بين الفرد والجماعة فقد ركز الاسلام منذ البداية على ان الفرد فرد فى جماعة (ومن شذ شذ فى النـــار) وسمى النبى صلى الله عليه وسلم أول مجتمع اقامه فى أول أيام الهجـــرة بالامـــة .

وفى ضوء هذه المفاهيم تبين أن مفاهيم الحضارة الاسلامية تختلف اختلافا عميقا فهى كما يصورها (منير شفيق) ..

أولا : ترمى الى التوحيد الاجتماعى فى الاسلام الموجب لتحقيق توازن دقيق بين مختلف حاجات الانسان ومتطلباته ومختلف حاجات المجموعات البشرية ومتطلباتها الحاجات المادية والروحية والنفسية والمعرفة .

ثانيا : الاسلام يشكل منظومة متكاملة تتماسك أجزاؤها وتتفاعل فيما بينها لتشكل وحدة عضوية متحركة حيوية لا تجعل من الممكن ان يفهم اى جزء على حدة وانما ضمن وضعه فى الاطار العام أو من خلال علاقته بالوحدة الكلية والاجزاء الاخرى مجتمعة وفى آن واحد .

ثالثا : توحيد البشر والشعوب والقبائل ، مع عدم التنكر لسنة الله التى جعلت الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا فى ظل رابطة الاسلام التى تضبط وتهذب وتطور الروابط بين الافراد والجماعات .

***

(١٠)

ونصل من هذا العرض كله الى حقيقة واحدة هى :

أن المفهوم الاسلامى يقوم على : التكامل بين المنهج والتطبيق وبين الفكر والأخلاق ، وبين الروح والمادة وبين الدنيا والآخرة وبين الالهى والبشرى وبين الفرد والمجتمع .

هذا المفهوم الذى لا يستطيع الفكر الغربى أن يفهمه أو يؤمن به والذى ادى تخلفه هناك الى انحدار الحضارة الغربية وهزيمة الفكر الغربى ودخول المجتمعات الغربية الى مرحلة الازمة ، فقد وصلت الحضارة الغربية الى القمة فى انجازاتها المادية ولكنها كما يقول الدكتور أسحق فرخان — تصل الى التخصيص فى مجال استعباد الشعوب النامية من أجل سعادة الانسان الغربى المذهل الذى يستمتع بتراث الحضارة الغربية المادية .

ويقول : لقد أسرفت الحضارة الغربية اليوم فى تطويع التكنولوجيا لخدمة الانسان الغربى كما أفلست فى الاهتمام بالقيم الروحية والخلقية والانسانية التى تعطى الحضارة توازنا وتجعل الانسان أخا للانسان أينما كان وها نحن نرى ما ينتج من بعض آثار الحضارة الغربية اليوم من اسراف فى المتعة المادية وتدمير الثروات العالمية على حساب الاجيال القادمة وكثير من شعوب العالم الثالث ، وانتاج لاسلحة الدمار التى تكفى اليوم لدمار الكرة الارضية فيما لو وصل مجنون الى قمة السلطة فى المعسكر الغربى أو الشرقى وتلويث البيئة الطبيعية من تراب وبخار وهواء حتى يمكن القول بأن عناصر هلاك البشرية وجراثيم القضاء على الانسان تتسارع بنفس المعدل الذى تنتشر به مظاهر الحضارة الغربية .

***

ويقول الدكتور أسحق فرحان أن الحضارات لها مظاهر متشابهة من حيث الشكل فى مجالات الآداب والفنون والعمارة والعادات وانماط الحياة ، ولكن الحضارة الاسلامية تميزت بعدة ميزات جعلتها نموذجا منفردا فى سلسلة حلقات الحضارة الانسانية ومن هذه الميزات .

أولا : ان الحضارة الاسلامية حضارة هادفة تقوم على الايمان بالله والارتقاء بالروح وتنمية القيم الاخلاقية والانسانية لدى الانسان والمجتمعات البشرية .

ثانيا : ان الحضارة الاسلامية حضارة شاملة لجميع ميادين الحياة من لغة وآداب وعلوم وفنون مما يعود بالنفع على الانسان فى حياته الخاصة والاجتماعية والعالمية وقد كان المقياس فى كل مجالات الحياة ذلك الاطار الاسلامى فى العقيدة والخلق وكان التقدم فى العلوم الكونية موازيا للتقدم فى العلوم الشرعية .

ثالثا : ان الحضارة الاسلامية حضارة متوازية فيما يتعلق بالنواحى الروحية والمادية وفيما يتعلق بما يخص الفرد وما يخص المجتمع وفيما يتعلق بالأمة الاسلامية من جهة وسائر شعوب الارض بصورة عامة

وبالجملة فان الحضارة الغربية اليوم مهددة بالتدهور والانحلال لتركيزها على النواحى المادية على حساب النواحى الروحية .

وأن الاسلام مؤهل اليوم اكثر من أى وقت مضى لان يعلن للحضارة الاسلامية توازنها وينقذ البشرية من دمار قد يكون شاملا وعلى علماء المسلمين بلورة المنظور الاسلامى لسائر التخصصات العلمية فى سائر حقول المعرفة والنهوض باللغة العربية كوعاء للحضارة الاسلامية وايجاد جيل اسلامى معاصر يؤمن بربه قادر على العطاء والبناء .

* * *

الباب الثالث عشر
أسلمة كتابة التاريخ

(١)

تعرض تاريخ الاسلام لمحاولة خطيرة ترمى الى تفريغه من مقوماته وتفسيره تفسيرا ماديا عن طريق جماعة الاستشراق وتابعيهم من التغريبيين وذلك بهدف خطير هو القضاء على روحه القوية النفاذة القادرة على اعطاء الاجيال الجديدة من الشباب المسلم دفعة من الايمان والثقة فى سلامة منهجهم وصدق عقيدتهم وهو الهدف الحقيقى من الاساليب الوافدة التى ادخلت على كتابة تاريخ الرسول وصحابته والاسلام ومنهاجه على اساس المنطلق الذى عمد النفوذ الاجنبى على رسمه اساسا وهو تفريغ التاريخ الاسلامى من آثاره العميقة القادرة على انبعاث هذه الامة من جديد وهى جزء من المحاولة الكبرى التى ترمى الى تزييف الاسلام عقيدة ومنهجا ، ثم ضربه فى مراحل التطبيق على ايدى خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم والدول الاموية والعباسية والعثمانية وغيرها .

وقد وضح ذلك تماما فى الكتابات العصرية للسيرة النبوية التى قامت على اساس انكار المعجزات والجوانب الغيبية والخوارق التى اثبتتها الوثائق الصادقة التى حفظتها الاجيال والتى حققها علم تحقيق السنة النبوية ولقد تبين اعراض الكتابة العصرية للسيرة (العقاد ، طه حسين ، هيكل) عن الجوانب ذات الصلة بالايمان والعقيدة واليقين والتقوى وقوانين الاسلام فى النصر (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) هذا الاعراض يرمى الى : اطفاء نور العطاء الالهى فى السيرة النبوية وتاريخ الاسلام فلا شك ان كتابة السيرة والتاريخ بالطريقة العلمانية من شأنه أن يخفف هذا الوهج العظيم الذى يجب أن يملا قلوب المؤمنين فيعرض السيرة خاوا من يقين الايمان تحت اسم العلم الذى لا يعترف بغير المحسوس والذى لا يستطيع فهم الوحى والنبوة ومدد السماء .

وليس معنى هذا أننا نطالب بكتابة السيرة وتاريخ الاسلام بأسلوب عاطفى وجدانى خالص على نحو قصائد المديح والمبالغة وانما ندعو الى أسلوب اسلامى الوجهة جامع بين عطاء العقل وعطاء الوجدان وان يكون تفسير التاريخ الاسلامى قائما على منهج الاسلام الجامع بين الروح والمادة ، وتوجهه الى كل ما يملك الانسان من قوى الوجدان والروح والعقل والفكر .

وعلينا أن نثق أن محاولة تفسير التاريخ الاسلامى بمفاهيم علمانية أو قومية أو مادية هى محاولة قاصرة لا تستطيع أن ترقى الى مفهوم الاسلام الجامع والذى لا يقف عند حدود الجوانب المادية او المحسوسة او يحكم بها على الامور ، وانما هو اوسع دائرة وأرحب افقا حيث يجمع بين عاملى الروح والمادة فى النظر الى مختلف الوقائع والاحداث وفى تقرير القضايا الاساسية كقضية التقدم والحرية والعدل الاجتماعى والشورى ومن هنا فان محاولة كتابة تاريخ الاسلام بأسلوب العلمانية أو القومية أو المادية هو بمثابة محاولة فاشلة مردودة على اصحابها ، ولن يقبلها الروح الاسلامى الذى تشكل منذ خمسة عشر قرنا على التكامل الجامع بين القيم والذى يربط حركته فى المجتمع والنفس بالله تبارك وتعالى ويجعل الاخلاقية عاملا اساسيا فى هذه الحركة .

كذلك فان دعوى كتاب التغريب من أن اسلوب الغرب هو المنطلق الذى يستطيع به المسلمون أن يحققوا كيانهم ووجودهم ومجتمعهم ، هذه المحاولة خدعت المسلمين والعرب سنوات طويلة (منذ اثارها طه حسين ومحمود عزمى وغيرهم) وقد تكشف بطلانها منذ انتزعت (القدس) من أيدى المسلمين وثبت فشل المنهج الليبرالى الغربى بعد الحرب العالمية الاولى كما ثبت فشل المنهج الماركسى والاشتراكى بعد الحرب العالمية الثانية فقد تبين أن ما ظنوا أنه عامل موصل للنهضة هو عامل عازل يسام المسلمين والعرب الى الاحتواء الكامل والانصهار فى بوتقة الامم العالمية .

* * *

(٢)

ان منهج التفسير الاسلامى للتاريخ يقـوم على اسس واضحة وقاعدة كلية وهو بذلك يختلف عن منهج الغرب الليبرالى القائم على اعلاء شأن الفرد وعظمته وسيادته ، أو النظرية الماركسية القائمة على اعـلاء شأن المجتمع وكلاهما نظرية انشطارية تقوم على جانب واحد وتعتمد المفهوم المادى وحده فى كليهما .

ويتقرر منهج التفسير الاسلامى للتاريخ (أولا) فى ان الأمم التى تخرج على منهج الله لابد أن تدمر ، وأن سنة الله تبارك وتعالى فى زوال الأمم وانقراضها ماضية الى أن يرث الله الأرض ومن عليهـا .

وقد اشار القرآن الكريم الى هذا القانون فى عديد من الآيات الكريمة :

(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) .. الاسراء .

٢ ـــ ان تاريخ البشرية كله انما هو صراع بين الاسلام والفكر البشرى ، بين الحق والباطل ، بين منهج الله تبارك وتعالى ومنهج البشر .

٣ ـــ ان البشرية كلها وحدة جامعة ، الناس لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى) فلا تمييز لأمة أو عرق أو جنس أو شــعب .

وأن دين الله واحد وأن تاريخ الاسلام لا يبدأ من محمد صلى الله عليه وسـلم ولكنه يبدأ من آدم عليه السـلام .

٤ ـــ ان تاريخ البشرية الحقيقى هو تاريخ الأنبياء الى أن يرث الله الأرض ومن عليهـا .

وقد دعا القرآن الكريم الى أهمية دراسة التاريخ وعبرة الأمم ونواميس الأمم وسنن الحضارات وغير ذلك كله فى قوله تبارك وتعـالى :

(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) .

٥ ـــ ان الدين بمفهوم الاسلام الجامع هو العامل الاكبر والاساس فى بنـاء التاريخ والحضارة والمجتمع الاسلاميين ، وأن الدين بمفهوم الاسلام عامل مؤثر على الاقتصاد والسياسة والتربية والاجتماع وليس ظاهرة عرضية كما يحاول الماركسيون تصورهم الذى يقوم على مفهوم المسيحية الغربية ويقرر الباحثون أن الدين هو العامل المؤثر على انشاء الحضارات واقامة المدنيات على مدى التاريخ ، وأن الاسلام يتميز بمفهوم اسلام النفس لله ، واخلاقية الحيـاة والمجتمع ، والمسئولية الفردية والجزاء الاخروى .

(٣)

تتمثـل ميزة التاريخ الاسلامى عن تواريخ الامم الاخرى فى ميادين كثيرة :

الأولى : انه نشأ فى رحاب الدين الاسلامى بمعنى انه بدأ بجمع الاحاديث النبوية التى تتعلق بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد جمع الاحاديث وثبوتها ظهر باب يتعلق بحياة الرسول وكان هو النواة التى نشأت عنها وترعرعت الدراسات فى علم التاريخ ، وهذا جعل علم التاريخ يبدأ بداية ترتبط بجمع الاحاديث ، وتحرى الدقة الكاملة ، فى سلسلة الاسناد وأن التاريخ بنشأته حول سيرة الرسول يتميز بالصدق والدقة فى التدوين وهى ميزة لم تتوفر لاى تاريخ آخـر .

الثانية : ان الذين تصدوا لكتابة التاريخ الاسلامى وتدوينه لم يكونوا من رجال الدولة الرسميين وانما كانوا علماء أجلاء وهبوا أنفسهم للعلم ابتغاء مرضاة الله .

الثالث : الهدف من التدوين هـو خدمة المجتمع الاسلامى .. بمعنى أن التاريخ الاسلامى كانت لـه وظيفة هامة ومحددة ، وهو أمر اكسبه طابعا فريدا لا تجده ايضا فى تواريخ الامم السابقة واللاحقة ، فقد كان يقوم بتدوين تاريخ تلك الأمم غالبا نفر من رجال الدولة الرسميين بقصد اضفاء التمجيد على الدولة ، تدوين التاريخ الاسلامى فقد كان المقصود من واضعه عملية تقدم للمجتمع الاسلامى النماذج التى تجنبه الخطأ وتهديه سـواء السبيل .

وقد وجدت الدراسات فى التاريخ الاسلامى مادة خصبة فى حركة الفتوح الاسلامية وما ترتب عليها من اتساع رقعة الدولة الاسلامية ودخول شعوب جديدة فى ظل الاسلام ، وهناك جانب هام ظهر للتاريخ الاسلامى مع امتداد الدولة الاسلامية هو استخدام التربية فكان الخلفاء وكبار رجال الدولة يحرصون كل الحرص على أن تكون دراسة التاريخ الاسلامى عنصرا حيويا فى تربية أبنائهم وكثيرا ما كانوا يوجهون المؤدبين والمشرفين على تربية أبنائهم بالاعتماد على التاريخ فى توسيع مداركهم وثقافاتهم .

الرابع : رجال التاريخ الاسلامى هم الذين تصدوا لمحاولات دس أحاديث مكذوبة عن الرسول ، فمثلا اذا جاء فى سلسلة الاسناد لحديث من الأحاديث شخصية

يكشف عنها المؤرخ أنها كانت بعيدة عن مجريات الاحداث فهنا يتهم الحديث بالكذب .

وفى الفتـرة التى شهدت الخلافات بين الفـرق الاسلامية وعمد فيها أصحاب تلك المذاهب الى ترويج أفكارهم بأحاديث مدسوسة .. قام المؤرخون بتصحيح الموقف قال سفيان الثورى : عندما لجأ الرواة الى الكذب لجأنا الى التاريخ .

ويزودنا التاريخ الاسلامى بتجربة المسلمين الرائعة والفريدة فى ميدان التعليم وهى ما يجب أن نضعـها موضع العناية كأسلوب لحـل مشاكلنا التعليمية .

(دكتور ابراهيم العدوى)

(٤)

ومن هنـا فنحن مطالبون بالكشف عن دسائس المستشرقين فى كتابة تاريخ الاسلام واعادة كتابة التاريخ الاسلامى لتنقيته من سموم المستشرقين والتغريبيين حيث أن فى بعـض الكتب التى فى ايدينـا افتـراءات على الشخصيات الاسلامية .

ولقد تقدم المسلمون أول منهج علمي لتحقيق الحديث النبوى وطبقوا هذا المنهج فيما بعد على وقائع التاريخ ولكن التجربة التى وصلت الى ذروة القوة والسلامة فى مجال الحديث النبوى لم تستطع مد رواقها الى كتابة التاريخ الاسلامى فدخلت الى الساحة عناصر كثيرة من الرواة والشعوبيين وأهل الأهواء والمذاهب السياسية .

يقول المستشار سالم البهنساوى : لقـد ظلت عصور التاريخ الاسلامى مرتعا خصيبا للدس والوضع والتجنى والجهل بالاسلام فاستمسك بها اعداء الاسلام واهل الملل الأخرى يأخذون منها نصالا مسمومة لتشويه تاريخ الاسلام ، لقد وقـع التاريخ الاسلامى ضحية مؤامرات كبرى استهدفت الافتراء على أصول الاسلام والباس الباطل ثوب الحق والطعن فى رجال الاسلام وقادته واضعاف عقائد المسلمين لاثبات أن الاسلام كان قولا وعملا وأن المسلمين لم يثبتوا على دينهم الا فترات قليلة من تاريخهم الاول ثم ضلوا السبيل وركبوا موجة الاهواء كغيرهم من أهل الملل والنحـل .

« ثم ان المؤامرات امتدت الى تغيير بعض احداث التاريخ الاسلامى لتلائم الفلسفة الاوربية ، ثم امتدت المؤامرات الى تطويع مفاهيم القرآن والسنة لتساير المذهب الماركسى فى تفسيره المادى للتاريخ ، وكان الرواد الاوائل فى ذلك بعض صـبيان الراسمالية الغربية ثم اتبـاع الماركسية من الاعراب وبعض من تحولوا من الفكر العلمانى الى الاسلامى بكتابات أسهمت فى بعض الأخطاء نقـلا عن مناهج بعض المؤرخين الذين دونوا التاريخ الاسلامى أو كتبوا عنـه .

ويكشف المستشار سـالم البهنساوى : هـذه المؤامرات التى جرت فى تدوين التاريخ الاسلامى ويردها الى عاملين :

الأول : استخدام العقل فى غير موضعه .
الثانى : ملابسات تتصل بتدوين التاريخ الاسلامى
العامل الاول : استخدام العقل فى غير موضعه .
المجال الذى ينفرد فيه العقل بالحكم على الاشياء هو ما خضع لنطاق هذه الحواس أما الامور غير المادية التى لا تخضع بذاتها لنطاق هذه الحواس فليس للعقل قدرة فى الحكم عليها .

ولقد نشأت عن استخدام الانسان عقله فى غـير موضعه صراعات وخلافات دفعت البشرية ثمنها ومازالت تجنى أثـر الصراع بين هـذه المذاهب السياسـية والاجتماعية على مر السنين .

ونتيجة لذلك ظهـر ما يسمى بالمذهب الفـردى والمذهب الجماعى ، واصحاب هذه المذاهب قد تجاوزوا حـدود الفكر الذى بنيت عليه فلسفتهم فابتدعت كل طائفة تفسيرا لاحداث التاريخ الانسانى يؤيد فلسفتها كالفلسفة الاوربية والفلسفة المادية ، كما وضعت كل فرقة مناهج للنفس البشرية ، مع أن هذه النفس لا تخضع للتجارب المادية وبالتالى فالمناهج التى تبنتها كل فرقة ليست علما بالمعنى الصحيح فلم تبن على نتائج محددة لتجارب عامية .

ومن ثم اختلفت هذه المناهج اختلافا شاسعا ، حيث بنيت على الظن والتسليم بصحة المذهب الاجتماعى الذى انبثقت منه وقد ظهر ذلك واضحا فى الفلسفة التاريخية الاوربية وفى منهاجها ومؤثراتها كأثر لحرمان الانسان من حرية التفكير ولحرق مئات من العلمـاء والمفكرين بدعوى أن العلم فى نظر الفكر الدينى الاوربى السائد فى القرون الوسطى هو سحر وهرطقة .

ولقد ساد المجتمعات العربية والاسلامية أقـوام ظلوا اتباعا للغرب ومذاهبه حتى انضموا اليه فى اسقاط الخلافة ومحاربتها لان بريطانيا ستقيم لهـم خلافة اسلامية عربية قرشية هاشمية .

كذلك فقد تجاسر افراد للعمل على اخضاع الاسلام وقيمه للفكر الماركسى فزعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم هو مؤسس اليسار ولقد كان لهذه الفلسفات

بشطريها اثـر فى فكر بعض المسلمين الذين يعلمون ظاهرا من علوم الدنيا ، فظهر الصراع بين أهل العقل واهل النص ، وظهر ما يسمى باليمن الاسلامى واليسار الاسلامى وحاول كل طرف أن يؤيد مذهبه وفكره بتفسير خاطىء للقرآن والسنة وتحريف صريح لمواقف الصحابة .

العامل الثانى : ملابسات تتصل بتدوين التاريخ الاسلامى ..

أولا : ان أحداث التاريخ الاسلامى لم تدون الا فى منتصف القرن الثانى للهجرة بعـد ان ظهرت الفرق السياسية والفلسفات المعادية وروجوا الاخبار والروايات التى تخدم مذهبهم ومنها الوثنية والمجوسية والمزدكية .

ثانيا : الذين دونوا هذا التاريخ كان همهم جمع الروايات والاخبار بلا تمحيص ولا تحقيق .

ثالثا : لم يحصل اهتمام بتحقيق الروايات التاريخية بالميزان الذى محصت به روايات السنة النبوية .

رابعا : استفاد خصوم الاسلام من عدم تحقيق هذه الروايات فنقلوها كما هى ونسبوها الى المؤرخين ليضفوا عليها الثقة وهى من الاكاذيب .

خامسا : تسرب فكر أعداء الاسلام ..

وقد استطاع خصوم الاسلام ان يرجوا الروايات المصطنعة للنيل من الاسلام ورجاله .

١ ــ اما بتلفيق روايات عن هارون الرشيد تظهره كملك الخمـر وروج ذلك (جرجى زيدان) فى رواياته التاريخية حتى أصبح اسم هارون الرشيد مقترنا بالمجون والخمر والنساء على الرغم من أن ابن خلدون فى مقدمته قد نبه الى ذلك بقوله (ما علمنا عليه من صيحة سوء فقد قام بمنصب الخلافة فى الدين والعدالة وبما كان عليه من صحبة العلماء والأولياء ومحاورته للفضيل بن عياض وابن السماك ومكاتبة سفيان الثورى وبكائه من مواعظهم وما كان عليه من المحافظة على الاوقات ودوام الصـلاة .

٢ ــ واما الاعتمـاد على كتب الأدب .. ومـا كتب خـلال العصـر العبـاسى من كتب النـوادر والاخبار وما اختـرع الرواة من قصص لتكون مادة للتسلية ، وقد اورد كتاب العقد الفريد قصصا عن الخلفاء والامراء والوزراء فيها تناقص وما فعله الاصفهانى فى كتابه الاغانى وهناك اخطاء بعض الفرق ومحاولتها اختـلاق روايات تؤيد مذهبـا وتحريف بعض المواقف وتفسيرها لخاطىء لنصص القرآن والسنة .

* * *

(٥)

ولقد حرص الاستشراق فى مؤامرته على اثـارة الشبهات حول تاريخ الاسلام بالتركيز على عـدة نقاط اساسية وحشد المفاهيم الخاطئة حولها على النحو الذى عرض له الاستاذ صفوت منصور . هذا موجزه :

أولا : اثـر الاسلام على العرب ..

فقد حاول الاستشراق الخبث والدس فى الحديث عن اثـر الاسلام على جاهلية العرب فقد حاول حصر دور الاسلام فى أنه أبطل كثيرا من العادات السيئة وكفى بينما ليس هذا الا جانبا واحدا من جوانب عديدة صنع بها الاسلام مجتمعا جديدا وأقام الناس على منهج الله تبـارك وتعـالى ..

ثانيا : وحدة الدولة الاسلامية ..

فهم مصرون على تقسيم التاريخ الاسلامى الى دول (أيوبية ــ عباسية ــ عثمانية) وهم لا يعترفون بامتداد الدولة الاسلامية ووصفها بالتورية واسباغ اسم الدول نشأت فى المدينة المنورة ، وهى تواصل مستمر وتعاقب غير مقطوع ، متكامل الصلة بالدولة الاسلامية فالدولة الاسلامية ممتدة منذ اعلانها الى أن اسقط الاستعمار الخلافة العثمانية على يد صنيعتهم مصطفى كمال أتاتورك ١٩٢٤ .

٢ ــ الاشارة بالحركات الانفصالية عن جسـد الدولة الاسلامية ووصفها بالتورية واسباغ اسم الدول الاستقلالية عليها فان الخطر الدفين يتضح من وراء ذلك فى أنهـم يريدون أن يوهموا بقصر عمـر الدولة الاسلامية واجهاض مفهوم الخلافة والترويج للشعوبية والاممية ، والضرب على أوتـار القوميات والاقليات وتشجيع تمزيق جسد الامة السلامية وقطع الصلة بين حاضر المسلمين وماضيهم .

والمعروف أن الدولة الاسلامية ممتدة امتداد التاريخ وجذورها تنتهى الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسنة الحياة أن تتعاقب الاجيال .

ثالثا : مفهوم الوحدة الاسلامية ..

الحرص على تجاهل وانكار هذا المفهوم حتى لا ينطبع فى اذهان نابتة الاسلام وحتى لا يدركوا هـذا المفهوم الواجب اعتناقه والعمل له ، وقد ضمت الوحدة اجناسا مختلفة وشعوبا متباينة ولم يكن العرب وحدة قواد الأمة الاسلامية بل ارتفعت راية الخلافة لترفرف على كل الجنسيات والبلدان وانتظم الجمع فى وحـدة اسلامية كبرى (لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى)

حتى الولاة الذين انفصلوا وكونوا دويلات كانوا يستمدون شرعيتهم من تبعيتهم للخليفة العباسى .

رابعا : عالمية الاســلام ..

التركيز على المغالطة فى عالمية الاسلام الثابتة بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية شريفة ، ونجد للاسف من يروج لهذه المغالطة من اساتذة الجامعات ويتجاهلون الرسائل التى أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم الى الملوك والرؤساء خارج الجزيرة العربية ويتجاهلون غزوتى مؤتة وتبوك اللتين كانتا مع الروم واعداد جيش اســامة

خامسا : الفتن فى عهد عثمان ..

يثير الاستشراق وكتاب التغريب الاتهام الظــالم لسيدنا عثمان الذى فند مزاعم الثوار فى مسجد المدينة ورد على تساؤلاتهم ورفض أن يعزل نفسه أو يرضى بالذهاب الى الشام الى جوار معاوية (كتاب العواصم من القواصم) .

والمقصد هو تشويه صورة الصــدر الأول من المسلمين لاثبات أن الاسلام غير قادر على الامتداد الزمنى بمثالياته فما هو الفرق بين عثمان وعمر ، هكذا يقولون ان الاسلام بشموخه وجلاله لم يكن الا فى عهد الرسول وصاحبيه أبى بكر وعمر .

سادسا : شخصيات مفترى عليها ..

كذلك فقد حرص الاستشراق وتابعيه من التغريبيين على الغمز والتشويه والافتراء والكذب المتعمد لتشويه أمجاد الاسلام وأبطاله وحرف أبنائنا عن الهدف الوجدانى الذى تحققه دراسة التاريخ من حيث الاقتداء والتأسى بسير وتراجم من يدرس تاريخهم .

ومن ذلك ما قاموا به من تشويه صورة معاوية وقد وصفوه بالدهاء والمكر وتشويه صورة هــارون الرشيد (الشراب والغناء) وتشويه صورة السلطان عبد الحميد ، وتجاهل ماقام به من مواقف البطولة فى رد مؤامرات الصهيونية وتجاهل حركة الاصلاح التى قادها لتجديد شباب الدولة .

سابعا : العثمانيون وتوحيد العالم الاسلامى ..

ومن ذلك وصــف العصر العثمانى بالاستعمار والاحتلال ، ولو انهم استوعبوا حقيقة امتداد تاريخ الدولة الاسلامية لادركوا أن العثمانيين يمثلون عهدا من العهود التى حكمت ، ولو علموا أن الوحدة الاسلامية يجب أن ينطوى تحت رايتها كل المسلمين ، لمــا وصفوها بأنها دولة معتدية ، وكذلك انكارهم دور العثمانيين فى تجديد شباب الدولة الاسلامية فى المشرق فى الوقت الذى كان الفرنجة يقومون بحرب الاسترداد ضــد مسلمى الاندلس وقد تمــكن العثمانيون من اسقاط عاصــمة البيزنطيين (القسطنطينية ١٤٥٣) ووصلوا الى أسوار فينا ونهر الدانوب ثم اتجهوا شرقا ليوحدوا العــالم الاسلامى (العراق والشام ومصر والحجاز والمغرب العربى) وهى من أطول الاسر الاسلامية حكمــا .

ثامنا : انكار أثر الاسلام فى حركات التحرير ..

عمد الاستشراق وكتاب التغريب على الدور الذى قام به الاسلام فى حركات الجهاد التى قامت على أساس اسلامى وأداتها آيات الجهاد وسور القتال .. ويرجعون اثــر هذه الحركات الى نمو الروح القومية تارة والروح الوطنية تارة أخرى ويسبغون على قادتها صــفات الثورية والوطنية مع أن الاساس اسلامى وأن الروح الجهادية هى التى كانت تحركهم ضد المستعمر الاوربى ومن يدرس حيــاة (أحمد عرابى ، يوسف العظمة ، الشيخ شامل ، عبد القادر الحسينى ، عبد القــادر الجزائرى ، عمر المختار) يعلم أن الاسلام كان هــو الاساس الفكرى لكل هؤلاء وأولئك ، اذ أن الاسلام هو الذى يرفض الظلم ولا يرضى بالاستعباد وهم لذلك يخفون روح الاسلام ومفهوم الجهاد الاسلامى فى تحريك هذه الشخصيات والحركات .

تاسعا : أخطاء فى التعبــير ..

ومن ذلك تعمدهم تحريف العبارات الاسلامية الاساسية ، واحلال بدائل عنها لا تؤدى معناها ، ومن ذلك وصف (غزوات) الرسول صلى الله عليه وسلم بكلمة (صراع) ونبذ كلمة (جهــاد) . ف

* * *

ووصف النبى صلى الله عليه وســلم بأنه نبى ويتعمدون حجب صفة الرسالة عنه ، والمعروف أن النبى غير مؤيد بكتاب سماوى وأن الرسول هو المؤيد بكتاب سماوى ، ووصف قيادته بأنها (حكومة النبى فى المدينة) أو وصفها (بالحكومة الدينية) .

ومن عباراتهم قولهم (شاءت الصدف) علمــا بأن المشيئة لله والصدف لا مشيئة لهــا .

وقولهم الشورى قريبة من الديمقراطية وفى ذلك غبن لمفهوم الشورى التى تقوم على رأى أهل الحــل والعقد لا على اغلبية الغوغاء .

والشورى تجعــل السلطان لله أما الديمقراطية فتجعل الشعب مصدر السلطات وشتان ما بين الشورى والديمقراطية ..

ومن أخطائهم قولهم بأن الحروب الصليبية هى صراع بين العرب وأوربا (محمد عمارة وعبد العظيم رمضان) وهو قول باطل تماما ولا دليل عليه فمتى كانت هناك عروبة تصارعها أوربا فى هذه الفترة وكلمة العروبة كلمـــة جديدة لم تستعمل الا منذ سبعين عـــاما على الاكثـــر » أ. هـ.

عاشرا : دعوى أن الشام ومصر والمغرب كانت جزءا من العالم المسيحى وجـــاء الاسلام فأخرجهم منه ، وهذا القول ليس له أى سند من الصحة التاريخية ، ذلك لأن الوجود الرومانى فى هذه المناطق كان وجودا دخيلا وكان احتلالا ثم انحسر مع ترحيب أهـــل هذه المناطق وتعاونهم على اتمام هذا الانحسار .

فلا يجوز اعتبار هذه المناطق انتزاعا من العالم المسيحى ، بل ان الباحث المدقق يجد أن موجات عربية كثيرة توالت على هذه المناطق طوال خمسة الآلاف من السنوات السابقة للفتح الاسلامى على هيئـــة موجات متوالية وسرت للاسلام أرضا عربية وكان المسلمون الفاتحون يجدون من المقيمين ذوى قربى ونسب .

* * *

فى رسالة : كيف يجب ان يعلم التاريخ فى البلدان الاسلامية يقـــول (حامد شاكر حلمى) :

ان التصور الاسلامى للتاريخ ينحصر فى أنه تعبير عن ارادة الله وكشف لجلال رحمته وعظيم تدبيره وكمال قدرته ، وأن هذا العالم يخضع لسنن الهية ثابتة وهى كثيرة متعددة منها : سوء عاقبة المكذبين وأنه بشكر الله وحمده تدوم النعم وبالمعاصى تزول وأن الناس مسأولون عن رقيهم وانحطاطهم ، كما أن الايام تتداول بين الناس ، وأن المؤمنين يستحقون النصر ، والأمم تزول بالتـــرف والفساد ، وهلاكها يتم باضطراب اقامة العدل وانه لكى يحقق التاريخ اغراضه بوصفه مصدرا عظيما فى التربية الخلقيـــة والتماسك الاجتماعى والرقى الحضارى فمن الواجب أن يتبع فى تعليمه أمور عشرة منهـــا : توجيه تعليم التاريخ فى البلدان الاسلامية الوجهـــة الاسلامية وارتباط تدريس التاريخ بالدين وأن المجتمع المثالى كان أيام الرسول عليه السلام وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم وأنه يجب العناية بالصلات والروابط التاريخية بين أجزاء الامة الاسلامية وتطهير المناهج من الشبهات التى أثارها المستشرقون وأن يكون مدرس التاريخ ممن لهم احساس اسلامى سليم وثقافة تاريخية ودينية عميقة ودراسة الحوادث الكبرى التى أثرت فى تاريخ البشرية وأن يتضمن الكتاب المدرسى الحقـــائق العلمية الدقيقة والمطابقة للاتجاهات الاسلامية .

ويقول الباحث : ان دراسة تاريخ الاسلام وتوجيه مناهجه يجب أن يتم فى هدى الأهداف العامة لرسالة الاسلام فالمسلمون رحماء فيما بينهم أشداء على الكفار لذلك فان ما تحتويه مناهج التاريخ فى اى بلد اسلامى يجب أن يخضع لمثل (بضم الميم والثاء) الاسلام وقواعده فلا يحاول أن يضع فى مناهجه ما يؤلم مشاعر البلـــد الاسلامى الآخر ، ومن ذلك خطؤنا فى دراستنا لتاريخ الخلافة العثمانية فى اعتمادنا على المصادر النصرانية المغرضة فى دراستها .

وهكذا نجد أن أسلمة كتابة تاريخ الاسلام أصبحت ضرورة أساسية لتصحيح المفاهيم والعودة الى المنابع ، وقيام التاريخ الاسلامى بدوره الطبيعى والصحيح فى بناء العقل الاسلامى والوجدان الاسلامى فى هـــذه المرحلة الخطيرة من حياة أمتنا الاسلامية وفى مواجهة التحديات التى يقوم بهـــا التغريب والغزو الثقافى والنفوذ الوافد .

* * *

الباب الرابع عشر
أسلمة منهج اللغة

(١)

تعرضت اللغة العربية فى العقود الأخيرة لحملات مكثفة تنطوى على مؤامرة غادرة قوامها تسليم اللغة العربية لمناهج الغرب ، واحتمواؤها ، ومن ثم النظر اليها على أنها احدى اللغات المتطورة التى تتحول مع الزمن الى المتاحف لتحل بدلا منها عاميات الاقطار التى تتكلم بها وذلك استمدادا من التجربة التى واجهتها اللغات الأوربية بعد أن انفصلت عن اللغة اللاتينية .

وقد كان خليقا بالدعاة الى هذه المحاولة ان يعلموا ان الفارق بعيد وعميق بين تطور اللغتين الجرمانية واللاتينية وبروز العاميات الفرنسية والألمانية والاسبانية وغيرها وترجمة الانجيل اليها وبين موقف اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم ومن ثم اعطاها وضعا مختلفا ما يزال قائما وسيظل حائلا دون تمزقها الى عاميات ودون دخولها الى المتحف كما دخلت اللغتان اللاتينية والجرمانية .

ولذلك فنحن نطالب بأسلمة منهج اللغة ، وتميز منهج اللغة العربية عن منهج اللغات الأوربية المعاصرة والتأكد من أن دراسة هذا المنهج الغربى عمل لا يؤدى الى نتائج ايجابية بالنسبة للغة العربية .

وأن الدعاة الى هذا المنهج انما يرغبون الى أن تنصهر اللغة العربية فى أتون العالمية والأمية وبذلك تفقد ميزتها الخاصة التى أعطاها لها القرآن الكريم والتى ستظل قائمة بها باعتبارها لغة قومية للعرب ولغة عالمية للمسلمين جميعا بوصفها لغة الثقافة والعقيدة والعلوم .

لقد ذهبت بعض مجامع اللغة الى دراسة اللهجات وتقبل دعوات أعداء اللغة الفصحى امثال انيس فريحة وسعيد عقل وغيرهم .. كما جرت الدعوة الى كسر عامود الشعر .

ولعل التغريبيين يرغبون فى أن يؤدى ذاك الاتجاه الخاطىء الى أن يتبنى المسلمون — الى غير مدى — اللغات الأوربية وسيلة لتعلم العلوم أو لبناء منهجهم الحضارى والعلمى على غير أسس اللغة العربية بمفاهيمها القرآنية الأساسية لبناء المجتمعات والحضارات .

وقد توالت فى العقود الماضية دعوات اللهجات العامية والحروف اللاتينية ، واشتعلت فكرة تعليم ابناء المسلمين اللغات الأجنبية بهدف عزلهم عن اللغة العربية بل وهى محاولات باطلة زائفة لن تؤدى الى الهدف الذى يرمون اليه ، يجب كشفها ودحضها والوقوف فى وجه دعاتها الذين يغرون بعض البلاد الاسلامية باستعمال الحروف اللاتينية ، أو استعمال العامية فى الاذاعات والمسرح والصحافة .

كذلك فنحن مطالبون بأن لا تقتحم الألفاظ الغربية محيط لغتنا ويجب أن نعربها أولا بأول . لأننا لو تركنا العلماء والمخترعين من أهل الصناعة فى الغرب — على حد تعبير الدكتور منصور فهمى — بأن يقتحموا الحواجز على لغتنا العربية لعرضناها لجحافل من الألفاظ تغمر بها فتصبح هذه اللغة مهلهلة خالية من جمال صنعتها العريقة ونسيجها المنسجم ..

ولذلك فنحن مطالبون بالعمل على الحيلولة دون استخدام الدخيل من اللغات الأخرى ، استجابة لصيانة مادة اللغة العربية ومسايرة لطواعية اللغة نفسها وما نطوى لها فى نفوسنا من اعزاز .. بل ان حماية الفصحى ضرورة هامة لكونها جزءا لا يتجزأ وان يتجزأ أبدا من الاسلام نفسه ، وايمانا بالحقيقة القائلة بأن العربية بسبب انتشارها الآن فى كل انحاء العالم دون استثناء يجب اعتبارها لغة مشتركة لكافة المسلمين والمسلمات المنتمين الى هذا الدين لا العرب وحدهم ذلك أن اللغة العربية هى مفتاح فهم الاسلام والاحاطة به وبدونها سوف تضيع معالمه ويجهل الناس حقائقه وتعاليمه .

* * *

(٢)

ان قضية مناهج علـم اللغة الحديث هى اكبر التحديات التى تواجه الدارسين المسلمين . شأنها شأن مناهج النفس والأخلاق والاجتماع والتربية الوافدة وهذا هو ما يدفعنا أن نكشف هدف هذا المنهج ونبين تعارضه وعدم استجابته للغة العربية لأنه فى الحقيقة لم ينشأ فى رحابها وانما نشأ فى رحاب اللغات التى انشقت على اللغتين اليونانية واللاتينية والتى لم تكن فى الحقيقة الا لهجات عامية حلت محل اللغة الأم وهو ماكان يمـلأ وجدان (ولكوكس) حينما دعـا المصريين ١٨٩٢ الى اصطناع اللهجة العامية وطرح اللغة الفصحى ظنا منه ان ذلك طريق يسير سيؤدى الى انحلال اللغة العربية الى عاميات وبذلك يتحقق الهدف الخفى المستور وهو اعلان الحرب على القرآن الكريم .

فمناهج علم اللغة الحديث يتركز فى المنهج الوصفى الذى يجعل اساس دراسة للغـة دراسة اللهجات والتركيز على الكـلام المنطوق دون المكتوب ، وصرف الأنظار عن علاقة اللغة بالدين فى سبيل احياء القوميات الحديثة فى الغـرب .

ولا ريب أن هـذا المنهج قـد وضعته العقليات التلمودية شأنه شأن منهج العلوم الاجتماعية وعـلم النفس والتربية من أجـل تدمير العلاقات القائمة بين اللغات دين الكتب المقدسة وتحطيم العلاقة المعروفة بين اللغات الأوربية واللاهوت .

وقد أشار الأستاذ عيسى أمين صبرى المتخصص فى دراسة المناهج اللغوية الحديثة الى اخطـار هذا المنهج ومعارضته لمفاهيم اللغـة العربية التى تختلف أساسا عن اللغات الأوربية الحديثة تاريخا ووجهة وهدفا فى بحثيه الذى نشره فى مجلة الأمة (صفر ١٤٠٥) فقال ان الباحثين قد نشأت فى نفوسهم شكوك كثيرة حـول هذه المناهج الوافدة التى هى من آثار تلك النار المستعرة المستعدة لأكل هذا التراث وافساد هذه اللغة وقد رأو فى هذه المناهج تحديا حقيقيا وأنهـا حلقة فى سلسلة الأخطـار التى رصدها الاعداء لمواجهة الاسلام ولغته وهى — فى رأيهم — مؤامرة لا تختلف عن الدعوة الى العامية واحلالها محل الفصحى أو مبدأ الحروف اللاتينية بهـا وان جاءت اليوم ترفل فى ثوب علمى وتدعى النزاهة

واشار الى ان هذه المناهج انما أرادت احيـاء الثقافات اليهودية ورفع شأن اللغة العبرية وقد نبع هذا التشكك والتوحش من كون التسمية (السامية) مستمدة من التقسيم التوراتى للشعوب . ومع ان علماء المقارنات معظمهم من اليهود الذين كانوا يهدفون الى ابراز دورهم الحضارى وفضلهم على العرب والمعروف أن شلولبتسر هو اول من استخدم كلمة السامية عام ١٨٧١ .. وقد كشف الباحث فساد هذا المنهج واضطرابه نتيجة عـدة

* * *

ملاحظات هـامة :

اولا : ان الأوربيين يجعلون اللغة الدينية المستعملة فى النصوص المقدسة وفى الطقوس غير تلك التى يتحدث بها الناس فى حياتهم العامة ومصالحهم الخاصة (وهذا هو الذى ركز عليه (علم اللغة الحديث لهدمه) وهـو أمر يختلف فى اللغة العربية أساسا عن اللغات الأوربية حيث لا توجد مثل هذه الفوارق .

جـل اهتمامه وانه يعد المظهر المكتوب امرا ثانويا .

رابعا : الزعـم بأن تتناول اللهجات الدارجـة بالدراسة اثراء للغـة الفصحى المشتركة وانه يسدى لها خدمة المحافظة عليها وهو زعم لم يقم عليه اى دليل علمى ولا يؤدى قيمة فعلية ولن يصل الى نتائج مفيدة للغة القرآن الكريم بسبب غير خفى هو أن أوليات علم اللهجات الحديث تقرر وتهدف الى دراسة اللهجة المعينة لذاتها وفى ذاتها .

خامسا : ان هذا المنهج يهدد الجهد والزمن فى امور نظرية ثانوية ، وهو بمثابة ترف علمى لسنا فى حاجة اليـه .

سادسا : ينظر المنهج الوصفى الى التطور أو التغير الذى يطـرا على اللغة على انه سنة طبيعية تصيب الكلام فتميت بعض الألفاظ وتنمى الفاظا أخرى ، وتفسيرا وتوسع أو تضيق معانى الفاظ أخرى .

ولا شك أن هذا الصنيع اذا ما طبق على اللغة العربية فانه يفتح الباب على مصراعيه أمام أصوات والفاظ وعبارات غريبة وخاطئة للدخول فى جسم اللغة والعمل على اتلافه .

ويقيننا التام أن الفـاظ وعبارات القرآن الكريم حيـة لا تموت كما أن معانيها لا تموت وان الاستعمال الصحيح للغـة هو الذى يحييها ويوقظ ما اهمل من الفاظها ويقوم ما أعـوج من تراكيبها ولغتنا بطبيعتها ممتازة عن غيرها بما فيها من قدرة الاشتقاق والمرونة .

سابعا : اذا كان المنهج الوصفى الحديث يجعل أساس دراسته للغة ، تناولها فى فترة زمنية معينة فان

تطبيق هذا المنهج على الفصحى يمسها من جوانب كثيرة لأن هذه اللغة قد شرفت بنزول القرآن الكريم بهـــا مما أكسبها صفة الديمومة ونفى عنها الانقراض ، وبذا لا يمكن أن تعد المراحل التى مرت بهـــا لغات تستقل كل مرحلة منها بخصائص وقواعد مختلفة فلا يجـــوز ان نفصل تراث الأجداد وتعقد للغة قواعد ، ثم ننظر فى العربية لمعاصرة وما لعبه التطور الشاذ فيها وتدون منها قواعد وخصائص ومفردات واساليب لغوية جديدة

فاذا فعلنا ذلك عند كل حقبة وتعددت الفترات نجد أنفسنا أمام لغـــة جديدة بعيدة عن لغة القرآن الكريم التى تمشى متقوقعة فى اغراض العبادات والشعائر الدينية فقط وبذلك تتقطع صلتنا بالماضى وتحول الصعوبة اللغوية دون فهمهـــا .

ان التطور الطبيعى الذى يثرى للغة لا يضـــاد سننها وقواعدها ، ولقد عرفت العربية قديما المجـــاز وغيره من الأساليب التى افادت اللغة واثرتها ولكن لا نرضى أن يتسرب الخطأ والضعف فى المستوى تحت ستار هذا التطـــور .

ثامنا : ان الآراء التى جاء بها المحدثون والمتضمنة فكرة القواعد العالمية لجميع اللغات ففيها خروج عن سنن الحقيقة واختلاف الألسنة ، وهى تذويب للعربية ومحو قواعدها . وكذلك الحال بالنسبة للترويج اللغة العالمية او الاقتصار على لغة واحدة لجميع البشر : كلغة (الاسبرانتو) ذات الحروف والكلمات اللاتينية او القريبة منهـــا .

تاسعا : جـــاءت المناهج اللغوية الحديثة صارفة أنظارها عن الدين فى سبيل احياء القوميات الحديثة أما العربية فهى لغـــة حضارة خالدة ادلت الجانبين المادى والروحى معا اهتمامها وحققت الاعتدال والوسطية لذلك لأن من درسها فى منهج يضـــع فى اعتباره هـــذه الحقيقة ، وليس من شك أن هذا المنهج يولد مع الحضارة نفسها ومعنى هذا أن المنهجية فى اللغة تتبع من طبيعة هذه اللغة وخصائصها واغراضها .

عاشرا : ان الفصحى ليست تلك اللغة اللاهوتية التى تحاط بهالة من التقديس تحجبها عن تلبية حياة المجتمع وتتركها قضية عن القيام بدورها فى تلك الحياة ، وهى ليست ايضا تطرح الدين جانبا انتساق مع تيـــار يعمل بهـــا الى التذويب وفقد الهوية ، وانى لها المقدرة على أبعاد الدين واقصاء القرآن الكريم والتنكر لفكـــر المسلمين وهى التى استمدت من كل هذه اسباب القوة والمنعة وطـــول العهد وهى ليست كذلك تلك اللغـــة المرتبطة بفترة زمنية قصيرة هدفها اشباع حاجات مادية أو علمية مؤقتة .

ومن اجـــل ذلك لابد من منهج لغوى متميز يحقق الوسطية المبتغاة لأمتنا فى الامور الخيرة دائما ، تلك الوسطية التى تملك القدرة على التمييز والنقـــد . ولا يغريها ركوب مطية التزييف مهما كان سهلا » ا . هـ .

واذا كان لنا أن نلم بعلم الله العام فنقول ان الذى وضعه هو فرديناند دى سوسير وان أبحاثه ظهرت ۱۹۱٦ وقد قامت على دراسة اللغات الأوربية القديمة والحديثة .

ومن ناحية اخرى فان هناك ايضا دراسة اللهجات العربية وهو جانب آخـــر من دراسات اللغة محـــاط بكثير من الشكوك والشبهات واهدافه التغريبية .

يقول الأستاذ عبد الستار فراج فى التعليق على كتاب ابرهيم أنيس (اللهجات العربية) :

« اذا جـــاز أن تكون العادات والتقاليد فى جميع العالم خاضعة لناموس واحد جـــاز لنـــا أن نقهر جميع اللهجات العربية على الخضوع لمـــا استنتجه الأوربيون من دراستهم للهجاتهم واصواتهم ولكن ما أحسب أن العوامل التى اثرت فى التقاليد الأنجليزية مثلا تتفق مع العوامل التى أثرت فى التقاليد العربية تمام الاتفاق ، فليست البيئة كالبيئة ، وكذلك فى اللغة ليست الحروف فى اكثرها كالحروف ، واذا كانت نظرية الطب أن سوء التغذية مثلا يسبب ضعفا عاما فليس كل ضعف كعام فى الطب يرجع الى سوء التغذية ، ولكن الظاهرة التى نلحظها فى الكتاب هو وجوب اخضاع اللهجات العربية دون قيد ولا شرط لمـــا قرره علم الأصوات الحديث فاذا وجدنا بعد البحث أن كثيرا من الظاهرات العربية فى لهجاتها غير منطبق على ما قرره طعنا فى رواية الرواة مهمـــا بلغت من القـــوة .

« ليس من العدل أن تفرض النظريات فرحنا وانما العدل أن ندرس ونستقضى ونحاول استخلاص قواعد غالبية غير مكثف بميل أو بضعة أمثلة ، لكنه جعـــل نظريات علم الأصوات الحديث قضايا مسلمة كالنظريات الهندسية تنطبق على اللهجات العربية تمام الانطباق مع أن النظريات الهندسية لا ينطبق منها كل مثلين الا اذا تساوى فى الفرض ضلعان أو الزاوية المحصورة بينهما أو زاويتان وضـــلع .. » .. الخ .

ويتساءل الأمير مصطفى الشهابى عن ما وراء الاهتمام بدراسة اللهجات العامية فيقول : ان اللهجات العربية العامية تعد بالعشرات بل بالمئات ، وكلهـــا

اليوم لا ضابط لهـــا من نطق او صرف أو نحــو او اشتقاق او تحديد لمعنى الألفاظ فهى كلام العامة يستعمل فى الاغراض المعاشية وفى علاقات الناس بعضهم ببعض وهذا الكلام وقتى لا يثبت على مرور الأيام وموضعى لا يتحول من قطر عربى الى قطر آخـــر ، ومعناه ان اللهجات العامية لا يمكن ان تكون لغات علم وأدب وثقافة وليس فى مقدورها أن تعيش طويلا أو أن يعم بعضها أو كلها الأقطار العربية كافة ، وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصورا فى قطره وقلما يفهمه غير ابناء ذلك القطر او غــير طائفة من ابناء ذلك القطر ، فــاذا تدارسنا خصائص هذه اللهجات ووضعنا لكل منها قواعد رجراجة فماذا تكون مغبة هذا العمل ، ان اخشى ما اخشاه ان يستهوى هذا الموضوع عقول بعض الطلاب فيعكفوا على معالجة تنظيم الكتابة والتأليف باللهجات المختلفة ، وعلى طبع هذه السرطانات ونشرها فتكون النتيجة تشويشا وحزرا يباعد بعض الاقطار العربية عن بعض بدلا من أن يوحد بلغتها ، اى ان تكون النتيجة مخالفة تمـــام المخالفة لمـــا يتوقع من تدريس اللهجات العامية فى خدمة الفصحى اما القول بأن تدريس هذه اللهجات يقضى الى معرفة مشكلات الفصحى والى مداواة أدواتها فهو قول ضعيف . ان قضية الفصحى والعامية لا تحــل بدراسة اللهجات العامية بل تحل بتسيير قواعد الفصحى مع الاحتفاظ بسلامتها .

* * *

(١)

وفى مجال المؤامرة التى ترمى الى احتواء اللغة العربية محاولة استعمال اللغـــة الاجنبية فى تدريس العلوم بوجه خاص وهو كما يقول مالك بن نبى : علامة الفشل فى استيعاب تلك العلوم وجعلها خارج نطـــاق حياتنا الفكرية بحيث يتقى الصلة بينها وبيننا .. صلة سطحية لا نغير منها نحن شيئا ، ولا تغير هى فينـــا شيئا بينما نرى فى المجتمعات الحية أن هذه الصلة تتغير يوميا وتجعل الفرد يهيمن اكثر فأكثر لا على هضــــم العلوم فحسب ولكن على تقديمها والسير بها قدما ، مثل اسرائيل التى اعادت لغـــة ماتت منذ ثلاثة آلاف ســـنة واعادت لها هيمنتها على استيعاب كل العلوم والفنون والسير بهـــا الى الأمام ، وكما يحدث فى اليابان والصين وكما حدث ذلك فى حظيرة الحضارة الاسلامية عند بزوغها فانها لم تلبث قليلا الا وقد استوعبت فى اللغة العربية الفصحى فى لغة قحطان كل العلوم اليونانية بكل فروعها من هندسة وطب وفلسفة .

وهذه نقطة هامة فى التحدى الذى يواجه اللغة العربية والعلوم الحديثة فان اسلمة هذه العلوم يستدعى نقلها الى افق اللغة العربية اساسا ثم صبغها بصيغة التوحيد الخالص .

وما تزال قوى التغريب تقاوم تقديم العلوم الحديثة باللغة العربية فى الجامعات بتعللات واهية ، وتتردد على السنة المشككين والمغرضين قضية ما اذا كانت اللغة العربية تصلح لتكون لغـــة العلم ، والواقع أن اللغة العربية مرت بهذه التجربة ونجحت فيها تماما وكانت تجربة الطب فى دمشق تحمل الرد المقنع فى هذه المسألة .

كذلك فان التعليم فى القصر العينى فى مصر ظـــل سبعين عاما باللغة العربية حتى احتل الانجليز مصر فكان من الطبيعى أن يقاوموا هـــذا الاتجاه تحت تأثير النفوذ الاستعمارى المسيطر آنذاك ، ولكن الى متى ..

* * *

(٤)

ومن حرب الفصحى : الحرب الموجهة الى الحروف العربية والدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية .

وقد فات هؤلاء ان هناك فوارق عميقة بين كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية او لغات أوربا التى تفرعت عن اللاتينية .

ذلك أن التركية هى من الاسرة الطورانية ولم تكن ذات حضارة أصلية قديمة ولم تسهم يوما فى الثقافة الانسانية على الصعيد العالمى ، وقد بلغ من ضعفها أنهـــا قد استعارت أبجدية اللغة العربية فى ذاتها تعبر عن ذلك وثقافة ممتدة لأمة واحدة فى تاريخها البعيد الى حاضرها المشرق ولا تزال مفعمة بالحياة والقوة وتطورها وتفاعلها لم يتوقف وهى لغة أمة واحدة ارتبطت بالتاريخ والعواطف والمصير أوثق ارتباط وفوق ذلك فهى لغـــة القـــرآن أساس الحضارة والفـــكر والثقافة العربية الاسلامية .

كما يقول دكتور عبد الكريم حرمانوس : ان للغة العربية سندا هاما أبقى على روعتها وخلودها هـــو الاسلام فلم تنل منهـــا الأجيال المتعاقبة ولا العصور المتباينة ولا اللهجات المختلفة على نقيض ما حدث للغات القديمة والمماثلة التى انزوت تماما بين جدران المعابد وكـــادت تنقرض ..

* * *

الباب الخامس عشر

أسلمة الأدب

(من أسلمة الأدب العربى الى انشاء ادب اسلامى)

فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى وقد اضاءت اضواء كثيرة وبنيت قلاع جديدة للاصالة والعودة الى المنابع ، منها قلعة علم النفس الاسلامى وعلم الاجتماع الاسلامى وعلم الأخلاق الاسلامى وعلم التربية الاسلامى كان لابد أن تتحقق خطط الدعوة الى الأصالة التى قامت منذ منتصف القرن الرابع عشر لتحرير الأدب العربى من تبعيته للمناهج الاجنبية الوافدة سواء فى كتابة تاريخه أو فى أساليب النقد .

لقد دخلت الدعوة الاسلامية مرحلة جديدة متقدمة على سابقتيها فى مجال التنظير والتقنين للفكر الاسلامى فى اطار الأعمال الكبرى القائمة من أجل التماس المنافع مع الوعى القوى بايقاع العصر ، حيث بدأت تلك التجارب فى الميادين المختلفة تشق طريقها ومن هنا كان التحرك من أجل انشاء ما تسميته المدرسة الاسلامية فى الأدب ، وقد مر الادب بمرحلتين : مرحلة التصحيح للادب العربى واخراجه من التبعية ومواجهة التحديات التى حاصرته خلال القرن الماضى عندما فرض عليه الاستشراق مذاهب الغرب فى النقد والتاريخ وقد قطعت حركة تحرير الأدب العربى من التبعية شوطا طويلا وكان من الضرورى أن يتقدم الى مرحلة جديدة لانشاء دعائم واسس الأدب الاسلامى .

ويختلف مرحلة تصحيح الأدب وتحريره التى سبقت والتى شارك فيهـا كثيرون عن مرحلة انشاء الأدب الاسلامى (وهى مرحلة ابداعية فى المقام الأول ان صح هذا التعبير وفارق كبير وعميق بين أسلمة الأدب العربى وبين انشاء أدب اسلامى أصيل من نقطة البدء بعدما تقطعت الأوصال فترة من الزمن .

ويمكن القول بأن تلك المغالاة فى انحياز الأدب العربى المعاصر الى التبعية والتغريب كان عاملا أساسيا فى الدعوة الى انشاء نظرية الأدب الاسلامى كوسيلة أساسية للتحرر من هذه التبعية والخروج من دائرة الحصار .

يقول الدكتور عبد الباسط بدر : امتدت آثار الأدب فى العصر الحديث الى المجتمعات الاسلامية واخذت تنشر سمومها وانحرافاتها عبد طوفان من القصص والمسرحيات والقصائد العربية وكتب النقد التى تأثرت بهذا الطوفان والمعروف أن الأدب فى العصر الحديث يقوم بوظيفة أساسية فى خدمة الفلسفات والعقائد الغربية المختلفة وقد ظهرت نتيجة ذلك فى عدد من الأدباء والنقاد يحملون الهوية الاسلامية وينتمون بفكرهم وعواطفهم الى تلك الفلسفات والعقائد ويتحولون الى دعاة لهـا بقصد أو دون قصد .

ولقد كانت المذاهب الأدبية الغربية (وهى الثوب الادبى للفلسفات والعقائد الغربية ، قد أغرت أولئك الأدباء والنقاد وشدتهم ببياناتها ومبادئها وجعلتهم يعتقدون انها تقدم النموذج المثالى للادب الانسانى الرفيع ، ولم تكن المبادىء والصفات التى تحملها المذاهب الأدبية الغربية محصورة فى الادوات الفنية وقضايا فكرية وعقدية خطيرة .

فالأعمال الادبية التى تنتمى الى الواقعية الاشتراكية مغموسة بالماركسية تحمل مبادئها وقضاياها بشكل مباشر أو غير مباشر ، والأعمال الادبية التى تنتمى اليها الوجودية تجند كل طاقاتها الفنية المؤثرة لزرع القضايا الوجودية : كالقلق والاغتراب ورفض الغيبيات وفصل الانسان عن العقائد السماوية .

ومن هنا كان لابد من تميز واضح بين مفهوم الأدب الاسلامى ومفهوم الاداب الغربية .

(٢)

أما المذاهب الأدبية الغربية فانها كلها بلا استثناء تخالف مزاجنا النفسى وعقيدتنا وقيمنا وحين تتصلّ بها فنحن يجب أن نكون واعين لوجوه الاختلاف والآثار المعارضة ، ذلك أن المذاهب الادبية مرتبطة دائما بالبيئة والعقيدة . وكلا المذهبين (الكلاسيكية والرومانسية) مرتبطة بالدين والتحولات فى بيئة الغرب ، فالكلاسيكية فلسفة تمجد العقل والرومانسية ثورة على العقل وتمجد العاطفة

وهذه الثورة تشمل الاعراف والمبادىء والاخلاق والاسلام يتصادم مع هذه المذاهب من حيث انها تستند الى فلسفات تعارض المفاهيم الاسلامية فالأولى وثنية والثانية مسيحية وبالجملة فان المذاهب الأدبية الغربية مرتبطة بفلسفات مادية ونحن لا نرفض العقل ولا نرفض العاطفة والشعر العربى بالعقل والعاطفة ذاخر ، وما نرفضه وما يتصادم مع الفكر الاسلامى هو أن يوجه العقل والعاطفة الى فلسفة معينة .

ومن ثم فان علينا ان نكون واعين بما وراء هذه النظريات الأدبية من مذاهب غربية تقوم جميعها على المادية الجدلية والتفسير المادى للتاريخ .

وقد عرض الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا (فى كتابه القيم) نحو مذهب اسلامى فى الأدب والنقد الى موقف الاسلام من المذاهب الأدبية فى الغرب فأشار الى مايلى :

اولا : موقفنا الاسلامى من هذه المذاهب هو الالتزام الاسلامى .. فالكلاسيكية استنبطت من ادب اليونان والرومان بوثنيتها التى جاء الاسلام لاجتثاثها من جذورها والقضاء عليها والاسلام يرفض كل ما يحاد الله ورسوله ويحارب الاسلام ، واذا كان الكلاسيكيون يقصرون اعمالهم الأدبية على الجوانب المادية من حياة الانسان أما الجوانب الروحية وما فيها من تألق وصفاء فهى لا تحظى بشىء من اهتمامهم والأدب الاسلامى يعطى الحياة المادية حقها كما يعطى الروح حقها أيضا واذا كان بين الاسلام والكلاسيكية تناقض وتباين كبير فان التناقض بينه وبين الرومانسية أكبر وأعمق ودعاة الوثنية الذين يستنكرون الكلاسيكية التى تنبض بالروح الوثنية فانهم لا يريدون أن ينتقلوا منها الى الرومانسية التى تنبض بالروح المسيحية واذا كان الأدب الرومانسى بنى على تحرير الاديب قيود العقل والواقعية والانطلاق فى رحاب الخيال المجنح فان الأدب الاسلامى ادب واقعى يجره جوادان اثنان لا يستغنى بأحدهما عن الآخر هما : جواد العاطفة وجواد العقل ثم ان الرومانسية تدين بأن الغاية من الأدب المتعة ، أما الادب الاسلامى فلابد من أن تتوافر فيه الفائدة العملية والمتعة النفسية بحيث يكون نافعا وممتعا فى وقت واحد ، كذلك فان نظرية الواقعية تختلف مع مفهوم الأدب الاسلامى ذلك أن الواقعيين على اختلاف اتجاهاتهم يدينون بأنه (لا اله والحياة مادة) ولا يؤمنون بما وراء الطبيعة والأديب الاسلامى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويدين بأن الطبيعة وما فيها وبمن فيها انما هى مخلوقات لله سبحانه وأنه رب السموات والأرض ورب العرش العظيم » .

ولكى نصل الى مفهوم الأدب الاسلامى الذى نضع قاعدة الاساس له يجب أن نعالج واقع الأدب العربى ونكشف عن التحديات التى تواجهه .

*****

(٣)

تحديات التغريب فى مواجهة أصالة الأدب العربى

يواجه الأدب العربى فى الوقت الحاضر مجموعة من التحديات الخطيرة يحتاج الى دراسة ومراجعة ، وتتطلب العمل على فتح الطريق الى بناء منهج عربى اسلامى فى كتابة تاريخ الأدب العربى ونقده . خاصة وأن المنهج الغربى الوافد مازال مسيطرا على الدراسات الأدبية فى الجامعات والمعاهد وكليات الآداب واللغة العربية فى ارجاء كثيرة من بلادنا العربية الاسلامية .

واعتقد أننا بدخول القرن الخامس عشر الهجرى قد دخلنا الى عصر الأصالة والرشد الفكرى الذى يدعونا الى التحرر من الخضوع للمناهج الوافدة وخاصة بالنسبة للادب العربى واللغة العربية الفصحى : « لغة القرآن » رغبة فى تحرير الفكر الاسلامى كله من المناهج الوافدة والتى فرضها التغريب والغزو الثقافى .

ولا ريب أن مهمتنا فى هذه المرحلة من حياة أمتنا هى التعرف على ذاتنا ومزاجنا النفس وطابع أمتنا وادبنا . وابراز ذلك واضحا أمام الأجيال الجديدة لتكون قادرة على شق طريقها فى وسط هذا الركام من المذاهب والدعوات ومحاولات التغريب والغزو الثقافى والتحرر من التبعية للغرب فى شتى صوره ، وامتلاك الارادة القادرة على ربط أدبنا العربى بالقرآن ليكون ذلك منطلقا الى تبليغ الاسلام للعالمين .

أولا : فساد نظريات النقد الأدبى الوافدة ..
ثانيا : فساد خطة تحقيق التراث وتجديده ..
ثالثا : فساد منهج الترجمة من الآداب الأجنبية ..
رابعا : محاولات هدم اللغة العربية الفصحى ..
خامسا : المؤامرة على عامود الشعر .
سادسا : انحراف القصة ..

أولا : فساد نظريات النقد الأدبى الوافدة

اخطر ما اصاب الأديب العربى المعاصر أنه وقع تحت تأثير المذاهب الأدبية الغربية فاحتوته فى مجالين كبيرين : مجال تاريخ الأدب ومجال نقد الادب فخضع لهذه المذاهب الوافدة خضوعا شديدا ولقد كان من أسوأ تحديات التغريب أن جرت المحاولة لعزله عزلا تاما عن مجرى الأدب العربى منذ عصر الاسلام تحت اسم جديد

وتيار جديد وبدأت الكتابات الأدبية كلها وكأنها منفصلة انفصالا تاما عن الحلقات المتتابعة للادب العربى بل ان الكتابات التى قدمهـا بعض الأدباء المتأثرين بالمذاهب الغربية بدت وكأنها منفصلة تماما كدراسات ابى العلاء المعرى والمتنبى وابن الرومى وغيرها .

فقد جرت المحاولة لاخضاع الأدب العربى (القديم كمـا يسمونه) الى مذاهب غربية كالمذهب التحليلى والمذهب النفسى وجرى اخضاع هذه الشخصيات وغيرها لهذه المذاهب مع الاختلاف الواسع والعميق بين العصور والبيئات كذلك فقد جرت المحاولات لاحياء شخصيات منكورة لا وزن لها فى تاريخ الادب العربى الحقيقى من أمثال الصعاليك والزنادقة أمثال أبى نواس وبشار بن برد والضحاك وحماد عجرد وغيرهم على انهم — كما ادعى التغريبيون — يمثلون عصرهم اصدق تمثيل .

هذا هو الجانب الخطير الذى وددت أن اتحدث عنه فى مؤتمر اسلامى للادب العربى لا يغفل عن تحديات التغريب وأخطار الغزو الفكرى للادب العربى وفرض نظريات تين وسانت بيف وبرونتير ، وهى نظريات قائمة على الفلسفة المادية المستمدة من نظرية دارون وما بعدها والتى تنظر الى الانسان على أنه حيوان شهوة ومعدة .

وهو بالقطع ليس كذلك فى مفهوم الفكر الاسلامى الذى يعتبر الأدب العربى حلقة من حلقاته وحبـة من عقده ، فقد حاولت مدارس الاستشراق والتغريب التى فرضت نفسها على الأدب العربى أن تعطى للادب مجالا أكبر من حجمه الحقيقى ، وتفسح له مكانا اكبر من طبيعته فأصبح من حق الأدباء التحدث فى مختلف القضايا الاجتماعية والعقائدية وتقديم وجهات نظر فى مجـالات لا يحسنونها وليسوا من فرسانها كالفقـه والشريعة والأخلاق .

كذلك فان محاولة الدعوة الى استقلالية الأدب عن الفكر فتحت الباب واسعا أمام اخلاقية الادب وغلبة المفاهيم التى يسمونها الأدب للادب والفن للفن وهى مفاهيم ينكرها الفكر الاسلامى تماما ويردها ردا غير جميل . فهى تحرر الادب من طابع الأخلاق وتدفعه الى تصوير الغرائز والاهواء من غير ما قيد وذلك باسم حرية الأدب .

وفى ظـل هذه الدعوى اتسع الحديث عن الشعراء الاباحيين والكتب التى تتصل بآثارهم امثـال الف ليلة والأغـانى و . . . . من هذه المصادر كتب طـه حسين فصول كتابه (حديث الأربعاء) كمـا انفسح المجال أمـام ترجمة القصص الغربية الاباحية والكشف عن جوانب الصراع والعلاقات الشاذة فى المجتمع الغربى ومن ثم حفلت الكتابات الأدبية بالاستخفاف بالقيم الدينية والاخلاقية والغمز لكل ما يتصل بالعقيدة ، والسخرية بالفضائل والبطولات والدعوة الى الاطلاق بدون حـرج والجـراة على المقدسات .

وانتهى هذا الانفتاح الخاطىء الى بروز اسلوب الشك واستعلاء هذه الدعوى واستشرائها فى اسلوب ماكر من اساليب الغزو الثقافى يراد بهـا وضع علامات استفهام متعددة أمام الشباب دون ان يجد اجابة صحيحة تهدى قلبه الغض أو ترضى نفسه البسيطة ، بل ان الدكتور طـه حسين قد فاخر يوما بأنه اخضع للشك بعض المعتقدات التى ورد ذكرها فى القرآن واحاديث الرســول .

ولقد كان من أخطر الآثار التى ترتبت على سيطرة المنهج الغربى الوافد على الأدب العربى : ضعف اصالة البحث ، والتخفف من المصادر الأصيلة ، والاعتماد على المصادر الزائفة من كتب المحاضرات وما سجله الرواة والقصاصون من اخبار من اجـل ترويج آراء كـاذبة مضللة ، وهى مؤلفات لم يكتبها علماء موثوق بهم ولم تكتب وفق أصول البحث العلمى ، وانما جمعت للتسلية والترويح ، وقصد بها جمع الفكاهات والنكات والاحاجى والقصص الكاذب لاغراق المجتمعات بالأوهام والاباطيل ولعل الدكتور طـه حسين هو أول من اقتحم هذا المجال حين اعتمد ودعـا طلبته فى كلية الآداب بالاعتماد على كتاب الأغانى كما دعـا المستشرقون الى اتخاذ الف ليلة مصدرا لدراسة المجتمع الاسلامى وكذلك ثمـار القلوب للثعالبى وهى كتب حافلة بكل فاسـد وغث ، وليست لهـا طبيعة المصادر العلمية .

وقد اتصل هذا الانحراف بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما طبق طـه حسين مذهبه على السيرة فأدخل اليها عشرات الأساطير التى لم يكن يعرفها العرب من قبل ، ولقد عاش المؤرخون المسلمون يحررون سيرة النبى وينقونها من كل شبهة ، حتى جـاء طـه حسين فأدخل اليها هذا الحشد الضخم من الأساطير والاسرائيليات التى خدعت الكثيرين حتى ظنوا انها عمل أدبى رائع وان كانت لم تخفى على الباحثين منذ اليوم الأول وقد وصفها المرحوم مصطفى صادق الرافعى وصفا صحيحا حين قال : ان هامش السيرة تهكم صريح .

ثانيا : فساد تحقيق التراث وتجديده

وفى مجال التراث الاسلامى للادب العربى جرى التحريف والانحراف عن المنهج الصحيح فقد كانت حركة

احياء التراث قائمة منذ وقت طويل وكانت ماضية فى طريقها الصحيح قبل ان يغير المنهج الغربى بمفاهيمه التى لا تتفق مع ذاتية الأدب العربى وبمحاولاته الخطيرة فى احياء جوانب معينة من تراث النحل والفرق وأصحاب الشبهات الذين كان لهم دورهم الخطير ابـــان حركة الترجمة من الاداب اليونانية والفارسية وغيرها وخاصة الفكر الغنوصى والمجوسى والوثنى ، ولقد حرصت مدرسة النقد الادبى الغربى (طه حسين واتباعه من بعده) على احياء كل ما اتصل بالشبهات والزنادقة والغزل الحسى والكتب الحافلة بالمفاهيم الوافدة من الثقافات الهندية واليونانية القديمة وجميعها تلتقى بهدف تدمير قيم الفكر الاسلامى الذى قام اساسا على التوحيد الخالص ونظرة واجدة الى هذه المؤلفات التى انبعثت والتى أعيد احياؤها يكشف فى وضوح عن الغاية والهـــدف .

أولا : الفكر المغرب وكل ما يتعلق بمنطق ارسطو وفلسفة اليونان وتلك المحاولات التى قام بها الفارابى وابن سينا للربط بين الفكر اليونانى والفكر الاسلامى فى وحدة ثبت من بعد فسادها وعجزها .

ثانيا : احياء كتاب الف ليلة وليلة والأغانى ورسائل اخوان الصفا التى كتبتها الباطنية .

ثالثا ، احياء الفكر الوثنى المتصل بالتصوف فى كتابات الحلاج ومحى الدين ابن عربى والسهروردى وابن المقفع وحنيين ابن اسحق وابن الراوندى .

رابعا : احياء شعر الخمر والجنس باحياء شعر أبى نواس وبشار ابن برد والضحاك وحماد عجرد .

ودراسة عصرهم ومحاولة القول بأنهم يمثلون عصرهم وأن هذا العصر الذى هو القرن الثانى للهجرة كان عصر شك ومجون كما قال طـــه حسين .

وهم حين يتحدثون عن التراث يغضون الطرف عامدين عن الغزالى وابن تيمية والمتنبى والبيرونى ولا يذكرون الا ابن سينا وابن رشد ، وحين يذكروهما لا يذكرون آثارهم فى الطب أو الفقه وانما يذكرونهم من حيث هـــم اتباع أرسطو ، وحين يذكرون المعرى يذكرون شعرا له يغمط التوحيد ويذكر التعدد واذا ذكروا ابن حزم لم يذكروا غير كتابه طوق الحمامة فى محاولة لاتهام الفقهاء بالحب ويتجاهلون المحلى فى أحد عشر مجلدا .

وهـــم بالطبع يكرهون ابن حزم وابن تيمية لان المستشرقين يكرهون هجومهم على الفرق الضالة التى طالما أيدوها ، ولا يذكرون المعتزلة الا أنهم أولياء الفكر اليونانى وأنهم أصحاب فتنة خلق القرآن ويدعون ان الاسلام قد ضعف بعـــد سقوطهم ويهاجمون الخليفة المتوكل هجوما عنيفا لأنه نصر السنة وقضى على فساد المنحرفين .

وحملت جماعة التغريب على كتب التراث الاسلامى وقالوا ان الكتب الصفراء تعوق تطورنا الفكرى وأنه من الخير أن تزول هذه المخلفات من الطريق بأن تقدمها للنـــيران .

وجرى التغريبيون على طريق المستشرقين والمفسرين فلم يحفلوا الا بشاعر داعـــر ، أو فيلسوف منحرف أو صوفى ضال ، أما الأصلاء جميعا فقد أغضوا عنهـــم وهاجموهم وانتقصوهم ، وحاولوا الادعاء بأن العبقريات لم يكن له دخل ورد اسماعيل مظهر عبقرية بشار وبراعته هو الذى صنع العقلية التى قدمت هذا النتاج وأن العنصر لم يكن له دخل ورد اسماعيل مظهر عبقرية بشار وتهيأ الى أصلهما الفارسى وابن الرومى الى أجداده الروم .

وحين عرضوا للجاحظ قدروه فى كتابة النجـــلاء وهاجموا كتابه البيان والتبين لانه الكتاب الذى فضح شبهاتهم وأباطيلهم ودافـــع أمثـــال عبد الرحمن بدوى كتاب البيان والتبين بشراسة لا حد لها ، واتهموه بكل نقيصة لانه دل عليهم وكشف المعين الذى منه يغترفون شبهاتهم وأباطيلهم وجرى أمثال عبد الرحمن البدوى عن الملحدين والمنحرفين وعن طـــه حسين بالمجـــان والفساق ، وغيره من شعراء الهجاء المقذع واثارت هذه الدراسات روح التشكيك فى الأدب العربى واتهـــامه والتحامل عليه واعلان أســـوأ صفحاته القلقة والتوسع فيها كأنها الأدب كله والوقوف عند الشعراء وأدبـــاء الصنعة وتجاهل ذلك الحصاد الضخم من الفكر والثقافة والعلوم والفقه والأدب الرفيـــع الذى قدمه عشرات النوابـــغ .

بل ان طـــه حسين ذهب الى ابعد من ذلك حين قال ان ماقى الأدب العربى من نثر فنى انما أصله من الفرس ، وان أعظم مقومات الأدب العربى والفـــكر الاسلامى وانما استمده من اليونان والاغريق .

ومن البعث الزائف للتراث اعادة نشر رسائل اخوان الصفا الذى تأكد انهـــا من تراث الباطنية ، كما عمد لويس ماسنيون الى احياء تراث الحلاج ، ومازال بعض الفئات تعاود نشر ما أطلق عليه تفسير ابن عربى للقرآن وهو كتاب ملىء بالسموم ومن هذا أيضا تلك الأكذوبة الخطيرة بنسبة عدد من أشعار الفرس القديمة الى العـــالم الفلكى العبقرى عمر الخيام وقـــد كشف الباحثون المسلمون فســـاد هذه المحاولات كلهـــا .

وهناك محاولات أخرى أشـــد خطورة فى مجال

بعث التراث وهى اعادة كتابة التراث بصورة تغريبية على النحو الذى قام به طـــه حسين فى كتبه : هامش السيرة والفتنة الكبرى والشيخان وغيرها فقد اخضع هذه الكتابات لمذهب التفسير المـــادى للتاريخ وجـــرت المحاولة لتصوير الصحابة رضوان الله عليهم على انهم مجموعة من السياسيين المحترفين الذين يتصارعون على الحكم . فنحن فى تحريف التراث بين أمرين احلاهما مر : هما اعـــادة صياغته أو نشر المنحرف منـــه .

* * *

ثالثا : فساد الترجمة من الاداب الاجنبية

وفى مجـــال الترجمة من الآداب الأجنبيـــة كانت محاولات التغريب والغـــزو الفكرى بعيدة المدى . فقد حرصت مؤسســـات التبشـــير ومدارس الارساليات ومطابعها على تقديم عدد ضخم من سالترجمات الهزيلة الأسلوب الفاسدة المضمون التى اغرقت القارىء العربى والمسلم بقيم ومفاهيم تتصل بالفسق والزنا والفاحشة والاثم على نحو يحسن هذه المعانى ويرسمها كأنها أمور طبيعية أو مشروعة ، ليست محرمة ولا هى انحراف فى هذه المجتمعات نفسها .

وقد امتد هذا اللون المسموم الى القصة والفقه والأدب والشعر والعلوم والمباحث النفسية والاجتماعية والفلسفة .

وفى مجال الأدب فقد تذفت آفاق الأدب العربى بركام ضخم من القصص الفرنسية الخليعة وقدمت هذه القصص فى أسلوب ردىء فى طباعة رخيصة ، وقـــد استهدفت كلها الاثارة دون المنفعة وقام طـــه حسين بدور كبـــير فى ترجمة المسرحيات الفرنسية المكشوفة وشعر بودلير وغيره ، وبرزت مع ذلك مدرسة ترى اطلاق الفن من قيود الفضيلة ، هذه المدرسة التى نشأ فى اكنافها القصاصون الحاليون وقـــد احصى يوسف اسعد داغر عشرة الآن قصة ترجمت حتى أوائل الحرب العالمية الثانية وهو رقم مخيف مفزع وترجمت قصص تحاول أن تنتقص بطولات المسلمين وعظمة المسلمين أمثال صلاح الدين واعلاء روح التعصب الأوربى وفى الاخير ترجمت قصص وكتابات يهودية وصهيونية ترمى الى ادخال مفاهيم زائفة فى النفس المسلمة . ومن كتابات امرسون وول ديورانت وغيره تجد محاولة للسخرية بالقيم الأخلاقية والدين وتسفية الشعائر الدينية واحتقار البطولة والكرامة والعفة . وعرض تاريخ اليهود عرضا جذابا مشربا بالعطف والمحـــاباة .

ولقد توسعت حركة الترجمة فى مختلف مجالات الفـــكر والأدب والفـــن فترجمت القصـــص الابـــاحى والمسرحيات اليونانية بمفاهيمها الوثنية التى قام عليها المسرح والرواية وهى نظرية الصراع بين الانسان والآلهة مع أن الاسلام يرفض مثل هذا المفهوم ويدحضه كما قدمت الترجمة مختلف النظريات الوافدة المتأثرة بالمفهوم المادى والالحادى أمثال نظرية دارون ونظرية فرويد ونظريات العلوم الاجتماعية والأخلاق التى قدمها دور كايم وسارتر وكلها تحاول أن تفرض مفاهيم ونظريات وافدة معارضة لمفهوم الاسلام الأصيل الجامع الواضح فى مختلف مجالات النفس والاخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

واسوا ماقى ذلك أن هذه الترجمات قدمت للفكر الاسلامى على أنها علوم أصيلة وليست فروضا قابلة للخطأ والصواب أو وجهات نظر تمثل أممها واصحابها ودون أن تلحق هـــذه الترجمات أو تسبق بدراسات توضيحية يعرف منها القارىء المسلم ، موقف أمته وفكرها من هذه القضـــايا .

وفى نفس الوقت حجبت الترجمة ما يحتاج اليـــه المسلمون فى هذا العصر عن مفاهيم العلوم التجريبية والطبيعية والرياضية التى نحن فى حاجة اليها واستبدلت بذلك ركاما مضطربا عاصفا يرمى الى هدم ذلك الحائط النفسى المرتفع القائم فى النفس المسلمة بالحق والتقوى والكرامة والفضيلة كما يصور الجريمة على انها ظاهرة طبيعيـــة .

ومن شأن هذه الترجمات أن تطرح فى مجتمعنا الاسلامى موجة من اليأس والتشاؤم والملل والشك وازدراء الحياة مما لا يتفق مع طبيعتنا المتفائلة المؤمنة بالله تبارك وتعـــالى .

* * *

رابعا : محاولات هدم اللغة العربية الفصحى

وقد حاول التغريب والغزو الثقافى أن يتوجه بخطة خطيرة من التآمر نحو اللغة العربية الفصحى : لغـــة القـــرآن لهدمها ومحاولة احـــلال العاميات والحروف اللاتينية بديلا منها وذلك لقطع الصلة بين البيان العربى وبين القرآن من ناحية وقطع الصلة بين أجزاء الأمـــة العربية باعلاء العاميات ، وقد توالت هذه الدعوة منذ وطـــأ الاستعمار البـــلاد العـــربية وحمـــل المبشـــر الانجليزى لواءها وليم ديلكوكس ومنها تلقاها عشرات فى مختلف أجزاء البلاد العربية ثم جـــاء جيل من التغريبيين حمل هذا اللواء ودعـــا هذه الدعاوى من أمثال لطفى السيد وسلامة موسى وحسين فوزى ولويس عوض .

وما تزال هذه الدعاوى تتجدد فى مختلف أجزاء

البلاد العربية على صـورة واخرى منذ دعـا لويس ماسنيون الى كتابة العربية بحروف لاتينية وتابعه عبد العزيز فهمى وآخرون ، وتجددت فى السنوات الأخيرة دعاوى ما يسمى باللغة الوسطى ، وتلك دعوة حمل لوائها فريد أبو حديد وتوفيق الحكيم وأمين الخولى وهى محاولة ماكرة لفصل اللغة العربية الفصحى عن لغـة الكلام ولغـة الكتابة باعلاء اللهجات واعتماد اللغـة الصحفية لغـة اساسية ، فلا هى عامية ولا هى فصحى ولكنهـا تنزل درجة عن الفصحى لتنفصل عن بيـان القـرآن ولتكون مقدمة لمرحلة أخرى تصل بهـا الى العامية وجاءت مرحلة أخرى فى محاولة خطيرة تولاها وتصدى لهـا الدكتور طـه حسين وهى تبديل الخط العربى وقواعد النحو باسم (تطوير اللغة) تحت اسم تهذيب أو تيسير أو اصلاح أو تجديد (وهى اسماء لبقة مرنة تخفى وراءها هدفا خطيرا) وصفه الدكتور محمد محمد حسين بأنه التحلل من القوانين والأصول التى صانت اللغة خلال خمسة عشر قرنا أو يزيد وهى القوانين والأصـول التى ضمنت لنا القدرة على مطالعة تراث المسلمين والعرب خـلال أربعة عشر قرنا .

فاذا تحققت هذه الخطة التى تسـمى بالتطوير أو التهذيب وتحللنا من هذه الأصول والقوانين والقواعد التى صانت هذه اللغة هذه القرون ، كانت النتيجة هى تحقيق الهدف فى تبلبل الالسنة بين المصرى والشامى والمغربى ، وتصبح قـراءة القرآن والتراث العـربى الاسلامى متعذرة على غير المتخصصين من دارسى الآثار ومفسرى الطلاسم وعندئذ تصبح وحدة العرب كمقدمة لوحدة المسلمين عمل باطـل ..

* * *

وبدعة اصلاح اللغة هى احدى هذه الخطط فقد ظن الكثير من البسطاء أن المسألة يراد بهـا سهولة الأداء ، ولكن الحقيقة كما كشف عنهـا الدكتور على العنانى هى فيمـا يأتى : « ان الاصلاح فى الالفاظ والتراكيب والاساليب لا يكون الا بتغيير قواعد أبنيـة اللغة وهى (الصرف) وتحوير ضوابط اعرابها والأحوال العارضة على الالفاظ باختلاف الوضع فى الجملة وهو (النحو) وتبديل الموضع اللفظى فى المفرد والمركب من حيث الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية وهو (البيان) وتغيير واهمال ضوابط الفصاحة والبلاغة وهى (المعانى) ومعنى اصلاح قواعد الصرف انتقالا من الصعب الى السهل انما يعنى أن نهدم علم (الصرف) من أساسه وننسخه نسخا تاما لتعدد قواعده ، وتنوع ضوابطه ، وبعد أن يتم الهدم يبنى المصلحون على أنقاضه صرفا جديدا محدود القواعد ، قليل التنويع ، خفيفا على العقل والفكر ، سـهلا على الذهن والفهم ، كذلك الأمر فى اصلاح قواعد النحو واصلاح علوم البلاغة . وبهذا يكون معنى الاصلاح فى اللغة نسخ العقلية العربية وما فيها من ثقافة نظرية وعملية . ذلك أن الاصلاح هو التغيير ، والتغيير يعنى الازالة والوضع ، وهذا يعنى احداث لغة جديدة بقواعد جديدة ، وهذه اللغة العربية الجديدة ان صح اتصالها بالعربية الحالية المدونة اتصال اللهجـة بالأم فانها تبعد عنها شيئا فشيئا حتى تختفى معـالم الصلات بينهما أو تكاد وعندئذ تكون اللغة العربية الحالية من اللغات الميتـة » .

ومعنى هذا أن يصبح تراث العربية البالغ ثلاثة ملايين من الكتب فى مختلف مجالات الشريعة الاسلامية والأدب والحضارة والفكر والفن عبارة عن توابيت فى دار الآثار والمتاحف .

والحق أن قواعد اللغة العربية وضعت طبقـا لنصوص القرآن والحديث والمسموع من العرب فالتغيير فى هذه القواعد هجر للقرآن والحديث ، كذلك فان الاسلام وهو عقيدة وشريعة قد استنبطت أحكامه فيما يختص بالعقيدة والتشريع فى العبادات والمعاملات من الكتاب والسنة وعمل الرسول والقياس والاجتهاد ، وكل هذه الأركان والينابيع لا يمكن أن يستنبط منها حكم الا بواسطة مبادىء خاصـة وقوانين معروفة بعـلم الأصول . واساس هذه المبادىء والقوانين الراسخ أو دعائم علم الاصول انما هى فهم لغـة العرب : لغـة القرآن والرسول بما وضع لها من القواعد الصرفية والنحوية وضوابط علـوم البلاغة واذا أصلحت هذه الضوابط تلك القواعد بالازالة والوضع انهدم أساس عـلم الأصول وتداعت دعائمه واذا انهـدم الاساس وتداعت الدعائم انهدم ايضا ما يرتكز عليها وهو هذا العلم واذا وصل هذا العلم الأساس فى استنباط احكام العقيدة ومسائل الشريعة الى التداعى ، تداعت معه ايضا طريقة الاستنباط وفهم ما استنبط ودون بالفعل ، وضاعت العقيدة واحتجبت الشريعة وعدنا الى الجاهلية الأولى ..

هذه هى خلفية ــ الصورة البراقة ــ كما يصورها الدكتور على العنانى ــ التى يحمل لواءها اليوم مجموعة من أعداء الاسلام واللغة العربية يدافعون عنها وينقلونها من ثوب الى ثوب ومن أسلوب الى أسلوب وكلما انكشف زيفهم فى جانب أعادوا تشكيلها فى صورة أخـرى .

* * *

خامسا : المؤامرة على عامود الشــعر

لـــا كان الشعر هو ديوان العرب ولما كان عامود الشعر هو الرككيزة الأساسية فى بناء القصيدة . فقد جرت المحاولة اولا للقضاء على الشعر العربى الذى كان عاملا هاما من عوامل اليقظة ومواجهة النفوذ الأجنبى ومن ثم بدات الحملة عليه واتهامه بأنه شعر مناسبات وذلك للقضاء على دوره التاريخى الخطير الذى هــز النفوس فى مواجهة الأحداث ، فى قضايا الوحدة الاسلامية والنفــوذ الأجنبى وفى الترابط بين العرب والمسلمين فظهرت الدعوة الى الشعر الذاتى للقضاء على الشعر السياسى والاجتماعى وبذلك تبدد ذلك الصوت الضخم القوى الأداء الذى آزر الحركات الوطنية والاسلامية وواجه الاستعمار والنفوذ الغربى والصهيونية هذه هى الضربة الأولى التى وجهت الى ديوان الشعر ، ثم جاءت مرحلة أشــد خطرا هى مرحلة الشعر المنثور وقصيدة النثر أو شعر التفعيلة او الشعر الحـــر .

الك الدعوى المسمومة التى حمل لواءها الماركسيون والشعوبيون لاخراج الأدب العربى من عامود الشعر ومن كل الآثار القوية الضخمة التى اثـــر بها فى محيط الاسلام ومجتمع المسلمين . وقد وصف شاعر عربى أصيل معاصر هو عمر ابو ريشة هذه الظاهرة بأنهـــا موجة منحسرة وظاهرة مرضية وانها صناعة وافــدة وان الصهيونية حتما وراء هذا الشعر ، فالصهيونية هى مبتكرة البدع والهرطقات فى هذا المضمار أو ذاك لملء الفراغ عند الشباب ولمنعهم من العــودة الى التراث والأصـــالة .

وتؤكد الدلائل على أن شعرنا العربى كان عموديا طيلة حياته التى تمتــد أكثر من الفى عـــام وان كل التجديدات التى دخلت عليه ــ كما يقول الدكتور عبد المنعم خفاجى ــ كانت تلتزم بهذه العمودية أو تسير فى اطارها وان هذا الشعر العربى قد اصبح صورة فكر وتراث حضارة وأمة وقــد جـــاء اليوم من يدعو الى التخلى عن هذه العمودية كليا للسير على نظام التفعيلة وحدها ولنبعد بالشـــعر عن اصوله العمـــودية وعن موسيقاه الشعرية كذلك هناك من يدعون الى تحطيم هذه العمودية ونبذ جميع شعرائها فى القديم والحديث والنظر اليهم على انهم متخلفون لا يصح أن نسير على منوالهم ويؤكد كثير من الباحثين وفى مقدمتهم الدكتور محمد محمد حسين : أن الشعر الحـــر فى أصل نشأته شعبة من اتجاه عام يدعو الى تقليد الغرب فى فــكره وحضارته .. فاطلاق الشعر من القافية التى ظل يلتزمها طوال هذه القرون ، منذ عرفنا الشعر العربى دعوة تستمد حججها ومبرراتها من الشعر الغربى الذى لم يعرف القافية الا فى حدود ضيقه من آثار احتكاكه وتأثره بالأدب العربى فى الأندلس .

ولقد كان من اثـــر هذه الموجة هو ضعف هــذا الجيل وعجز أكثر عن تذوق الشعر العربى الأصيل فى فى تراثه الطويل . هذا وقد حمل الشعر الحـــر جميع سموم الفكر الغربى من تشكيك ولا ادرية وانحلال ومعانى مرتجلة ساذجة وحاول انبعاث تراث قديم من الأساطير التى جـــاء الاسلام للقضاء عليها واعلان انها من عصر طفولة البشرية ولقد نشأ هذا التيار ونمـــا قليلا فى مرحلة الضعف والهزيمة والنكسة وجيل الضياع الذى صنعته مفاهيم الماركسية والوجودية والفكر المـــادى .

وتهدف الدعاوى التى يحملها اهـــل هذا الشعر فى صميمها الى هـــدم قواعد الأدب العربى والبلاغة العربية وذلك عن طريق عمادها اللغوى وقد حفـــل الشعر الجديد بكل صور الوثنية والالحاد والتفاهات وقد اتخذه الشعوبيون والمنحرفون أداة لمحاربة اللغة العربية الفصحى ومطية لهدم مفاهيم الاسلام الصحيح .

* * *

سادسا : انحراف القصـــة

لاشك أن القصة بمختلف اسمائها وفنونها هى فن غربى خالص ومستحدث يختلف اختلافا كبيرا عما عرف الأدب من فنون يمكن أن توصف بأنها قصة أو ما عرف عن طابع القصص القرآنى ، فقد بدأت بالترجمة ثم التعريب مع تغيير معالم البلاد وأسماء الأبطال ، مع بقاء جوهرها الاجنبى .

ومازال القصة والمسرحية تستوحى ذوق وتصرف المجتمعات الاوربية بكل اخلاقياتها ومفاهيمها وحلول مشاكلها التى تختــلف فى جوهرها عن ذوق وتصرف المجتمعات الاسلامية ولاشك أن هناك فروقا بعيدة بين النفس العربية الاسلامية وبين النفس الغربية من جهة الأحداث نفسها ومن جهة الاستجابة للاحداث كالخيانة الزوجية واضطراب الاسرة ، وهناك ايضا فروقا وتباينا من ناحية التصرف ازاء الأحداث .

فالقصة العربية المطروحة الآن فى افــق الأدب العربى لا تمثل حقيقة روح الأمة العربية الاسلامية لانها تخضع للمنهج الغربى وهى مغايرة تماما للقصص الأصيل : الذى وصفه القرآن الكريم بأنه (القصص الحق) البعيد عن الخيال الجـــارف والهوى والتنهيد والتفاصيل وقد اتسم الأدب العربى منذ ظهور الاسلام بخاصية واحدة هى تمثل الصدق والحق مع الوضوح والايجاز ، والتماس العبرة ، والدعوة الى الخلق والسمو

والارتفاع فوق الأهواء ، وكلها عناصر حضارة للقصة العربية الحديثة بل ومعارضة لهـا ، ذلك أن العربى كان يفكر دائما فى أفق مفتوح مشرق طليق ، طبيعة الحياة الحـرة الجريئة المكشوفة ، وطبيعة الفارس المقاتل الحفيظ على العرض والكرامة . الذى يقول كلمته فى صراحة ووضوح ، هذه الطبيعة الواضحة لم تكون فى حاجة الى القصة المصطنعة القائمة على الحبكة والمفاجأة والطلال والرموز ذلك أن العقيدة الاسلامية كانت بسيطة سمحة تقوم على التوحيد أساسا فـلم تكن فى حاجة الى هذه المذاهب الغربية التى تقام فى المعابد او الأديرة لتشرح للناس مقاض معقدة .

ولمـا كانت ذاتيته الأمة العربية وفراغها النفسى وتركيبها الاجتماعى والعقائدى البسيط السمح ، فقد اختفت من الأدب العربى المسرحية والملحمة والقصـة الاسطورية وحين ظهرت الف ليلة وليلة وأدب المقامات والسجع كان ذلك كله غريبا عن طابع الأدب العربى المتحرر من طوابع الوثنيات والرمزيات .

فهذه القصة العربية التى يقدمها الأدب العربى اليوم ليست اصيلة ولذلك فهى لن تستمر طويلا لأنها مضادة للفطرة وللطبيعة العربية الاسلامية ، وأنها قد أفسدت عقول الشباب والفتيات نتيجة تلك العبارات المكشوفة والتصورات الهابطة وتلك الدعاوى الباطلة من الاغراء والخداع وأساليب الاغتصاب وصور الاباحية والفســـاد .

والقصة بهذه الصورة المعروضة اليوم هى من سموم الغزو الفكرى والتغريب التى تهدف الى تحطيم القيم الأخلاقية والكرامة وافساد المجتمع .

***

الأدب العربى : يجب أن يكون إسلامى الوجهة والمنطلق

ان الوحدة التى حققتها الاسلام كانت وحدة فكر ، متصل بجميع جوانب الحياة ، والادب جزء منه ، وكان الفكر — لا الادب — هو الذى طبع عالم الاسلام بطابعه بوصفه شاملا لجميع جوانب المعرفة ، وليس قاصرا على تصـوير النفس الانسانية وحـدها وهى مهمة الادب الاساسية .

ولم يفصل مفهوم الفكر الاسلامى للادب بين الفن والخلق وقد استطاع بتجربته الصادقة العميقة أن يحقق الجمع بين الصدق والأخلاق وأن يوازن بين مهمته وبين علوم التربية والنفس والاجتماع ولم ينحرف عنها ، فى سبيل المبالغة فى جانب على آخـر ولم يعل من شأن العاطفة على العقـل .

وطبيعة الادب انه خـادم أمين للتاريخ وعـلم الاجتماع ، على أساس قدرته فى تقديم أصدق صـورة للعصر والمجتمع الذى صاغه وكونه .

ويحتاط الفكر الاسلامى فى تعبير « الشعراء » ولا يراه أصدق معبر عن عصره على أساس أن الشعر منطلق عاطفى وخبراتى لا يتقيد كثيرا بالعقل ولا بالعلم « وعند أن الشعراء ورجال الفنون قوم مشبوبو الاحاسيس مهتاجو العواطف وكثيرا ما يعجز فكرهم ويغطى على قلوبهم عواطفهم المضطربة وميولهم ونزعاتهم ، وهـم بحسهم المرهف يقدموا لنا صورا براقـة لامعة ساخرة أخاذة ، ولكنا حريين أن نعلم أنهم قد لا يلتزمون الاعتدال ولا يتوخون الانصاف ويستخفون بالتبعة ويعتمدون على البديهية فلا يتعمقون ولا يستقصون بل يتعصـبون وينحرفون » — على ادهم ..

وطابع الادب العربى من حيث قيامه على الموازنة بين العقل والعاطفة لا يعنى كثيرا بالتصاوير والزخارف والمهرجانات والتماثيل والاستعراضات ويؤمن بالقيـم الروحية الفكرية الحية ، ولا يتكىء على الجوانب المادية ولا يسرف فيها وهو فى تقديره للابطال لا يكرم الافراد انفسهم ولا يضعهم موضع القداسة ، وانما يكرم أعمالهم ويحتفى بها ولذلك فان مثاله هو العمل ، لا الفـرد .

ويتسم الادب العربى بوصفه جـزءا من الفـكر الاسلامى بسمات واضحة أساسية مستقلة ، تختلف كل الاختلاف عن مفاهيم الأدب القديمة والحديثة من حيث استمداده أساسا من معين القرآن وتأثره بالغ الاثـر بالقيم الاساسية التى رسمها للفرد والمجتمع والكـون والحيـاة .

وقد استطاع الادب العربى أن يمزج خير مقوماته القديمة بمقومات الفـكر الاسلامى وأن يصوغ (فنـا جديدا) طابعه اسلامى الجوهر يحمل خصائص الامة العربية من بطولة وكـرم وشجاعة واريحية ومروءة ويطبعها بطابع المفهوم الاسلامى متجهة الى الله تبـارك وتعالى وخالصة للحق ومتجردة من الهوى والغرض .

وقد شق الادب العربى طريقه اساسا وفق مفهوم واضح ، قوامه انه غير منفصل عن الفكر الاسلامى كله كمفهوم اساسى ، فلم يقبل التضحية بالقيم والمضامين الاخلاقية من أجـل البراعة الفنية وقـد استطاع أن يوازن بينهما أيمانا بمفهومه الاسلامى القائم على الوسطة والتكامل والجمع بين العقل والقلب والروح والمادة وأن يرجح احدهما أو يعلى الآخـر مؤمنا بسلامة بناء الكيان الانسانى وعدم تعريضه للجحود أو الانحراف فى آن .

ويعد طابع « التوحيد » من أبرز خواص الادب العربى ، وهى خاصية تغلب على غيرها من خواصه ، وتمثله خير تمثيل ، فقد اتخذ الأدب العربى طريقه ليكون موحدا متساويا وقد قدم الادب العربى فى نطاق مفهوم الفكر الاسلامى صورا انسانية عميقة فى مجال البطولة والزهد والتصـوف والتسامى والمثل العليا والنظرة الجامعة واستطاع فى ظل مفهوم الفكر الاسلامى أن يحقق

تحرير الخيال من الاغلال الطبيعية الشديدة الوطأة وان يعيش الواقع ويحسنه .

وبالجملة فان مفهوم الادب العربى فى اطار الفكر الاسلامى يقوم على الجمع بين الوجدان والعقل ، والروح والمادة معا وهو لا يعنى بالاستعراضيات والمهرجانات والزخارف واوليته هى فى التعبير الفنى ، القائم على الايمان بالله واليوم الآخر ، وفناء العالم المادى وبقاء الروح وخلود اليوم الآخر ، وقوامه ارتباط الادب بالاخلاق ، ويتركز مفهوم الادب حول موقف الانسان من الحياة والمجتمع ، فى محاولة لكشف ما فيها من خير وشر ، وعلى نحو يعلى ويزكى تقبل الخير وشجب الشر ، وهو بذلك دعوة الى القيم النبيلة التى تدفع الانسان الى مجال السمو والرفعة والكرامة دون الخروج عن نطاق الواقع ، حيث يبدأ منه نقطة الاصلاح واعلاء النفس الانسانية عن الشر والفساد .

ويقوم المفهوم الفكرى للادب العربى على اساس :

١ ــ التشخيص الصحيح لمشاكل المجتمع وسلبياته واحتياجاته .
٢ ــ زرع الامل فى النفوس وتحطيم اليأس .
٣ ــ الدعوة الى الحياة الفاضلة الكريمة .
٤ ــ تقديم الحل الاسلامى لمشاكل العصر .
٥ ــ الاخلاقية سابقة على الجمالية والعصرية .
٦ ــ اسعاد القلوب والعقول بما يملأها طمأنينة وايمانا .
٧ ــ القضاء على القلق والانحراف .
٨ ــ اطفاء الغرائز والاستعلاء بها على المادة والقبح .
٩ ــ الحيلولة دون الذوبان الاجتماعى فى الحضارات .
١٠ ــ الحفاظ على الذاتية الاسلامية .

وقد دعا الادباء الاسلاميون فى العصر الحديث الى قيام منهج اسلامى لتاريخ الادب العربى ولنظرية النقد الادبى الاسلامية وذلك بعد أن خضعت مختلف الجامعات وكليات الآداب فى الجامعة والأزهر ودار العلوم لنظرية تاريخ الأدب الغربى ونظرية النقد الادبى الوافدة

ويركز الدعاة الاسلاميون الى :

اولا : اصالة الادب (تاريخا ونقدا) على أن يكون الاديب مسلما مقتنعا بمبادىء الاسلام وقيمه ومثله قبل كل شىء ، وملتزما بالاسلام ضابطا لحريته .

ثانيا : أن يكون الادب الاسلامى فى خدمة الدعوة الاسلامية وحمايتها والدفاع عنها وتحريرها من التبعية

ثالثا : أن يقدم المقاييس الاسلامية فى جميع المجالات . ١ ــ فى الحرب والسلام والمجتمع . ٢ ــ يقدم الاخلاقى على الجمالى . ٣ ــ يقدم المفهوم الجامع روحيا وماديا . ٤ ــ الصدق الفنى وهو ما وصفه عمر بن الخطاب فى قوله عن زهير (لا يعاظل فى كلامه ولا يتبع حواشى الكلام ولا يمدح الرجل الا بما فيه . ٥ ــ التحرر من سموم النظرية الغربية للنقد .

(دكتور حسن جاد)

(٥)

محاولات التغريب فى فصل أدب أمتنا فى الماضى والحاضر

منذ بدات حملات التغريب والغزو الثقافى والشعوبية على الفكر الاسلامى عن طريق الاستشراق والتبشير فقد وجهت قذائف كثيرة الى معسكر الادب العربى واللغة العربية بهدف تهوين قيمها الاسلامية التى صاغها القرآن الكريم والسنة النبوية ورغبة فى تزييف اصولها وأصالتها وتذويبها فى اتون النظريات الغربية والاممية الاباحية والمادية والوثنية .

ومن هنا فقد كان من الضرورى والمسلمون يتوجهون اليوم الى بناء مفاهيمهم الفكرية على اساس القرآن الكريم بعد أن تميعت اجيالا طويلة أن يكشفوا زيف هذه المؤامرات الخطيرة وان يدحضوها حتى يمكن تسوية الارض أمام قيام منهج اسلامى صحيح للادب ، يكون متحررا من التبعية ومستمدا من المنابع .

ولطالما دعا الابرار من رجال اليقظة الاسلامية هذه الامة ممثلة فى اساتذتها وعلمائها ورجال جامعاتها الى التماس منهج اسلامى للادب العربى بعد أن افسد التغريبيون هذا المعين المشرق النقى وحالوا بين روائعه وبين الوصول الى الشباب المسلم ، مقدمين عليها سموم ابى نواس وبشار ووالبة بن الحباب وغيرهم بل لقد بلغ الفجور والاجرام بكبيرهم الى أن يقول أن القرن الثانى للهجرة هو عصر شك ومجون وفيه من فيه من التابعين البررة الذين انشأوا المذاهب الفقهية الاسلامية ومفسرى القرآن ومقننى الشريعة ولقد كان السؤال الذى لم يكف دعاة اليقظة الاسلامية عن توجيهه خلال العقدين الماضيين : لماذا نكون تابعين لمدارس معينة فى النقد

الادبى ولا يكون لنا نظريتنا الاصيلة ومدارسنا المبتكرة القائمة على أساس من قيمنا ؟ لماذا نتأقلم نحن لنظريات الآخرين وهى غريبة عنا ، ولا يكون لنا مناهجنا المبتدعة الخالصة المستمدة من ادبنـــا ؟ ومادام ادبنا يختلف فى جوهره وذاتيته ومضامينه عن الادب الغربى فلماذا نحكم مقاييس هذا الأدب فيـــه ؟ .

واعتقد أنه فى مطالع القرن الخامس عشر (قرن هزيمة التغريب والغزو الثقافى وقيام مناهج الاصالة فى مختلف جوانب الفـــكر الاسلامى سياسيا واقتصاديا وقانونا واجتماعا وتربية) اعتقد أنه قد آن الاوان لارساء المنهج الاسلامى للادب . ولقد كان لادبائنا فى عصور الأدب العـــربى المتصـــلة نظرياتهم ومنـــاهجهم التى شكلوها فى ضوء انتاجهم ، واعتقد أن اساتذة الأدب العربى فى جامعات البـــلاد العربية والاسلامية اليوم يؤمنون بما آمن به هذا الرعيل الكريم من انه قد آن الأوان لانشاء منهج اسلامى للنقد الادبى ولتاريخ الادب العـــربى .

ومن هنا فاننا ننبه على المحاذير الآتية :

أولا : (وهو أخطر المحاذير) تبعية الأدب العربى للمفهوم الغربى للنقد الادبى والاستسلام أمام مفهـــوم (تين وبرونتير وسانت بيف) وهو مفهوم مادى صرف يفترض فى النظرة الى الانسان أنه حيوان يخضع لظروف البيئة ، تسيطر عليه شهوتا الطعام والجنس على النحو الذى صورته الفلسفة المادية استمدادا من نظرية دارون اساسا وقد أشار (ستانلى هايمن) فى كتابه (النقـــد الأدبى ومدارسه) الا أن النقد الادبى الحديث قد اعتمد على مناهج خمسة من العلماء هـــم دارون وماركس وفريزر وفرويد وديوى ، أما دارون فقد جاءت منـــه الفكرة بأن الانسان جزء من النظام الطبيعى وطبق على الانسان ما يطبق على الحيوان والحشرات أما ماركس فهو الذى ذهب الى أن الادب هو الذى يعـــكس ولو بطريقة ملتوية أديانا العلاقات الاجتماعية والانتاجية لهذا العصر او ذاك . أما فرويد فهو الذى يرى أن الادب تعبير مقنع وأنه تحقيق لرغبات مكبوتة قياســـا على الاحلام وأن هذه المقنعات تعمل حسب مبادىء معروفة ، وفكرته أن هناك مستويات ومدارج عقلية تقـــع وراء الوعى وأن بين الرقيب والرغبة فى التعبير صراعا مستمرا أما فريزر فهـــو صاحب الافكار عن الســـحر البدائى والاسطورة والشعيرة البدائية أما ديوى فهو يرى أن قراءة الادب وكتابته ليست الا صورا انفعالية انسانية يمكن أن تقاس بأى فاعلية أخرى وأنها خاضعة للقوانين نفسها هذه هى النظرية التى فرضت على النقد الادبى وتبلها المفكرون والادباء وأساتذة الادب ، ، ولـــو أن الادباء كانوا خالصى النية فى خدمة الادب العربى لامتصوا من هذه المذاهب خير ما فيها ثم بنوا لنا نظرية أصيلة مستمدة من جوهر ادبنا ووفق مفاهيمه وقيمه ومناهجه ذلك لان الادب العربى بعد نزول القرآن الكريم أســـس منهجا أصـــيلا واقر قوانين معروفة نمت وتطورت ثم توقفت وجمدت وكان فى الامكان تحريرها من أخطـــاء وانحرافات عصور التحلل ومن سيطرة الوافـــد .

ومما يذكر أن الفلسفات الخمسة التى اشتقت منها نظرية النقد الادبى قد ضربت وطعن فيها وأصابها بمضى الزمن فساد كبير واليوم نسمع عن أخطاء عريضة فى مذهب دارون وماركس وفـــرويد تحولت بهـــا هذه الفلسفات عن أصولها فضـــلا عن أن مفهـــوم الادب الاسلامى هو اقامة مفهوم الانسان على انه روح ومادة ، وعقل وقلب ، وأنه قبضة من الطين ونفخة من الروح .

ثانيا : تبعية الأدب العربى لمنهج وافد فى كتابة تاريخ الادب ، ذلك هو منهج تقسيم الادب العربى الى عصور ، أموى وعباسى وغيرهما وهو تقسيم ظالم ، فضلا عن وصف عصرى المماليك والدولة العثمانية باسم (عصر الانحطاط) بينما يحمل هذا العصر عصارة ثمرات تطور الادب العربى والفكر الاسلامى مما يجعله خليقا بأن يسمى عصر الموسوعات ، ولولا سيطرة مفاهيم التغريب لامكن أن يترابط الادب العربى فى وحدة لها طابعها الاصيل المستمد من جوهره والذى يختلف كثيرا عن التقسيم الذى طبقته فرنســـا وانجلترا والمانيا حين انفصلت بآدابها ولهجاتها عن اللاتينية ، بينما يمثل الأدب العربى وحـــدة متصلة مترابطة منذ ظهور الاسلام الى اليوم بحيث أن كل خطوة فيه هى نتيجة لما سبقها ومقدمة لما بعدها ، دون أن نجد بين هذه المراحل ثمة انفصاما أو توقفا أو انفصـــالا .

ثالثا : محاولة فصل الادب العربى عن الفـــكر الاسلامى ككل جامع يضم الاقتصاد والاجتماع والسياسة والعقائد والاخلاق . وهى دعوى تهدف الى تحرير الادب من قواعد الدين والاخلاق وتدفعه الى مجالات الغواية والاباحة والكشف وفى ذلك محاولة للفصل بين مقومات الاسلام وبين الادب الغربى .

وقد كانت قضية اقصاء الأدب العربى عن الاخلاق من كبريات القضايا رغبة فى اشاعة روح الاباحة واحياء تراث الزنادقة القديم مع ترجمة قصص الجنس والادب المكشوف من اللغات الغربية . ولم يكن هؤلاء الادباء يحملون صورة المثل الاعلى الكريم وكانوا يتطلعون الى صور البوهيمية التى عرفت فى حياة ادباء الغرب .

رابعا : اعلاء الشخصية الزائفة والموصومة من الزنادقة والاباحيين فى شعر بشار وأبى نواس .. وفى نثر : أمثال ابن عربى والحـــلاج .

والتجاهل والاغضاء وانتقاص الشخصيات ذات الاثر الحقيقى امثال ابن خلدون وابن تيمية والغزالى والمتنبى وتوجيه الاتهامات اليهم .

خامسا : اقذاع النقد الأدبى وابلاغه اقصى درجات الهجاء واستعمال الاسلوب الحزبى النازل وقد صدرت جميع معارك النقد الادبى من مصادر الخصومات الشخصية والسياسية والاستعلاء الذاتى وخدمة الثقافات الفرنسية والانجليزية والدفاع عن احداهما فى مواجهة الاخرى .

سادسا : ضرب اللغة العربية الفصحى بدعوات مسمومة ترمى الى اعلاء العامية أو التنكر للفصحى بما يسمى اللغة الوسطى ، ومنهم من دعا الى قتل الفصاحة وتجاهل البلاغة ومنهم من قال : لكم لغتكم ولى لغتى . والهدف واضح جلى وهو فصل الاداء العربى المعاصر عن مستوى لغة القرآن على أمل أن تصبح بلاغة القرآن بعد عقود من الزمن مما يقرأ عن طريق المعاجم . وهى محاولة لسلخ الأدب عن القيم اللغوية الاساسية ، ولما كانت الصلة بين الادب واللغة من اهم مقومات وجود الادب فقد جرت المحاولات التغريبية لاخراج الكتابات الجديدة من اطار اللغة الفصحى واحتقار الاصول النحوية .

سابعا : محاولة محاكمة الادب العربى الذى صدر عن النفس المؤمنة بالله والتى تعرف حقيقة الانسان وجوهره الجامع روحا ومادة ومسئوليته الفردية والتى تؤمن بالجزاء والحساب ، محاكمة هذا الادب وفق النظريات المادية والماركسية والوجودية والفرويدية التى تعتبر الانسان حيوانا .

ثامنا : ابتعاث أسلوب جديد على الأدب العربى ، هو الاسلوب المزدوج الذى يكتب به نصارى لبنان والمهجريين والذى يصيغ الجملة العربية صياغة غير اصيلة ، ومن عجب أن بعض المجلات الأدبية والاسلامية تنشر مثل هذا . ومن هذه الفجوة يتطاع دعاة التغريب لعزل هذه الأمة عن البيان العربى الاصيل ومن ثم تبدأ مرحلة تحويل اللهجات العربية الى لغات وهذا يكمن الخطر الذى يعد كل مسلم مسئولا عنه أن وقع ، وقبل أن يقع .

تاسعا : كسر عامود الشعر واعلاء شأن الشعر الحر بمفهومه المناهض للبلاغة العربية والحاقد عليها والمحتقر لها والهادف الى نفس الغاية التى تقدمها الأزجال والامثلة العامية من حيث صدورها من نفسيات ساذجة وعقليات تحمل طفولة البشرية .

عاشرا : احياء الاساطير والخرافات وخاصة مايسمى تراث فينيقيا وجلجامش،والدعوة الى مضامين كنسية وتوراتية واسطورية قديمة مثل زيوس وباخوس وهى كتابات تحمل الصلبان والمناجل والمطارق ومحتواها قلق وتمزق وضياع وعصارة كل مذاهب الوثنية وتفسيرات الأممية .

حادى عشر : احياء الكتابات الشعبية والعاميات (الفلكلور) التى تمثل مشاعر وثنية قديمة رفضها الاسلام وقضى عليها . .

ثانى عشر : التنفير من الأدب البليغ الموروث والجامع لفنون الحكمة والبيان ، والذى تتمثل فيه التجربة الاسلامية الموحدة بين الشعوب وتحقير هذا الأدب ووصفه بالرجعية والتخلف والسلفية . .

ثالث عشر : المؤامرة على القصة العربية الأصيلة باعلاء شأن القصة الغربية الزائفة التى لا تغير فيها الا الأسماء والاماكن وتبقى بمضامينها التى لا تصلها النفس الاسلامية ولا تقر فجورها وفسادها وانحرافها .

رابع عشر : محاولة فصل الأدب العربى الى أقاليم ، وهى المحاولة الشعوبية التى دعا اليها بعض التغريبيين ، رغبة فى تمزيق وحدة الأدب العربى والحيلولة دون التقاء جوانبه كممثل لأمة واحدة ، وليس كأدب مصرى وسورى وعراقى ومغربى ، وتلك هى غاية الاحتلال والغزو الثقافى من تأكيد الاقليمية هذا فضلا عن فشل تقسيم الأدب الى عصور وهناك محاولة أخرى لعزل الأدب العربى الحديث والمعاصر عن الادب العربى القديم واقامة الادب العربى الحديث على نحو يخرجه من طابع الادب العربى الاسلامى وانتمائه القرآنى .

خامس عشر : التركيز على مجموعة قليلة من التغريبيين والتابعين للمناهج الغربية ومروجيها واعطاؤهم صورة البطولة والشهرة والتبرير مع انكار وتجاهل وحجب اصحاب الأصالة الحقيقية من أمثال مصطفى صادق الرافعى ورشيد رضا وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وعلال الفاسى والثعالبى وعزام وباديس وفريد وجدى وطنطاوى جوهرى وأبو زهرة وخلاف .

* * *

وبعد فلقد كان السؤال الذى لم يكف دعاة اليقظة الاسلامية عن توجيهه خلال العقدين الماضيين هو : لماذا نكون تابعين لمدارس وافدة فى النقد الأدبى لا تمثل جوهر مفهومنا للانسان والحياة ولا تكون لنا نظريتنا الأصيلة ومدارسنا الذاتية القائمة على أساس من قيمنا؟

ومادام ادبنا يختلف فى جوهره وذاتيته ومضامينه عن الآداب الغربية ، فلماذا نحكم مقاييس هذه الاداب فيه واعتقد أنه فى مطالع القرن الخامس عشر (قرن الاصالة والتحــرر من التبعية) قد آن الاوان لارســاء المنهج الاسلامى للادب وانه قد آن الاوان لانشاء منهج اسلامى كامل للنقــد الادبى ولتاريخ الادب العربى مستمد من القرآن والسنة يكون نجرا جديدا لامتنا وسياجا حصينا لشبابنا من ان ينصهر فى بوتقة الاممية العالمية والحضارة المنهارة ، هذا قول مجمل وتفصيله مرافق لهذا وملحق بـــه . .

(ثالثـا)

المـــدرسة الإسلاميـــــة فى الأدب

قصة الأصالـــــة ذات جناحيـــــن

تصحيـــح الواقـــد وبنـــاء الأصيل

كان قيام المدرسة الاسلامية فى الأدب مرحلة طبيعية بعــد الخطوات التى سبقت والتى ارتبطت باليقظــة الاسلامية التى حاولت منذ ثلاثينيات هذا القرن مهاجمة المنهج الغربى الذى فرض على دراسة الأدب بكلية الآداب والكشف عن انه يتناقض مع أصول الأدب العربى لانه قام على اساس مفهوم الآداب الاوربية التى تختلف فى جوهرها وعقيدتها ومنهجها ، وقد شارك فى هذه المحاولة كثيرون وعرض بعض الباحثين لعديد من القضايا التى اعتمدت مفهــوم التغريب فى دراستها ، ويمثل كتابنا (خصائص الادب العربى) عرضا واسعا لهذه القضايا فى محاولة لمواجهة التحديات التى عرضت للأدب العربى : القصة والشعر والفن والمسرح وقد صدر قبــل عشر سنوات داعيا الى منهج اسلامى أصيل لتاريخ ونقد الادب العربى . وكان لابد أن تبدأ مرحلة جديدة هى مرحلة التقنين والتنظير التى تسرى الآن فى مجال الفكر الاسلامى فى علوم كثيرة ، وكان لابد أن يتبع الحركة التصحيحية للادب العربى حركة انشائية فى المقام الاول او ابداعية — اذا لم يتعارض هذا التعبير مع المفاهيم الاسلامية — وفارق بين اسلمة الأدب العربى وتحريره من التبعية وبين انشاء أدب اسلامى أصيل من نقطة البدء بعد أن انقطعت الاوصال .

نحن اذن بدانا فى قلب التغريب ثم اخرجنا الله تبارك وتعالى الى الاصالة ، وكان هذا خيرا كثيرا لانه مكننا من دراسة هذه المذاهب وفهمها وكذلك شــأن اخوتنا الذين نشأوا فى مجال القومية والماركسية والعلوم الاجتماعية الغربية ثم اشرقت نفوسهم بنور ربها فخرجوا منها الى المعرفة والتغيير . واحسوا بحاجة أمتهم الى ان يكون لهـــا منهجها الأصيل .

واذا كان تاثير الدين المسيحى واضحا فى الفــكر الغربى عامة وفى الادب الغربى خاصة فى نظرية الانسان والكون مما يتمثل فى كتاب (انتصار المسيح) وشعر ملتون ومدرسة الاحياء الكاثوليكى التى قادها (ت.س. اليوت) الذى يرى أن الطريق الى السعادة والمثالية لابد أن ينطلق من الكنيسة وقــد استطاع هذا الادب أن يؤثر فى عدد من الشعراء العرب فى مقدمتهم السياب وصلاح عبد الصــبور .

لذلك من الضرورى أن يكون أثر الاسلام واضحا فى الادب العربى من حيث تقديم الاخلاقى على الجمالى وتقديم مفهوم التقديم الجامع بين الروحى والمادى ، وتقديم مفهوم التقدم الجامع بين الروحى والمــادى ، المجتمع وأن يكون الاديب مسلما مقتنعا بمبادىء الاسلام وقيمه ومثله قبل كل شىء ، وملتزما بالاسلام ضــابطا لحريته ، وأن يكن مفهومه للصدق الفنى هو ما تمثله قولة عمر بن الخطاب عن زهير :

« لا يعاظل فى كلام ولا يتبع جوشى الكلام ولا يمدح الرجل الا بما فيه » .

ومن هنا يكون موقفنا من الادب الغربى موقفــا واضحا فان هذا الأدب يحوى عناصر وثنية مسيحية على النحــو الذى شــاع فى كتابات كثــيرا من شعرائنا وقصاصينا (نجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور) .

ولا يمكن قبول رأى الذين يرون أن هذه المذاهب حيادية أو يمكن الانتفاع بها فى الشكل دون المضمون فان اليوت يقرر أن المدرسة الكلاسيكية بل الأحيــاء الكاثوليكى ملتزم بنصرانيته (والكاثوليكية بصفة خاصة)

كذلك فنحن لا نقبل مفهوم الآلية (الحداثة) التى

تنطلق منهـــا الخواطر التى تمر بالانسان فى داخله فتخرجها كما هى ، حيث لا يخضع للمنطق أو العقل .

وشعر الطبيعة فى الرومانسية سرب من المسارب لاخروج من الواقع فيه خطأ كبير لانه قائم على فلسفة معينة ، كما لا يجوز لنا استعمال مصطلحات غربية وعندما نستخدم اللفظ المصطلح فانه له دلالة مختلفة عند المسلم ومصطلح (ادب الجنس) هو أخطر هذه المحاولات فهو يمجد العلاقة الجنسية ويعطيها البطولة لان مؤداه بهيمى حيوانى .

ومن شأن تحرير مفهوم الأدب وأسلمته ان تواجه هذه الانحرافات الخطيرة التى ظهرت فى ادبنا العربى الحديث اذ لم تعـــد تقتصر على الغزل الفاحش بل اصبحت تقصد الى محاربة القيم الاسلامية واحلال قيم أخرى ومن هنا فان الأدب الاسلامى يجب أن يقف موقفا حاسما ازاء هذه الانحرافات والتجاوزات .

ولعل أسوأ ما يرى من فســـاد انحراف الأدب العربى الحديث :

انهزامية نجيب محفوظ فى شخصية (المومس) وشخصية المرأة عموما عند احسان عبد القدوس ، وفى قصة السراب بتشكك نجيب محفوظ فى محارمه ويعتقد أن الفضيلة سراب فضلا عن تمجيد لحظات الضعف كسقوط المرأة . وفى قصيدة (الناس فى بلادى) اصلاح عبد الصبور تعريض بالذات العلية ممـــا لا يمكن ان يصدر من مسلم . وكم وصف القـــدر فى القصص الحديث بأنه ظالم أحمق الخطى عابث ، وهناك الدعوة الضالة الى تفسير انحراف المرأة نتيجـــة البحث عن الطعام وهو تفسير ماركسى فاســـد .

لذلك فان من أبرز ما يتوجه اليه الادب الاسلامى هو بنـــاء نماذج اسلامية أصيلة فى الشعر والقصة تســـتمد مفاهيمها من الاسلام وترمى الى تصـــور اسلامى فى نفس الوقت الذى يجب ان يكشف عن فساد النماذج الاباحية والمنحرفة التى كتبها الكتاب الذين يرفضهم الادب الاسلامى اساسا ويقرر ان ادبهم لا يمثل المجتمع الاسلامى الاصيل .

ان الاسلام قد قرر الالتزام قبل أن تعرفه المذاهب العصرية وهو يعنى ارتباط الأديب بقيمه ومبادئه ويقرر الأخلاقية اساسا ويحدد وجهة نظرالاسلام تجاه العصور الادبى : على أنه انسانى الوجهة بتسامى بغـــرائز الانسان ، متكامل النظرة بين دينه ومجتمعه دون أن يكون هذا التوجه قيدا على مقاييس الجمال الأزلى .

والالتزام الاسلامى هو منطلق لحياة الانسان ومن ثم فهو يستطيع ان يتحدث فى أى موضوع حتى عن الجنس بمفهوم الاسلام وهذا لا يمنع من ان ننظر الى المذاهب الادبية الغربية للانتفاع بهـــا ويتقرر الالتزام فى الشكل والمضمون وقصد الشكل اخطر بكثير ممـــا يتصور لان الشكل هو افراغ المضمون فى صورة تعبيرية تتناول القالب الفنى .

كذلك فان المذاهب الادبية الغـــربية كلاسيكية ورومانسية والواقعية هى مذاهب ادبية تقـــوم على فلسفات مادية اساسية راى اصحابها أن السبيل الى اشاعتها فى الناس هو تقديمها فى قوالب أدبية .

فالكلاسيكية فلسفة وثنية تقوم على تمجيد العقل والرومانسية فلسفة مسيحية هى ثورة على العقل تمجد العاطفة وهذه الثورة تشمل الاعراف والمبادىء والاخلاق والاسلام يتصادم مع هذه المذاهب لأنهـــا تستند الى فلسفات خطيرة جدا ونحن المسلمين لا نرفض العقـــل ولا نرفض العاطفة ، وكل الشـــعر العربى بالعقـــل والعاطفة زاخـــر ، وما نرفضه ويتصادم مع الفـــكر الاسلامى أن يكون توجيه العقل والعاطفة قائما على فلسفة معينة ، بالصورة التى تأدت بها اليه وعلينا أن نكون واعين بما وراء هذه المذاهب ، والواقعية الغربية تقـــوم على المادية الجدلية والتفسير المـــادى للتاريخ وبالجملة فـــان الأدب الاسلامى لا ينحصر فى الادب العربى بل يبدأ به ويمتد الى اداب الشعوب الاسلامية غير العربية وهو المحضن الاكبر والاول للادب العربى وما يزال الميدان الاكبـــر له . وبين الادب العـــربى والاسلامى صلة البنوة والابوة وقد حدثت فى العصر الحديث أحداث وقضايا منها توظيف الادب فى القضايا العقدية وفى اداب الشعوب الاخرى ، وظهرت انحرافات خطيرة فى أدبنا العربى مما جعلنا فى حاجة الى ادب اسلامى يحمل قضايانا ويلبى حاجاتنا ويمثل شمولية الاسلام فى معالجة مختلف قضايا الحيـــاة .

هذا وقد جاء مؤتمر الادب الاسلامى فى الرياض ١٤٠٥ حلقة تالية لمؤتمرين عقد أولهما فى ندوة العلماء بالهند . باشراف السيد أبو الحسن الندوى عام ١٤٠١ والثانى فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٢ وقد أثرى هذا المؤتمر ادباء مسلمون وأعلن فى وقت مقارب تشكيل رابطة الادب الاسلامى فى ندوة العلماء وصدرت فى هذه المناسبة دراسات قيمة فى مقدمتها كتاب (نحو أدب اسلامى) للاستاذ عبد الرحمن رأفت الباشا.

* * *

المفهـوم الإسلامـي المتميـز للأدب

لمعرفة (الخصائص التى تميز الأدب الاسلامى والتى تختلف عن الآداب العالمية شرقية وغربية) نقول أن الفكر الذى تشكل الأدب الاسلامى فى اطـاره يستمد من القرآن الكريم حيث يقوم هذا الفكر على اساس التوحيد الخالص ، لله تبارك وتعالى خالق الكون الذى يمسك هذا النظام المترابط والقائم على كل نفس بما كسبت ، والذى تتمثل مهمة الانسان فيه ، مستخلف فى الأرض له طبيعته الأصيلة الجامعة بين الروح والجسم والعقل والقلب وقد أقر الاسلام رغباته المادية وأشواقه الروحية وجعل له ضوابط تحول بينه وبين الانحراف سواء الى اعتزال الحياة أو الاسراف فى ملذاتها ، وأقام له منهجا وسطا كريما قادرا على اداء مسئوليته والقيام على أمانته ومواجهة ما تجابهه به القوى المختلفة من تحديات .

ولمـا كان القرآن الكريم هو المصدر الاصيل للفكر الاسلامى فهو المثل الأعلى للادب الاسلامى والسنة المطهرة مظاهرة له بسلوك الرسول صلى الله عليه وسلم وتطبيقاته لقوانين القرآن فى مختلف جـوانب الحيـاة .

ولقد أمد القرآن الكريم العلوم والاداب والفنون الاسلامية ومختلف مناهج الحياة والفكر من عطائه سواء عن طريق المنهج التجريبى أو منهج المعرفة ذى الجناحين أو قوانين قيام الامم والحضارات وانهيارها وقدم نظاما كاملا فى مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد واعتبر الادب والفن فرعين من فـروع الفـكر لا ينفصلان ويتكاملان مع المقومات الاخرى وأقام النظرة الجامعة بين العقلانية والوجدانية على أساس الفطرة وطالب بالبرهان وأنكر الاساطير وحرر البشرية من تراث طفولة البشرية وأوهامها ووثنياتها وعلم الاصنام اليونانى .

نظرية الأدب الاسلامى
المفهوم الاسلامى المتميز

وأورد البحث الأصول التى يستمد منها الادب الاسلامى ممنطلقاته :

أولا : انسانية الأدب : فقد اتسم الادب الاسلامى بالطابع الانسانى البعيد عن العنصرية والاستعلاء بالدم أو اللون ، الذى يقيم روح الاخاء البشرى .

ثانيا : الأصـالة : والاصالة هى الالتحاق بالمنابع مع التفتـح ، والارتباط بالجذور مع القـدرة على مواجهة المتغيرات ، كما دعـا الى معارضة التقليد الاجنبى والاحتفاظ بالذاتية الاسلامية واعلن حربا لا هوادة فيها على التقليد والتبعية .

ثالثا : الصدق : والصدق والوضوح ابرز معالم الاسلام التى أهداها الى الأدب . (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) .

ولذلك رفض الاسلام الأساطير والاوهام الذاهبة بعيدا عن الواقـع .

رابعا : الوضـوح : يتسـم الأدب الاسلامى بالوضوح والصراحة تحت ضوء مشرق بعيدا عن الظلال والرمزيات والتمويه الذى عرفت به الآداب الأوربية ، فالنفس المؤمنة بربها لا تعرف التشاؤم ولا توغل فى اليأس والقلق والتمزق .

خامسا : الايمان : وقد اضاءت ظاهرة الايمان بالله طـريق الأدب والانحرافات والضـعف البشرى وطفولة البشرية .

وافسح الايمان للانسان بالايمان طريق الثقة به والاطمئنان الى حكمـه .

سادسا : التفاؤل : فالأدب الاسلامى استمدادا من قيم الاسلام لا يعرف التشاؤم ، وهو يؤمن بأن الغمرات تأتى ثم تنجلى وان الصبر بعد الشدة فلا يعرف أبدا ذلك الطابع من الانقباض الذى عرفته الآداب الأوربية التصـد .

سابعا : الأخلاقية : القانون الاخلاقى أساس وطيد فى الادب الاسلامى الذى يقرر اعلاء الاخلاقية على الجمالية وعدم تضحية الاخلاقية المرتبطة ببناء الكيان الاجتماعى المسـلم .

خامس عشر : أصـالة الاستجابة : فـالأدب الاسلامى من قاعدة ان لكل أمة ذاتيتها الخاصة النابعة من حيث الرحمة والوفاء ووضوح النظـرة وسلامة القصـة .

سادس عشر : الذاتية : وينطلق منهـا الأدب الاسلامى من قاعدة أن لكل أم ذاتها الخاصة التابعة من من قيمها فالطابع الخاص هو ابرز طوابع الاسلام .

سابع عشر : الاعتراف برغبات الانسان : حيث تقرر الاسلام أن الرغبات من طبيعة الانسان التى لا سبيل الى قمعها او القضاء عليها بل يجب تحريرها من الاسراف والجمود معا ووضع لها الضوابط من الاعتدال والعفة واقامها فى دائرة الخــير .

ثامن عشر : التوحيد : من منطلق الاسلام قرر وحده الجنس البشرى والفكر الانسانى وارتفع بالعقل بن قيوده التى كانت تأسره حول الاوثان الى الاعتقاد باله واحــد .

تاسع عشر : الارتباط بالميراث الاسلامى ، وعدم الانفصال عنه ، من حيث أن الأدب الاسلامى يمثل حلقات متصلة غير منفصلة عن منبعها الاول والاصيل .

عشرون : التجريب : ولمــا كان التجريب من ابرز طوابع الفكر الاسلامى فقد كان لابد للادب الاسلامى أن يمضى على نفس الطريق .

واحد وعشرون : الفطــرة : ومن اسس الادب الاسلامى الحقيقية قيامه على اساس فطــرة الانسان الاصيلة البعيدة عن الانحراف والفســاد .

ثانى وعشرون : ترابــط العروبة والاســلام : فالاسلام بالنسبة للعــرب اساس فكرهم وحضارتهم والعروبة والاسلام يتكــاملان ، حيث لا يقــر الادب الاسلامى مفهوم اعلاء الجنس او العنصر أو مفهوم القومية العربى الوافــد .

ثالث وعشرون : قوامة الرجــل ..

رابع وعشرون : تكامل المعــرفة ..

خامس وعشرون : الوسطية ..

هذا وبالله التوفيق ،،

***

(خامســا)

تأصيل نظريـــة الأدب الإسلامــــى

لسماحة السيد أبو الحسن الندوى

... ان غربة الادب الاسلامى وسيطرة الادب المزور على العالمين العربى والاسلامى وواجب الدعوة الى الله عن طريق الكلمة الأصيلة الملتزمة ، كل ذلك يدعو ادباء الاسلاميين الى انشاء رابطة تجمع صفوفهم وتشد كل واحد منهم بعضد أخيه وترفع صوتهم وتفقهم على واجبهم أمام تجمعات الأدباء المنحرفين وتهيىء لهم أن يتعاونوا لتأصيل نظرية الادب الاسلامى كى تواجــه نظريات الماركسيين والليبراليين والوجوديين فى الأدب وغير ذلك من المذاهب الادبية غير الاسلامية فى العالم عن طريق :

١ ـــ التعريف وجمع الكلمة واقامة التعاون بينهم فيكونوا قوة اسلامية سلاحها الكلمة الاصيلة الملتزمة بالاســلام .

٢ ـــ تأصيل نظرية الادب الاسلامى واظهــار الملامح السائدة فى الادب العربى قديمه وحديثه .

٣ ـــ تحقيق مبدأ عالمية الادب الاسلامى .

٤ ـــ العمل على تأصيل نظرية النقد الاسلامى على أن يتصــف بالموضوعية والبعد عن القــواعد المستوردة والاساليب المبهمة .

٥ ـــ رسم منهج اسلامى مفصل للفنون الادبية الحديثــة :

(القصة ـــ المسرحية ـــ السيرة الذاتية)

٦ ـــ الاهتمام بالتفسير الاعلامى للادب والعمل على انجــازه .

٧ ـــ اعادة كتابة تاريخ الادب العربى من وجهــة نظــر اسلامية .

٨ ـــ اظهار صلة الادب الاسلامى الحديث بالادب القديم والرد على المحاولات الداعية الى الانفصام بين ادب أمتنا فى الماضى والحاضر .

٩ ـــ دراسة الادب الاسلامى المعاصر فى البلاد الاسلامية واظهار الخصائص المشتركة للادب الاسلامى فى العــالم .

١٠ ـــ القيام بدراسات موسعة لعدد من الادباء الاسلاميين وبخاصة الذين صاغوا ادبهم باحدى لغات الشعوب الاسلامية .

١١ ـــ تعريف الشعوب الاسلامية باداب بعضها

البعض بترجمة آثارهـا الأدبية الى عدد من لغـات الشعوب الاسلامية الاخـرى .

١٢ ـ تشجيع الادب الذى يهتم بقضايا المـرأة المسلمة وتشجيع نتاج الاديبات المسلمات .

١٣ ـ رسم منهج اسلامى لأدب الأطفال والبالغين والشـباب .

١٤ ـ التصـدى للدعوات الادبيـة المشبوهة والمنحرفة .

١٥ ـ مناصرة حركات التحرر الاسلامى والاسهام فيها بالكلمة الجريئة الاصيلة .

١٦ ـ الدفاع عن حرية الفـكر والتعبير بما لا يتعارض مع الشريعة الاسلامية .

١٧ ـ الدفاع عن حقوق الادباء الاسلاميين المعنوية والمـادية .

١٨ ـ تهيئة وسائل النشر والتوزيع لادباء الرابطة بجميع الوسائل الممكنة .

(المبـادىء العـامة)

١ ـ الادب الاسلامى هو التعبير الفنى والهادف عن الانسان والحياة والكون فى حدود التصور الاسلامى لهـا .

٢ ـ الادب الاسلامى أدب ملتزم والتزام الاديب فيه التزام عفوى نابع من التزامه بالعقيدة الاسلامية ورسالته جـزء من رسالة الاسلام العظيم .

٣ ـ الادب طريق مهم من طرق بنـاء الانسان الصالح والمجتمع الصالح واداة من ادوات الدعوة الى الله والدفاع عن الشخصية الاسلامية .

٤ ـ الادب الاسلامى مسئول عن الاسهام فى انقاذ الامة الاسلامية من محنتها المعاصرة والادباء الاسلاميون اصحاب ريادة فى ذلك .

٥ ـ الادب الاسلامى حقيقة قائمة قديما وحديثا تبدأ من القرآن الكريم والحديث النبوى وسعركة شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم مع كفار قريش ويمتد الى عصرنا الحاضر ليسهم فى الدعوة الى الله ومحاربة اعداء الاسلام والمنحرفين عنـه .

٦ ـ الادب الاسلامى هو أدب الشعوب الاسلامية على اختلاف أجناسها ولغاتها وخصائصه هى الخصائص الفنية المشتركة بين آداب الشعوب الاسلامية كلهـا .

٧ ـ يقـدم التصور الاسلامى للانسان والحياة والكون ـ كما نجده فى الادب الاسلامى ـ اصولا لنظرية متكاملة فى الادب والنقد وملامح هذه النظرية موجودة فى النتاج الادبى الاسلامى الممتد عبر القرون المتوالية .

٨ ـ يرفض الادب الاسلامى اى محاولة لقطع الصلة بين الادب القديم والادب الحديث بدعوى التطور أو الحداثة او المعاصرة ويرى أن الحديث مرتبط بجذوره القديمة .

٩ ـ يرفض الادب الاسلامى المذاهب الادبية التى تخالف التصور الاسلامى والادب العربى المزور والنقد الأدبى المبنى على المجاملة المشوهة أو الحقد الشخصى كما يرفض لغة النقد التى يشوهها الغموض وتفشو منها المصطلحات الدخيلة والرموز المشبوهة ويدعو الى نقد واضح بنـاء .

١٠ ـ يستفيد الادب الاسلامى من الاجنـاس الادبية جميعا شعرا ونثرا ولا يرفض اى شكل من اشكال التعبير ويعنى بالمضمون الذى يحدد طبيعة الشكل الملائم للاداء .

١١ ـ ان رابطة العقيدة هى الرابطة الاصلية بين أعضاء الرابطة جميعا ويضاف اليها آصرة الزمالة الادبية التى تعد رابطة خاصة تشد الادباء الاسلاميين بعضهم ببعض ووحدة المبادىء والاهداف التى يلتزمون بهـا .

(الاعلان عن قيام رابطة الادب الاسلامى برئاسة السيد أبو الحسن الندوى) .

***

الواقعية بين نظريـــة الأدب الغربـــى ومفهــوم الإســلام

ان الواقعية الغربية تضفى صفة البطولة على لحظة الضعف البشرى المزرية جدا فى بعض الاجيال ليضلل نفسه عن حقيقة هبوطه المزرية فبدلا من أن يتهم نفسه أو يتهمه احــد بالنقص ويطالب نفســه أو يطالبه احــد بالارتفاع وهو لا يريد الارتفاع ولا يقدر عليه لانه اخلد الى الارض واتبع هواه بدلا من ذلك يقول ان الارتفاع خرافة والهبوط هو الحقيقة الواقعة السوية التى يقال عنها « ليس فى الامكان أبدع مما كان » أما الواقعية الاسلامية فهى لا تنكر فى أن حالات الهبوط هى حقيقة واقعة ومع ذلك فهى لا تمجدها ولا تسلط على الاضواء لانهــا فى حقيقتها لحظــات هبــوط .

ان الواقعية الاسلامية لا تحب أن ترسم صورة مزرية للبشرية ولاصورة بيضاءمن كل سوء بعيدة عن كل شائبة ، كلا فما هكذا يقول القرآن ذاته الذى يدعو للرفعة الدائمة والمحاولة الدائبة للتغلب على الضعف انما يقول (وخلق الانسان ضعيفا) .

كذلك فــان الواقعية الاسلامية تسعى لتهذيب النظرة البشرية فلا تصور حالات الهبوط تصويرا مثيرا جارحا كما تفعل النماذج الادبية الغربية والعربية التى تصور مشاهد الانحراف تصويرا دقيقا ثم تحلها الحل النهائى للعقدة الدرامية .

ان الادب الصادر عن التصور الاسلامى (ادب ملتزم) بحماية الانسان من المزالق والاخطاء ولا يمكن أن يسلم الانسان الى متاهة الانحراف ولا يمكن ان يجعل المنكر معروفا أمامه ويقلب مفهوماته ..

ان المفهوم الاسلامى فى الواقعية يرى أن لحظة الهبوط هى لحظة هبوط لا لحظــة بطولة تستحق التصفيق والاعجــاب .

(محمد قطب)

سادســا

لمــاذا لا يكون الأدب العربى عالميــا

أولا : ان الادب العربى فى هذه المرحلة من تاريخ العرب والمسلمين قد انحرف عن طريقه الطبيعى بوصفه وحدة من وحدات الفكر الاسلامى بما دخل عليه من مفاهيم وقيم وافدة من ناحية المضمون وبما اصطنع من أساليب غربية من ناحية الأداء .

ولذلك فان الانتاج الادبى القائم الآن بين أيدينا لا يمثل حقيقة المشاعر النفسية والاجتماعية للمجتمع ، كما أن اسلوب ادائه غريب على الادب العربى لانه يخضــع للنظرية المادية التى وصــفها برونتيروتين استمدادا من نظرية التفسير المادى للتاريخ والفلسفة المادية التى تعتبر الانسان حيوانا ســواء من ناحية الطعام (الماركسية) أو من ناحية الجنس (الفرويدية)

ثانيا : ان ترجمــات الادب العربى الى الآداب الاوربية التى تمت فى العقدين الأخيرين لا تمثل حقيقة الادب العربى ولا أشواق النفس العربية الحقيقية ، لان هناك تحيزا فى الانتقاء والاختيار تحت عنوان : هو أن يثبتوا أن الادب العربى قد خضع تماما للمفاهيم بضاعتنا ردت الينا فان هوى المترجمين لــا ترجموه هو أن يثبتوا أن الادب العربى قد خضع تماما للمفاهيم الغربية وللاساليب العربية ايضا .

ثالثا : أن المصطلحات التى تســتعمل الآن فى الادب العربى دخيلة وغربية فهو يحاول أن يخضع لاطــوار الادب الغربى الذى ينتقــل بين الكلاسيكية والرومانسية وانتقل منهــا الى السريالية والوجودية والآن يحاول أن يقف فى خضوع أمام النظرية الجديدة الطاغية عليه وهى البنيوية .

كما أن الادبــاء خضعوا لمسميات كثيرة كعصر التنوير وحاولوا أن يطبقوه على الأدب العربى ، بينما عصر التنوير هذا فى أوربا انمــا يمثــل العصر الذى سيطرت قيم التحولات التلمودية التى عملت على هدم

صروح المدرسة المسيحية المثالية من أجل اقامة مفاهيم الالحاد التى قادها فولتير وروسو وأصحاب الموسوعة وكان ذلك مقدمة لاشعال الثورة الفرنسية التى حطمت قواعد الوحدة المسيحية الغربية وفتحت لليهودية الطريق الى السيطرة على المجتمع الغربى وتحطيم النظرية الجامعة بين الدين والقومية بتغلب الجنسية واسقاط مفهوم الدين .

رابعا : مفهومنا للادب العربى انه وحدة من وحدات الفكر الاسلامى ، يقوم على قيم الاسلام العليا : التوحيد والاخلاق والعدل والاخاء .

وهى القيم التى قام عليها مضمون الادب العربى بعد الاسلام،ثم انحرف عنها بعد دخول الوثنيات المجوسية والفارسية .

الاداء العربى الان يحاول أن يفصل بينه وبين بلاغة القرآن والبيان العربى الممتد خلال العصور والذى وصل على أيدى البارودى وشوقى والمنفلوطى والزيات والرافعى الى قمة عالية فهو الآن ينحدر الى لغة الصحافة ، أو ما يسمى اللغة الوسطى .

الشعر ينحرف الآن الى قصيدة النثر والشعر الحر ويتدنى الى مفاهيم منحرفة مكشوفة واداء مقتبسة رديء

القصة : تقوم على تصورات غربية مقتبسة من الآداب الغربية ولا تمثل النفس العربية ابدا ، وهى تحاول أن تصور الانحراف والفساد والتحلل والكشف على انها علاقات طبيعية فى المجتمع حتى يعتقد الشباب شرعية وجود هذه الظاهرة والاندفاع نحوها ، وهذا مايجرى عليه أغلب كتاب العصر ، الذين يصدرون اساسا عن مفهوم علمانى لا يؤمن بقيم الدين الحق ، ووثنى يعلى من نظرية عبادة الأصنام ، ومادى لا يقر بوجود المسئولية الفردية ولا الاخلاقية ولا الجزاء الاخروى .

هذا النتاج كله باسم الأدب العربى لا يمثل حقيقة الادب العربى ، وانما يمثل انحرافا طرأ على الادب العربى بدخول المذاهب الوافدة عليه ، وعلى المجتمع أيضا ، ومن هنا فان هذا الأدب القائم يتمثل فى تبعية واضحة سواء من ناحية الأداء أو المضمون ، من ناحية تاريخ الادب أو النقد الادبى .

واخطر ما هنالك هو تقبل النظرية المسمومة التى تقول بأن الادب العربى له استقلاله عن الفكر الاسلامى وله حريته فى مجال الاداء دون اعتبار للمسئولية الاخلاقية والحدود والضوابط التى قررها الاسلام على المجتمع ، وهذه هى أخطر السهوم المسمومة التى أصابت الأدب العربى اليوم فضلا عن تبعيته فى مصطلحات العصور ، والعناصر .

سادسا : اما أن الادب العربى جدير بأن يكون عالميا فذلك أمر لا سبيل الى انكاره فهو بطبيعته التى يستمدها من الاسلام يمثل المشاعر النفسية السمحة المستعلية على الخطيئة والاباحة ، والمتجهة الى الغيرية بدلا من الانانية والى الجماعية بديلا عن الفردية والتى لا تفتقد اخلاقيتها من أجل الجمالية ، ولا تفتقد معنوياتها فى رسالة التقدم من أجل ماديتها ، هذا الادب الذى يصور النفس المؤمنة بالله ، المتصلة به ، المندفعة فى سبيل السعى والكسب والعمران لتحقيق المجتمع الربانى جديرة بأن يكون انتاجها الادبى عالميا لانه انسانى بطبعه وخليق بأن يصل الى كل النفوس المشوقة الى الايمان والعدل والاخاء .

ولكن هذه المرحلة من الادب العربى لم تبدأ بعد وترجو الا تتأخر كثيرا .

سابعا : كذلك فان الفكر الاسلامى اليوم هو القادر على تقديم رسالته الانسانية الى العالمين لانه قد تحرر من التبعية وانطلق الى آفاق العدل والرحمة والاخاء الحقيقى ولقد كان الفكر الاسلامى فى ابان الازمات التى لحقت بالمسلمين قادرا على العطاء اكثر من الادب العربى الذى مازال غارقا فى اوهام الاحتواء والتبعية والذى لم يستطع بعد أن يكتشف الاخطار والتحديات التى تواجه العرب والمسلمين نتيجة الحصار الذى تفرضه القوى الاستعمارية وخاصة خطر التحدى الصهيونى المتنامى .

* * *

ثانيا : مفهوم الادب الاسلامى

لا ينحصر الادب الاسلامى فى الادب العربى وحده بل يبدأ به ويمتد الى آداب الشعوب الاسلامية غير العربية ، وهو المحضن الاكبر لهذه الآداب وبين الادب العربى والاسلامى صلة البنوة والابوة ، وليس عيبا أن أسلافنا حصروا اهتمامهم فى الادب العربى ولم يتجاوزوه ، بل ان عدم استخدام المصطلح لا يدينهم فلكل عصر مصطلحاته وقد جرت فى العصر الحديث قضايا جديدة منها (توظيف) الادب فى القضايا العقدية وفى آداب الشعوب الاخرى ، وظهور انحرافات خطيرة فى ادبنا العربى الحديث اذ لم تعد تقتصر على الغزل الفاحش وبعض المبالغات بل اصبحت تقصد الى محاربة القيم الاسلامية واحلال قيم أخرى وافدة ومن هنا كانت

حاجتنا الى ادب يحمل لواء قضايانا ويلبى حاجاتنا .

ومهمة الاديب المسلم انه ينشىء أدبـا اسلاميا للمسلمين فى جميع المعمورة ويتناول الاعمـال الادبية عندنا وعندهم ولابد أن نؤصل الادب الاسلامى ليقف فى وجه الادب الوجودى والادب الاشتراكى . ذلك ان الادب الاسلامى يتخذ موقفا اسلاميا ينطلق من العقيدة وعلى الاديب الاسلامى من أجل أن يكون اسلاميا ان يكون على وعى كامل بالاسلام حتى يعلم ماهو حلال وماهو حرام وأن يكون واقفا على كتاب الله عز وجـل وما يتصل بهذا الموضوع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويتحـدث الدكتور عبد الرحمن رافت الباشـا (بوصفه) مؤصلا للنظرية اساسا عن المذهب الادبى الذى نسعى اليه : فيقول :

لما كانت هذه التيارات الاجتماعية قد انبثقت عن نظرة أصحابها الى الانسان والحياة فانه من الضرورى أن يكون للمسلمين مذهب ادبى متميز القسمات ، واضح الغايات ليعبر عن نظرتهم الى الانسان والكون وموقفهم من ادنيا والآخرة ، وقد تبين أننا اليوم اكثر من اى يوم مضى فى حاجة الى منهج لادبنا الاسلامى بعد أن تعرض فى هذا العصر لغزو فكرى ووجدانى وحضارى ما عرفنا له نظطا من قبل وقد وقف الأدب الاسلامى القديم منذ فجر الاسلام سـندا للدعوة وظـل على مر التاريخ يهاجم الاوضاع الفاسدة ويتصدى للفرق الزائفة ويخلص النصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين ، وقد ارتبط الادب الاسلامى فى كل زمن مع قضايا عصره وتلاحم معها تلاحما مثيرا للدهشة فقد تصدى للزندقة والزنادقة ووقف موقفا كريما من مختلف التحديات .

اما بالنسبة للخصائص العامة للادب الاسلامى والمميزات التى تميزه عن الآداب الاخرى فان أعظم هذه الخصائص هى أنه أدب غائى هادف ، ملتزم ، أصيل ، متكامل ، مستقل .

وأن الادب الاسلامى ولد على الالتزام ونبت فى منابته ، واشار الى الفرق بين الالزام والالتزام من حيث أن الالزام يأتى من الخارج بينما ينبع الالتزام من الداخل وفى هذا يختلف عن مفاهيم الالتزام فى الاداب الاخرى فى فروق متعددة ، كما اشار الى أن الاسلام يقر حق الكاتب فى حرية التفكير وابداء الراى فى اوسع نطاق حيث لم يحاول الاسلام ان يفرض نظرة علمية معينة كما ركز الباحث على أخلاقية الادب الاسلامى وموقفه من تصوير الشر والفضيلة . ويقرر أن الأدب الذى يقود قارئه الى العطف على الانحلال والاعجـاب بالرزيلة والانحدار ، انما هو ادب هدام .. ا.هـ.

والمفهوم الاسلامى لنظرية الالتزام فى الادب تقرر بأن الالتزام يعنى ارتباط الاديب بقيمه ومبادئه وهـو بهذا المفهوم لا يتوائم مع المذاهب الاوربية التى يصطنعها ادباؤنا المحدثون .

فان دعوة الفن للفن تنظر الى جمال الشـكل سواء كان بناء او هداما ، فكان هذا المذهب يعـزل الاديب عن الدين والاخلاق ، كذلك فهـو يختلف عن المـدارس التعبيرية والتأثـيرية واللاوعى والسريالية وما فوق الواقع والتى تعادى الواقع وترد الانسان الى غرائزه ومع ذلك فان الالتزام لا يعفى الاديب من مقاييس الجمـال الادبى . ويرى بعض الباحثين أن الالتزام الاسلامى هو منطلق لحيـاة الانسان ، ومن ثم فهـو يستطيع أن يتحـدث فى أى موضوع حتى فى الجنس بمفهوم الاسلام وقـاعدة الالتزام يجب أن تنطلق من مفهوماتنا الاسلامية وأصولنا الاسلامية معتوثيق الارتباط بين الادب والاسلام فى ضوء مقاييس القرآن والسنة

ولا يمكن الفصل بين الشكل والمضمون لان الشكل هو افـراغ المضمون فى صورة تعبيرية تتناول القالب الفنى ، الشعر الحـر ، شعر التفعيلة ، القصـيدة النثرية ، القصيدة المدورة ، الشعر السريالى . ولـما كان الشكل الموجود الآن فى الأدب يشتمل على عناصر وثنية ومسيحية فكيف يمكن أن يكون المضمون اسلاميا ويكون الشكل وثنيا ومسيحيا ، ومعنى الالتزام فى الاسلام لا يعنى محاصرة الاديب فى قضايا معينـة ..

* * *

الحـــداثة : الباطنية الجـــديدة

الدعـــوة إلى الحـــداثة ردة الى طفـــولة البشرية

مصـــادر البحث :

١ — (ك) الثابت والمتحول : ادونيس .

٢ — (ك) الشعر الحديث الى اين : غالى شكرى .

٣ — مجلة فصول : عدد خاص يضم ابحاث مؤتمـــر الحداثة (محمد برادة — خالد سعيد ، كمال أبو ديب ... الخ) .

٤ — ويحدثونك عن الحداثة : محمد عبد الله مليبارى (جريدة الندوة . جمادى الآخرة ١٤٠٥ ومابعدها) (دكتور طاهر التونسى ، دكتور محمد عبد العظيم ســـعود) .

* * *

الدعوة الى الحداثة ليست دعـــوة مرحلية من دعوات التغريب فى مجال الأدب ، ومن حيث تدخل فى اطـــار السريالية والوجودية أو مذاهب الكلاسيكية والرومانسية والواقعية وانما هى شىء اكبر من ذلك : انها ثورة على الثوابت الاسلامية الأساسية عن طريق خافت الضوء هو (الشعر) حتى لا تحدث ضجيجا أو صياحا يفسد عليها هدفها الذى تسير فيه حتى تصل الى غايتها الخطيرة ، وهى تقصد اساسا الى محاربة القيم الاسلامية وازاحة فكرة الاصول الثابتة بهدف تغليب طوابع التطور المطلق والتغيير المتوالى الذى لا يعترف أساســـا بالضوابط والحدود والذى يرقى الى فتح الطريق أمام حرية الاباحة وتمجيد العلاقة الجنسية والجرأة على أعلى القيم التى جاءت بها الأديان وذلك بتحطيم هذه الضوابط والحـــدود .

فهى عند فحص كتابات الداعين لهـــا وتعميق كتاباتهم (وخاصة ما نشر من أبحاث مؤتمرهم الذى جمعت أبحاثه لتكشف عن أبعاد هذا المخطط الخطير) يتبين أن وراء هذه الدعوة خطة رسمت بدقة وذكاء ومكر فى نفس الوقت ، قام عليها الحاقدون على كل شىء طيب كريم فى دنيا الاسلام والعرب وقد تعاقدت مطامحهم الى توجيه ضربة قوية للصحوة الاسلامية عن غير الطريق الذى يتوقع منه الضربات ، بل عن طريق مدخل ضيق قد لا يلتفت اليه الكثيرون وهو الشعر ، وقد جاءت حركة الشعر الحر وشعر التفعيلة وغيرها منذ ظهورها مقدمة ومدخلا لهذا العمل الخطير ، قام على رأس هذه المؤامرة شـــاب علوى خدعه (انطون سعادة ، زعيم الحزب القومى السورى واغراه بترك الاسلام والدخول فى المسيحية وحمل لواء الدعوة الى ما أسماه (فينيقيا) وتلقفته الجهات التى استثمرته لحظة عمل بعيدة المدى (على احمد سعيد — أدونيس) وقد اتاحت له تلك الجهات أن يحصل على الدكتوراه فى الأدب العربى من معهد الدراسات الشرقية فى الجامعة اليسوعية . فى بيروت برسالة عنوانها (الثابت والمتحول : دراسة فى الاتباع والابداع عند العرب) حاول فيها أن يهدم صرح العربية الشامخ ويثبت أن أصحابه غـــير مبتكرين أو مبدعين ويبرهن أنهم لم يقدموا شيئا للانسانية ..

وفى هذه الرسالة وضع (ايدلوجية) دعوته الى الحداثة التى خدع بها عدد من الشباب الذين عجزت خلفياتهم عن أن تحميهم من السقوط فى هذا المستنقع

* * *

دعـــاة الحـــداثة

دعـــاة الحداثة كانوا كمـــا يقول دكتور محمد عبد العظيم سعود من أقليات بعضها ربما كان متهما فى دينه أو ولائه القومى وبعضها كان لا يحظى من الأغلبية بنظرة ارتياح مطلقة . وان هناك غالبا شيئا ما عالقا بالنفوس ففى سورية كان على أحمد سعيد الذى زين له انطون سعادة أن يغير اسمه الى (ادونيس) منتميا الى الحزب القومى السورى وهو حـــزب أعلن عدائه للاسلام والعروبة معا اذ دعـــا الى فينيقية سورية ثم تحول أدونيس بعد ذلك الى مذهب اللامنتمى وأدونيس هو القائل : (ان السبب فى العـــداء الذى يكنه العرب

للابداع ، كل ابداع ، هو أن الثقافة العربية بشكلها الموروث هى ثقافة ذات معنى دينى) .

ويعرف الأستاذ ولسون فى كتابه (اللامنتمى) بقوله : لا صلاح هذا العـــالم الملىء بالمتناقضات الا بالثورة والغضب وعدم الانتماء الى أية قيمة أخلاقية من القيم الموروثة بل لابد من مواجهة العالم بكل مشـــاعر الحقد والكراهية) ويقول محمد الماغوط من زمـــلاء أدونيس (على اللامنتمى أن يحس باللاجدوى لأن هذا الوجود بلا موقف ولا دليل ولا مستقر ولا مرشد فليس للامنتمى الا الاحساس بالســأم وتمنى الموت والانانية الفردية ورفض كل المعطيات الخارجية) .

وفى لبنان كان هناك (سعيد عقل) الذى تابع بعض النقاد والشعراء باماتة الشعر وهو الذى خرج بعدها ليعلن أن اللغـــة العربية لا تفى بالتعبير عن المشاعر ولابد من استبدالها باللغات العامية وأن هناك مشكلة فى كتابتها فليست كل أحرفها منطوقة وبعض كلماتها ينقصها أحرف ولهذا كتب ديوانه (يارا) بلغة غربية فى أحرف لاتينية وهو رجل (حراس الأرز) الذين جعلوا شعارهم قتل الغرباء (أى قتل المسلمين) .

وفى مصر كان الدكتور لويس عوض وهو رجل يكرر فى كل مناسبة انه ليس قوميا وانه علمانى وقد لعب هذا الرجل دورا خطيرا فى الحياة الثقافية فى مصر فى الخمسينات والستينات من هذا القرن العشرين حين كانت وسائل الاعـــلام كلها موجهة وتحت الرقـــابة الصارمة وكان هو المستشار الثقافى لجريدة الأهرام وقد قـــام لويس عوض بروح متعصبة دون أى شاعر عمودى يبتغى طريقه الى وسائل الاعلام والنشر من اذاعة أو صحافة أو أى وسيلة اخرى الى الجماهير كما يقول الدكتور طاهر احمد مكى فى كتابه (الشعر العربى المعاصر — دوافعه ومداخل لقرائته) وأفسح المجـــال واسعا عريضا لكل من يكتب الشعر الحـــر واذا نشر قصيدة عمودية لشاعر عمودى مثل كـــامل الشناوى نشرها موزعة الجمل على نحو يوحى بأنها من الشعر الحـــر ، وفى ظـــل هذه الحركة تحول شبان كثيرون لمـــا يزالوا شاردين فى عالم الشعر وكان يمكن أن يصبحوا شعراء عموديين ممتازين الى شعراء يكتبون كلاما تافها فى الشكل الجديد وأصبحوا كما يقول الشاعر أدونيس وهو ليس متهم فى شهادته لانه من دعـــاة الشعر الحر المتحمسين له « فى الشعر الجديد اختلاط وفوضى وغرورا تافها وشبه أمية ، ومن الشعراء الجدد من يجهل حتى ابسط ما يتطلب السفر من ادراك لأسرار اللغة والسيطرة عليها ومن لا يعرف فن الشعر غـــير ترتيب التفاعيل فى سياق ما ، ان الشعر الجديد ملىء بالحـــواة والمهرجين » .

كان هنـــاك بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتى وهـــم من اخلص دعاة الماركسية ، نشر السياب قصائده كلها صيحات انكار وحيرة بل وثورة على الله (جل فى علاه) .

هذا امر ، أما الأمر الآخر الذى يهدف اليه هذا التيار « فقد كان واضحا فى تلك الرغبة المحمومة فى اظهار الاحتقار للتراث الاسلامى العربى والزراية على الشعراء العرب القدامى المجيدين ، ونعتهم بالصـــنعة والتكسب واعلاء التراث اليونانى والرومانى على مافيه من وثنيـــة .

ويسخر (أدونيس) من حادثة الاسراء فى قصيدة (السماء الثامنة) ومعين بسيسو الماركسى يهزأ بالتراث وأعلام التاريخ ومن طريقة الاسناد فى الحديث النبوى الشريف ويؤلف منظومة ساخرة (حدثنى وراق الكوفة) عن خمار البصرة ، عن قاض فى بغداد ، عن سايس خيل السلطان ، عن جارية ، عن أحد الخصيان .. الخ والحق أن الشعر الحـــر مشرع بالدعوة الى الاباحية على نحو لم يشهده الشعر العربى الا عند بعض الشعراء الشواذ المنبوذين .

والعجيب أن دعـــاة هذا اللون العجيب قد تفروا الى كثير من البلاد العربية الى حيث التحكم فى وسائل الاعلام حتى انك تكاد تراهم يسيطرون سيطرة تكـــاد تكون كاملة على هذه الوسائل فى بعض بلدان العرب ، وفى هذا الجـــو الارهابى أصبحت ترى شعراء عموديين يكتبون قصائدهم أو يعيدون كتابتها بعـــد تسطيرها وتبييضها وتقطيعها ارضاء لهـــم وتقيـــة .

وقد ترجم كثير من تلك القصائد ليس لجودتها وانما أولا لسهولة ترجمتها لمستشرق شاذ ، أو لدوافع سياسية وعلل دينية ونحن نرجح أنها حركة مقصودة أريد بها طعن اللغة العربية : لغـــة القرآن والاسلام وعمادهما توطئـــة للاجهاز عليها . وستبقى العربية والشـــعر العمودى وسيبقى من فوقهما القرآن والاسلام الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولن يعمد هذا المسمى بالشـعر الحـــر طويلا لانه لا يعلن بالذاكرة ، ويستعصى على الغناء ، أو يفـــرط فى الرمزية المتطرفة الجامحة والغموض والتلفيق » أ.هـ.

واذا ذهبنا نستعرض الدعاة الى الحداثة نجدهم جميعا من متعصبى الأديان الذين دأبوا على محاربة الاسلام واللغة العربية واتخذوا شعار الحداثة ستارا

ينفثون من تحته سمومهم ويظهر ذلك واضحا فى كتاب غالى شكرى (شعرنا الحديث الى اين) ومنهم ادونيس والماركسيون اكبر اعداء الاسلام : بدر شاكر السياب والبياتى ودنقل ، وشعراء المجون وكان يوسف الخال قد رسم الخطة لهؤلاء وساقهم اليها وهو مبشر مسيحى يقــول :

(خاسر من يبيع ثلاثة ويشترى واحدا)

يقصد بالثلاثة عقيدة التثليث المسيحية والواحد هو عقيدة الاسلام ومنهم امير اسكندر (مسيحى ماركسى) جبرا ابراهيم جبرا ، اسعد زروق ، ولويس عوض ، وخليل حاوى، وتوفيق صايغ، وشوقى ابن سقا ، وميشال طراد وميشال سليمان وفتحى سعيد وسعيد عقل وموريس عواد وكلهم مسيحيون ، ويقول الدكتور طاهر التونسى بعد هذا العرض أنه حتى عندما انتسب الى مدرستهم بعض من تسمى بالاسلام استعمل التعبيرات المسيحية ويبدو ذلك واضحا فى شعر بدر السياب الذى يدعى ان المسيح صلب وقد كذب وكذب أساتذته النصارى واليهود (فما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهــم) ويذكر عد آدم وحواء القصة كلها كما روتها التوراة لا كمــا رواها القــرآن » .

وقد أشــار لويس عوض الى ان صــلاح عبد الصبور يقرأ الانجيل بحماسة وانه دخل دائرة الخلاص المسيحية ، وتجــد التركيز على التراث المســيحى والمصطلحات المسيحية واضحة فى شعره ، وقصيدة (حكاية قديمة) عن المسيح وصلبه ونظم بعض أبيات من (نشيد الأنشاد) وتجــد ذلك فى معين بسيسو ونذار قبــانى :

(مصلوبة الشفتين ، الصليب الذهبى)

وعبد الوهاب البياتى (فى صليب الالم) ..

***

ايدلوجية الحــداثة

أجمع الباحثون على أن (الحداثة العربية) هى ثورة متمردة على كل نظام وقاعدة وقانون وانها ترمى الى هدم الضوابط والحدود والقيم والقواعد التى قدمها المنهج الربانى افساحا للمنهج البشرى : القائم على التحول الدائم ، ويرى البعض انها ثورة اجتماعية هدامة تتخفى وراء الشعر والأدب لتحجب غايتها وحركتها ، ولذلك فان دعــاة الحداثة يهاجمون الثوابت التى قدمها الدين الحق فى عنف شديد ويصفونها بالجمود والمحافظة والتحكمات وقد وصفها الأستاذ محمد عبد الله مليبارى بأنها باطنية جديدة تحاول غزو مبادئنا وقيمنا بدء من الشعر وانتهاء بالعقيدة الاسلامية وان المسألة ليست أن يكون الشعر عموديا او غير عمودى او تفعيليا او نثريا ، ولكنها اكبر من ذلك ، انها محاولة هدم فى مختلف قضــايا النصر : السياسية والاجتماعية والاقتصادية وما يتصل بهــا من تحرير وحرية وعدالة. (٢) وقضايا العصر التعليمية والعلمية والتقنية وما يترتب عليها من مشكلات . (٣) وقضايا العصر الأدبية والفنيــة وما يستحدثه من أجناس ومدارس واتجاهات .

ويمكن القول أن هذه المؤامرة قد وضعت قواعدها على أساس حركة الزندقة القديمة وجماعة المجان الذين كان على قيادتهم (الشاعر الفارسى أبو نواس) الذى كان حاقدا على الاسلام والذى جندته قوى الباطنية والمجوسية والقرامطة ليهدم عن طريق الشعر جميع مقومات الثبات الاسلامى فى البيئة العباسية وقد اعانه على ذلك مجموعة من الزنادقة والشعوبيين الذين تركوا تراثا مسموما أستطاع المستشرقون أحيائه عن طريق شعوبى جديد يحمل فى أعماقه جميع أحقاد المجوسية والباطنية وقد وضع نظرية الحداثة على ستة أصول :

١ ــ نظرية التطور المطلق التى تصلها من فكر هيجل فى دعوته الى الغــاء الثوابت وهى نقيض نظرية أرسطو وقد أصطنعتها القوى الصهيونية والماسونية لاحياء الفكر التلمودى وخلق نظرية تقول بأنه ليس هناك شىء ثابت وأصلا وأن كل شىء متطور وذلك لهدم ثبات الأديان والاخلاق والقيم . ويرون أن الانسان هو محور العــالم .

٢ ــ احياء الوثنيات القديمة فقد كشفت رسالة أدونيس عند تقديمه الوافر لفكر أبو نواس واهتمامه بفكر الملاحدة وأصحاب نظرية وحدة الوجود والحلول والاتحاد واعادة احيائها من جديد وهى الخطة التى وضع قواعدها المستشرق لويس ماسينيون .

٣ ــ تحطيم عمود اللغة العربية ، وهدف تحطيم الفصحى لغــة القرآن هدف قديم وقد شارك فيــه كثيرون منــذ بدأت حركة التغريب والغــزو الثقافى (ويلكوكس ــ لطفى السيد ــ سلامة موسى ــ سعيد عقل) .. الخ أملا من هؤلاء الدعاة فى أن تحطيم اللغة العربية سيحولها الى المتحف ويفسح الطريق أمام تمزق الوحدة القرآنية الاسلامية الجامعة .

٤ ــ تحطيم عمود الشعر وذلك ايمانا بأن عمود الشعر هو القاعدة الأساسية للادب والبيان العربى بعد القرآن والسنة ومن هنا جاءت الحملة على الخليل بن احمد وعلى كل الشعراء الملتزمين للنظم العربى الأصــيل .

٥ ــ مهاجمة مفهوم الثبات والقيم واطلاق اسم السلفية عليه ، والسلفية هنــا تعنى المعتقد الدينى فالحداثة ترى ان فى الأفكار الباطنية والصوفية تحولا عن الثبات الدينى به وتعتبر هذا التحول منطلقا تاريخيا للحداثة العــربية .

٦ ــ تقليب مفاهيم السريالية (النظرة التى لا يحكمها العقل أو ما يسمى فوق الواقع وقوامه احتقار التراكيب الفعلية والروابط المنطقية المعروفة والقــواعد الاخلاقية والجمالية المألوفة والاعتماد على اللاشعور واللامعقول ، والرؤى والاحــلام والحالات النفسية المرضية لاسيما حالات التحلل النفسى ويعنون بالرغبات الجامحــة .

٧ ــ تغليب طوابع الجنس والاباحة استمدادا من مفهوم الانحراف وعبادة الجسد واباحيات الوجودية التى دعا اليها سارتر، والتحليل النفسى الذى يعتمد نظرية الجنس التى دعا اليها فرويد ونظرية العلوم الاجتماعية التى دعا اليها دور كايم وفتح أبواب المجون والجنس والاباحة والتحلل الاجتماعى .

***

٨ ــ على أن يدور ذلك كله فى اطار (التاريخانية) وهى الحتميــة التاريخية لماركس فالمنهــج الماركسى التاريخى هو الأساس الايدلوجى للحداثة .

وقد عمد (ادونيس) فى سبيل صياغة هذه النظرية التى قدمها له شيخ المنظرين القس يوسف الخــال الى استقطاب خيوط من التاريخ لتكون ادلة واضحة واضواء كاشفة على الطريق وذلك بالاعتماد اساسا على الفكر الباطنى الفلسفى والصوفى والاهتمام برموزه ومحاولة ربط الخطوات بتطور الشعر الحديث بالمرحلة الأخيرة منه (قصيدة النثر وشعر التفعيلة) واختبار الحاقدين الجدد على نسق الحاقدين القدامى : ابو نواس ومهيار الديلمى واعتماد الحركات التمردية الهــدامة للمختــار الثقفى والقرامطة والزنج وقد خطــا دعاة (الحداثة) خطوة متقدمة على مفهوم العصرية من ناحية والشعر الحــر من ناحية أخرى .

فالشعر الحــر تقليد لشعر (والت ويتمان) أمــا شعر الحداثة فهــو متابعة للشاعر الصليبى توماس اليوت ويرى دعاة الحداثة أن الشعر الحــر هو التيار (السلفى) الجديد بالنسبة لشعر الحداثة .

أما توماس اليوت فهو زعــيم هذه المدرسة فى العرب عن طريق مستشرقى الهند وفرنسا وحذفه اسم

ويقول دكتور عبد الله الطيب : لقد حذف اليوت فى منظومته (الأرض المقفرة) اللفظ الدال على العرب واستبداله بكنيسة ماغنسى وردد اشياء من التوراة والانجيل ويرجع هذا الى الشعور الصليبى الموروث الصادر عن تعصب دينى أو عنصرى اذ لا يخفى أن ظــلال جزيرة العرب لا تخلو من معنى ظلال سيوف محمد وصلاح الدين والاسلام والجهاد ، فهو يرجع الى الشعور الصليبى الموروث والتعصب الدينى أو العنصرى ومرده الى الزهو والغرور والاعتقاد بالانتماء الى حضارة اليونان والرومان » .

ولا ريب أن كتمانه سرقته للمعلومات وشــعر العرب عن طريق مستشرقى الهند وفرنسا وحذفه اسم العرب وأسماء من اشاروا اليهم ، كل هذا يؤكد الشك فى اصالة اليوت فى منظومته (الأرض المقفرة) ويؤكد فســاد وجهة الذين تابعوه من دعاة الشعر الحــر والحداثة .

الحشاشية : هى الجــذور ..

ويحاول ادونيس ودعاة الحداثة أن يردوا فكرتهم الى القديم : وهــم صادقون فى ارتباطهم بالحشاشين والباطنية والمجوسية المتنامية فى القرامطة ويتحدثون عن جذورهم فى ابى نواس وابى تمام والرازى وابن الراوندى ، على اساس ان الخاصة الرئيسية التى تميز هذا النتــاج هى ادانة التقليد والمحاكاة ورفض النسج على منوال الاقدمين ويركز ادونيس فى كتابه (الثابت والمتحول) على الحركة العقلية والفلسفية والعلمية عند ابن الراوندى والرازى ويراه فى الحــركة الصوفية (الفلسفية) وفى التيارات الالحادية أو مايسمى حركات الزندقة والشعوبية وفى طليعتها الحركة القرمطية

***

الحــداثة وخلفياتها الأيدلوجية

تهــدف الحداثة الى تجاوز القواعد الأساسية للاسلام : قــواعد الثوابت التى هى بمثابة الضوابط والحدود الى تحفظ شخصية الفرد والوجود الاجتماعى وهى تحاول أن تخدع الناس بأن هؤلاء الرواد والرموز السابقين قد حطمــوا هذا القيد وتجاوزوه وأن هذه المحاولة هى التى مكنتهم من الابداع وهم يدعون بأن الحداثة هى الثورة الدائمة لتجــاوز التأخر والجمود والارتقاء الى منطلق العصر .

وترد ذلك كله الى (التاريخانية الماركسية) كمدخل للحداثة . وترى أن هؤلاء الرواد قد اقتحموا مفهوم الزمن الدينى ومن ثم فهم يركزون على (فكر التجاوز) وأنه مصدر الابداع وأن هذا التجاوز لا يتوقف فهو فى حركة دائمــة .

هذا هو مفهوم (الثابت والمتحول) ..

وهذا التجاوز يرمى الى تزعزع فكرة النموذج او الأصل ، اى ان الكمال لم يعد موجودا خارج التاريخ ، وأصبح الكمال تمعنى آخر كامنا فى حركة الابداع المستمرة .

هذه المحاولة كاذبة ومضللة ومحكوم عليها بالسقوط لأنها لا تقوم على أى أساس من الفطرة او العلم أو الحق أو المنطق ، وانما هى نوع من التمويه الكاذب والخداع المضلل ، لان كل هؤلاء الذين اعتمد عليهم مفهوم الحداثة من رموز قديمة قد سقطوا فعلا وداستهم الأقدام ولم يدخلوا التاريخ الا فى باب الشعوبيين والباطنيين وأعداء الانسانية . ولقد هزموا فكريا فى عصرهم وذهب كل ماقالوه من اكاذيب وادعاءات حتى جاء الاستشراق والغزو الفكرى ليعيدهم مرة أخرى الى الحياة ، وهى محاولة محكوم عليها بالانهيار والدمار ، كالمحاولات الأخرى التى سبقتها ولن تجدى هؤلاء الدعاة الجدد نفعا لانها لا تقوم عندهم من منطلق أمين أو من منطلق غيرة على هذه الأمة أو رغبة فى السمو بها ولكن من منطلق حقد دفين وكراهية وهزيمة،والمهزوم يعمل دائما على كسب المهزومين الى صفه ليحس بأنه ليس منبوذا،ولقد كان دعاة الشعوبية والباطنية مهزومين منعزلين شأنهم شأن أبى نواس وبشار فى القديم حيث كان يتحاماهم الناس ، واذا كان قد أتيح لهم عن طريق « أحد غلمان التغريب والشعوبية » أن يذيع لهم فكرهم على هذا النطاق الواسع فانها ليست الا صيحة مضللة قد أغمدت الأقلام الاسلامية فيها خناجرها .

ان هؤلاء دعاة الحداثة انما يدعون الى توهين السلطة المطلقة وهى الدين والنيل من السيد الأعظم (الله تبارك وتعالى علا وجل عن كلماتهم المسمومة) ولن يتحقق يوما أن تغلب الفئة الباطلة على النظام الربانى القائم ، فى حكمه وقواعده واى اصل من اصوله ، على الحق مهما تجمع لهذا دعاة الشعوبية والباطنية .

ويرمى أدونيس الى الغاء القديم الأزلى الباقى جل جلاله ، ومفهوم الزمن عند أدونيس يتعارض مع مفهومه الدينى ، والغاء الزمن الدينى يرمى الى الغاء كل قديم باعتبار أنه لا شىء فى الوجود اسمه قديم ويهدف من ذلك الغاء فهمنا للقرآن الكريم وانه كلام الله القديم .

والحرية عن الحديثيين هى التحلل من كل قيد دينى أو اجتماعى أو نظامى أو قانونى .

وهم عندما يسمون الحداثة (الثورة المتجهة لتجاوز السلفية) يقصدون تجاوز قيم الدين والأخلاق .

وحين يدعون الى حرية اللغة يقصدون الخروج باللغة عن سيادتها ومضمونها وتحررها من اطارها التاريخى والبلاغى المرتبط بالبيان العربى والقرآن الكريم .

ويؤرخ أدونيس للحداثة بالدعوات التى خرجت على الاسلام (المختار الثقفى والزنج والقرامطة) ويرى أنها قامت بالتحرر من الثبات، وكذلك دعوات الزنادقة (فى الشعر) والاباحيين ودعاة وحدة الوجود والحلول والاشراق .

وبالجملة فان الحداثة (أيدلوجية مناهضة) للاسلام والدين الحق والأخلاق تقوم على الغموض فى فهم النص ، وتفسيره تفسيرا مختلفا (لأن الشاعر عندهم ليس مطلوبا منه أن يفهم ما يكتبه) ودعواهم الباطلة أنهم يتشبهون بتفاسير القرآن متناسين ان لمفسر القرآن شروطا لابد أن تتوفر فيه .

وهم حين ينكرون العمودية فى الشعراء والتقيد بالوزن والقافية انما ينطلقون من مفهوم الحداثة القائم على التمرد والثورة على كل قيد عقدى أو فنى (كما تمرد أبا نواس وصوفية وحدة الوجود والحلاج وابن عربى ونظرية الحاكم بأمر الله) .

وقد استعمل الحداثيون نفس الألفاظ التى استعملها الباطنية سواء فى الغرب (نيتشة وفرويد) أو فى الشرق (الباطنية والحلوليين) .

ويرد أدونيس مفاهيمه الى اصولها ..

(السريالية قادتنى الى الصوفية وتأثرت بها أولا ولكنى اكتشفت انها موجودة بشكل طبيعى فى التصوف العربى (يقصد التصوف الفلسفى) وتأثرت بالماركسية ونيتشة من حيث القول بفكرة التجاوز والتخطى وتأثرت أيضا بأبى تمام وأبى نواس من حيث فهم اللغة ولم تكن ثورة المختار الثقفى والثورات القرمطية وثورة الزنج الا توكيدا للقاعدة المادية (الأرض — الاقتصاد — علاقات الانتاج) .

ومن هنا نعرف أن حداثة أدونيس هى تلفيق من فكر الباطنية والملاحدة والاباحيين فى الشرق والغرب وانها تستهدف (ثوابت الاسلام) والايمان بالغيب وتقوم على أسس ثلاثة ..

١ — عدم الانتماء لأى قيم أو منهج .

٢ — التمرد على كل الثوابت وفى مقدمتها الدين والاخلاق .

٣ — استعمال قواعد اللغة استعمالا مغلوطا .

٤ — بناء الصور الشعرية على أنقاض الأساطير القديمة .

واخطـر ما يركز عليه دعـاة الباطنية الحديثة (الحداثة) هو ما يسمونه (المطلق) وهو الله تبـارك وتعالى وما من واحد من هؤلاء الا وله فى هذا المجال شعر ردىء هابط ملىء بالالحاد والفجور والله تبارك وتعالى أعلى وأجل عما يقولون وهذا ينكشف ان الهدف الحقيقى هو الثورة على العقيدة والالوهية والجـذور الأصيلة للتكوين الاجتماعى وعلى كل ماهـو متعارف ومقعد ومنظم ومتقن حتى القواعد اللغوية .

ومهاجمة النص المقدس عملية واضحة واساسية فى دعوتهم ..

يقول كمال أبو ديب : (من الدال جدا على ان النص المقدس فى جميع الثقافات التى نعرفها هو نص قديم فليس هناك من نص مقدس حديث والحداثة بهذا المعنى هى ظاهرة « اللاقداسة ») .

وهو يقصد بالنص المقدس القرآن والأحاديث النبوية وكل كتاب دينى تقدسه الأديان وتقول (لانه لا سبيل لان يكون الأدب حداثيا الا اذا رفض كل نص مقدس وأصبح نقيضا لكل ماهو مقدس حتى العبادة .

فالدعوة الى تدمير القداسة هى هدف أساسى فى دعوة الحداثة وهى لا تقف عند ذلك بل تدعو الى مفارقة الخطيئة وبكارة الانسان واحراق التراث والغاء الخطيئة اى لا خطيئة فى الحيـاة (الزنا ، الربا ، السرقة ، الحقوق .. الخ) فيقولون : كلمة الخطيئـة يجب ان تشطب من قواميس اللغـات .

والدعوة الى العصيان المعلن قاعدة أخرى متمثلين بقول « أبى نواس » ..

فـان قالوا حـرام قـل حـرام
ولـكن اللـذاذة فى الحـرام

وقد أعلن ادونيس فى كتابه (الثابت والمتحـول) انه يرمى الى تحول يزلزل القيم الموروثة من (بيئية) واجتماعية واخلاقية ، تحول فى الثقافة العربية التى يبثها الاسلام بقيمه الدينية .

والمعروف أن الأب بولس نويا اليسوعى هو الذى قدم له منهجه ووصفه بأنه (شاعر التحـول المستمر)

وقد ركز على عبارة ادونيس (نفسى تجردت من الماضى وقيمه كلها بما فيها القيم الدينية والخلقية) .

وعلق الأب بولس على ذلك فقال : لقد انتهيت الى نتيجة هى أن الرؤيا الدينية هى « السبيل الأصلى فى تغلب المنحى الثبوتى على المنحى التحولى فى الشعر ، أن النظام الشامل الذى خلفه الدين (بقصد الاسلام) كان العامل الأساسى الذى جعـل المجتمع العربى فى القرون الثلاثة الأولى يفضل القديم على الحديث بحيث انه وضع القديم فى مجال الكمال واعتبر كل جديد خروجاً على المثال الكامل » .

وهكذا نرى كيف تتضافر قوى كثيرة على تأييد هذا المذهب وتشوه صفحات التاريخ الاسلامى وترى أن قلة من الزنادقة ظهروا فى القـرن الثالث وداستهم الأقدام كانوا عوامل تجديد وحداثة كاذبة بدعوى أنهم تجاوزوا الثوابت واجترءوا على الحقائق الاسلامية .

وهكذا كانت دعوة الحداثة : **التحول هو المنطلق** وأن التجرد من كل الموروثات التى تمت مع نمو تاريخنا الاسلامى هو أساس الموجهة ، ومن العجيب أن أدونيس وثلته كانوا من المتجردين من موروثاتهم وأوسـاطهم وأسرهم وعقائدهم التى نشأوا عليها وتنكروا لما غذتهم به أمهاتهم وآبائهم من ايمان وهـكذا يدعو هـؤلاء الخارجون على أمتهم — يدعون الناس الى خروج مثل خروجهم . ان هؤلاء ينكرون مفهوم الاسلام الجامع بين (الثوابت والمتغيرات) ويلجأون الى مفهوم الغـرب الذى كان يؤمن بالثوابت وحدها وقد دفع هذا بعض المفكرين الى تحطيم الثبات بالدعوة الى (التغير المطلق) ولكن هذه الدعوة لا تصلح فى أفق الفكر الاسلامى لأنه لا حاجة له بها ، لما جاء الاسلام أرسى قواعد الثبات ونظم وسائل التحول والتغيير والتطور من داخل الثوابت الأساسية القائمـة على الخلق والمسئولية الفـردية والايمان بالبعث والجزاء ومن هنا وقف الاسلام أمام كل دعوة باطلة ترمى تحت اسم التحول الى القضاء على الثوابت أو هزها أو النيل منها .

وتلك سنة الله فى خلقه وناموسه فى قيام الأمم والحضارات وتحولها وسقوطها .

وكل الدعوات التى حاولت أن تنال من لثوابت الاسلامية ، كالبابية والبهـائية والقاديانية والقرمطية فقد تحطمت لأنها مخالفة لمنهج الله نفسه وقانون البقاء وستذهب (الحداثة) وتدوسها الأقدام قبـل أن يعرف دعاتها من أين أتهم الجائحة **(وآتاهم الله مـن حيث لم يحتسبوا)** مهما بلغ ارتفاع أسهمهم فهو الى انحسار وانتشار فكرهم فهو الى زوال .

مقطع الرأى فى (الحداثة) انها :

أولا : ردة الى طفـولة البشرية وهجوم مستتر

على الفصحى : لغة القرآن بهدف تدمير منظومة البيان العربى المرتبط بالقرآن الكريم والسنة وترمى الى فى جميع كتابات العلماء والمؤرخين والفقهاء والتى تقوم على فقه اللغة والبيان والتحقيق التاريخى الذى استمده المسلمون من علم الحديث النبوى .

ثانيا : تهدف الى تقويض المنزع الحقيقى للأدب العربى المرتبط بالقرآن الكريم والسنة ونزوع الى اغراقنا فى مذاهب التجريدية والرمزية والدادية والسريالية .

وقد وصفه الدكتور محمد مصطفى بدوى بأنه (الفن الذى استجاب لما حل بأوربا من اضطراب شامل وكان نتيجة لانعدام اليقين والتجديد المعلن ، أنه الفن الوحيد لذى يصلح لانهيار العقل ولما أصارت المدنية من دمار أبان الحرب العربية الأولى ، أنه فن الرأسمالية ، دارون وماركس وفرويد ، جاء بعد القضاء على الحقائق العامة المشتركة وعلى أفكارنا التقليدية عن العلية وبعد اندكار الآراء المتوارثة عن وحدة الشخصية الفردية فأين نحن العرب من هذه الأشياء .

ان (المودرنزم) حركة أوربية ليست مقصورة على دولة واحدة من دول الغرب وهى شديدة الصلة بتاريخ أوربا السياسى ومرتبطة بفقدان الايمان الدينى وهى تطوير للرومانتيكية والرمزية والواقعية بل ظهر ما يسمى با (بعد المودرنزم) .

وهذا تختلف تماما عن طوابع الأدب العربى العميقة الصلة بالقيم الأساسية من الدين والاخلاق .

واذا كانت هذه الدعوة المدعاة قد وجدت من بعض القوى ما يفتح لها الطريق ، فان هذا البريق الهلامى سوف لا يثبت تحت ضوء الشمس ، وقد انهزم شعراء الحداثة فى المواجهة وتراجعوا فى كثير من موقع وحاولوا أن تغييرواخططهم وقالوا ان شعر الحداثة يقرأ ولا يلقى ، وعجز أصحاب الحداثة عن بيان ما فى نفوسهم فادعوا أنهم طلاب غموض وقد رفضهم المثقفون واتهموهم وانقطعت الجسور بينهم وبين الأدب الاصيل ذلك أن هذه الدعوة وافدة وليستلها جذور وهى كالنبت الذى يوضع فى الأرض فلا ينبت وقد رفض الجسم الاسلامى العضو الغريب فى محاولات كثيرة سابقة ، وفى هذه المحاولة يرفض التغريب بحسم ويرفض ما وراءه من أهواء ومن أهداف ومطامح ومطامع ، لم تعد خافية على أحد .

* * *

الباب السادس عشر
أسلمة الاقتصاد

ان أسلمة الاقتصاد جزء من أسلمة المناهج الاجتماعية التى تتحرك فى دائرتها الأمة الاسلامية ، وهو ضرورة أساسية لتحرير الوجود الاسلامى من التبعية ومن الآثار الجائرة والظالمة التى أساءت الى مواردنا وانتهبتها وحرمت منها أهلها فان القوى الغربية التى سيطرت على المجتمع الاسلامى عمدت الى احتواء اقتصاد المسلمين وفرضت عليه أساليب التعامل الراسمالية القائمة على الربا والرشاوى ونهب الموارد واستقدام الخبراء والمصنعات ومن ثم أدخلتنا فى متاهة واسعة من الأساليب المضطربة التى كان علينا أن نستسلم لها وقد فرضت علينا ما دمنا لسنا قادرين على امتلاك ارادتنا ، ومن ثم دخلت بلاد المسلمين فى أزمات القروض والفوائد وخضعت المصارف الأجنبية . بل ان الدول البترولية ذات الفوائض الضخمة أيضا وقعت تحت سيطرة الاقتصاد الأجنبى وعجزت عن استقدام فائضها ومدخراتها لاقامة صناعات فى بلادها . وكان أخطر مافى هذه التبعية خضوع الاقتصاد الاسلامى كله لأسلوب الربا والمصارف الأجنبية .

ومن هنا فقد علت الصيحة لتحرير المال الاسلامى وتطهيره من المعاملات الربوية والتحرر من الخضوع لكلا المذهبين الاقتصاديين العالميين الراسمالى والاشتراكى بعد ان تكشف اضطرابهما وفسادهما والدعوة الى نظام عالمى اقتصادى جديد .

ويرجع هذا أساسا الى فساد نظرية الاقتصاد السياسى نفسه الذى قامت عليه المعاملات الاقتصادية فى الغرب والذى وضع قاعدته (روبرت أوين) ثم جاءت الموجة الثانية بنظام الاقتصاد الاشتراكى الذى كان بمثابة رد فعل اشد اضطرابا على منهج الراسمالية المضطرب .

وقد كشفت الأبحاث عن الاختلاف العميق بين مفهومى الاقتصاد الاسلامى الاقتصاد الغربى كما كشفت عن فساد المنهج الاقتصادى الغربى المعاصر الذى يختلف فى أهم ما يتمثل فيه الاقتصاد الاسلامى هو انطلاقة من منهج الله ايمانا بأن المال كله لله وأن الانسان مستخلف فيه وأن عليه ان يتعامل معه على أساس العدل والرحمة والاخاء وان يكسبه من حلال وينفقه فى حلال وأن منه حقين : حق للمجتمع وحقا للمسكين والسائل والمحروم وأن الحرية فيه منضبطة لها حدود لا يتجاوزها وأن الربا على اطلاقه حرام .

(٢)

فالمنهج الاقتصادى الاسلامى جزء من كل متناسق ومتماسك هو الشريعة الاسلامية التى جاءت بقواعد كلية عامة فيما يتعلق بالمسائل التى تتطور بتطور البيئة والمجتمع وقد جاءت الشريعة بضوابط تفصيلية فى المسائل التى لا تتطور بتطور الزمن كالمواريث والعبادات واحكام الأسرة وضوابط الشريعة وكلها تهدف الى حماية الانسان مما يتجاوز الطاقة البشرية أو يرهقها

وللمنهج الاقتصادى الاسلامى ذاتية خاصة تتمثل فى :

اولا : الجمع بين الثبات والتطور ، أو خاصية الالتزام بأصول معينة وفتح باب الاجتهاد فى التفاصيل وملاءمة التطبيق .

ثانيا : الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة . ومناط الاقتصاد الاسلامى هو « المصلحة » وتختلف المصالح باختلاف الظروف وتتقدم المصالح حسب أهميتها ويجرى التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فى حال التعارض ، وتتقدم المصلحة العامة على مصلحة الفرد فى حالة عدم امكان التوفيق .

ثالثا : الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية والاحساس الدائم برقابة الله تبارك وتعالى لكل تصرف .

رابعا : ارتباط ما هو مادى وما هو روحى فى الاسلام .

خامسا : ازدواج الرقابة ، الرقابة العلنية والوازع الدينى الداخلى .

سادسا : المصالح المادية مقصودة ولكن ليس لذاتها .

سابعا : الحرية الاقتصادية موجودة ولكنها مقيدة .

يقر الاسلام حرية الأفــراد فى ممارســة نشاطهم الاقتصادى ولكنه لا يترك هذه الحرية مطلقة بل يقيــدها بقيود اساسية :

أولا : أن يكون النشاط الاسلامى مشروعا حسب المفهوم الاسلامى ومن اجل هذا حرم الاسلام انتاج الخمور أو التعامل بالربا أو الاحتكار أو كنز المال أو حبسه عــن التداول والانتاج او حتى صرفه فى غير مقتضى العقل والا عد المرء سفيها وجاز الحجز عليه .

ثانيا : أن يكون النشاط متفقا مع المصلحة العامة .

وهذا هو السبب فى تحريم الاسلام بعض أوجــه النشاط الاقتصــادى المشروع متى كان يلحــق ضررا بالآخرين يفوق ما يعود على أصحاب هــذا النشاط من منفعة ، وهذا هو السبب فى القيود التى وضعها الاسلام على الملكية الخاصــة فجعلها مجرد وظيفــة اجتماعية فالحرية الاقتصادية موجودة ولكنها مقيدة فى حدود معينة وحــق الملكية الخاصــة مقيد بمبلغ اتخــاذه سبيلا الى الأضرار بالغير أو عدم تنمية المال بالوسائل المشروعة .

ثالثا : المال مال الله وحده والانسان مستخلف فيه .

ففى الاســلام : المال مال الله وحــده والانسان مستخلف فيه استخلفه الله للانتفاع بهذا المال الذى يوجه فى سبيل الله ، أى فى سبيل مصلحة المجتمع ، والمال تطهره الصدقة والزكاة ركن من أركان الاسلام وهو نظام للتعاون .

ويرمى الاسلام الى تداول المــال بين الناس دون تداوله بين طائفة خاصــة وقد قيد الشرع حق التصرف بالانفاق بمنع السرف والتقتير ومع العمل على تنمية الثروة بمنع الغش والربا والقمار والاحتكار .

وللمراة ان تزاول التجارة والصناعة وأن تتولى العقــود والمعاملات وأن تملك كل أنواع الملك وأن تنمى امــوالها .

رابعا : اقرار التوازن فى الحقوق .

وضع الاســلام نظاما حكيما يحــول دون تضخم الثروات بين يدى أقليــة وتكفل لكل فرد حياة انسانية كريمة تحفظ له مقوماته وحقوقه ، وتقضى هذه الأحكام باقرار التوازن فى الحقوق بين الأفراد وذلك بمنع التعسف فى استعمال الحق الخاص ومنع الاحتكار فى التجارة ومبدأ الزكاة يهدف الى استرداد المال المختزن فى أربعين سنة وبذلك تنتقل الثروة كل أربعين سنة بين أيدى الناس الى أيدى آخرين .

(٣)

وللاقتصاد الاسلامى قواعده الأساسية التى تمثل منهجا جامعا :

١ ـــ يقوم المجتمع الاسلامى اللاطبقى أساسا على العمل ولا يسمح بانفصال الملكية عن العمل لأن العمــل واجب مقدس .

٢ ـــ يربط الجــزاء بالعمل على أساس الفرص المتكافئة **(ولكل درجات مما عملوا)** .

٣ ـــ يمنع التفرقة ويعتبر فرض الاسلام حدا أعلى للدخل (أى الثروة الخاصة) تحقيقا لعدالة التوزيع ومنعا للاستغلال والتسلط الطبقى .

٤ ـــ فرض الاسلام حدا أعلى للدخل ـــ أى الثروة الخاصة ـــ تحقيقا لعــدالة التوزيع ومنعا للاستغلال ولما لم يقيد الاسلام هذا كذلك فلا حد نسبى له يختلف من مكان لآخر ومن عصر لآخر ، ومن ثم يجب تركه لتقدير الحاكم بما يتفق مع ظروف المجتمع والعصر الذى يعيش فيه وهذا التقدير يمكن انفاذه بضوابط أربع يضعها الحاكم فى أى عصر وأى مجتمع وهى التى تعمل تلقائيا كصمام أمن ضد ظهور طبقة مستغلة مسيطرة سيطرة الأفراد فى جميــع الدرجات وبهذا يكون (سواسية كأسنان المشط) .

***

الضوابط الاربعــــة

أولا : أن لا تترك الأموال لدى قلة من الأفراد الى الحــد الذى يتخــذون منها أداة للتسلط الاقتصــادى والاجتماعى **(كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)** .

ثانيا : أن لا تترك الأموال تتجمع لدى بعض الأفراد الأغنياء الى الحد الذى يدفع بهم الى الانغماس فى الترف ومظاهر التميز ، الأمر الذى سرعان ما يؤدى الى تحلل المجتمع وانتشار الفساد ولا يلبث ان يعمل على انهياره تمامــا كما حــدث لمجتمعات انغمست فى الترف وما فوق الكماليــــات .

(واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .

ثالثا : اذا تجمعت الأموال لدى بعض الأفراد ـــ ولا توجــد لديهم نزعــات التسلط او الانغماس فى الترف والتحلل فان تجميــع الأموال لمجرد الجمع أى (الاكتناز) أمر يتنافى مع مصلحة الجماعة ، لأنه يحبس الأموال عن دورة النشاط الاقتصادى شأنه شأن من يحبس ماء النهر عــن أرض الغير ولذلك حــرم الاسلام الاكتناز **(والذين**

يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعـــذاب أليم) .

ودعا الاسلام الى الانفاق مضاعفة لحجم المعاملات وتحبيذا للرواج **(وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه) .**

رابعا : أن لايكون تجميع الأموال لدى بعض الأفراد عن طريق امتصاص حقـــوق الآخرين مثل بخس العمال أجورهم أو بعض المستهلكين بفرض أسعارا احتكارية باهظة عليهم **(ولا تبخسوا الناس أشياءهم) .**

***

(٤)

ومن ثم فقد علت صيحة مفكرى الاسلام بالدعوة الى أن يعود المسلمون الى مفهوم الاسلام فى الاقتصاد وأن يحرروا البشرية من لغـــة الاقتصاد اليهـــودى . وقد كتب الأستـــاذ أحمـــد حسين عام ١٩٧٦ فقـــال : لم يصـــل اليهود الى ما وصلوا اليه من خديعة البشر الا من خـــلال أوربا وأمريكا وما انتهت اليه من كفر بالمعنويات وعبادة المـــادة ، يستوى فى ذلك الشرق (الشيوعى) والغرب (الراسمالى) والسر فى هذا الاتفاق بين الشيوعية (عدوة رأس المال) والراسمالية (عابدة رأس المال) أن الطرفين لهما اله واحد هو المادة .

وعندما كانت الحضـــارة الاسلامية هى المهيمنـــة والمسيطرة لم يستطع اليهـــود أن يطلوا براسهم فى دنيا المـــال (الاقتصاد) الا بعـــد أن فقد المسلمون سلطاتهم وتفوقت عليهم أوربا ونجح اليهـــود فى أن يصبحوا ملوك المال وأن يخضعوا الدنيا بما فيها العالم الاسلامى نفسه لسلطاتهم ، بحيث أصبحت ترى شركات التأمين والبنوك تغمر العالم الاســـلامى من مشرقه الى مغربه ، دون أن يتصور المفكرون أنهم بذلك يغرقون الى الأذقان فى خطة تشبه فى الاسلام الكفر ، حيث توعد الله المرابين بحرب من الله .

وقد حانت الساعة لنقول ذلك ونواجه الدنيـــا باقتصاد اسلامى مبرأ من لعبة الاقتصاد اليهودى (الربا) .

لقـــد فشلت النظـــريات الراسمالية والشيوعيـــة والاشتراكية منذ وضع آدم سميث (اليهودى) أصول النظام الراسمالى وكان يعتقد أن هـــذه الأنظمة ستحقق العدالة وأن الأفـــراد سيكونون سعداء لأنهم يعتقدون أن (المذهب الحر) يعطى للفرد الحرية أن يربح كيف يشاء وينتج كيف يشاء وينفق كيف يشاء ، وكان يعتقد أن نتيجة ذلك كله هو اسعاد المجتمع كله وأن المنافسة بين التجار وبين أصحاب المصانع والشركات هى التى ســـوف تحقق عـــدالة الأسعار وسوف تظل الأسعار فى خدمة جماهير الشعوب على أساس المنافسة الحرة بين الراسماليين ، وكان من نتيجة هـــذه الحرية وجود طبقة الراسماليين : هـــذه الطبقة التى اتجهت الى رعاية مصالحها واتجهت بالتالى للظلم والطغيـــان على طبقـــة الفقراء والعمال فى تنمية ثرواتها لتكون أغنى من الأخرى وأقوى وأشد .

ويرى آدم سميث صاحب نظرية الاقتصاد الحـــر : أن الانسان الذى يحقق مصالحه الذاتيـــة يؤدى فى نفس الوقت خدمة هائلة للمجموع ، اذ ان ثمرات عمله سوف تنعكس على المجتمع ، كما أن التنافس الحر يؤدى أيضا الى خدمة المجموع ، ولكن نظرية آدم سميث لم تصمـــد لعوامل التجربة التاريخية فاذا كانت هذه النظرية قـــد صلحت فى وقت ظهورها حيث كان العمال يملكون وسائل الانتاج فان الأمر اختلف عنـــدما تم تأسيس الشركات والمؤسسات الكبرى وأصبـــح الانسان فى ظـــل هـــذه الشركات مجرد وسيلة للاحتكارات الكبرى وجاءت نظرية جديدة هى (الاقتصاد الموجه) أى الاقتصاد الذى تتدخل فيه الدولة لحماية المستهلكين . وامتلاك الدولة لوسائل الانتاج حيث أصبح الفصل بمثابة ترس ضخم ، ولم يتحقق شىء ذو بال فقد أخذ العالم يعيش متأرجحا بين نظرتين فاسدتين .

يقول ديستان فى كتابه (الديمقراطية الفرنسية) :

ان الماركسية والليبرالية التقليدية نظريتان ناقصتان وتتنكران للحقيقة الانسانية وانهما ينفلتان بسهولة من قضية البحث العلمى وأن التحيز يغلب عليهما الى اليوم اكثر من العقل. وانهما لم يعودا يمثلان الوقائع المحسوسة فى مجتمعاتنا الا تمثيلا ضعيفا ، وانهما يتكيفان بصعوبة لايجاد حلول لمشاكلنا الواقعيـــة وأن الموقف الموضوعى يدعو الى ترك هذه النظريات غير المتكاملة والبحث عـــن صيغة جديدة مقبولة .

ويرى المؤرخـــون أن الصنم الاقتصادى هو السم الذى قضى على جميع الحضارات من حضارة بابل ومصر القديمة الى اليوم ، وكان طغيان المال وغروره هـــو المعول الذى قوض الامبراطوريات القديمة والحديثة على السواء من حيث بدأ الاغـــريق والرومان والفرس حتى وصلوا الى الديمقراطية التى يتشدق بها الغرب اليوم ثم ستندثر تلك الحضـــارات كما ستندثر الامبراطورية الحديثة اليوم .

***

(٤)

ويؤكد كثير من الباحثين ان علم الاقتصاد الراهن ليس علما ، يقول الدكتور حسن غانم :

ان علم الاقتصاد الراهن ليس علما من العلوم اذ تشوبه الغاشية والتحيز وقصور النظرة الى الكون والانسان وعدم ربط الظاهرة الاقتصادية بغيرها من الظواهر الكونية التى تقيدها من قبيل العوامل الخارجية لا الداخلية وعدم التحديد الدقيق لمدلولات الالفاظ لمذاهبهم التى يتبادلها الباحثون .

واكبر مقاتل للنظرية الاقتصادية المعاصرة انها لا تقوم على الأصول الثابتة وانما تقوم على الاختلال الطارىء ولا تقوم على علم من العلوم بل على اسس اختلالية على الاطلاق وانما يرتبط مقام العلم بالتوازن حيث التناسق العضوى والوظيفى بين الكائنات والحركة المتوافقة للظواهر المختلفة .

والعلم يرتبط بالتوازن لا بالاختلال ، ومن هنا فان ابرز مقاتل علم الاقتصاد والنظرية الاقتصادية المعاصرة قيامها على النماذج الاختلالية التى اقامها فلاسفة اليونان وفعلها من بعدهم المدرسيون فى العصور الوسطى وكلها تقوم على فروض اختلالية تقيم الحياة على فكرة التناقض والصراع فالموارد الطبيعية نادرة والطبيعة عدو للانسان لا هدف لها الا تدميره والقضاء عليه والحياة كلها صراعات : صراع ضد الطبيعة وصراع الانسان ضد الانسان وصراع من أجل البقاء وصراع بين طبقات المجتمع والعداء قائم بين الفرد والمجتمع فأما ان تغلب مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع أو أن تطغى مصلحة المجموع على مصلحة الفرد والانسان لا هم له ولا هدف سوى اشباع غرائزه كالبهائم يجرى وراء الطعام ويسعى الى تحقيق اكبر لذة ممكنة : كان الفكر السوفسطائى يدعى أن القوانين الطبيعية أو الطبيعة تدعو الى الاغراق فى اللذة وتدعو الأقوياء الى البطش بالضعفاء وجاء هوبز ليدعى أن الانسان ذئب مفترس . وردد الكتاب بعد ذلك الفكرة الدارونية عن الصراع من أجل البقاء ، ثم جاء كارل ماركس ليقيم عملية التطور الاجتماعى كلها على فكرة صراع الطبقات .

وحول اشباع الحاجات والغرائز المادية ، ولا يزال هذا النمط من التفكير الفلسفى المنحرف هو ذاته النمط الذى يسير عليه ، وهكذا تحول علم الاقتصاد وهو من العلوم الانسانية السلوكية الى علم اصم من علوم الجوامد كعلم الميكانيكا مثلا وهو ليس كذلك فى واقع الأمر والمعنى الحقيقى للاقتصاد هو التدبر والاعتدال والوسط والاقتصاد فى مفهوم الاسلام هو الاعتدال والتدبير البدبن .

وقد أخفق علم الاقتصاد الراهن فى التوصل الى القيم الحقيقية للأشياء :

أولا : فشل فى صياغة نظرية فى القيمة الموضوعة وفى قياس تلك القيمة بمقياس ثابت بسبب تجاهله للسلع الحرة .

ثانيا : كان كارل ماركس متحيزا ولم يكن على حق عندما اسقط قيمة وسائل الانتاج التى تقدمها الطبيعة كالأرض والماء والرياح من حساب القيمة النهائية للسلعة المنتجة لكى ينتهى من بحثه الى ان كل القيمة يخلقها العمل وكان كارل ماركس متحيزاً فقد وضع نصب عينيه نتيجة مسبقة وراح يتحايل لكى يثبت صحتها فقد أراد ان يثبت ان النظام الراسمالى نظام فاسد يقوم على استغلال العمال .

* * *

(٥)

ونحن — المسلمين — أصحاب النظام الاقتصادى الاسلامى نقرر عدم صلاحية النظامين العالميين وفسادهما وضرورة خروج المسلمين منهما وعودتهما الى نظامهم الاصيل فالأول يجمع المال فى يد الأفراد مع حرية التصرف فيه (الراسمالية) والثانى يجمع المال فى يد الدولة مع حرية التصرف فيه (الشيوعية) .

ويقول ديبلسى : فى كتابه عن حياة الحضارات وتوتهـا :

ان الشيوعية بدلا من أن تكون نقطة بداية هى فى الواقع نقطة نهاية لنوع حضارى ولذلك كان الغرب لايتكلم الا بكلمة المربعة كلمة الأزمة فهى نوع من أنواع الاعنات فى القرن ١٩/٢٠ بدلا من ان يكون ترياقا او علاجا . أن تركيز السلطة فى الدولة عرض من اعراض الشيخوخة لهذه الدولة وللفترة الزمنية التى تعيش فيها .

ومن الناحية الأخرى يقول سوركن : ان الحرية فى المجتمع الأوربى معناها فسح المجال للفرد لتحقيق رغباته وهى تتوقف على مدى قابليته وامكانيات تحقيقها ، ومن الناس من يسيطر على رغباته التى لا يمكن تحقيقها ، ويتجلى ذلك بصورة متصرفة فى الزهاد والذين يدينون بالحضارة الفكرية ومنهم من يسعى لتوسيع رغباته ويبذل الجهد لاشباعها بكل وسيلة ، وكلما ازدادت حريات الفرد ازدادت رغباته وحاجاته ، الأمر الذى يدفع الى صراع عنيف مع الناس للحصول على أكبر ما يمكن من الأشياء المادية كالثروة والحب واللذة والراحة والأمن ، ولما كان الانسان لا يستطيع الحصول على هذا الا على حساب الآخرين فان هذه الحرية فى الغالب تزيد الصراع بين البشر وهذا يتجلى فى الحضارة الحسية ، لقد كانت الحرية

الحسية سائدة فى العالم الغربى فى أواخر العصر الرومانى فلما جاءت المسيحية اكدت على الحرية الباطنية التى يعتبر فيها المرء رغباته الكثيرة غير ان الناس اخذوا يتحولون تدريجيا من تلك المثل الى المجتمع التعاقدى الذى ينال فيه الفرد والجماعة حرية التعاقد .

وهذا يصل بنا الى تقرير فساد التعاقد فى المجتمع الغربى وهو الدعامة التى قام عليها فساد : التعاقد فى العلاقات الاجتماعية ، فساد التعاقد فى العلاقات الاقتصادية .

***

(٦)

ويصل بنا البحث الى حقيقة اساسية هى :

النزاع بين الماركسية الشيوعية والراسمالية الغربية : يقول أحد الباحثين : فالماركسية الشيوعية وما علق بها من فلسفة لينين وستالين يعترف فى تحليلاتها الاقتصادية والفلسفية والقانونية والسياسية بأن بقاء الشيوعية وحياتها ستظل معرضة للخطر ، خطر الفشل ثم الانحلال والدمار مالم يتحول العالم بأسره الى الشيوعية عن طريق الثورة ومايسبقها من تمهيدات فهى بذلك حركة توسع من نوع مستحدث وخطر ما ، هذا التوسع منصوص عليه فى التعاليم الشيوعية وفى الدساتير الشيوعيةوفى ثورات الشيوعية وكتبها المقدسةفى ماركس وانجلز ولينين وستالين .

والراسمالية الغربية توسع استعمارى تقليدى من نوع مماثل فى السوء الا أن هذا التحدى السوفيتى يضع الراسمالية الغربية فى نفس الوضع الهجومى الذى تقف فيه روسيا السوفيتية ويجعل أمريكا وهى معقل هذه الديمقراطية فى حالة الأهبة التى تستعد فيها لمواجهة التوسع الشيوعى وسحقه وابادة الماركسية من الوجود فى المراحل النهائية اذا استطاعت ذلك .

اين تقف اليهود وهم قومية لها فى كل معسكر غالبية ضخمة العدد قوته النفوذ . فى روسيا تجد العنصر اليهودى فى الحزب الشيوعى وفى التنظيمات الشعبية والفكرية بارزا أشد البروز ، كبار المعتقلين والصحفيين يهود ، وفى بولندا يبرز العنصر اليهودى فى النظام الشيوعى القائم هناك أشد البروز فى وجه مجتمع كاثوليكى يمقت بحكم تعاليمه وتأصل الناموس فيه الشيوعية مقتا .

وهم يجعلون من فكره (اللاسامية) ذنب التحدى والخداع والموارية والغطرسة التى تتملك العقلية اليهودية فى كل مكان وفى كل جيل ، فتجلب على اليهود وعلى المجتمع الذى يأويهم المتاعب .

ثم اليهود هم العنصر الرئيسى فى الحزب الشيوعى الأمريكىوهم وراء مهادنة الروس بأى ثمن ، ونسبة اليهود الذين يدرسون النظريات الماركسية والسوفيتية فى الجامعات الأمريكية نسبة عالية جدا ، والكتاب الذين يعالجون مواضع العلاقات السوفيتية الأمريكية بروح العطف تجد نسبة اليهود فيهم عالية جدا .

ثم هم اليهود من وراء الراسمالية ومن وراء الشيوعية وهم المسيطرون على الاقتصاد العالمى وهم أصحاب امبراطورية الربا .

ولذلك فانه متى تكونت لدى العالم الاسلامى ارادة واضحة للتخلص من التخلف لن يجد فى هذه المذاهب ما يحقق له ذلك ، لانها هى مصدر الاحتواء للبقاء فى دائرة التخلف ، ولذلك لأن منتحطيم قيد الراسمالية والشيوعية معاوالتماس منهج الاسلام فى الاقتصاد والمسلمونبالاسلام اقدر الناس على اخراج البشرية من هذه الدائرة المغلقة المدمرة وهم أجدر من يحقق للانسانية هذه التجربة التى تعيد الى عالم الاقتصاد أخلاقيته وربانيته وتقضى على الانحرافات الاباحية التى تورطت فيها الراسمالية كما ينجو من الأخطاء السلبية التى تورطت فيها الماركسية .

على الاقتصاديين الاسلاميين أن يقدموا منهجا اقتصاديا متكاملا يمكن الاعتماد عليه فى تحقيق التنمية فى الدول الاسلامية ، وقد أكدت المناقشات التى دارت فى عديد من المؤتمرات التى عقدت فى السنوات الأخيرة أن هناك منهجا اقتصاديا اسلاميا قادرا على العطاء وتحقيق التنمية فى البلدان الاسلامية .

كما جرى اقرار التعريف الاصطلاحى لعلم الاقتصاد الاسلامىعلىأنهعلموسائلاستخدامالانسان لما استخلف فيه لسد حاجات الفرد والمجتمع الدنيوية طبقا لمنهج شرعى محدد .

ويقوم الاقتصاد الاسلامى على قواعد ثابتة لطبيعتها وهى مجموعة المبادىء والأصول الاقتصادية التى جاء بها الاسلام فى نصوص القرآن وأن تتضمن :

١ — تنظيم النشاط الاقتصادى والقيود التى يخضع لها هذا التنظيم أوجه النشاط المحرمة وحدود نطاق كل من الملكية الخاصة والملكية العامة .

٢ — قواعد متغيرة بطبيعتها وهى عبارة عن الاساليب والخطط العملية والحلول الاقتصادية التى تباشرها الدولة لاحالة أصول الاسلام وسياسته الاقتصادية الى واقع مادى يعيش المجتمع فى اطاره .

٣ — ان تكون الزكاة هى المورد الاساسى للموازنة

وأهم قواعد هذا النظام تحـــريم الربا : وقد قرر مجمـــع البحوث الاسلامية الحكم برؤية الفائدة وان الربا محـــرم بشتى صـــوره واشكاله وان فى البنوك الاسلامية البديل باحلال نظام الاستثمار بالمشاركات والمضاربات والمرابحات التى باركها الله بديلا عما حرمه .

وتقوم المبادىء الاسلامية للاقتصاد على ثلاث :

١ ــ مبدأ الملكية المتعددة الأشكال .

٢ ــ مبدأ الحرية الاقتصادية المحدودة .

٣ ــ مبدأ العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى .

والاقتصاد الاسلامى لا تتمشى مبادئه مع فكرة اليد الخفية أو جهاز الثمن لآدم سميث .

* * *

يقول الدكتور عرفة المتولى سند (جامعة صنعاء) :

ان النظرية الاقتصادية فى الاسلام تفترض وجـــود المجتمع المسلم والذى تتوزع فيه الثروة وفقا لأسس يقرها الاسلام كالميراث الشرعى أو العمل أو الهبة او غير ذلك من أبواب الكسب الأخـــرى فلا يصلح الاحتكار كأساس لتوزيع الثروة كما فى المجتمعات الرأسمالية ولا يتساوى افراد المجتمع فى الملكية كما فى المجتمعات الشيوعية .

(أهم يقسمـــون رحمـــة ربك نحن قسمنا بينهـــم معيشتهم فى الحيـــاة الدنيـــا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخـــذ بعضهم بعضا سخريا ورحمـــة ربك خير مما يجمعـــــون) .

وتتمثل مقدمات نظرية الاسلام فى التوزيع العادل واخـــراج الزكاة والصدقات وذهاب الحصيلة لمصـــارفها الشرعيـــــــة .

أما الفكر الاقتصادى المعاصر فاننا لا نجـــد له هذه المكونات ، ونظـــرية العرض والطلب التى تحقـــق توازن السعر والذى يحقق بدوره مصلحة البائع والمشترى غير صحيحة حيث تفترض فروضا غير واقعية ، ولعل وجود الاحتكارات والمنافسة غـــير العادلة والاتفاقيات السرية ونظام العمولات الدولى كل هـــذا وغيره يجعل العـــدالة بعيدة تماما عن الأسعار الموجـــودة فى هـــذه الأسواق ولا تحقق النتائج وهذا يعنى فشل النظرية أو عدم وجود نظـــــرية .

* * *

الباب السابع عشر

أسلمة التصوف

لما كان التصوف فى حقيقته هو علم تزكية النفس والسمو بهاوتحريرها من مطامع الدنيا على أساس مفهوم الاسلام فى أن تكون الدنيا فى يد الانسان وليس فى قلبه يجاهد فى سبيل الحصول عليها من الحلال وانفاقها فى الحلال مؤمنا بأن السعى فى سبيل الكسب والرزق فريضة من فرائض الاسلام وأن الاسلام يدعو الى دخول المجتمع واقتحامه بأسلوب الايمان فى التعامل مع الناس وليس اعتزال هذا المجتمع والهروب منه ، وأن يكون وفق مفهوم العارفين : خدمة المجتمعوتصحيح معوجة التماسجوهر الاسلام فى اقتداء واضح بالسلف الأول من الصالحين بعيدا عن المصطلحات الغربية الوافدة وعن مفاهيم التصوف الفلسفى وعن كثير مما احتوته كتب العصور الأخيرة من انحرافات .

وفى العصر الحديث حاول التغريب والغزو الثقافى اثارة مفاهيم ضالة منحرفة عرفتها عصور قديمة وصححها علماء المسلمين ، كأحياء فكر ابن عربى والحلاج والسهروردى وابن سبعين واحياء مذاهب الباطنية ووحدة الوجودوالحلول والاتحاد ومفاهيم اخوان الصفا والاعتزال والقرامطة حتى اختلطت الأمور اختلاطا شديدا ومن ثم فقد وجب تحرير التصوف من هذا الاضطراب الشديد وابراز مفهوم التصوف السنى المحرر القائم على نفس المفاهيم والقيم والمصطلحات التى عرفها السلف الصالح والعصر الأول قبل ظهور الخلاف .

ان هدف التصوف السنى فى الحقيقة هو بناء النفس بالتربية والخلق على نحو يقيم المسلم على طريق الله دون أن يوغل فى الماديات ، كما يحميه من أن يسرف فى الزهد واعتزال الحياة .

اننا مطالبون بتحرير **(رسالة تزكية النفس)** من الفكر الباطنى تحريرا كاملا على النحو الذى عرفته المدرسة السلفية (ابن تيمية وابن القيم) ولم تنكره بوصفه سلوك وتربية فقد كتب ابن تيمية رسائل فى التصوف وكان يسميه (علم السلوك) وقد أنكر ابن تيمية التصوف الذى يسرف أصحابه فى ربطه بالفلسفة ومنها تقديس الأولياء — والتصوف الصحيح كما يصوره الدكتور ابو الوفا التفتازانى هو الذى يتجه الى تربية النفس وهو ما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمدرسة السلفية وأن نقبل من التصوف ما كان سلوكا .

ويرى الدكتور موسى شاهين لاشين : ان اخذ النفس بالعبادات والزهد كسلوك وبصفة مستمرة مخالف للاسلام لأن الاسلام طلبهما بقدر ، وعلى فترات لا بصفة السلوك المستمر ، ويقول : لقد اتسع مفهوم التصوف فى القرنين الثالث والرابع الهجريين واستخدم المتصوفة تعبيرات واصطلاحات غير معهودة فى الاسلام بل رأينا شبها واضحا بين حالات التصوف وبين الديانة الهندية فحالة (الفناء) عند الصوفية تشبه حالة (النرفانا) او النجاة عند اليهود ، وفكرة الحلول والاتحاد عند الصوفية تماثل (التناسخ) عند الهنود ، ويرى بعض العلماء أن التصوف له صلة وثيقة بالنصرانية لوجود الشبه فى حياة الصوفية وتعاليمهم من ناحية ومن حياة المسيح وتعاليمه ورهبانية النصارى وطرقهم فى العبادة واللباس من ناحية أخرى ، كما يلتقى التصوف فى بعض أفكاره مع الفلسفة الأفلاطونية ، فهى تقول ان الحقيقة العليا لا تدرك بالفكر وانما تدرك بالمشاهدة فى حالة الغيبة عن النفس والعالم المحسوس والتصوف يقول ان المعرفة تكون بنور يقذفه الله تعالى فى قلب العبد بعد صفائه ، فسبيل المعرفة واحد عند الصوفية والأفلاطونية وقريب من هذا قول الغزالى : ان العقل يعجز عن كشف ومعرفة الحقيقة اليقينية وأن القلب وحده هو القادر على معرفة الله بالكشف وقوله ان عين القلب تستطيع أن ترى الله فى حالة اليقظة كذلك

فان كلام ابن عربى عن وحدة الوجود والحقيقة المحمدية يشبه فى الفلسفة الأفلاطونية مراتب الوجود التى تعنى العقل الأول والنفس الكلية والمادة غير المصورة والنفوس الجزئية ، كما استخدم الصوفية الاشراقيون كثيرا من الألفاظ الاصطلاحية والأفلاطونية كالكلمة والحقيقة والمثل والقبض والوحدة والكثرة ،

ونتيجة لهذا الاتحاد الصوفى قامت المعارك بين الفقهاء وبين الصوفيـــة فاتهم الفقهاء الصوفية بخلق البدع بل وبالكفر والالحاد ولولا الامام الغزالى فى القرن الخامس الهجرى لضمر التصوف وانهزم واختفى أمام هجـــوم الفقهـــاء .

كذلك فقد اضفى المريدون على مشايخهم آيات التقديس والاجلال ونسبوا اليهم أوهاما وخيالات على الولاية والكرامات وتعددت الطرق المتنابذة واتخـــذت كل طريقة لباسا خاصا وعلما خاصا وشيخا ومريدين وتحول كثير من مشايخ الصـــوفية الى جباة يفرضون الاتاوات ويأكلون من أيدى المريدين سحتا وحراما .

ان كثيرا من مشايخ الصوفية قد غرسوا فى نفوس مريديهم أنهم أولياء الله فى أرضه وأنهم وصلوا الى أن يقـــولوا للشىء كن فيكون ، وأنهم يعلمـــون الغيب ويراقبون العبد ونشروا درجات الأولياء التى اخترعها ابن عربى حيث قال بالقطب وهو الغوث وهو عبارة عن واحـــد فى موضع نظر الله من العالم فى كل زمان ومكان وبالامامين ، وهما شخصان : احدهما عن يمين الغوث والآخر عن يساره وبالأوتاد وهم اربعة اشخاص يقفون فى اربعة أماكن من العالم وبالبدلاء وهم سبعة رجال ، وبالنجباء وهم أربعة مسئولون عن ... وبالنقباء وهم ثلاثمائة . وهذا كله بدعة فى الدين والدين منه براء .

« وقد بدأ التصوف كظاهرة تطرف اسلامى لمقابلة تطرف البعد عن الاسلام وذلك عندما اتسعت رقعة الدولة ، ودخل فى الاسلام من يكيد له ، وازدهرت الدنيا للمسلمين وفتنت قلوبهم واتجهت الحواس الى الملذات وخاف بعض العابدين على دينهم فاعتزلوا وتنكسوا وانقطعوا للعبادة ولبسوا الخشن » .

* * *

وقد توالت تحذيرات العلماء المسلمين على مدى تاريخ الفكر الاسلامى من انحراف التصوف : فقد نهى الامام احمد بن حنبل عن قراءة كتب (الحارث المحاسبى) والتزام الكتاب والسنة علما وعمـــلا وقد نهى الامـــام أبو زرعة عن كتب ألفت فى أصـــول الديانات وازهـــد على طريق الصـــوفية وقال اربال وهذه الكتب فيها بدع وضلالات ، وعليك بالأثر فانك تجد ما يغنيك عن هذه الكتب (الرسالة ـــ مارس ١٩٤٢) .

ولقد كانت غيرة أهل السنة والجماعة مركزة على مواجهة الانحـــرافات ، عبر عن ذلك الشيخ حسنين محمد مخلوف حـــين قال : هنـــاك تصوف كاذب زائف انتحله قـــديما فئام اشربوا تعـــاليم الباطنية والحلولية وتدثروا بدثار الصوفية اجتذابا للعامة وتغريرا ودسوا فى التصوف الحادهم ومقالاتهم الشنيعة فى الدين كابن سبعين الاشبيلى المتوفى ٦٦٩ واضرابه افسادا لعقائد العامة من المسلمين وهؤلاء ليسوا من الصوفية ولا من التصوف فى شىء ، وانما هم زنادقة ملحدون وقد كشف زيفهم وفند مزاعمهم كثير من ائمة الاسلام ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية الحنبلى المتوفى ٧٢٨ والامام ابن القيم ٧٥١ . وقد أولع بعض الشعراء بالحـــديث عن رابعة العدوية وما يسمونه الحب الالهى . وتردد اسمها كثيرا على أنها نموذج من نماذج الزهـــد والحقيقة ان العقيدة المنسوبة الى رابعـــة العدوية هى عقيدة باطلة ومخالفة للكتاب والسنة وهى اقرب الى الرهبانية وان صحت فهى مخالفة لما أمر الله به رسوله ونبيه ومن هنا فان هذه الصيحة التى يرددونها تحت اسم مدرسة الحب الالهى هى مغامرة من مغامرات التغريب الحريص على اذاعة ركل ما يخالف مفهـــوم السنـــة والجماعـــة ، وقـــد اشار الدكتور عمر فروح أن ما نسب الى رابعـــة من الشعر والنثر منسوب الى غيرها فهناك رابعات كثيرات وتظهر عليه آثار الصنعة والتكليف مما يوحى بأن كثيرا من تلك الآثار من عمل العصور التالية لعصر رابعة ، كما أن العقيدة المنسوبة اليها (الهى ما عبدتك خـــوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك بل حبا لك) هذه العقيدة باطلة لمخالفتها لكتاب ربنـــا وسنة نبينا ولقد بين الله تبـــارك وتعالى السبيل الى محبته فقال : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فالمحبـــة لا تتم الا بالاتبـــاع والانقياد لله وأوامره (وخافون ان كنتم مؤمنـــين) وان العقيـــدة الباطلة مقتضاها تعطيل آيات الله تعالى التى وصف فيها النار وأصحابها واهوالها وذكر الجنة ونعيمها وما أعده الله لعباده المخلصين وقد بين الله تبارك وتعالى عباده وانبيائه وهم صفوة خلقـــه فقال (انهـــم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبـــا) فالرغب الرجاء والسرعة والرهب الخـــوف والخشية ومدرسة الحب الالهى يسمون من عبد الله خوفا من ناره وطمعا فى جنته أجير السوء بل ان بعضا منهم يجعل (الخوف) من منازل العوام وليس من منازل الخواص فياليت شعرى من اى منزلة يكون الأنبياء والمرسلون وقد جعل الله تبارك وتعالى الخـــوف من لوازم الايمـــان وموجباته (يرجـــون رحمته ويخافون عذابه) ، (فلا تخـــافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) .

وقال ابن القيم : ان من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجىء ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حرورى ، ومـــن عبـــده بالحب فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف والرجاء والحب فهو مؤمن موحد .

وقال شيخ الاســـلام عقب ذلك : ذلك ان الحب الذى ليس معه رجاء ولا خوف يبعث النفس على اتباع هواها وصاحبه انما يحب فى الحقيقة نفسه وقد اتخذ الهه هـــواه ، فلهذا كان زنديقا ومن هنا دخلت الملاحدة الباطنية كالقائلين بوحدة الوجود فان هؤلاء سلوكهم عن هوى ومحبـــة فقط ليس مع رجـــاء ولا خـــوف (جامع الرسائل) .

وهكذا فان فـــكرة الحب الالهى عقيـــدة باطلة ومخالفة للكتاب والسنة ، ولذلك فان هذا الخلط الذى تظهر فى كتابات بعض المدفوعين الى اشاعة هذه الافكار فى ان مضوا فى مجال الحب الالهى الامام الشافعى واحمد البدوى وابو العباس المرسى والامام البرعى مخطئون .

اما ابن الفارض وابن عـــربى وابن الحلاج فهؤلاء لهم موقف آخر فى مفاهيم دخيلة كالحلول ووحدة الوجود **وقد جدد الاسلام موقفه منهم على النحو الذى قدمه الامام** ابن تيمية والامام ابن القيم ، هـــذا التصوف الفلسفى **ليس مفهوما اسلاميا صحيحا وكل اغراق فى النظريات والشطح فهو بعيد عن التصوف السنى .**

ولقد اشار الشيخ صـــلاح ابو اسماعيل الى غلبة كتب الأوراد على قـــراءة القـــرآن والى بعض كتب متداولة : مثل مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب وحزب الدسوقى الكبير والصغير وحزب الرفاعى الكبير والصغير والى ما فيها :

أولا : من الفاظ غريبة غير مفهومة .

ثانيا : مصطلحات مبتدعة مخالفة للقرآن والسنة على نحو (وزج بى فى بحار الأحدية وانشلنى من أوحال التوحيد) أو (انشلنى من أوحال التوحيد واغرقنى فى بحر الوحـــــدة) .

وهناك ما يشـــار من قضايا مثـــل قصة (الحقيقة والشريعة) حيث لا يعـــرف الاســـلام اسم الحقيقة او الطريقة ، وقد مضى عهد الرسول والصحابة والتابعين وتابع التابعـــين ولم يعـــرف الاسلام الا شريعة تسرى احكامها على سائر المسلمين ولم تبرز الى الوجود بدعة (الحقيقة) الا مع ظهـــور الفرق الباطنية التى بداهـــا عبد الله بن سبأ وتتلمذ عليه أمثال الحلاج والبسطامى وابن عربى .

* * *

ولقد جرت المحاولات دائما لتحـــرير التصوف من هـــذه الانحرافات وقام العلماء فى كل عصر لاحياء روح السلف والدعوة الى الانقاذ من الضلال ، والعـــودة الى التصوف الذى يستمد أصوله من الشريعة .

وقال الشيخ احمـــــد بن الغبـــاشى فى كتـــابه (عقد المرجان) :

الصوفى الحقيقى هـــو الذى لا يجعل الاستغراق فى العبادة وسيلة للتغرير بالناس وتضليلهم واستغلالهم لأخذ اموالهم فان الحرم كل الحرم فى أن يبحث الانسان عن وسيلة من وسائل الرزق تغنيه عن الناس فاذا كسبها بقيت عبادته لله خالصة .

والمتصوف الحقيقى يجب ان يبتعد عن الدائرة لئلا يسقط فى زلة الاعجاب والرياء والدعوى والاختلاف وان اكبر منقـــذ من الانزلاق ان يشتغل من أجل كسب رزقه وأن يحترف بحـــرفة تغنيه عن الناس وتبعده عن الافتقار اليهم .

ولابد أن ينزه الانسان الصالح نفســه عن الدعوى والغرور وأن يبعد عن التعالى والتطاول » .

وقد سئل الامام ابو بكر الطرطوشى فى ما تقول فى مذهب الصوفية ، يذكرون الله ويذكرون النبى ثم أنهم يوقعون بالقصب على شىء من الأديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد ثم يقع مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلون .

قال الطرطوشى : هذه بطالة وجهالة وضلال وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله أما الرقص والتواجد فأول ما احدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خـــوار ، قاموا يرقصون حواليه ويتواجـــدون وأما القصب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله ، وكان يجلس النبى مـــع أصحـــابه كأن على رءوسهم الطير ولا يحل لأحد مؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ويعينهم على باطلهم .

(أوردها القرطى فى الجامع لأحكام القرآن ج ١١) .

وقد تناولهم ابن الجوزى فى كتابه (تلبيس ابليس) وعدد اخطاءهم كما رآها فى عهده ، ومنها سخريتهم من اهل الظاهر واتهامهم بالتصور عن ادراك البواطن وتذوق المواجـــــد .

ويدافع الدكتور ابو الوفا التفتازانى عـــن التصوف المصرى ويقول انه سلك منهجا مغايرا لمنهـــج فلاسفة التصوف وكان نهجهم عمليا اخـــلاقيا بعيدا عن التطرف والمغالاة والشطح ولن تجد فى مشايخ الطرق الصوفية فى مصر نماذج متطرفة كالحـــلاج والبسطامى وابن عـــربى

والسهروردى أولئك الذين مزجــوا الفلسفة بالتصوف وتأثروا تأثرا عميقا بالتيارات الفلسفية فشطحوا بنظريات وحدة الوجود والحلول والفناء التى استهجنها أهل زمانهم وعارضوها بشدة .

وأشار الى دور الصوفية فى ميدانين كبيرين :

أولا : نشر الاســلام فى أفريقيا وفتح البــلاد أمام الدعوة الاسلامية سلميا . فقد انتشر الاسلام فى أفريقيا عن طريق القادرية والشاذلية والتيجانية .

ثانيا : محاربة أعداء الاسلام وحمل لواء الجهــاد ومحاربة الصليبيين وفى طبيعــة المصريين : البساطة والاعتدال والسهولة والوسطية .

*

وقد جاء رواد التصوف الفلسفى من مثال ابن عربى وابن سبعين الى مصر بحثا عن النفوذ والاتباع وترويج مذاهبهم ففشلوا وكان مصــيرهم مصير كل الدعـــوات والمذاهب التى تصادم نزعة الاعتدال عند المصريين .

وفى مجال ظهور الطرق الصوفية يقــول الدكتور التفتازانى :

ظهــرت الطرق الصوفية منــذ القرن السادس الهجرى وارتبط هذا الظهور بحدثين من أهم الأحــداث التى تعرض لها العالم الاسلامى وهما :

أولا : سقوط الأندلس .

ثانيا : اندلاع الحروب الصليبية .

ففى الوقت الذى انهــار فيه الحكم الاسلامى فى الأندلس كانت أولى الحملات الصليبية تحط رحالها على الســاحل السورى مفتتحة ملحمة الصراع الحربى التى دامت قرنين كاملين وكما يحدث دائما فى أعقاب الكوارث والنكسات يتساءل المسلمون عن سر هزيمتهم وانحدارهم ورأى البعض أن السر يكمن فى بعدهم عن الله والاقبال على المعاصى ، وأن الخــلاص هو فى الرجــوع اليــه والمحافظة على حــدوده والابتعاد عن نواهيه وكان هذا التفكير متفقا مع النزعة الصوفية .

*

وفى وسط هذه القمة الكاسحة اشتد تيار التصوف وارتبط ارتباطا شديدا بروح الجهاد الذى فرضته الأحداث وبصورة أشد فى المغرب .

وفى مصر حرص صــلاح الدين على تنظيم الصوفية فأقام أول تنظيم للطــرق الصوفية وهى الخانقاه . وقد قاموا بدور ضخم فى استعادة القدس وفى مقاومة الحملات الصليبية على دمياط وهزموا القديس لويس فى المنصورة .

*

وفيما يتصــل بهذا تتحدث كتب التاريخ عن جهاد التيجانية والسنوسية والمهــدية (والسنوسية ليست طريقة صوفية) ولكنها تأخذ أسلوب التربيــة وتكوين الأفراد وتقيم الزوايا وقد أكدت أكثر من غيرها الجمع بين الجهاد والعمل الدنيوى كالفلاحة والصناعة وكان لهــذه الفرق دورها الكبير فى نشر الاسلام فى أفريقيا كما قاومت النفــوذ الأجنبى (الايطاليــين فى برقــة والانجليز فى السودان) .

وقد عرف الصوفية فن الحرب والحزم والعــزم والتوكل على الله والتضحية بالنفس فى سبيل حمــاية الذمار ولم يصلوا الى الدعــة والانحراف الا بعد أن توقفت الحـــروب .

أما بالنسبة للاتهامات الموجهــة الى التصــوف وانحرافه عن التصوف السنى الى التصوف الفلسفى : الدكتور أبو الوفا التفتازانى .

الاتهام الموجه الى التصوف من أنه يعود فى أصوله الأولى الى البوذية والمجوسية والرهبانية ، هذا الاتهام جاء من بعض المستشرقين الذين درسوا التصوف فى أوربا من القــرن ١٦ الى أوائل هذا القرن تقريبا حيث نسبوا التصوف الى مصادر مسيحية وهندية ويونانية وفارسية والذى دعــاهم الى ذلك منهج خاطىء فى البحث نبه اليه المستشرق نيكولسن . والتصوف من حيث هو (تجربة نفسية) موجودة فى حضارات وديانات سابقة ، فالنفس الانسانية فى كل عصر كانت تهــدف الى أنواع من الكمال الأخلاقى وهو موجود فى الانسان بالفطرة ، فيأتى بعض المستشرقين فى محاولة ربط التصوف الاسلامى بالديانات السابقة على نحو مفتعل ولا دليل على الارتباط .

فقد تشابه التجربة الصوفية ولكن المضمون مختلف فنجده فى الاسلام تلقيا وسلوكا واقتداء بالرسول .

والتصــوف الاسلامى يأخــذ طابعا مختلفا عــن المسيحية فنجد صــوفية الاسلام يعملون بأعمال مختلفة لأنهم يتبعون قول الرسول (لارهبانية فى الاسلام) فى حين أن المسيحية عكس ذلك . فالتجربة الصوفية كما يقول تعليم الدارسين المحــدثين واحدة من الناحية النفسية ولكنها تختلف من حيث الغاية والهدف .

ان اقامة الأفراح والموالد والتماس بركة الموتى هى من الأمـــور الشكلية التى لحقت بالتصوف وليست منه فالتصوف كما قلنا تخلق وسلوك ولا شىء غير هـــذا ولكن ممارسات العوام من اتباع التصـــوف قد يكون فى بعض الأحيان هو السبب فى بعض الظواهر التى تحدث مثـــل استخدام الطبل والزمر والرقص والغناء والحركات غير اللائقة فى حلقات الذكر فهى ليست من التصوف بل دخيلة عليه والأصل فى مجال الأذكار ان يكون اجتماعا لذكر الله بصـــورة شرعية ولا يجوز استخدام الموسيقى فى مجال الأذكار كما لا يجوز اختلاط الرجال والنساء وأصل ممارسة الذكر انما هى تلاوة القرآن او ممارسة الحديث والدعاء بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم او الاجتماع على ترتيل أسماء الله الحسنى .

* * *

أما التوسل الى الله تعـــالى فيكون **بالعمل الصالح أما بالنسبة لأولياء الله الصالحين فنستفاد بعلمهم والاقتداء** بهم فى الطريق والاستعانة والمعـــرفة يكون بالله العلى العظيم . **(اياك نعبد واياك نستعين)** .

* * *

الباب الثامن عشر
أسلمة علم النفس

منذ سيطرت قوى التغريب والغزو الثقافى على مناهج الثقافة والفكر فقد طرحت مفاهيمها فى العلوم الاجتماعية والانسانية فى محيط الفكر الاسلامى الذى حجبت مقرراته عن مجال التعليم والثقافة فى البلاد الاسلامية .

وقد تبين منذ اليوم الأول فساد هذه المفاهيم التى تشكل النظرية الغربية فى علم النفس وعجزها عن العطاء فى مجال النفس الاسلامية التى تشكلت على نحو مختلف ومن خلال عقيدة وثقافة وقيم تختلف عن تلك المفاهيم التى شكل منها ادلرويونج وفرويد مفاهيمهم ، مع الاعتراف بوحدة النفس الانسانية فان هذه النفس تشكلها القيم والعقائد وقد واجه هؤلاء العلماء النفس الغربية التى تشكلت على تراث اليونان والرومان الوثنى وتراث المسيحية المنزلة وقد اختلط فى ذلك علم الأصنام اليونانى بأساطير الرومان بتحريفات الخطيئة والصلب والفداء ، ولما برزت نظرية فرويد وتغلبت على نظريات الآخرين كان من وراءها الفكر التلمودى كله واحقاد اليهود على المسيحية والغرب وعلى البشر جميعا .

وقد جاءت قنبلة الدكتور صبرى جرجس سنة ١٩٧٠ عندما اصدر كتابه عن (التراث اليهودى فى الفكر الفرويدى) كشف واضح مدعم بالأدلة عن أن مذهب التحليل النفسى خرج بكامله من عباءة (التلمود) ممثلا لأحقاد اليهود على البشرية كلها وقد تبين أن (التحليل النفسى) الذى خدع الناس اكثر من خمسين سنة على انه (علم) أصيل ، هو عرض عصرى للتراث اليهودى الصهيونى الممتد مسارا عبر الأجيال ويرى الدكتور صبرى جرجس أن التراث اليهودى الصهيونى يتألف من ثلاثة مصادر :

١ ــ التوراة : وهى وثيقة سياسية عصرية استخدمت العقيدة الدينية لتحقيق مخططها السياسى العنصرى .

٢ ــ التلمود : وهو تفسير للتوراة فى اطار الفكرة السياسية العنصرية التى بداتها .

٣ ــ نوع جديد من التراث لم يدون كتابه ولم ينتشر الا من اليهود انفسهم ولا على الناس انما تصل خلفا عن سلف فى تلقين شخصى محوط بطابع السرية .

وحيث أن التلمود يستمد مباشرة من التراث الدينى اليهودى الصهيونى فان كل الموجودات اليهودية بما فيها (فرويد) بطبيعة الحال ، انما تسلك طريقها وفقا للتراث الدينى اليهودى الصهيونى ، ولما كان التحليل النفسى نتاجا لأحد هذه الموجودات اليهودية الذى هو (فرويد) كان من المحتم أن يكون التحليل النفسى فكرا يهوديا صهيونيا واذا قيل ان فرويد أراد الموضوعية ومع الافتراض بأنه أرادها فان السؤال الذى يفرض نفسه : هل كان بوسعه أن يحققها ، وهل كان من الميسور له وهو يخطط لنظام اشترك فيه مع هرتزل ، وكان له دوره الواضح فى هدم الحصانة النفسية وادخال البشرية كلها ــ ما عدا اليهود ــ فى مفهوم الجنس الاباحى الذى يوجه كل تصرفات الانسان كما يدعى .

ويرى الدكتور صبرى : ان فرويد مشبع بالروح الصهيونية وقد اضطلع بمهمة القضاء على المسيحية موضوعيا وعلميا كما اضطلعت اليهودية الصهيونية من الفى سنة بمهمة القضاء عليها ايدلوجيا وعمليا وترجع كراهيته للمعتقدات والطقوس الدينية والمسيحية الى الأثر المزعج لربيته الكاثوليكية الدميمة العجوز التى كانت معاملتها له تنطوى على مزيج من الحنان والشدة .

وانه فى سبيل اقناع الناس بأنه محايد فقد ارتدى ثوبا الحاديا مزيفا استطاع من خلاله أن يهاجم المسيحية بالذات دون الأديان جميعا وهو الحاد ذهنى لم يصل الى وجدانه الحادا زائفا لأنه تركه بعد ذلك منتسبا لليهودية الصهيونية .

وأشار الدكتور صبرى جرجس : الى أثر الأوضاع الجانبية التى تواجهها الأقليات فى مجتمع طبقى ، مثل انضمامه لجمعية بناى برث وحضور اجتماعاتها والقاء محاضراته فى تفسير الأحلام بها وعلاقاته الشخصية

بأصدقاء يهــود ومثل قوله عن يهــوديته : اننى مدين بالفضل لطبيعتى اليهودية فيما أملك من صفتين مميزتين لم يكن فى وسعى الغناء عنهما خلال حياتى الشاقة فلأنى يهودى وجدت نفسى خلوا من التميزات التى احتلت غيرى دون استخدام ملكاتهم الذهنية وكيهودى كنت مستعدا للانضمام الى المعارضة ولننصرف دون موافقــة الأغلبية الساحقــــــة .

ويرد الدكتور صبرى جرجس : الأصــل الفكرى لنظرية العقل الباطن واللاشعور عند فرويد الى نظرية (الزوهــار) التى يتحدث عن الاتصال الجنسى بوصفه الكشف عن الغريزة . ويحاول فرويد حين يسعى الى الفهم والكشف عـــن اللاشعور الى الكشف عن عــرى العقل من الانسان .

اما نظرية تفسير الأحــلام عند فرويد فيرجعها الدكتور صبرى جرجس الى التشابه بين طريقة تفسير الأحلام وبين طريقة تفســير الزوهار للتوراة بفصل الفقرة مـــن سياقها ثم محاولة ايراد الخواطر المرتبطة بهـــا .

كذلك فان نظرية الغرائز ومفهوم (اللبيد) لم يكن يتيسر ظهورهما الا فى نطـــاق الافتراض بأن الانسان حيوان بشرى وأن الذى يقرر سلوكه الى جـــد كبير هو الأساس البيلوجى لتكوينه وهكذا نرى الدعوة الفرويدية التى تستمد نبعهـــا من التراث الصهيونى فى تعصبـــه واستعلائه تصوغ مناهجها على أساس أن الانسان فى جوهره هو عبد لغرائزه ، وأن ذلك انما يمثل الانغطاس المنطقى للمجتمع البرجوازى الذى افرخت فيه فى جموده وتحلله الفكرى والخلقى كذلك فان منهج فرويد فى علم النفس يهــدف الى خــدمة مصالح المجتمع البرجوازى والراسماليــــة .

وان التحليل النفسى فى اساسه (الذى يقوم على ان الانســـان فى جوهـــره عبد لغرائزه) يعتمد على الصراعات الناشئة بين الرغبـــات الفطرية الغريزية والمكتسبة من ناحية وبين الأنا الأعلى والذات الواقعـــة من ناحية أخرى وليست تهدف مفاهيم فرويد الى تبرير الحركة الصهيونية او انشاء وطن قومى ليهود فحسب وانما ترمى الى الهــدف الأكبر للصهيونية وهو تدمير الكيان الانسانى لوصـــل الخيط بنظـــرية داروين من حيث أن الانسان حيوان ليقول بأنه خاضع للجنس » .

هذا المنهج السارى فى أفـــق التعليم والجامعات والثقافة والصحافة فى العالم الاسلامى اليوم والذى تجرى عليه محاكمة مختلف قضايا المجتمع هو منهج غريب علينا ودخيل ويختلف مع قيمنا وأصولنا كل الاختلاف بل أنه يهاجم كل القيم التى جاءت بها الأديان من مصدر الخلاف بين المسيحية والعلم فى اوربا ومن هذه الخلافات :

اولا : ينكرون وجـــود الله تبارك وتعالى ووجود الروح منفصلة عن الجســـد فى جوهرها وصفـــاتها واعمالها وبقائها حيث تبعد فنائه لأن هذه الروح لا تقع تحت دائرة الحى ولا يمكن ملاحقتها او اخضاعها للتجريب .

ثانيا : النظـــر الى الدين على أنه يمثل صراعات الانسان اللاشعورية وهـــو فى جانب منه يزود الانسان باشباعات بديلة ، وان الدين مستمد من اسطورة اوديب وما يتضمنه من وهم الأب السماوى المحب الذى يعـــد المؤمنين بالسعادة فى عالم آخر اذا هم تنازلوا عن رغباتهم الغريزية فى هذا العالم .

ثالثا : انكار البعث والخلود والمسئولية الفردية وانكار النظام الأخـــلاقى واعتبارهما من ضروب الزيف والخــــرافة .

رابعا : اخضاع العلوم الانسانية لما حصلت له العلوم التجريبية .

خامسا : كما ينكر علم النفس الغربى : وجود الله والوجدان الدينى كذلك فهو ينكر العقـــل الذى يسيطر على الغـــرائز ويعتبر الانسان حيوانا تسيره الغرائز وحـــــدها .

سادسا : غلبة الاتجاه المادى فى علم النفس بحيث يتصـــور النفس الانسانية تصـــورا ماديا ، فهى عنده مجموعة غرائز تتطلب الاشباع المادى المباشر والانسان فى اطار هـــذه النزعة المادية مدفوع بقوى لا معقولة ، ومغلوب على امره تصدر عنه افعال قهرية وكل ما يملكه العقل من (حيل) : هى (تبرير) هذه الأفعال او البحث عن وسائل مقبولة لاشباعها والتسامى بها .

سابعا : معظم النتائج الى تدمهـــا اصحاب هذا المذهب وعلى راسهم فرويد استخلصت من الحـــالات المرضية ثم عممت على حالات الأسوياء ثم اقيمت نظرية كاملة فى هذا الاطار الزائف .

ثامنا : غلبة المادية على علم النفس ، والمـــادية فلسفة حيـــاة وجـــراثيمها مضمرة فى العلوم الطبيعية واهمها الصراع بين الدين والعلم .

تاسعا : آراء فـــرويد واصحاب مدرسة التحليل النفسى عامة تواجـــه بالنقد العنيف داخل الاطار السيكولوجى نفسه وتتسع دائرة هـــذا النقد ابتداء من

فرويد شخصا وشخصية حتى التحليل النفسى مدرســة ومنهجا وفلسفة حياة .

عاشرا : تقــوم نظــريات علم النفس التحليلى (كارل يونج وغيره) على اعتماد الأساطير القديمة على أنها حقائق علمية (كما اعتمــد فرويد على أسطورتى **أوديب والكترا واعتمــاد القصص الخرافية والحيــاة** البدائية وديانات الشرق والغرب والكيمياء القديمة (حجر الفلاسفة) والتنجيم وقراءة الأفكار والتخاطر والتلباثى **والاستشفاف والانثربولوجيا ، وكل هــذا الفكر القديم** البالى الذى هو (فكر طفولة البشرية) باجماع الباحثين هو المصدر الذى يقوم عليه علم النفس محولا الوساوس والهلاوس والهذيانات والطقوس البــدائية الى حقائق كاذبة وكذلك طقــوس تدشين الطفل ورموز الثعابين **والحيات والخيول المحنطة والطيور الرمزية وأسطورة** البطل وصراعــه مع الآلهــة ، كل هذه الأساطير التى **أحياها (فريزر) واعتمدها علماء النفس البارزون فرويد** ويونج وادلر وان كان يونج وادلر يختلفان مــع فرويد فى **الدافع الجنسى ولكنهما يعتمدان كل هذه الأساطير فلا ينخدع بهما أحد ظنا أنهما أكثر أصالة .**

مذهب ادلر يقوم على حافز طلب القــوة ومذهب يونج يقوم على مركب النقص .

***

نظرية الجنس :

يقول يونج : ان فرويد يرى ان أصالة الجنس هى صانعة المتاعب وقد اعتمد فرويد الدافع الجنسى كمصدر لكل تحركات الانسان : ويتحــدث الأستاذ سعد حسن **لطفى عــن نظرية الجنس فيقــول : تعتبر الغــريزة** الجنسية هى المهيمنة على كل تصرفات الانســان فتضع البشر فى مرتبــة أقل من مرتبة الحيوان وهــذا التغير **الخاطىء يجعل الحيــاة كلها خلافا حول الجنس ، وعلى** النساء الى درجة أن غاية الانسان فى الحياة هى اشباع الغريزة الجنسية وربما كانت الحروب بين الدول بسبب النساء والجنس .

وهذا المذهب هو المعمول به فى التحليل النفسى وفى العلاج وفى التربية والتعليم مع أنه أكبرها خطأ وأبعدها عن الدين والخلق القــويم ومن المسلم به أن الصحــة النفسية هى فى العفــة والسيطرة على النفس بعكس ما قال فرويد من أن الصحة فى الاباحــة وان الأمراض النفسية فى العفة حيث نسب اليه ما يسميه (الكبت) **وأن يكبت الانسان شهواته ويلجمها أحكم واشد حزما** من الاباحة والامتناع عن العملية الجنسية يزيد قوة المخ والادراك ويزيد قوة البدن أيضا ومقدرته على الأمراض بعكس الحال عند المسرفين فى العلاقة الجنسية ناهيك عن مضار الزنا كالأمراض التناسلية الفتاكة .

***

نظريات أخــــرى :

وهناك مذهب آخر من مذاهب علم النفس يجعل الانسان عبدا للدنيا والمال وتسيره غريزة التملك فيكون **سعيدا وصحيحا نفسيا اذا كان غنيــا ومريضا نفسيا** اذا كان فقيرا . وهذا مخالف للواقع والعقل فان الفقراء يملكون فضيلة الصبر وفضيلة القناعة وفضيلة الايمان بالله ويملكون صحتهم البدنية والنفسية وهى أحسن من صحة الأغنياء باجماع الآراء والمؤمن سيد للدنيا والكافر عبد لهــــا .

وهناك مذهب نفسى آخر (والكلام للأستاذ سعد حسن لطفى) يجعل الانسان خاضعا للمجتمع وحــده ويجعل غاية السعادة والصحة أرضاء الناس وهــذا المذهب يشجع على الرياء والنفاق فان القوة والطاعة فى المجتمع هى فى ارضاء الله (تبارك وتعالى) ولو باغضاب الناس لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن فيرضى الله الناس عمن أرضاه باغضاب الناس ويغضب الله الناس على من يرضى الناس باغضاب الله .

وهناك مذهب نفسى آخر : يعتبر الايمــان مسألة **خاصة ونسبية فهو ينكر وجود الله (جل جلاله) ويقــول** ان الانسان لو اعتقد فى أى شىء فانه يتأثر به وعلى هذا فيكون الدين وهما وليس حقيقة . وهذا عكس كلام الله تبارك وتعالى من أن الاعتقاد فيما سوى الله لا ينفع وأن الحجارة لا تسمع ولا ترى وان النافع والضــار هو الله وحــــــده .

وهذه المذاهب جميعها فى نظر الاسلام مرفوضة تماما بسبب تضاربها ولا يجــوز التوفيق بينها واتخاذ مذهب وسط ، ذلك أن الحقيقــة ليست وسطــا بين خطــأين .

ومن وجهة نظر الطب النفسى فان الاستقامة هى أساس الصحة البدنية والنفسية وأن الفساد هو أساس الأمراض النفسية وان الايمان بالله هــو العزة والقوة والصحة وعــدم الايمان أساس كل الأمراض . وان المؤمنين يتغلبون على السحر والشعوذة ولا يخافون من السحرة ولاينخدعون منهم وان التعليم الدينى هو الضمان الوحيد لعدم انتشار السحر والدجل والمؤمنون يعتقدون أن السحر كفر بالله وباطل وخــرافة وتكثر الأمــراض

النفسية بسبب الخوف من السحر وبسبب العـــداوة والشر والحقد والرغبة فى المضرة .

ولا يوجد شيء يدفع النفوس الى فعل الخير والبعد عن الشر غير الوازع الدينى والطمع فى رحمة الله ورضاه والخوف من عقابه . ولقد واجه الفكر الاسلامى مفهوم النفس الغربى الوافد ورد كثيرون على أخطائه وأخطاء فرويد بالذات وخاصة فيما يتعلق بالحـديث عـــن (اللاشعور) الفرويدى بكل محتـواه الغريزى ، بينما يقدم لنا العلماء المسلمون وخاصة الذين اهتموا بتزكية النفس الى لا شعور أعمق وهو الجزء الذى اذا ما أصبح شعورا ويقينا عمر الايمان الحسى (على حد تعبير الدكتور يحيى الرخـــاوى) .

هـذا اللاشعور المرتبط بالفضيلة . والسمـو والصدق والايمان والذى تتجاهله الحضارة الحديثـة تجاهلا تامـــا .

ولقد تبين لبعض المدارس النفسية الغربية هذا المفهوم الاسلامى العميق والذى يمثل (حاجة أصيلة فى تركيب النفس البشرية والذى يرد اغتراب الانســان ووحدته وشقاءه الى اهمالها أو كبتها أو انكارها ، فقد تبين أن فرط الحرمان من الفضـائل يؤدى الى أمراض محددة لها من الأضرار والمضـاعفات ما يفوق مثيلاتها من أمراض نفسية ، الا أن انتشار أمراض نقص الفضائل لا تظهر بيننا بشكل صريح لسببين :

أولا : أنها أمراض شائعة شيوع الوباء وكأنها القاعدة وليست الاستثناء والثـانى : أن الحديث عن الفضيلة كثيرا ما يغنى عـن ممارستها وكأنه التخدير المسكن .

ومن ذلك مرض الزيف الذى ينتـج الحرمان من فضيلة الصــدق ومرض الظلم الذى يتجه ليقضى على فضيلة العدل ومرض التعقيد والغموض الناتج من كبت فضيلة البســـاطة .

وهـذا الذى تكتشفه بعض المـدارس النفسية الحديثة هو ماجاء فى حديث الامام أبوحامد الغزالى حيث عـرض لأمراض الحسـد والعـداوة والكبر والعجب والخوف وحب الرئاسة وخبث النفس .

❋ ❋ ❋

ومن الباحثين المسلمين الذين عنوا بوضع أسس علم نفس اسلامى وشغلوا أنفسهم منذ سنوات بهـذه الدراسات الدكتور حسن الشرقاوى الذى قطـع مرحلة طويلة فى طريق هذا العمل الكبير حيث يبنى منهجه على قواعد أساسية :

يقول : يزعم رجـال مدرسة التحليل النفسى أن النفس البشرية مغلوبة على أمرها رضيت بذلك أم أبت تسيرها دوافع قسرية وتحركها غرائز حيوانية ونزعات أنانية وأن الانسان مثله مثـل الحيوان يسعى لتحقيق حاجاته البيولوجية واشبـاع شهواته البهيمية . وأن الشخصية الانسانية يحكمها قانون الغاب من الداخـــل ويرى فرويد أن أصحاب مكارم الأخـلاق مرضى نفسيون باعتبـار أن الانسان حيوان وحشى مصـاب بالشبق الجنسى فلا هم له الا تحقيق لذاته والتنفيس عن غرائزه الجنسية فان لم يستطع فهـو مريض نفسيـا ، وأن الانسان السوى هو الانسان المتوحش ، ويجرى علاج الأمراض النفسية فى ضوء عقدتى أوديب والكترا وقد اتخذ فرويد من هـذه الشخصية الأسطورية مسرحا لعلاجاته النفسية حيث جعل العلاقة الجنسية المحرمة بين الأم ووليدها على هذه الصورة المعبرة عن الشخصية الانسانية وقد روج اليهـود فى كتبهم لهـذه الأسطورة وعملوا على تلقينها للشباب والكهول باعتبارها حقائق يقينية ، بغية هدم العلاقات الأسرية والعمل على التفكك الاخلاقى والغـاء القيم الأساسية والمثل العليا من على الأرض وقد استعار عقـده (أوديب) ليجعلها أساس العلاقة بين الأم ووليدها واستعار عقده (الكترا) لتمثل العلاقة الجنسية بين الأب وابنتـه وجعـل فرويد من الأسطورتين الخياليتين حقيقـة واقعة وأخذ بنشر هذه الآراء فى المجتمعات الغـربية التى كانت قد سقطت فى أوائل هـذا القرن فى الانحلال الخلقى وتفشى بين الأسر الزنا والعلاقات غـير المشروعة فوجدت آراؤه آذانا صاغيـة وتمسك بهـا الشباب الساقط والزوجـات العاهرات ليكون مسوغا علميا لتصرفاتهم اللاخـلاقية ومبررا لفعـل الفواحش وظهرت روايات ومسرحيات تعاون على ترسيخ هـذه الموجة الانحلالية فى عقـول الشباب الأوربى وظهرت مسرحية (المومس الفاضلة) التى عرضت مئات المرات .

هـذه القصة تمثل الحالة التى برزت فيها أوربا فى نهاية القـرن ١٩ وبداية القرن العشرين حيث اتضح أن الزوجات يمارسن الجنس مع غـير أزواجهن وجاءت المسرحية تدافع عن العهر والعاهرات وتروى قصة امرأة عاهرة أحبت شابا من أسرة محافظة وذهب اليهـا الأب يرجـوها أن تترك الشـاب فهجرته وتخلت عن ملاكها لتعيش بعيـدا فى كوخ حقير حيث تموت بداء السل ، والمغزى الخطير القصة أنها تشجع على البغاء وتعاون

المنحرف على الانحـــراف وتزعم أن للعهر اخلاقيات وان للمرأة العاهرة مثلا للتضحية والايثار ، وهكذا اعـــانت فكرة فرويد على الانحـــلال الخلقى والشذوذ الجنسى ، وترويج مفترياته عن طـــريق اليهود ونشره بين العام **والخاص ثم امتدت لتغزو المجتمعات الانسانية باعتبارها** حقائق علمية لا تحمل **التشكيك فيها .**

قال سفيتزر : وهو أكبر علماء التربية الألمان :

نحن نعيش عصر انهيـــار الحضارة بين الحضارة والبربرية .

وقد قامت مدارس التحليـــل النفسى **على** تبرير السلوك الجنسى الشاذ **وتنصح الشباب بالتنفيس عن** عن نزعاتهم الجنسية ومتطلباتهم البيولوجية **وحاجتهم الغريزية بدعوى أن كبتها يولد الأمراض النفسية هؤلاء** الأطباء يهبطون بالانسان الى البهيمية والحيوانية .

وقد دعا كثيرون الى بناء علم نفسى دينى اسلامى على نحو ما يقـــال بوجود علم نفس يهودى أو نصرانى لاختلاف خصائص كل دين من هذه الأديان ويرى الدكتور **فؤاد** ابوحطب ان بناء علم نفسى دينى اسلامى ليس كافيا لأن التركيز على الظاهـــرة الدينية وحدها لا يتفق **مع خصائص الاسلام الذى لا يضار بين الدين والدنيا وان المطلوب** هو اكبر من مجرد انشاء فرع جديد لعلم النفس ونحن مطالبون بأن تنظـــر فى علم النفس من منظـــور شمولية الاسلام ليصبح هـــذا العلم الذى يشمل **مختلف جوانب الانسان الدينية والدنيوية موجها وجهة اسلامية .**

* * *

الباب التاسع عشر

أسلمة التراث

ان مفهوم التراث فى الفكر الاسلامى يختلف تماما عن مفهومه فى الغرب ، ومن هنا يجب أن تختلف النظرة اليه ، **ومن ثم فان المنهج الذى يتبعه الغـرب فى تعميم** تراثه والنظر اليـه والانتفاع به هى مسألة تخصـه بالذات ولا تنسحب على التراث الاسـلامى بل لا تصلح اصلا لأن يكون أسلوبا صحيحا لتقويم التراث ، ولذلك فنحن فى حاجة الى أسلمة منهج تقويم التراث . اى اننا يجب أن نقدم اسلوبا مختلفا عـن أسلوب الغرب الذى تخضع له الآن ، وأن يكون هـذا الأسلوب مستمدا من « النظرة الاسلامية للتراث » فالغربيـون ينظرون الى تراثهم على انه أساطير وكتب قديمة ليست لها قداسة ، وفنون للترفيه وللاغراق فى الخيال ويقوم تراثهم القصصى على الصراع بين الآلهـة والبشر وعلى عبـاده جمال الأجساد وقد غلبت عليهم النزعـة السقراطية فى تقبل صور الشذوذ الجنسى والخضوع لمفهوم احتقار الانوثة والبكارة على النحـو الذى انتهى بالحضارة الغربية المعاصرة الى عقـد زواج رجل على رجل ، أو غير ذلك من أنواع الانحراف .

كذلك فى ميدان الكتب المقدسة فالغربيون ينظرون اليها على انهـا من كلام البشر وانها ليست لها قداسة خاصة وانها توضع موضع الانتقاد وهكذا فان التراث فى الغرب ليست له قيمة تحميه من محاذير الاضافة منه والحذف ، وتغييره والتوسع فى تصوراته ، لأنها تعتبر من الأساطير التى يجـوز للكاتب أو الشاعر ان يتصرف فيهـــا .

وهذا يختلف اختلافا واسعا وعميقا عن (جوهر) التراث الاسلامى وعـن النظرة اليه فالتراث الاسلامى هو (أولا) ميراث الرسالة والنبوة الموحى بها للرسول الخاتم (القرآن الكريم) وقد أوتى هذا الكتاب كما أوتى الحكمة (السنة النبوية) وكلاهما مكمل للآخر ، وهذه لها قداستها الكاملة ، وهناك التراث المكتوب من صنع العقل الاسلامى فى مجال الفقه والتفسير والعلوم وهـو عمـل بشرى يلقى الضوء على الرسالة الأساسية وقد اختلط هـذا العمل ببعض أعمال الفلاسفة والمتكلمين والمعتزلة والصوفية و تصوف الفلسفى ، وكل ما دخل على الفكر الاسلامى نتيجة ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهنـدية وغيرها ، غير أن الفكر الاسلامى الأصيل قد وقف وقفات حاسمة أمام الفكر الوافد وكشف زيفـه وصحح الانحرافات التى انجرف اليهـا الذين حاولوا اقحامه على الفكر الاسلامى الأصيل ، كما فعل المعتزلة والفلاسفة وأصحاب التصوف الفلسفى .

هذا التراث كله يقبله المسلمون تماما وينظرون اليه نظرة كاملة ، فلا يبتعثون أجزاء منه من شأنها أن تعيد اذاعة الوثنيات والمجوسيات وفلسفة علم الأصنام وغيرها التى وقع فيها : الفارابى وابن سينا ، أو الحلاج وابن عربى وابن سبعين والسهروردى أو ما وقع فيه الرازى وابن الراوندى وغـيرهم ، وتلك هى محاولة الاستشراق التى بدأها باحيـاء رسائل اخوان الصفـا وغـيرها واعانة عليها غلمان المستشرقين أمثال : طـه حسين وعبد الرحمن بدوى وغيرهم .

ان ابتعاث التراث الاسـلامى هو قاعدة البنـاء الأساسية لليقظـة والدعامة الكبرى للصحـوة فهـو والتاريخ يعطى الشباب المسلم الاحساس القوى بالثقة والايمان بالأمـة التى صنعت الحضارة الاسـلاميـة الانسانية التى نشرت ضوئها فى العالم كله خلال الف عام وقدمت للبشرية مفهوم التوحيد والعدل والرحمة والاخاء الانسانى وحررت العقل من الوثنية وحررت الانسان من العبودية التى فـرضتها حضارات الرومان والفراعنة والفرس والهندوك ، هـذا التراث الذى تحجبه اليوم جامعات ومعاهد وهيئات فى الغرب لتخفى الحقيقة التى يجب أن يعرفها المسلمون عن حقيقـة دورهم فى بنـاء الحضـارة ، ليس فى تقـديم المنهج العلمى التجريبى فحسب بل وتقديم أصول العلوم الانسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وأن عشرات من النظـريات العالمية الآن انما هى مبثوثة فى مصادر التراث الاسلامى التى تبلغ أكثر من ربع مليـون مجلد موجودة فى مكتبات

العالم وقد كشفت الأبحاث الأخيرة كيف أن رجـــلان من دعامات الحضارة الغربية وعصر النهضة كان منهجهما مأخوذا من الفكر الاسلامى : فرنسيس بيكون وديكارت ولقـــد ترى هـــذه الحملة الضخمة التى تحملها أقـــلام التغريبين على التراث فتدهش لذلك ، وربما تقول : انهم يريدون ألا يعرف المسلمون (حجم) الدور الذى قاموا به والذى أنكره الغرب تماما وأقام حوله (مؤامرة الصمت) ولكن الأمور أكبر من ذلك وأبعد مدى .

وذلك هو ما كشف عنه الباحثون الذين يدعون الى اسلمة المعرفة وفى مقدمتهم الدكتور اسماعيل الفاروقى الذى يقول ما معنـــــاه :

ان بناء نهضة اسلامية حقيقية فى مجـــال العلم والحضارة لا يمكن أن تبـــدأ الا من آخر خطوات التراث الاسلامى وأنه لا يمكن أن تبـــدأ الا من آخر خطـــوات التراث الاسلامى وأنه لا يمكن بناء هذه النهضـــة على الشظايا المنقولة من حضارة الغرب .

يقول : ليس هناك موقف اسلامى حى اليوم ليست له علاقة بتراث الاسلام ولابد من دراية كاملة بالتراث من حيث نواحى القـــوة والضعف فيـــه بل ان الموقف الاسلامى فى الحاضر وفى المستقبل يجب أن يأخذ صورة مصاحبة التراث دائما وليست انطلاقا جذريا فحسب .

ذلك أنه قبل تفصيل العلاقة والملائمة بين الاسلام وعلم معـــين يجب أن نكتشف ماذا فى تراث الاســـلام مما يتصل بهذا العلم ، ان تراث أسلافنا يجب أن يظل بالنسبة لنا نقطة الانطلاق وان أسلمتنا للعلوم ستكون ضحلة جـــدا اذا لم تأخذ تراثنا فى الحسبان ولم ننتفع بنظرات أسلافنا الثاقبة .

وهنـــاك مشكلة الانتفـــاع بالتراث فى بدا مسيرة الباحث الحديث ذلك أن مصنفات العلم الحديث لا توجد ولا حتى أسماؤها فى التراث على هذا النحو ، كذلك فان التراث قد يحتوى على معلومات قيمة لايمكن تصنيفهـــا طبقا لأى تصنيف جديد ولا ربطها به ، ان العالم المسلم الذى تدرب فى الغربكثيرا ماينهزم أمام استغلاق التراث عليه ، الأمر الذى دفعـــه بقوة الى الأعراض واليأس والحكم بأن ليس فى التراث شىء حول موضوع البحث ، مع أن الحقيقة أنه هو الذى لاخبرة له بتصنيفات التراث التى تتدرج تحتها مثل تلك المـــادة الملائمة لموضوعه ، كذلك فان العام المسلم الذى يدرس فى الغرب لا يمتلك الأوقات ولا الحيـــوية المطلوبة للقيـــام باستطلاع ناجح للمـــؤلفات الضخمة والكثيرة التى تضـــم تراث العـــالم الاســـــلامى .

كذلك فان أساتذة التراث الاسلامى التقليدى على الرغم من خبرتهم لا يمكنهم أن يكتشـــفوا أولا أن يقوموا جوانب الملاءمة بين هـــذا التراث والعلم الحديث نظرا لجهلهم بتلك العلوم وعدم درايتهم بموضوعاتها ومسائلها وقضاياها ، ولا بد من تعـــريف الخبراء بالعلوم الحديثة وامدادهم بمثابة التلاءم التى يستطيعون استخدامها فى ابحـــــاثهم .

***

ولا بد من أن نقدم للمسلم المتعلم فى الغرب :

١ — صفحـــات من التراث فى شـــكل مختارات تتضمن مادة علمية بكل موضوع .

٢ — تحليل كتاباتهم على ضوء الخلفية التاريخية المتصلة بمشاكل عصرهم .

وهكذا نجـــد أن القضية ذات ابعـــاد خطيرة لم نكتشفها وربما استهنا بها ولكن الذين يثيرون الحرب على التـــراث يعلمون خطـــورته من حيث أنه سيحطم القراعد المزيفة التى يحاولون أن يقيموها من مفهـــوم الغرب للتراث حتى لا يستطيع التراث الاســـلامى أن يصل الى غايته الحقيقية .

وهذا يفسر أيضا تلك الدعوات الى اعادة النظر فى التراث وتفسيره تفسيرا جديدا ، هذا التفسير اما أن يكون ماديا أو ماركسيـــا واما خاضعـــا لجذور تلمودية وهذا عمل مرفوض ولا عمر له ولا بقاء .

وهنـــاك من يتحدث عن تراث مصرى (يهـــودى الذى يقوم به بعض التغريبين : زكى نجيب محمود وطه حسين ، وعبد الرحمـــن الشرقاوى وغيرهم بل وكتابات كثير من المؤرخين الذين يعملون على اطفاء نور التراث وبريقه بتحويله الى مادة جامدة ووضعه فى أسلوب علمى جاف وتفسيره تفسيرا ماديا .

وهنـــاك من يتحدث عن تراث قوى (يهـــودى ومسيحىواسلامى) وهذه خدعة كاذبة فالتراث اسلامى متصل وكل ما سبقه فهو مما وقع عليه سيف (الانقطاع الحضارى) فتوقف لأن لغتـــه ماتت ، ولم يعد له وجود حقيقى بل ان الثقافة الاسلامية لم تعد منذ ظهور الاسلام ثقافة المسلمين بل ثقافة كل من تظلهم الأرض الاسلامية قيما وتقاليد وعادات ، فما هذه النعرات الباطلة التى تتجدد على بعض الشعوبيين باحياء مايسمونه تراثا مات قبل أربع عشر قرنا ومايحوى سوى الأساطيروالخرافات والأوهام وطفولة البشرية .

(٢)

ان فهم موقع (التراث الاسلامى) من فكرنا الاسلامى فهما صحيحا من شأنه ان يبنى روح هذه الأمة الاسلامية فى نفوس الشباب المسلم بالثقة واليقين والايمان الخالص بأن العودة الى المنابع واستلهام أسلوب الاصالة والرشد الفكرى من شأنها أن تطلع فجر النهضة الاسلامية الجديدة التى قامت على أصولها الأولى منذ صيحة التوحيد المتجددة ومطالع اليقظة الاسلامية .

هذا الفهم يؤكد لنا عدة حقائق :

الأولى : ان الاسلام هو الذى قدم مفهوم الحضارة الانسانية القائمة على العدل والرحمة والاخاء البشرى وحرر الانسان من الوثنية وعبودية الانسان للانسان .

الثانى : ان القرآن هو الذى فتح أمام المسلمين أبواب قوانين العلوم وسنن الحضارات والمجتمعات وهو الذى وجه المسلمين الى انشاء المنهج العلمى التجريبى وعلم المعرفة ذى الجناحين .

الثالث : ان المسلمين لم يقبلوا الفكر اليونانى والمجوسى والوثنى القديم وكشفوا زيفه وما قبلوه من المعارف القديمة حققوه واختبروه وأصلحوا ما فيه من الخطأ وما قبلوه منه صاغوه كمادة خام فى محيط فكرهم القائم على التوحيد والعدل والاخاء البشرى .

ومن هنا فقد تقررت القاعدة التى قامت عليها المدنية الاسلامية خلال الف سنة وتركت أكثر من مليون كتاب من كتب التراث منها ما ذهب ومنها ما حفظته الخزائن فى الغرب وفى بلاد الاسلام . وهو ما لم يتم حتى الآن تقويمه أو التعرف على أبعاده الحقيقية فان كلمة (فضل التراث الاسلامى على الحضارة) هى كلمة ساذجة لا تتناسب مطلقا مع الآثار البعيدة التى لم يعرفها حتى الآن جيلنا لأنه لم يقدر له بعد الكشف عن مذخور هذا التراث على وجه الحقيقة وما استفاده علماء الغرب منه فى مجالات القانون والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية وما عرف حتى الآن لا يمثل أكثر من واحد على عشرة ، أى أن مايقوله الآن هو عشر الحقيقة ، وذلك لأن الغرب لا يريد أن يطلع المسلمون على حقيقة معطياتهم ولا على الحجم الحقيقى لهذا العطاء .

ويصور الدكتور فؤاد سزسكين هذا المعنى بعد عمله خلال ثلاثين عاما فى مجال التراث الاسلامى المنثور فى مكتبات الغرب على وجه أقرب الى الدقة حين يقول : ان المكانة الحقة للعلوم العربية الاسلامية فى تاريخ العلوم العام أكبر مما أثبتته الدراسات التى تمت حتى الآن ولا يقلل من هذه المكانة ان تعترف لمن سبقنا ولغيرنا بماله من جهد ، فمكانة العلوم العربية الاسلامية فى تاريخ العلوم لا تقل عن مكانها لدى أمم أخرى ، وأثر العلوم العربية فى عصر النهضة الأوربية أوسع وأعمق من أن يتصور ليس هذا مجرد رأى أو انطباع ، وانما هو ثمرة دراسة وبحث فى هذه العلوم مدى ثلاثين عاما حاولت فيها بتتبع قصة أثر العلوم العربية الاسلامية فى الغرب فى عدة مجالات ، وان كان أكثر هذه الحقائق لم تتضح بعد لمؤرخى العلوم وسيستغرق اظهارها فى كتبهم وقتا طويلا . لقد قطع المسلمون مرحلة الأخذ والتمثل فى وقت قصير نسبيا ، حتى اذا وصلت الى أواسط القرن الثالث الهجرى كان المسلمون قد دخلوا مرحلة الانتاج الأصيل المبتكر ، وهذا الطابع الابداعى نفذ الى جميع العلوم فى سرعة وعمق وقد ظل مستمرا دون انقطاع حتى القرن الثامن الهجرى ومعنى هذا فان المسلمين فى أواسط القرن الثالث الهجرى استطاعوا أن يطوروا ما ورثوا عن الاغريق والبابليين والهند والفرس ، وأن يصححوا هذا الموروث وأن يأتوا بقوانين ومذاهب جديدة وأن يستخدموا آلات جديدة فى تجاربهم ومقاييسهم وأن يضعوا علوما جديدة غير موجودة لدى الأسلاف . وقد بدأ الغربيون الترجمة من اللغة العربية الى اللاتينية وكانت أقدم ترجماتهم تتعلق بالاسطرلاب وبالهندسة العملية ، ولما لم يجدوا فى كثير من الأحوال اصطلاحات لاتينية مقابلة للاصطلاحات العربية فقد اضطروا الى استخدام المصطلحات العربية كما هى :

وهنا نكتشف حقيقة هامة هى أخطر ما يصل اليه البحث وهو انكار فضل المسلمين جملة تقول :

وقد انطلق اللاتين من مبدأ (الانتحال) فيما كان الموقف الاسلامى واضحا فى اسناد الأقوال الى أصحابها ولما كان اللاتينيين قد أخذوا العلم من أعدائهم والمسلمين فى الدين والسياسة فقد أدى الانتحال الى اخفاء المؤلفين الحقيقيين ، وذلك خلافا للمتبع عند المسلمين فقد كانوا يأخذون من أبناء دينهم وغيرهم دون أى مانع معنوى ثم قامت الجامعات فى المدن الأوربية ، على غير مثال أوربى ولم يعرفها الاغريق ولم تعرفها العصور الوسطى الأوربية ، وهى ليست الا تقليدا للجامعات الاسلامية : أصولها وفروعها وبرامجها .

وقد كانت ظاهرة الانتحال تقوم على نسبة الكتب العربية الى علماء الأغريق ومن ذلك نسبة كتاب حنين ابن اسحق فى العين الى جالينوس ونسبة كتاب نور الدين البطروجى فى الفلك الى أرسطو .

ويشير الى هـذا المعنى الأستاذ موسى الموسوى يقول : دخلت العلوم الاسلامية أوربا فى عصر الترجمات واحتلت مكانا كبيرا فى الفـكر الأوربى ولكن أغلبيـة المستشرقين الأوربيين بخست ذلك واخـذت الكثير من هـذه العلوم دون أن تشير الى المصدر الأساسى الذى هو الاسلام ، كان قانون ابن سينا يدرس فى الجامعات الأوربية حتى القرن الثامن عشر ، وآثار الغزالى ترجمت الى اللاتينية ودخلت الفكر الأوربى وان ديكارت أخـذ كثيرا من آثار الغرب نصا وروحا وأن كثيرا من آثاره التى أقام الدنيا واقعدها فيما يتعلق بفكرة (أنا أفكر فأنا موجود) أو الأدلة التى يستند اليها فى اثبات وجود الله كانت موجودة فى الفكر الاسلامى .

ويضاف الى ذلك أمرين : (الأول) أن المستشار عبد الحليم الجندى كشف بكتابه الذى صدر (١٤٠٤ هـ) أن فرنسيس بيكون أخذ المنهج العلمى الذى تدمـه الى أوربا من ثنايا كتاب الرسالة للامام الشافعى .

(الثانى) : أن كتاب (المنقذ من الضلال) المترجم الى الفرنسية وجد فى مكتبة (ديكارت) وعليه تأشيرات بنقل نصوص منها الى نظريته .

ويشير الدكتور فـؤاد سيزسكين الى أن ظاهرة حذف أسماء العلماء العرب وذكر أسماء علماء الاغريق ترجع الى عاملين مهمين :

الأول : ظهور التيار المناهض للعربية وقد نشأ هذا التيار فى نهاية القرن ١٣ ، أوائل ١٤ م بضراوة وشدة . أنها العقدة النفسية تجاه أسماء العلماء العرب ورائد هذا التيار المناهض للعربية هو (رايمون لولوس) وقد وصل الينا أكثر من سبعين كتابا اتضح من بحثها أنهـا جميعا مؤلفات عربية وقد استمر هذا التيار الى أواسط القـــرن ١٦ م .

ثانيهما : الطموح والولع بالتفوق الحضارى فكانت الاكتشافات المهمة للعلماء المسلمين تنسب الى يومنا هذا الى علماء أوربيين ومن هـذا القبيل اكتشاف الحجـرة المظلمة ، فى النظريات وكشف المثلثـات الكروية والآلة الفلكية المسماه باسم عصا التلفولى وتأسيس التجربة وهى مكتسبات نسبت دون حـق الى لفى بن جـرين وذاعت شهرته بها ولم يسجل احد من الباحثين نفسـه كيف يمكن لرجل واحـد أن يكتشف هذه الاكتشافات الخطيرة واليوم يعرف المكتشفون الحقيقيون لها وهم من العلماء العرب .

والى جانب الكتب المترجمة فثمـة وسائل أخرى لاخفاء الانتاج العلمى الاسلامى : أن الكثير من الأوربيين بعد أن ادركوا أهمية العلم الاسلامى شرعوا فى الرحيل الى الشرق والاقامة به سنوات طويلة ويعلموا اللغـة العربية ودرسوا العلوم وعادوا ومعهم العلم والكتب . ومن ذلك العـالم الايطالى (لبونادر نبحور اينوس من علماء الرياضيات اللاتين تعلم العربية ودرس الرياضيات فى تونس وتنسب اليـه اكتشافات خطـيرة فى تاريخ الرياضيات ومن ذلك كوبرنكوس الذى أخذ نظرياته عن دوران السيارات عن الفلكيين المسلمين الذين عاشوا فى القرن ١٣ ، ١٤ م .

هذه الاكتشافات هى اقتباسات منا لكتب العربية وثمة وسيلة أخرى لأخذ العلوم العربية وهى طريقة النقـل الشفوى ومنذ القرن الثانى عشر الميلادى عرف العلماء اللاتينين الذين لا يفهمـون العربية الانتاج العلمى العلماء اللاتين الذين لا يفهمون العربية الانتاج العلمى يستفيدون مـن تلك الكتب دون أن تكون قد ترجمت فى أوربا أو كنت ترجمت وخفيت ترجمتهـا على النـاس . ويبدوا أن الأمر كان معروفا للمسلمين لذا كان عليهم فى كتب الحسبة أن يحذروا بشكل رسمى من بيع كتب العلم لليهود والنصارى الا ما كان من شريعتهم فانهم يترجمون كتب العلم وينسبوها الى أهلهم وأسـاقفتهم وهى مـن تأليف المسلمين .

***

الباب العشرون

إسلامية الانتماء فى إطار الحلقات الثلاث

(الوطنية - العروبة - الوحدة الإسلامية)

كان من اكبر اهداف الغزو الفكرى القضاء على الانتماء الاسلامى واحلال انتماء قومى واقليمى ووطنى بدلا منه بحيث تتمزق الوجهة الواحدة التى الف بينهما القرآن الكريم والاسلام والدفاع عن الكيان وحماية الذمار ، والوقوف فى وجه العدو الخصم المهاجم ، ايمانا بدعوة الله تبارك وتعالى المسلمين الى الاعتصام بالوحدة والرباط فى الثغور .

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ...

(يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا).

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ..

ومن منطلق تزييف الانتماء الواحد دخلت الى الأمة الاسلامية مفاهيم التمزق القومى تحت اسماء العناصر العرقية والوطنية المرتبطة بالأرض والملتمسة تاريخها فى صور زائفة من تاريخ سابق للاسلام لم يعد له بعد الاسلام قدرة على البقاء ايمانا بما قرره علماء التاريخ والآثار من الانقطاع الحضارى بين ما قبل الاسلام وما بعده .

وقد حاول الغزو الفكرى والتغريب احياء نحل قديمة كالفرعونية والفينيقية والبابلية وغيرها لرد المسلمين اليها بعد انتزاعهم من الوحدة الاسلامية الجامعة ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل ولم تستطع ان تحقق شيئا لانها كانت ضد حركة التاريخ ولم يجد اصحاب هذه الدعوات وسائل او معطيات تمكن لهم دعوتهم **فقد ذابت اللغات والتقاليد والاساطير والآداب الشعبية وتوارت ولم يبق منها الا تراب مطحون من كثرة** ما داسته الأقدام .

ولقد اثرت تصريحات لزعماء التبشير والاستشراق والغزو الفكرى تركز على تمزيق الوحدة الاسلامية الجامعة والتركيز على اعلاء الاقليميات والقوميات ، وقد **دفعت الرياح فى سارية الاقليمية بحكم التمزق الذى قامت به** القوى السياسية الأجنبية التى سيطرت على **البلاد الاسلامية منذ احتلال الجزائر** ومصر والسودان ثم الشام والعراق والمغرب حين حاولت أن تنشىء لكل قطر **من هذه الاقطار تاريخا مستقلا منتزعا من التاريخ الاسلامى** العام ، ومفهوم قومى للغة والفكر والتربية والثقافة بعد انتزاع نظم السياسة والاقتصاد والشريعة والاجتماع واحلال القانون الوضعى والنظام الديمقراطى الغربى والمصرف الربوى . وبذلك حجبت طوابع الاسلام . وبذلك خلت مناهج التعليم خلوا تاما من روح الاسلام ، وطوابع الوحدة ، وطوابع الرحمة والعدل والاخاء والايمان التى كانت سائدة فى مناهج التربية والتعليم . وحلت محلها مفاهيم اخرى وافدة قائمة على قيم مادية **تفرض الصراع والتنازع حول مختلف أمور الحياة** وخلا المجتمع الاسلامى من طوابع الحياء والغيرة ورعاية الأسرة وحماية المرأة وظهرت صور جديدة من الاباحيات والخمور والتحلل والفساد الاجتماعى بانتشار (روائع) الادب الأوربية القائمة على الكشف والجريمة وهكذا دخلت البلاد العربية فى دائرة الاقليمية بعد انفصالها عن الدولة العثمانية ، وسقوط الخلافة وانفصال تركيا عن الاسلام **وفى هذه المرحلة عمل النفوذ الأجنبى على حرب** الوحدة وتشجيع الثغرات القومية والوطنية . ودعم الحركات الانفصالية التى عملت على تهيئة الجو لهدم الخلافة الاسلامية وقد بالغ الاستعمار فى تقطيع أوصال العالم الاسلامى ولاسيما دولة الخلافة ، وبذلك تحطمت الوحدة الاسلامية وتجرأ الكماليون على الغاء الخلافة واقامة دولة علمانية فى تركيا وتبعهم اشياعهم فى العالم الاسلامى . وكان سقوط الخلافة عاملا من عوامل هدم الوحدة وتأكد الحواجز والحدود بين المسلمين بالتاريخ .

« **واهتم المستعمرون بالتاريخ لتاكيد الفوارق بين المسلمين** وتمزيقه الى تاريخ اقليمى وقومى ، وتفريغه من قوته

المعنوية التى ترفع روح العزة وتجمع قلوب المسلمين . وعمدوا الى تفسيره بالمنهج المادى للقضاء على روح الايمان والقوة المعنوية فيه وعلا صوت التاريخ القديم قبل الاسلام وبذلك أصبح لكل شعب تاريخه المتميز ومفاخره الخاصة ولم يعد الاسلام الا عابر سبيل فى عصر من العصور التاريخية التى مر بها الشعب وسطا القوميون والوطنيون على التاريخ الاسلامى وما فيه من بطولات وأمجاد تركوها نهبا من الأقوام والبلدان بعد أن سلبوها هويتها الاسلامية فاذا البخارى تركى وطارق ابن زياد بربرى وصلاح الدين كردى فقد اعادوهم الى الجنس والمولد مع أنهم ثمرة من ثمرات الحضارة الاسلامية لم تصنعهم قومية معينة ولا يد معينة ولكن صنعهم مفهوم القرآن ومنهج الاسلام .

وأثار الغزاة فكرة الأحزاب فمزقوا المسلمين الى اشتراكى وديمقراطى وتقدمى ووطنى وثورى ومحافظ ويمين ويسار .

* * *

(٢)

هذه مرحلة الاقليميات التى ركزت على فصل البلاد العربية فى كيانهم لها فلسفتها الخاصة المنفصلة عن الاسلام والمرتبطة بتاريخ قديم عملوا على احيائه عن طريق الحفريات الأثرية .

ولكن الروح الاسلامى العميق المستكن فى الاعماق لم يلبث أن تشكل فى صورة أخرى عندما خفت وطأة الاحتلال فقد بدأت الدول المتجاورة فى التعارف مرة أخرى يجمعها ايمان بالعروبة التى حملت رسالة الاسلام الى كل مكان فى هذا الكوكب فكان هذا التنادى بالعروبة وهو نداء يضمر روح الاسلام ، فكرا ووجودا تاريخيا وجغرافيا .

ولكن الدعوة الى العروبة التى كانت تتحرك فى اطار الاسلام منبعثة من الأرض الى القوم الى الفكرة جرت المحاولات لتزييفها فأدخل الى مفهوم العلاقة بين العروبة والاسلام تفسيرا عامانيا مسمما يضع التجربة الغربية فى علاقة القوميات فى أوربا بالوحدة المسيحية وكأنها نموذجا للحركة العربية .

واستغلت صيحة الدعوة الى القومية العربية وانتزعت مفهوم الغرب ومن ثم عجزت عن أن تحقق هدفها لأنها بدت متعارضة تماما مع الوجدان الاسلامى العربى ، وبالرغم من الفرص الواسعة التى أتيحت لها فقد عجزت أن تحقق شيئا لأنها كانت تجرى ضد التيار .

لقد تبين بعد هذا الحشد الضخم الذى بذل لتحقيق الوحدة العربية فشل هذا الجهد وفساده ، لأنه لم يكن منطلقا من منطلقات الأصالة والمنابع ومن روح الاسلام الحقة ومفهومه للعلاقة بين العروبة وبين الاسلام .

لقد كانت الدعوة الى الوحدة عاجزة عن استيعاب مضمون الاسلام فكرا ، فضلا عن انغلاقها فى وجه الامتداد الاسلامى خارج البلاد العربية وكان واضحا أن الذين رسموا الخطة هم خصوم للعرب والمسلمين جميعا وانهم انما كانوا ينقلون معركة التجمع الاسلامى للجهاد وتحرير فلسطين الى معركة وهمية والى دعوة باطلة .

ولقد تبين من هذه التجربة الخطيرة حقائق كثيرة أهمها أن العروبة لا يمكن أن تكون الا مرحلة على طريق الوحدة الاسلامية شأنها فى ذلك شأن الاقليمية فاذا استغلت لتكون هى منهج حياة عجزت عن تحقيق ذلك وفشلت تماما . .

وهذا ما أكدته أبحاث الباحثين الغربيين الذين تصدوا لدراسة هذه الظاهرة وفى مقدمتهم ليوناروبانيدر فى كتابه (الثورة العقائدية فى الشرق الأوسط فقد استطاع بدرسة المد الذى تعالى به تيار العروبة (١٩٥٥ — ١٩٧٠) أن يصل الى الحقائق الأساسية الآتية :

أولا : انها من صنع الاستعمار للقضاء على الوحدة الاسلامية واقامة الوطنيات والقوميات والاقليميات فان حركة النضال من أجل مقاومة الاستعمار كانت تستمد قوتها الحقيقية من مفهوم الاسلام الأصيل فى الجهاد ومقاومة الغاصب .

ثانيا : ان القوميات التى فرضتها القوى العسكرية فى المنطقة لم تنجح بالرغم مما بذل فى سبيلها من مال وانفق من دعاية وماجرى من كتابات لاقناع الأجيال الجديدة بها

ثالثا : ان العالم الاسلامى لم يتقبل الديمقراطية بمفهومها الغربى المخالف لمفهوم العروبة ولم تكن القومية إحسن أشكال الحكم بل كانت وسيلة لاخفاء الأيدى المخضبة بالدماء والأنياب والأظافر المسيطرة باسم الاستبداد والدكتاتورية .

رابعا : ان التعارض بين الدين والقومية فى الغرب شىء مستمد من مفهوم الدين فى الغرب ، أما الاسلام فانه

لا يعارض القومية بل يهذبها ويضعها فى صيغة اخوية مفتوحـــة .

خامسا : ما تزال العقيدة الاسلامية قادرة على أن تغير كثيرا مما يفرض وتحطم كثيرا مما يقنن وتحول دون القوى الاستعمارية وبين تحقيق كل مآربها .

ونحن اذا راجعنا تاريخ فكرة القـــومية وجدناها فكرة وافدة جـاءت من أوربا أول من نادى بها نابليون فى مصر فى محاولة لابعـاد مصر والشام عـن الدولة العثمانية واشعار العـرب بأنهم مختلفون عن الأتراك وجاء محمـد على وابراهيم باشا ورفعا نفس الشعار واستسلم للدعـوة بعد ذلك الشباب العربى المسيحى ابتغـاء تقويض الخـلافة تحت شعارات ماكرة وكان للمدارس التبشيرية اكبر الأثر فى تعميق هذا المفهوم .

وهكذا نجـد أن الأقليات هى التى قادت هـذه الحركة وكذلك كانت هـذه الأقليات دعاة الاشتراكية والثورية والماركسية بهدف ضرب الاسلام .

ويقتضينا الانصاف أن نقـول ان الفكرة القومية كانت ــ كما كانت الفكرة الوطنية فى مرحلة من المراحل من عـوامل مقاومة الاستعمار ، ولكن الخطر هـو أن الأيدى المغرضة حماتها لتجعلها قضية قائمة بذاتها ومن ثم اصبحت حاجزا دون اكتمال الدائرة بالاندفاع الى الطريق الطبيعى والى المرحلة التالية وهى الاسلام .

وقد أشـار أرنولدتوينبى الى أن الشعوب الملونة اخـذت الديمقراطيـة ولكنها لم تفهمهـا جيـدا ، ونحن نرى أن هذه الشعوب أخذت القومية ، كما أخذت الاشتراكية ، بغـير أن تضع لنفسها وجهـة واضحة ازاءها ولقـد قال محمد اقبال : ان الانسانية لا تستريح أبدا ما دامت تسـودها نظرية القـومية المشئومة التى تقطعها اربا اربا بحيث لا يكاد الصدع يلتئم فضلا عن أن القـومية تقيم الحـواجز ضـد تنقل المنتجات والأموال والصناعات .

* * *

(٣)

ومن يراجـع تاريخ العـالم الاسلامى فى مواجهة القومية يجد انها من المؤامرات الخطيرة التى حاولت أن تفسد الوحـدة الاسلامية والمفهوم الاسـلامى حتى فى البـلاد التى ليس فيها أديان أخرى كالباكستان مثلا أو تركيـــا .

ويرى كثير من الباحثـين أن القـومية العـربية (بمفهومها الغـربى) كانت وليـدة الصهيونية والنفوذ الغربى والشيوعية التى تعاونت منذ فجر هـذا القرن لتدمير الخلافة العثمانية بهدف اقامة دولة اسرائيل على انقاضهـــا .

ومن هنـا خفت صوت الفاهمين للعروبة فى اطار الاسلام بل اختفى تماما ولم يبق فى الساحة الا أصحاب المفهوم الوافد ، من اولئك الذين يقولون ان العروبة دين القوميين من مسلمين ومسيحيين لأنها وجدت قبل الاسلام وقبل المسيحية ، ويبالغ دعاة القومية الوافدة فيرون انها يجب ان تنزل من قلوب العرب اينما كانوا منزل وحده الله من قلوب المؤمنين ، ويقول احدهم : ان القومية العربية هى نبوة هذا العصر .

وهكذا نرى ان دعاة القومية كانوا يطمعون فى أن تحل العروبة فى قلوب الناس محل الاسلام لتكون ديانة وعقيـدة وفكرا وفلسفة مستقلة بذاتها كما يقول عمر فاخورى (لاينهض العرب الا اذا جعلوا العروبة والقومية عقيدة وديانة يتغنون بها ويحاربون كل ما سواها خاصة الاسلام) (كتابه : كيف ينهض العرب) .

وقد فتحت القوميـة أبواب الدمار على المجتمع الاسلامى ، لأن تمزق المسلمين بالقوميات والاقليميات افسح لقومية يهـودية الطريق لتسيطر فى فلسطـين ولظهور نحل واقليات اخرى ذات تاريخ قديم معـروف بعدائه للاسلام السنى ومن ثم ظهرت تلك التعاقدات بين المارونية والصهيونية وبين البعث والنصيرية وغيرهما .

وهكذا يتجدد تاريخ الحروب الصليبية والتتـار والحشاشين على نحو جـديد له كل عوامل الخصومة للاسلام من النحل والفرق والأقليات .

* * *

(٤)

ان دعاة القـومية يقيمون أيدلوجيتهم على وضع متعارض تماما للاسلام بل ومتناقض معه أسـاسا فهم يتبنون المفهـوم العلمانى الغربى من ناحيـة والمفهوم الماركسى من ناحية اخرى ويخلطون بينهما خلطا يجعلهم فى موقف العداء مع الاسلام والحرب له .

فدعـاة القومية العربية متفقون تمام الاتفاق فى موقفهم من الدين بعامة والاسلام بصورة خاصـة فهم ينادون بفصل الدين عن الدولة ويعتبرون الدعوة الى

ترابط الدين والدولة دعوة رجعية ويحرصون على علمنة الدولة وعلمنة قوانينها ، كل ذلك تقليدا وانسياقا مع الخط الذى سلكته الحركات القومية فى أوربا وبخاصة الثورة الفرنسية .

وهم بذلك يتجاهلون الفــرق بين مفهوم الدين فى الغرب وبين مفهوم الاسلام فالاسلام يحمل مفهوما جامعا بين الروح والمــادة ، تترابط فيــه القيــم الاجتماعية والسياسة الاقتصادية ويربط بين الدين والعلم وليست له خــلافات كتلك الخـــلافات التى قامت بـين المسيحية فى الغـــرب وبين العلـم أو بينهـا وبـين الدولة . ذلك ان فكرة فصل الدين عن الدولة فى الغرب نشأت نتيجــة ظهور سيطرة الكنيسة على الحيــاة السياسية الاقتصادية وتأثيرها فى الحكومات المختلفة بل وقيــام حكومات رجــال الدين : الحكومات الثيوقراطية التىلم يعرفها الاسلاموهم يتجاهلون أن تاريخالاسلام لم يشهد قط أى صراع بين علماء الدين ورجال الحكم اذ لم يكن فى الاسلام أصــلا فئة متميزة تدعى رجــال دين والاسلام يعتبر كل فرد من افراده رجل دين اذا تحققت فى نفسه وسلوكه تعاليم الدين كما أن الاسلام لا يفرق فى الوقت نفســه بين الدين كعبــادة والدولة كحكم بل يجعلهما سببا لعلة واحدة هى اظهار الحق :

﴿ الذين ان مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعـروف ونهو عن المنكر ولله عاقبــة الأمـــور ﴾ .

فلزوم التمكين فى الأرض بالحكم والسلطان والدولة غايته اقامة حكم الله والعكس بالعكس ، ولقد كان من الضرورى أن يفرق بين واقع الاسلام وتاريخه وواقع المسيحية وتاريخها ولكن وضعت القضية على المشابهة مع الاختلاف العميق ، ولعلهم يعلمون ولكنهم يغالطون .

* * *

(٥)

خير من حدد العلاقة بين الحلقات الثلاث (الوطنية ــ العروبة ــ الاسلامية) وترابطها هو الأستاذ الامام الشهيد حسن البنــا امام اليقظة الاسلامية المعاصرة حيث يقــــول :

« ان رابطة العقيــدة هى اقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض وان فكرة القــومية تذوب أمام فــكرة الأخوة الاسلامية التىيبثها القرآن فى نفوسمن يعتنقونه جميعا ، ولكن اذا كانت الوطنية حب للوطن الذى ولدنا فيه وحنيننا اليه واختصاصا له بالخـدمة ، فان الاسلام يحتضنها بل ويعتبرها جزءا من منظومة فكرة السياسى فقط يحذر أن يكون جذورها قاصرة على الاقليم الضيق الذى ولد فيه ، اذا كانت الوطنية حبهذه الأرض والفتها والحنين اليها والعطف نحوها فذلك أمر مركوز فى فطر النفوس من جهة وما يأمر به الاسلام من جهة أخرى ، فقط يطلبمنا الاسلام الا تقف بحدودها عند حدود الاقليم الصغير الذى ولدنا فيه فلقد وسع الاسلام حدود الوطن ليشمل القطر الخاص أولا ثم يمتد الى الأقطار الاسلامية ثم يرتقى الى الامبراطورية الاسلامية الأولى ، ثم يسمو حتى يشمل الدنيا جميعا . وبذلك يكون الاسلام قد وفق بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للانسان جميعا ..

« والمثل التطبيقى لهذه الحلقات والدوائر التى تبدأ بالدائرةالوطنية والدائرة العربية فالدائرة الاسلامية ، أن مصر قطعــة من أرض الاسلام وزعيمة أممــه ، وفى المقدمة من دول الاسلام وشعوبه .

« المصرية أو القومية لها فى دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها فى الكفاح والنضال ، اننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب ، عــاملون له ، مجاهدون فى سبيل خيره ، وستظل كذلك ما حيينــا معتقــدين أن هذه هى الحلقة الأولى فى سلسلة النهضة المنشــودة ، وانهــا جزء من الوطن العــربى العام ، وأننا حــين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والاسلام ،والعروبة لها فى دعوتنا كذلك مكانها البارز وحقهــا الوافر فالعرب هم أمــة الاسلام الأولى وشعبه المتخير وفق مقاله صلى الله عليه وسلم : (اذا ذل العرب ذل الاسلام) ولن ينهض الاسلام بغــير اجتماع كلمة الشعوب العــربية ونهضتها ، ونحن نعتقد اننا حين نعمل للعروبة نعمل للاسلام ولخير العالم كله ، والقرآن عربى ، وهو أساس هذا الدين وركن الصلاة افضل القربات الى الله وتلك هى الوسيلة العملية التى وحدة اللسان بعد وحدة الايمان .

« والعرب هم عصبة الايمان وحراسه ، ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لابد منه لاعادة مجــد الاسلام واقامة دولته واعزاز سلطانه ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمــل لأحياء الوحــدة العــربية وتأييدها ومناصرتها » .

« الحلقة الأولىالوطنية ، والحلقة الثانية : الوحدة العربية ، والجامعــة الاسلامية هى الحلقــة الكبرى والسياج الكامل للوطن الاسلامى العام ، لا تتعــارض بين هذه الوحداتبهذا الاعتبار فكل منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها » « فالاسلام يعتبر المسلمين جميعا

امة واحدة ويعتبر الوطن الاسلامى وطنا واحدا ولايتنكر للوطنية ولا للقومية بل يرى الجامعة الاسلامية ثمرة تلى الدائرة القومية والتى تلى هى الأخرى دائرة الوطن الذى نشأ فيه المسلم .

« فقط ينكر الاسلام ويستنكر القومية اذا عنت العصبية الجنسية والفخر الكاذب ، أما اذا عنت بالاعتزاز والمزايا والتاريخ مما تحتاج اليه الأمم الناهضة عندما تواجه التحديات التى تحول بينها وبين النهوض » .

وهكذا وضع الأستاذ البنا قاعدة الانتماء فى حلقاته الثلاث التى تتكامل وتصل الى الغاية من اقامة الوحدة الاسلامية العالميـة ، لا أن تنصهر فى مذاهب الاقليمية او الأممية المعاصرة التى يدعيها الغربيون والصهيونيون والشيوعيون وكلها ذات ولاء وافد .

واذا راجعنا نظرية الأستاذ البنا الآن بعد خمسين سنة وبعد تجربة القوميات التى خاضتها البلاد العربية رأينا أن الأمر يكشف عن حقائق كثيرة ويقـدم تحفظات كثيرة ازاء المحاولات المتجددة للدعوة الى القومية العربية بمفهومها الوافد المفـرغ من عنصره الاسلامى الأصيل ونحن نطالب الآن بدعـوة ذات أصالة تضع العروبة فى مكانها الصحيح من الوحدة الاسلامية كمقدمة لها ومنطلق اليها ، بعد أن أثبتت التجربة أن الذين قاموا بالدعوة الى القومية لم يكونوا مؤمنين بقاعدة الحلقات الثلاث المترابطة ولم يكونوا ينظرون الى العـروبة على انها حلقـة من حلقات الوحدة الاسلامية العامة ، فضلا عن انهم بالغوا مبالغة خطـيرة فى اعلاء القومية على نحو العنصرية ، اعلاء بلغ بهم الى الحد الذى أنكره الاسلام من العصبية واستعلاء العرق والدم الذى جاء الاسلام للقضاء عليه .

ولقد تقرر فى فجر اليقظة الاسلامية : أن الاسلام وطنية المسلم وقوميته ، وأن العربى منذ اليوم الأول حين اسلم اصبحت حماسته وعصبيته للاسـلام لا لقبيلته ولا لغيرها ، يحمى أرض الوطن لأنها نبضـة الاسلام ، لأنها المسجد ، فالمسلم مسلم أولا وعربى ثانيا .

* * *

(٦)

العلاقة بين العروبة والاسلام قضية دقيقة يجب أن تتناول من منطلق عقائدى صادق الايمان بالاسلام نفسه ، بعيدا عن مغالطات القوميين الزائفة ، وعلى نحو أصيل بعيد عن الظن والخداع .

يقـول الدكتور محمد محمد حسين : لقد ارتبطت العروبة بالاسلام منذ انشائها ونمت وتطورت ونضجت داخل اطاره دون أن يكون فى ذلك تعارض مع أصول الأديان السماوية الثابت المحدد وقد جعل لها الاسلام شخصيتها المتميزة والعرب اليوم هم أقرب الناس بين المسلمين الى تحقيق وحدة جامعة بحكم اللغة المشتركة والتى تربطهم بأصـول الدين الاسلامى وبحكم تجمعها وتلاصقها فى حيز مكانى واحد لا تقوم بين اجزائه فواصل طبيعية وهم بحكم التقـارب والتآلف واتفاق العادات والأمزجة مهيئون لأن يكونوا نواة اسـلامية صلبة تشع على العالم الاسلامى من ثقافة الاسلام وهـو ما يطلق عليه (عروبة اسلامية) والمسيحيون الذين يخافون على أمنهم وسلامتهم وحريتهم فى ظل عروبة اسلامية هم أكثر خوفا فى ظل عروبة لا دينية لأن الاسلام وحده هو الضامن لمنع انحراف المسلمين نحو عصبية تحطم وتعتدى وتظلم والخطر هو أن ينجم جيل من المسلمين يجهلون الاسلام فى ظل العروبة اللادينية . كما حدث فى الحكم العثمانى بعد عزل عبد الحميد (أى فى ظل الاتحاديين) .

اما غلاة القوميين من المسلمين الذين يلتقون مـع المسيحيين فى الدعوة الى قومية لا دينية فهم واقفون تحت تأثير ماتوهموه من أن النهضة الأوربية الحديثة كانت .. للرد على الكنيسة ولتجريد الحكم من الصفة الدينية وهو وهم لا يثبت للتمحيص فالحركة الدينية البروتستانتية التى تمردت على الكنيسة الكاثوليكية لم تخـل من اصـابع الصهيونية وكان همها الأول هدم الكنيسة الكاثوليكية لأنها كانت اكبر المؤسسات التى تناصب اليهود العـداء والبروتستانت اليوم هم أشد الطوائف المسيحية عطفا على الصهيونية واكثرها مساندة لهم ماديا ومعنويا ثم ان الازدهار الذى حققته فى أوربا لم ينتفع به أحد ، كما انتفع به اليهـود فى جمـع الثروات فى أيديهم والسيطرة على شئون السياسة والاقتصاد مما أفسح الطـريق أمام دعوتهم الى نشر الالحاد والانحلال الذى ينفذون منه الى السيطرة على مصائر الأمم والامساك بزمامها هذا كله تحت ستار الحرية والاخاء والمساواة وحقوق الانسان وهى شعـارات لم ينتفع بها غير اليهود ولم ينتفع بها زنوج أمريكا وقـد اعترف عـزير ميرهم (السيـاسة الأسبوعية ١٩٢٦) بأن الذين هدموا سلطان الكنيسة فى فرنسـا وايطاليا هم الماسونيـة وأن زعماء الثـورة الفرنسية كانوا من الماسـون وأنهم هم الذين وضعـوا الشعار (حـرية — اخاء — مساواة) وأن تركيا نالت دستورها بفضل محافلهم .

والنهضة الأوربيـة انتهت الى تفتيت الجامعـة

الأوربية المسيحية وتقسيمها الى دول شتى لكل منهــا لغتها الخاصة وقوميتها المستقلة .

ويصل الدكتور محمد محمد حسين من هذا الى عمق الفوارق بين مفهوم القومية فى الغرب وحلقاتها التاريخية وبين مفهوم (العروبة الاسلامية) ومصادرها الحقيقية ، وهى حلقة سابقة ومؤهلة وموسدة للوحدة الاسلامية اساسا وليست منفصلة بنفسها او مؤمنــة بفلسفات الاستعلاء القومى الغــربى وهى تغيير وحــدة التاريخ الاسلامى ووحدة اللغة ووحدة العقيدة منطلقها الحقيقى وابرز ما تحالف فيــه الغرب انه لا يوجد فى افق الاسلام جهازان يتنازعان السلطة دينى وسياسى كما لا توجــد سلطة دينيــة متحكمة كسلطة الكنيسة التى ثار عليها المسيحيون فى نهــاية القرون الوسطى ولقد كانت مختلف العناصر تساهم فى التطور الحضارى على مدى القرون والأجيال : وخاصة العناصر العربية غير المسلمين لم تجد هذه العناصر غضاضة فى بناء الحضــارة الاســلامية فالاســــلام يمنح هــــذه العنـــاصر كل حـــرياتها الدينيــة ويحظــر التضييــق عليهــا او ممارســة اى لون من الوان الضغط عليهــا لحملها على ترك دينهــا ونصــوص القرآن الكريم فى تأمين اليهــود والنصارى ورعاية حقوقهم واضحة جلية والدليل الناصع على ان المسلمين اتبعــوها على مر الاجيال وعلى اختلاف الدول وعملوا على انصاف اهــل الكتاب وتأمينهم على دينهم وعلى اموالهم وكنائسهم واعراضهم .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان البلاد العربية ليس لها تاريخ فى العروبة يسبق الاسلام بل ان عروبتها فى الحقيقة تتبخر عن اسلامها ، هذه العروبة لم تجئها الا من طريق الاسلام وبسبب ذلك أن الاسلام دعا المسلمين ان يحبوا العــرب ويلتفوا حول رايتهم ويتخذوا العربية لغــة جامعة تشملهم .

وعن النبى صلى الله عليــه وسلم فى المستدرك : **(من احب العــرب فبحبى احبهم ، ومن ابغض العــرب فببغضى ابغضهم)** وقوله : **(احبوا العــرب ولقائهم فان لقائهم نور فى الاسلام وان فناءهم ظلمة فى الاســلام)** وقوله : **(اذا ذلت العرب ذل الاسلام)** وقوله : **(از الرب واحد وان الأب واحد وان الدين واحد ، من تكلم بالعربية فهو عربى)** .

وهكذا نرى ان الاسلام هو الذى اعطى العرب لغتهم ووحــدهم عليها وعلى القيم التى تضمنها كتــابه وسنة رســوله فالتفت قلوبهم وعقولهم وامزجتهم على ما يحلون وما يحرمون وما يحبون وما يكرهون .

وهكذا كانت العلاقة بين العروبة والاسلام فمتى نشأت الفرقة ؟ . . جــاءت الفرقة حين نشأت الدعوة المعاصرة الى القــومية العربية ، وكان العرب يشكلون الجزء الأكبر من الدولة العثمانية واتخذت الدعوة شكلا ثقافيا هو بعث التراث العــربى وانشاء صحافة ومسرح عربى وان تكون العربية لغة الدواوين والقضاء والتعليم بدلا من اللغــة التركية لقد نشأت التفرقة بين العروبة والاسلام على يد طائفة لهم صلة بدعاة المذهب الانجيلى البروتستانتى من الأمريكان : الشرباق ، البستــانى ، البازجى ، سليم تقلا ، جرجى زيدان .

كانت الجامعة الاسلامية هى الرابطة التى تربط اجزاء الدولة العثمانية تحت راية السلطة العثمانية التى جمعت بين الزعامة السياسية والزعامة الدينية منذ تلقب سلاطينها بلقب الخــلافة الاسلامية فى القرن العاشر الهجرى (١٦ الميلادى) وقد زاد نفــوذ هذه الجامعة فى قلوب الناس منــذ اخذ السلطان عبــد الحميد يدعمها ويدعو الناس الى الالتفاف حول رايتها ، والاعتصام بها فى وجــه الأطماع الاستعمارية التى كانت تنتظر الوقت الملائم لاقتسام املاك هذه الدولة .

وكان هناك فريق ثان واقعا تحت تأثير الدعوات الاسلامية كان يرى التفــرقة بين الخلافة والسلطنة ، ويجعل الخلافة فى العرب والسلطنة فى الترك وحجتهم فى ذلك أن العرب هم اقدر الناس على فهم الاسلام وتبليغه وكان ذلك اى الكواكبى واضحا فى كتابه (ام القرى) وابتدعــوا لأول مرة التفرقة بين السلطة السياسيــة والسلطة الدينية .

وكان هناك فريق ثالث واقعا تحت تأثير الدعوات القومية المتطرفة التى اشتدت حركتها فى اوربا فى القرنين ١٨ ، ١٩ وكانوا يتصورون الجامعة تصورا قوميا خالصا ويجردونها من كل صلة بالدين وهمهم الأول : انشاء دولة عربية مستقلة على النمط الغربى : الديمقراطية والمجلس النيابى ويتوسلون بهــا الى انشاء دولة عــربية كبرى مقصــورة على الجنــاح الأيمن لما تسميه الآن بالعالم العربى ، اى القسم الأسيوى وحــده ، وكانوا واقعين تحت نفوذ الفكر المستمد مــن كتاب الثــورة الفرنسية ومفكريها ومن فلاسفة عصر النهضة الليبرالية فى اوربا الذين ولوا فى صدامهم مع الكنيسة الى فصــل السلطة الدينية عن السلطة المــدنية هذا الفريق يلتقى فى تفكيره مع غــلاة القومية من الترك الذين يدعون الى القومية الطورانية الذى كان اكثرهم منضما الى حــزب الاتحــاد التركى هكذا نشأت فكرة القومية متلبسة بمفاهيم وافدة كان هدف النفوذ الأجنبى والصهيونية أن تصبح حقائق

مسلمة ، ومن ثم جاءت الموجة التالية موجة ساطع الحصرى وميشيل عفلق ، التى قدمت مفهوم القومية العلمانية الملتبسة بالاشتراكية والماسونية وغيرها .

وكان هذا الاتجاه هو التيار الذى سقط سقوطا شنيعا لأن الوجدان العربى لم يتقبل به ، وبذلك انفسح الطريق للمفهوم الحقيقى : مفهوم الأصالة القائم على حلقات الوطنية والقومية والجامعة الاسلامية .

* * *

(٧)

ونصل الآن الى مصر الاسلامية : ما موقفها فى قضية الانتماء :

لقد كانت مصر المعاصرة بكل ما تحمله من تفوق فكرى أو مركز قيادى أو مكانة اجتماعية هى من عمل الاسلام ، فالاسلام هو الذى أعطاها كل هذا الفضل الذى تتميز به ولم تعطها الوراثيات التاريخية من قبله الا امتدادها بالحنيفية السمحاء الى الدين الخاتم ، أما ما سوى ذلك فان ذلك التاريخ القديم لم يلبث الا قليلا حتى ذهب وذهبت معه اللغات القديمة ووقع ذلك الانقطاع الحضارى الذى أقره علماء التاريخ ولم تعد الفرعونية الا مرحلة من مراحل الوثنية وعبادة الأصنام وكل محاولة اليوم لبعث هذه الفرعونية فانا لا نجد من الوسائل التى تعتمد عليها الدعوات شيئا ما تستطيع أن تستند عليه .

ان تراث الوثنية الفرعونية قد قضت عليه المسيحية المنزلة وقضى عليه من بعدها الاسلام وليس هناك شىء مما يعتز به تاريخ الفرعونية الا وهو من أحد مصدرين :

نبوءة ابراهيم الخليل الحنيفية ، وتراث الأديان المنزلة أو من ميراث العرب الذى جاء الفراعنة منهم موجة من موجات الهجرة من الجزيرة العربية ، شأنها فى ذلك شأن موجات الفينيقية والأشورية والبابلية وغيرها من الموجات التى تحاول أن تستعلى بنفسها عازلة نفسها عن مصدرها الأصيل .

واذا كان هناك بعض الذين يعملون فى الصحافة والاذاعة من يروجون بتآمر من قوى خارجية لما يسمى (الايتولوجيا) وهى المصرية القديمة : بحسبانها عقيدة أو لغة ولكن هذا كله هباء ، بعد أن قطعت مصر تلك المراحل الواسعة على طريق العروبة والاسلام وأصبح لا يقضى أمر فى هذا الوطن العربى أو العالم الاسلامى من دونها وهو خيال ضال بعد أربعة عشر قرنا فى طريق التوحيد وأصبح فكرها الاسلامى ولغتها العربية هو فكر المواطنين جميعا وتراثهم جميعا ، وبعد أن ثبت بما لايدع مجالا للشك لأصحاب الأهواء ممن حاولوا ذلك من المؤرخين ، ان هناك (انقطاع حضارى) لا سبيل الى تجاوزه الى ما تخلل رسالة الأديان من الوثنية مرة أخرى أو ان ما تبقى من شظايا قليلة الأهمية مما يحاولون بعثه وتجديده يمكن أن يشكل تراثا أو لغة أو ثقافة ، أو أى مظهر من مظاهر الارتباط أو ما يمكن أن يكون عاملا من عوامل الاحياء ، ولقد جاءت المسيحية يوم جاءت تهدم هذا التراث الوثنى وقد حاربته ثلاثمائة عام وقدمت فى سبيل هدمه الوف الشهداء والضحايا لتقر كلمة التوحيد الحقة التى جاء بها سيدنا عيسى عليه السلام ثم جاء الاسلام ليقضى على هذا التراث نهائيا .

* * *

ولكن ليس معنى هذا أن نغمض الطرف عن الآثار الفرعونية فهى مفخرة من مفاخر هذا الجنس العربى الذى جاء من الجزيرة العربية وعرف الايمان بالله وكانت الموجة الفرعونية أصلا صادرة من جزيرة العرب وهى تمثل مرحلة ضخمة من مراحل الحضارة والتقدم ، وقد أثبت القاموس الذى أعده أحمد كمال باشا ان أغلب الكلمات الفرعونية ذات أصل عربى ومثل هذا يقال فى الموجات الفينيقية والأشورية والبابلية والبربرية وذلك تحقيق تاريخى استغرق أعواما وأعواما حتى تبلت فيه كلمة الحق بعد ان استغلته مؤامرات الغزو الاستعمارى والنفاق فى الثلاثينات .

ويقول الأستاذ أحمد بهجت : لقد اختارت مصر الاسلام والعروبة منذ ما تقرب من الف سنة ولعبت دورها كأمة مسلمة عربية على امتداد الألف سنة .

هل تنتمى مصر الى الملك رمسيس الثانى أم تنتمى الى عروبتها واسلامها ؟ هل ممكن أن يفخر أحد المصريين اليوم بانتمائه الى المومياوات المحنطة ويجوز الدجل الفرعونى المتأله ؟ هل يفضل أحد هذا على نظافة العقل المسلم ودوره كخليفة لله فى الأرض ، أن عروبة مصر واسلامها حتمية واقعية الى جوار أنها واقع تاريخى

* * *

(٨)

وبعد فان المستقبل هو الوحدة الاسلامية ، وعودة الخـــلافة .

فالاسلام دين عالمي ، والشعوب الاسلامية بصرف النظر عن الجنسيات والقوميات واللغات انما هم اخوة فى الكفاح المشترك من أجـل نشر تعاليم الاسلام والدفاع عنها وتطبيقها والقضــاء على الاضطهاد والاستعبــاد والتفــرقة واستغــلال الانسان للانسان والشعــوب للشعوب الأخــرى ، ولذلك فان الطريق بعــد سقوط الاقليميات وفشل القــوميات هو الوحدة الاســلامية الشاملة وفى سبيل الطريق الى وحدة شاملة يجب كسر حواجز التغريب والغزو الثقافى والمخططات التلمودية الصهيونية واليهودية والماركسية والعلمانية وما يواجه الى العقيدة والتاريخ والسيرة واللغة العربية والقرآن من شبهات ومحاولات لاثارة الشكوك والمنهج الاسلامى هو العامل الأكبر فى جمــع المسلمين الى وجهة واحدة ، ولأن من كسر قيــود القانون الوضعى والمنهج الربوى وعلمانية التعليم وكل ما يطــرح فى أفق الفكر الاسلامى من فلسفات مادية ضالة . لا بد من تجلية العلاقة بين الديمقراطية الغــربية والشورى فى الاســلام وما بين الاشتراكية والعدل الاجتماعى وما بين القومية الغربية والعــلاقة بين العروبة والاسلام ولا بد من التحرر من المنهجين الشيوعى والراسمالى لأنهما غريبان عن الاسلام والعالم كله يترقب اليوم منهجا جــديدا وليس ســوى الاســــلام .

* * *

الباب الحادى والعشرون

أسلمـــة المصـطلحـــات المعاصـــرة

الفصـــل الأول

مدخـــل إلـــى البحـــث

من القضايا الكبرى التى تواجهها يقظـة الفكر الاسلامى هى أسلمة المصطلحات المعاصرة والتحرر من التبعية لها فى نطقها ومضمونها الوافد ، وكذلك فعـل المسلمون فى العصر الأول عندما واجهوا تراث الحضارات القديمة ، وكذلك فعـل الأوربيون عنـدما ترجموا تراث الاسلام العلمى ، ايمانا بأنه لا يمكن فصل المصطلحات عن ملابساتها الفكرية التى تومىء اليها ولا يمكن نقلها كما ننقل ألفاظ الاختراعات والعلوم .

ويقـول الدكتور حسن الشرقاوى : ان تطبيـق المفـاهيم الغـربية وفرض مناهجها عسفا على الأمـة الاسلامية فى مجال العلوم الانسانية هى بمثابة عملية غزو فكرى يحمل فى طياته أضرارا مادية وخلقية بالغـة الخطـورة .

وتكمن خطورة العمل بالمصطلحات الغربية عن الاسلام وتطبيقها فى مجالات العلوم الانسانية فى توجيه الفكر توجيها بعيدا عن القيم التى تتبناها الأمة والمفاهيم التى تمثل ثقافتها ومثلها وأخلاقها ، ولا شك ان مفاهيم الغـرب تنبع من نظرة مادية وعلمانية تفصل بين العلم والدين وتستقى أصولها من موقف الحادى لا يعترف بالله تعالى ربا وخالقا .

وقد أصبح تزويد هذه المصطلحات بوعى أوبغيروعى أمرا مألوفا لدى غالبيـة المتعلمين تبدو فى عملية التأثير بالسلوك الأخـلاقى الغربى ومن ثم فى اتباع أسلوبهم فى التفكير والمنهج والحياة .

ومن هنـا كانت ضرورة النظر الى هذه المفاهيم الغربية نظرة الفاحص اللبيب لا نظرة المفكر ، وعلينا أن نضع مفاهيم الغرب ومصطلحاته فى حجمها الطبيعى ونزنها بميزان الاسلام والعـدل ونقيسها على محك الشريعة الغراء ونعمل جاهدين على نبذ واستبدال مالا يصلح منها بمصطلحات اسلامية أقدر على تمثيل ثقافتنا والتعبير عن أخلاقياتنـا » .

ويجب ان تكون هناك قواعد أساسية فى النظر الى المصطلحات الوافدة أهمها الفـوارق العميقة بين الفكر الاسلامى والفكر الغربى فكلمة ليبرالية التى يترجمونها بالحرية لها فى الغرب مفهوم مختلف وكذلك الديمقراطية التى يترجمونها بالشورى فى الاسلام ، هناك فارق كبير بين المصطلحـين .

وهناك مفهوم (الخطيئة) المرتبط أساسا بمفهوم المسيحية فى نظرية فداء السيد المسيح للبشر ، وهـو مفهـوم لا يقره الاسـلام وعن الخطيئة ينتشر فـكر وقصص لا حـد لاضطرابه وهو فى ميزان الاسلام له مفهـوم مختلف .

كذلك فانه لغلبة النزعة المـادية فى الفكر الغربى فهناك مصطلحات مختلفة لا يعرفها الفكر الاسلامى مثل أدريه ، ولابيك ، والاغتراب ولمصطلحات أخرى مفهوم مختلف ومتميز . فالعقـلانية فى الاسلام جزء من تكامل جامع للعقل والروح ، والتطور فى مفهوم الاسلام مرتبط بالثوابت وفى الفكر الغـربى قائم على مفهـوم التحول الـدائم .

وهكذا دعا الخلاف بين مفهوم الاسلام القائم على التوحيد الخالص واسلام الوجـه لله والايمـان بالوحى والنبوة وبين مفهوم الفكر الغربى المرتبط بالوثنية اليونانية والعبودية الرومانية والتثليث المسيحى الى خـلافات عميقـة ..

واخطر هذه المصطلحات : مصطلح (الثيوقراطية) الذى لم يعرفه الاسلام وهو مذهب يقوم على سيطرة رجال الاديان على الحكم ، وهى دعوة قائمة على نظرية الحــق الالهى الذى يعتبر المشيئــة الالهية مصــدرا للسلطة الزمنيــة .

والاسلام لم يعرف هذه الحكومة فى تاريخه ، كما لم يعرف الخلاف بين الدين والعلم كما عرفته أوربا ولذلك فان مقايسة الفكر الاسلامى على هذه المواقف التى حدثت فى تاريخ الغرب هى مقايسة باطلة .

كذلك فان هنــاك تفســيرات باطلة لمصطلحات اسلامية ، كموقف الاستشراق والفكر الغربى مثــلا من (المعتزلة) فالمعتزلة فرقة اسلامية من فرق المتكلمين والعقــائد ، دافعت عن الاســلام فى وجه المحاورات المسيحية الكلامية ولكنها انحرفت بعد واستعلت عــن وجودها الطبيعى فى اطار الاسلام ، ولذلك فالمسلمون لم يقبلوا منها واعادوها الى موقعها الطبيعى من المنظومة الاسلامية الجامعة لكل عناصر الفكر وفرقه .

ولكن المستشرقين شاعت لهم خصومتهم للاسلام أن يصفلــوهم بأنهم أغارقة الاســلام ، كذلك أعلوا من شأن التصوف الفلسفى الذى يختلف مع مفهوم التوحيد الخالــص .

وسيطرة المصطلح الغــربى هى التى حملت الكتاب الى اعــلاء مايسمى (بالعقلانية) فى محاولة للتقليل من شأن الوحى أو النقل وهو (القرآن والسنة) ومن ذلك قولهم أنه اذا تعارض العقل والنقل قدم العقل وهو مفهوم خاطىء فان العقل أداة فحسب أما الوحى فهو الضوء الذى يكشف الطــريق أمام العقل ، والعقل متغير الرأى ، أما الوحى فثابت ومن مصطلحات الماركسية : فكرة الحتمية وهى جزء من مفهوم المذهب المادى وهى أن العالم مسير لا مخــير ، وكل ما يقع فى العالم من أحداث هو من عمل الانسان ولكنه عمل دفعته اليه الظروف دفعا فلا اختيار ولا ارادة ومن ذلك القول بأن أبطــال التاريخ تنشئهم الظروف الاقتصادية (نابليون وكرومويل وقيصر) .

وهــذا كله يختلف مع مفهوم الاسلام الذى يقرر المسئولية الفــردية ويقرر ارادة الانسان القادرة على التغيير ، والتى هى موضع الحساب والجزاء .

وقد تردى الفكر الغــربى بين طرفين : المثــالية والمادية وبين الرهبانية والاباحية وهو اليوم فى مرحلة المادية الاباحية ومن ذلك مفهومه الفلسفى القائم على التفسير المادى للتاريخ والحضارة (وهو مفهوم تشترك فيه الليبرالية والماركسية جميعا) وهذا المفهوم يختلف عن مفهوم الاسلام الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب على أساس أن الانسان نفسه قبضة الطين ونفخة الروح .

وأبرز مفاهيم الاسلام التى يجب ان يكون لها اثرها العميق على المصطلحات المعاصرة هى « التكامل » حيث يقرر الاسلام ان الانسان يجمع بين الحس والفهم والعقل وانه عقل وقلب وتفكير وعاطفة وأن الغاء أحدهم هو بمثابة خروج على الفطرة وعكس لطبيعة الأشياء وأن اليقين أصل والشك عرض وتقوم النظرة الاسلامية على اقتناع العقل وتصديق الفكر . وتتمثل فى ثقة القلب وطمأنينة الروح وواقع الانسان متكامل (بيلوجى ونفسى وعقلانى وروحى) وكلما اهمل احد الأركان وقع فى الأزمة والصراع وواجه التمزق النفسى وكذلك فى عالم الاجتماع فكلما كانت النظرة اقليمية او قومية أو وطنية أو ادبية تكون ناقصة وغير قادرة على الكمال والشمول .

واذا كان العالم منقسما الآن الى تيارين : تيــار الليبرالية الراسمالية وتيار الاشتراكية الماركسيــة ، الأولى تعلى شأن الحرية الفردية والأخرى تعلى الجماعية وتسقط مكانة الفــرد .

والعالم اليوم ممزق بين التيارين :

فان هناك تيار ثالث هو تيار الاسلام الجامع بين الفــردية والجماعية فى توازن واتساق وفيه خــير مافى المذهبين ، وقد خلا من شرهما .

فالفرد فى الاسلام المجتمع ، والحرية منضبطة ، وحق الضعيف فريضة وليس هناك اباحة مطلقة وليس الانسان ترسا فى آلة والقيمة الخلقية هى القاسم المشترك الأعظم للحياة الاجتماعية والحضارة وقد أعلن الاسلام حقوق الانسان منذ أربعة عشر قرنا وطبقها فى مجتمعــه منذ ذلك اليوم ، وقد احترم حريات الناس وحق الفئات المختلفة غــير المسلمة وأمنهــا على أموالها وأعــراضها ومعــابدها .

ومن الدعــائم الأساسية فى مواجهة المصطلحات الغــربية : مفهوم (الثوابت والمتغيرات) الذى قام عليه الاسلام فى مواجهة فكرة التطور المطلق وفكرة النسبية الغربيتين وقد عرف الفكر الغربى فكرة (الثبات المطلق) التى قال بها أرسطو وعاش عليها الغرب طويلا حتى تغير تحت تأثير المذهب التجريبى الاسلامى فانتقل من فكرة الثبات المطلق الى فكرة الحركة المطلقة أو التطور المطلق التى قال بها دارون وسبنسر ووصلت الى قمتها فى فكر (هيجل) وكلا النظرتين مرفوضتان فى الاسلام لأن كلا منهما تأخــذ جانبا واحدا ليسيطر سيطرة كاملة ، اما الاسلام فهو يقر مفهوم (الثوابت) التى جاء بها المنهج الدينى والقــائمه على تقرير واضح للأخــلاق والقيم

والمعروف أن الحدود والضوابطلاتتغير مع فتح باب الحركة والاجتهاد والتغير والتطور بماينا‌سب‌العصور والبيئات بالنسبة للفرعيات . وهو تطور يجرى فى دائرة الثوابت ولا يصادم متغيرات المجتمعات أو الحضارات .

ومن هنا فان نظرتنا الى مصطلح التطور الغربى يجب أن تكون قائمة فى اطار مفهومنا الاسلامى ، كذلك فان من خطأ المصطلح الغربى أن يعتبـــر كل تطور تقدما وليس هذا صحيحا على اطلاقه‌وانما يعنى التطور الانتقال من مرحلة الى مرحلة أخـــرى نتيجة لظـــروف وعوامل متغيرة .

والفلسفة المادية والفكر الغربى الحديث يقوم على اساس انكار وجود الله تبارك وتعالى فهى تضع بدلا من اسمه الأعظم : كلمة الطبيعة . ونحن يجب أن نحترز لذلك تماما فان الطبيعة هى من صنع الله عز وجل وأنها مخلوق له ولها خالق ولايمكن القبول بمفهوم أن الطبيعة أوجدت نفســهـــا .

وعلينا أن نحذر أيضا من كل ما يترتب على نظرية الطبيعة وانكار وجـــود الخالق ، ويقرر الباحثون أن الفلاسفة الماديون ملاحدة لأنهم قالوا ان للمادة وجودا مطلقا وانهـــا قادرة على الحركة والحياة ، والدهريون ملاحدة لانهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع وانه بما فيه مبنى على الاتفاق كما أن علينا أن نحترز من قول بعض الفلاسفة أن الأجسام لا تحشر وأن الله تبارك وتعالى جل شأنه لا يعلم الجزئيات أو القول بوحدة الوجود فان هذا كله انكار لمعلوم من أصل الدين بالضرورة وكان صاحبه كافرا بأصل من أصول الدين .

* * *

وقد خطأ الامام الغزالى الفلاسفة الذين أرادوا أن يزنوا كل شىء بميزان العقـــل فكان الدين فى أيديهم آلة خادمة للفلسفة فكان خطـــرهم على الدين والأخلاق ، وكذلك خطأ الذين رفضـــوا وظائف الاسلام والعبادات واحتقروا شعار الدين وانكروا الشرائع والنحل وجحدوا فضل الأديان والملل . وكذلك خطأ الفلاسفة الذين أهملوا احكام الشريعة وتحـــدثوا عن رفع التكليف فشربوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة .

وليس هـــذا الذى ندعو اليه غريبا فى الفصل بين الأمم وتثبيت وجوه التميز بينها بل ان هؤلاء الذين تجمعهم ابجديات لاتينية واحـــدة يفعلون مثـــل ذلك وقد أشارت الصحف الى المحاولات التى تقـــوم الأكاديمية الفرنسية بهـــا لتطهـــير اللغـــــة الفـــرنسية من المصطلحـــات الانجليزية ، بل لقـــد قدمت الأكاديمية عبـــارات بديلة مطالبت باستبدال كلمـــة (كليوبنج) الانجليـــزية التى تستخدم فى مصطلحات الاقتصـــاد بالكلمة الدارجـــة (كومبا لسلسيون) كما طالبت بتحـــاشى استعمال كلمة (ديسكاونت) الانجليزية ويجب استبـــدالها بأى مـــن الكلمات التالية (ريستورن ـــ رابية) الخ وكلمة «لورك» الانجليزية وتوجـــد فى الفرنسية كلمات مثل (ابرانس أو أسبع) الخ واوردت الصحف كلمات أخـــرى ، وتنصب هذه التحذيرات على بعض النقاط الدقيقة فى قواعد النحو الفرنسى . وبالنسبة لما يتردد كثيرا هذه الأيام من كلمات الحرية والعقلانية والعلمانية فى عالمنا الاسلامى يقـــول الدكتور حسن الشرقاوى : ان هناك سوفسطائيـــــة جديدة تحاول أن تجعـــل من الحق باطلا ومن البـــاطل حقـــا ، ونتخـــذ منا لعقلانية مركبا تهاجم به الدين القيم والشريعة السمحاء ، دون أن ندرى أن الثـــوابت التى ادخلت نفسها فيها مغلقة ومحددة وعاجزة عن التعرف‌على حقيقة الدين ان العقل وحده لا يهدى الى حقيقة الدين ، انما الدين هاد للعقل واذا لم يرتبط العقل بالايمان فانه ينزلق ويقع فى المتشابهات ورغم انه المحك والمعيار للتمييز بين الصحيح والفاسد من الأمور المحسوسة والملموسة وكل ماله طول وعرض وعمق ، الا أن العقل لا يستطيع أن يخـــوض فى ساحة المعـــرفة الربانية دون أن يتسلح بسلاح الايمان والا وقـــع فى الضلال والشطط ، وذلك لاتباعه الظن والوهم ، فالعقل اذا أراد أن يتدخل فيما ليس له علم ولا هدى ، يصوغ أفكاره تحت قوالب جامدة ويحدد معاييره فى تقنينات محددة ، يحاول بها أن يفرض قانونا جـــديدا ما أنزل الله به من سلطان ، ولقد حاول الفلاسفة والمفكرون أن يضعوا انفسهم فى قوالب ليثبتوا أو ينفقوا حقيقة الدين ، وفى الحالين أخفقوا اخفاقا كبيرا وكلما صاغ أحـــد الفلاسفة نظرية فى أصل الوجود أو ماهية المعرفة جاء فيلسوف آخر فأثبت قلة علمها وتهافت منطقها وضعف حججها واسانيدها ، ثم جاء بنظرية أخرى ليثبت أصل الوجود وذلك عن طريق قوالب اصطنعها لنفسه ، الا أن نظريته هى الأخرى لا تصد عن النقد فما يلبث أن يظهر غيره تهافتها وضعفها وبعدها عن الحقيقة .

* * *

وهكذا ينـــاقض المفكرون بعضهم بعضا ، ويعلن احدهم أنه اكتشف الحقيقة وهو واهم ، وأنه وصل الى الحق ، وما يتبع الا الظن أو ما تهوى نفسه ، وهكذا فان

المفكرين الذاتيين برغم استخدامهم عقلهم لم يصل احد منهم الى حقيقة واحدة متعلقة بأصول الأشياء او بحقائق الوقائع او المبادىء الأولى . ان محاولات الفلاسفة والمفكرين هى مجرد تخمينات وفروض لم تثبت صحتها كما لم يستطع اى منهم عن طريق القوالب العقلانية التى اصطنعوها كنسيج فكرى ان يصطنع منهجا مقبولا يواكب الحقائق الكونية ، اما هى تخمينات وتخبلات واضغاث أحلام لا تستطيع أن تفيد المتعطش الى المعرفة الا نصبا وتعبا . ولما عجز المفكرون المحدثون عن الوصول الى حقيقة واحدة فيما يتعلق بحقائق الدين تركوا انفسهم للهوى ، وبداوا فى الطعن فى حقيقة الدين الذى انزله الله كهاد للناس واعتبروه معطلا لتقدم العقل البشرى والنشاط العلمى وطعن بعضهم فى السنة المحمدية توطئة للطعن فى أصل الدين وهذا الأسلوب المعاصر قد خطط له الماركسيون والملحدون حيث فشلوا فشلا ذريعا فى اخراج المرء عن ايمانه » .

* * *

الفصـل الثـــانى

الفلسفــــــة الماديــــــة

ان موقف الاسلام من الفلسفة واضح ، فقد جاءت الفلسفة لتفسر الغامض الذى كان يبحث عنه الانسان ، من شئون الغيبيـــات والمصير وعوالم الجن والمعاد وغيرها وكان الفلاسفة يحاولون أن يضعوا تصويرا لهذه الجوانب واجابات لهذه التساؤلات فلما جاء الاسلام ونزل القرآن قدم للبشرية منهجا كاملا لعـــالم الغيب الذى يسمونه (الميتافيزيقا) بحيث لم يعد الانسان معه فى حاجة الى البحث عن ذلك المجهول ، وقد اراد الحق تبارك وتعالى ان قدم للانسان هذا المنهج حتى لا يشغل وقته ولا يضيع جهده فى البحث عن تصورات لن يصل منها الى شىء ، وحتى يدفعه الى السعى فى الأرض وعمرانها وتلك مهمته الحقيقيــــة .

ومن هنا كانت نظرة الاسلام الى الفلسفة القديمة فكلها تصـــورات فلاسفة قائمة على الاحتمال والظـــن والمحاولة والفــــروض التى هى مجال النظرية البشرية التى تخطىء كثيرا . ومن هنا كان من الضرورى أن يؤمن المسلم بأنه لا حاجة له مطلقا بهذه الفلسفات المضطربة بعد أن أمده الله تبارك وتعالى بالمنهج الأصيل .

ولقد وقعت الأزمة الشديدة عندما ترجمت الفلسفة اليونانية وقام بعض المفكرين بالربط بينها وبين مفاهيم الاسلام (ابن سينا والفارابى) واختلطت عليهم الأمـــور وعجزوا عن تقديم ما يوافق التوحيد الخالص وتبين من بعد أنهم كانوا يعملون لحساب حركة الباطنية التى أفرزت ثورتى الزنج والقرامطة والتى كانت تعمل على هدم الدولة الاسلامية وواجه علماء المسلمين هـــذه المحاولة وكشفوا زيفها (ابن حنبل والشافعى والغزالى وابن تيمية) فى المقدمة ، ثم اعيدت المحاولة مرة أخرى فى العصر الحديث على أيدى دعاة التغريب والغزو الثقافى بهدف تزييف مفهوم الاسلام الأصيـــل الناصع القائم على التوحيد الخالص ، وكان لسيطرة النفـــوذ الأجنبى أثره العميق فى فـــرض الفلسفات القـــديمة والمادية على مناهج التعليم وتأثر الشباب المسلم بهـــا ومن هنا كان لابد لحركة اليقظة الاسلامية من وقفـــة ازاء هذا الخطر ، خاصة بعد أن اتسع نطاق الفلسفات ، فشملت الفلسفـــة المـــادية وما وراءها من مذاهب وانحرافات .

والفلسفات الغـــربية القديمة هى المنطلق لظهور الفلسفة المادية الحديثة وهى فى مجموعها تقوم على انكار وجود الله تبارك وتعالى وقد صدرت بمفاهيمها المادية فى مواجهة التحـــديات التى قامت بين العلم والكنيسة فى العصور السابقة والتى أوجدت هذه الخصومة الشديدة فى مواجهة الدين بصفة عامة فهى ترى أن الدين عائق عن التطور وهى تعنى (الدين الغربى) الذى صارعته ولكنها لا تعرف أن الدين فى الاسلام مفهوم مختلف ، وأن الاسلام ليس دينا لاهوتيا قاصرا على العلاقة بين الله والانسان ولكنه دين جامع يمتد الى العـــلاقة بين الانسان والمجتمع وأن الاسلام هو الذى أنشأ المنهج العلمى التجـــريبى فلا صراع بينه وبين العلم أساسا ومن الخطأ البين اننا ندرس الفلسفة فى مدارسنا وخاصة فى التعليم الثانوى فتترك فى نفوس الناشئة بذرة الشك والالحاد حيث يعتقد الشباب المسلم أنه أمام (علم) وليس أمام نظريات وفروض قابلة للخطأ والصواب وأنها فروض وافدة من حضارة أخرى لها ظروفها وتحـــدياتها واذا راجعنا النظريات التى ولدتها الفلسفة الغربية تجدها كلها تقوم على :

١ ـــ النسبية ٢ ـــ المنفعة ٣ ـــ التطور المطلق ٤ ـــ الجنس ٥ ـــ حيوانيـــة الانسان ٦ ـــ دافع المعـــدة ـــ الخ ..

أما الأسس الفلسفية للمذهب المادى فهى تقوم على أن الانسان سيد نفسه ومالك مصيره فهو وحده المسئول عن ان يشرع لنفسه فى السياسة والاقتصاد والاجتمـــاع وسائر نواحى حياته وانه لا موجود الا المادة ، وأن المادة أزلية لم تخلق وأن تفنى وأن كل مافى الوجـــود من أشياء انما تكونت بمحض الصدفة واذن فلا اله ولا ملائكة ولا جن واذن فالأديان كلها باطلة ، واذن فلا بعث ولا نشـــور ولا حساب ولا جـــزاء ، وان كل ما نسميه عقلا أو نفسا أو روحا أو فكرا انما هـــو شكل من أشكال المادة وأن تشكيلات المادة وحركاتها خاضعة لقوانين طبيعية لاتتخلف

وهى فى غـير حاجة الى الايمان بقوة وراء الكون تحفظه وتسره . .

ولا ريب أن هـذا المفهوم كله مضاد تماما لمفهوم الدين الحـق ، ولمفهوم الاسلام ومن هنـا فان جميع النظريات والفروض والاستجابات التى تصـدر عن هذه الفلسفة هى باطلة تمـاما ، وهى فى تقـدير الاسلام اجتهادات قابلةللصواب والخطأ وليست لها صفة الحقائق الثابتة أو العمومية ومن ثم فيجب عدم تطويع الاسلام لأى مذهب فلسفى باسم التحديث .

ولا ريب أن النظريات الثلاث الكبرى التى تقوم على الفلسفة المادية باطلة :

أولا : نظرية هيجل التى تقول ان الحضارة تعيش الآن فى خلاصـة ما كان فى العصور الماضية من عناصر الجد والصلاح وأنه ليس فى العصور الغابرة ما يستحق يلتفت اليه أو يهتدى به ، اذ أن اجزاء الماضى التى لم تنضم الى الحاضر هى اجـزاء مرفوضة نبذها الانسان بعد أن اختبرها ولم يجد فيها غناءه .

وتعنى هذه النظرية اساسا الغاء فكرة الدين .

ثانيـا : نظـرية دارون فى التطـور التى كان من آثارها الفلسفية أن تأصل فى التصور الانسانى للكون أنه مصدر للصراع والنزاع وأن من أراد الحياة والبقاء فعليه بالكفاح والمصارعة فى ضوء هذه النظرية أو أنه لايستحق البقـاء الا من اثبت قوته وكل من يفنى فى هـذا النظام القاسى فانه انما يفنى لأنه ضعيف يستحق الفنـاء وأن القوى على الحق اذا هو أخذ مكان الضعيف بعد أن أزاحه وقضى عليه وهذه النظرية هى نظرية الاستعمـار والسيطرة على الشعوب الفقـيرة الضعيفة وسحقها والاستيلاء على مواردها وهى فلسفة القسوة البالغـة بالانسان الذى رحمتـه الأديان وجعلت له حقا فى مال الغنى وحقا فى العلاج والسكن والكسوة وقد جاء الاسلام حاميا للضعيف حتى قال رسوله صلى الله عليه وسلم : **(الضعيف أمير الركب) .**

ثالثـا : نظرية ماركس فى التفسير المادى للتاريخ وهى التى أتمت حلقات الفلسفة المادية الى الحياة وهى التى تجعل الانسان مازال محاربا منذ بدء أمره لأغراضه الشخصية ومصالحه وأنه ما انقسم الى مختلف الشعوب والقبائل والطبقات الا لأجل ما كان فى نفسه من أثرة وحب لذاته ، وما نشب بين الطبقـات والشعـوب مـن الحـروب والمنازعات الا بسبب هذه الأثرة الذاتية والى هذه المصارعة الطبقية يرجع الفضل فيما رزقه الانسان من تقدم وارتقاء .

وهذا مفهوم زائف وخاطىء فالاسلام لا يقر الصراع الطبقى ولا الصراع الاجتماعى ويقيم مناهج الحياة على أساس التعارف والالتقاء .

ولقد حاولت الفلسفة أن تكون بديلا عن الدين فى تفسير أمور الطبيعة ولكنها عجزت أن تحقق شيئا ، ومن ذلك خطأها فى الادعاء بأن الدين عائق عن التطور ، كذلك من اخطائها انها تعتمد على العلم التجريبى المتغير ، والذى يفسد بسرعة ، وما قال الغرب ان الدين عائق عـن التطور الا لأنه عرف اليهودية والمسيحية فقط ولم يعرف الاسلام ولو عـرفه لما قال ذلك بحق ، ولما كان الغرب لايملك منهجا اجتماعيا متكاملا جامعا بين العقيدة والمجتمع (اذ أن منهجه قائم فى اليهودية لا فى المسيحية) فانه يبحث عن أيدولوجيات . أما المسلمين فانهم لا يحتاجون لذلك .

***

ان الفكر الغربى لا يستطيع أن يقدم أحكاما مجردة صادقة بعيدة عن تحديات العصر والتاريخ وعن الهوى ، فهو حين يتخذ من ردود فعله ضد الكهنوتية قواعد يريد أن يفرضها على المجتمعات فانه لا يقدم رؤيا صحيحة أو سليمة ، والآخـذون بها آثمون لا يعـرفون أبعـاد الأمـور .

ان النظـرية المادية هى رد فعـل الكهنوت . وأن النظرية الماركسية هى رد فعل الراسمالية .

ولذلك كله فنحن فى ضوء الاسلام نستطيع أن نقرر :

أولا : ان هنـاك فرقا واسعا وعميقا بـين العلوم الانسانية والعلوم التجريبية فى مقاييسها .

ثانيا : ان محاولة التوفيق بين العقيـدة الاسلامية والفلسفات هى محاولة فاشلة وقد فشلت فى التجـربة الأولى (العصر العباسى) وانهارت وتصدعت لأنها حاولت الجمع بين متناقضين .

***

الفصل الثالث

علم الكلام

ما الموقف من علم الكلام :

يقول الدكتور محمد كمال جعفر : ان الفكر يكون اسلاميا على الحقيقة اذا انبثق أو استلهم من القرآن والسنة الصحيحة نصا أو روحا ، اصالة أو بالتبعية . وكذلك يكون اسلاميا اذا انطلق من المبادىء العامة الكلية التى تمثل فى الواقع قوانين الفكر الأساسية .

أما الذى وقع فى التاريخ الاسلامى فهو أن وصمات الكفر والالحاد والزندقة التى كانت توجه الى من هم خارج النطاق الاسلامى أطلقت بلا حساب على فئات ومذاهب نشأت فى المحيط الاسلامى .

ومن العقم التركيز على الجوانب التجريدية النظرية المنقطعة فى كثير من الأحيان عن دنيا الواقع وحياة الناس ، فقد احالت الفرق الكلامية الدين الى مجرد مجال نظرى للعقيدة بأبعادها الفكرية دون أن تقدر التجربة الدينية وجوانبها التطبيقية حق قدرها وكانت النتيجة فتح باب الجدل واغلاق باب العمل .

وقد اغتال الاغراق فى الجدل ولجج المخالفة صفاء الايمان وسلامة القصد والنزاهة الفكرية ليحل محلها العناء والتعصب والتجاوز عن القصد .

وقد نشطت عوامل تأريث الصراع الى ابعد حدود النشاط فى كل اتجاه بهدف واحد ، هو تفتيت وحدة هذه الأمة وتشويه عطائها الفكرى وتبديد جهودها واستفراغ طاقاتها فيما ليس فيه عناء حتى أوصدت أبواب الجهاد دون مبرر مفهوم .

ومن هنا تجىء الدعوة الى تجميع نطاق الآفاق الأساسية التى يلتقى عليها الفكر السليم المستفيد من كل ما أتيح له من شواهد الصدق واليقين والنفع العام وهذه الشواهد ترتد فى النهاية الى المصدر الاسلامى الأصيل اما مباشرة أو بطريق غير مباشر .

أما بالنسبة لعلم الكلام فقد ثبتت براعمه واشتدت ساقه لتواجه اعتراضات وشبهات مثارة فى طريق الاسلام وكان يقتضى الاعداد لهذه المواجهة أن يوضع فى الاعتبار فريقان يخاطبهما هذا العلم .

الفريق الأول : هو فريق الشبهات المثارة والاعتراضات الموجهة بغية التشويش والبلبلة من قوم هدفهم الحقيقى لا يرتبط بنشدان الحقيقة ، قدر ما يرتبط بزعزعة الثقة فى العقيدة .

أما الفريق الآخر : فيضم هؤلاء الذين يظن أن يقعوا فريسة لمثل هذه الشبهات من أبناء هذه العقيدة ، ومعنى هذا أن علم الكلام يخاطب من هو خارج الاسلام ويخاطب المسلم الذى يحتاج ثباته ودعم ايمانه الى طمأنة عقله واراحة وجدانه .

واختلاف طبيعة الفريقين يقتضى اختلاف طبيعة المنهج .

ولقد خضع علم الكلام الى الأغراض السياسية المرحلية ونسى فى غمرة الأحداث رسالته الأصلية ، وانقلب سلاحا فتاكا يغتال وحدة الأمة ويذكى نار العداوة بين طوائفها وطبقاتها . وقد تدخلت عناصر غير اسلامية فشجعت هذا التفرق وزادت فى صراع الصراع والحقت فرقا معينة بزمرة المسلمين مع اصطدام الأساس الذى تقوم عليه بمبادىء الاسلام الأولية وقد بذلت جهود لتلمس أصول ونصوص مثبوتة تشير الى تفرق المسلمين الى فرق متعددة .

ولهذا انحرف علم الكلام ليخدم أغراضا ذات

سياسة أيدلوجيـــة لهذا الفريق أو ذاك وبذلك حبس نفسه فى قوقعـــة الطائفية والطبقية فسلب النظـــرة الاسلامية الواسعة والأفق الاسلامى الرحيب .

* * *

وفى البرهنـــة على وجـــود الله (تبـــارك وتعـــالى) وصفـــاته لم يسلـــم علـــم الكلام من الوقوع فريسة لأدلة ما لبثت أن صارت موضع أخـــذ ورد الفـــلاسفة والمفـــكرين لعـــدم متانتهـــا المنطقية وسموها الى مرتبة البرهان لقد نسى علم الكلام النهج القرآنى والأدب الاسلامى تجاه مسألة وجود الله ذلك أن القرآن لم يركز على الاستدلال على وجـــود الله وانما فصل القـــول فى صفاته وأفعاله وعلاقته بالكون وبالانسان وليس هذا هو المجال الحقيقى الذى يقيـــد الانسان .

ويرى الدكتور محمد كمال جعفر خطأ فكرة دراسة علم الكلام بدرس الفـــرق الكلامية واختلافاتها ، اذ ما الفائدة التى نحصل عليها عندما تعرف أن الخوارج قالوا كذا والأشاعرة قالوا كذا .

ويقول « أنا أمثل جيلا أتيحت له فرصة الاطلاع على التراث ولذلك رسمت منهج التوحيد بين الفـــرق الاسلامية أولا أن نبحث عن أصول اتفاق بين فرقتـــين مختلفتين وتبرزها ثم ننظر الى أوجه الخلاف فقد تكون أسباب الخـــلاف تاريخية لم يعد لها وجود الآن ، أو غرضية ، وقد يكون أسباب الاختلاف فى اللفظ .

ان أهـــل السنة يقولون : ان الله يرى بلا كيفية والمعتزلة يقـــولون ان الله لا يجد ولا يحصر ، وهو نفس المعنى ، اذن اللغة هى التى تختلف والهدف واحد .

* * *

الفصل الرابع

المنطق اليوناني

يقول الأستاذ محمد رشاد خليل :

قال الامام الشافعى : ما جهل الناس واختلفوا الا بتركهم لسان العرب وميلهم الى لسان أرسطوطاليس ، وأشار الشافعى بذلك الى ما حدث زمن المأمون من القول بخلق القرآن ونفى الرؤية وغير ذلك من البدع وأن سببها الجهل بالعربية .

قال السيوطى : والجامع لجميع ذلك قوله : لسان العرب الجارى عليه نصوص القرآن والسنة وتخريج ما ورد فيها على لسان يونان ومنطق أرسطو الذى هو فى حيز ولسان العرب فى حيز ، ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة الا على مصطلح العرب ومذاهبهم فى المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان ولكل قوم لغة واصطلاح ولقد كان موقف الذين أرادوا أن يجعلوا من المنطق اليونانى اساسا لمنهج البحث فى الاسلام هو بداية التصدع لأركان الثقافة العربية الاسلامية الشامخة ، فقد اعتمد المتأخرون على المنطق اليونانى اعتمادا كليا حتى جعلوه أساسا فى مباحث الدراسات الأصولية والفقهية وقد عمت الأزمة حين اتخذ النحويون واللغويون هذا المنطق أساسا للدراسات النحوية واللغوية .

وقد ادرك علماء السلف خطر المنطق اليونانى على العربية والاسلام ورأو فيه منطقا خاصا بلغة قوم هم اليونان ، وهو يستمد مصطلحاته وتصوراته من هذه التى تختلف اختلافا بينا عن اللغة العربية التى لها منطقها الخاص ، والتى بها نزل القرآن وجاء الاسلام على أساس من مصطلحاتها لذلك رفضه جمهور علماء المسلمين وهاجموه .

***

يقول ابن تيمية : ان المنطق ميزان العقلية ومراعاته تعصم الذهن عن أن يغلط فى فكره وليس الأمر كذلك فان العلوم العقلية تعلم بما فطر الله عليه بنى آدم من أسباب الادراك ولا يقف على ميزان وضعى لشخص معين ، ولا تقليد فى العقليات — وجماهير العقلاء فى جميع الأمم يعرفون الحقائق من غير تعلم منهج لوضع أرسطو وهم اذا تدبروا أنفسهم وجدوا أنفسهم تعلم حقائق الأشياء بدون هذه الضمانة الوضعية ثم ان هذه الصناعة زعموا انها تفيد فى تعريف حقائق الأشياء ولا تعرف الا بها وكلا هذين غلط .

ولسنا هنا فى مجال استعراض النكبة التى حلت بالعرب والاسلام بسبب المنطق اليونانى .

***

الفصل الخامس

الاشتقاق

يقول الأستاذ محمد رشاد خليل :

الاشتقاق فى العربية هو اشتقاق شديد المرونة بحيث لا يمكن حصره فى أصل واحد او ضبطه فى قاعدة . فما الذى تعنيه مرونة الاشتقاق فى اللغة العربية من الوجهة الحضارية .

اللغات فى أصلها تعليما من الله تبارك وتعالى قال تعالى : **(وعلم آدم الأسماء كلها)** وقال : **(خلق الانسان علمه البيان)** أما نمو اللغات وتشعبها وازدهارها وتقدمها أو ضمورها وانزواؤها وبمعنى آخر حياتها وموتها انما هو رهن بأصحابها وعقولهم وظروفهم .

وتقسيم الشعوب الى بدائية وحضارية مرفوض ، لأنه يقوم على أصل باطل ، وهو القول بالتطور بالمفهوم الالحادى الحديث ، والذى يذهب الى أن الانسان مجرد تطور للمادة الحية بمقتضى قوانين ذاتية تترقى بمقتضاها المادة من حال الى حال بصورة تلقائية خالصة لا تخضع فيها لاله خالق مدبر .

وينكر هذا المفهوم الخبر الصادق عن رب العالمين والذى تقرر فى صورة قاطعة ان آدم عليه السلام هو أبو البشر خلقه الله تبارك وتعالى بيديه ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء وهداه الى الحق .

ان المزية اللغوية فى الاشتقاق وغيره من خصائص العربية الباقية هى شاهد لا يكذب على عظمة العقلية العربية الاسلامية واتساعها ورقيها وابداعها ، وهى فى نفس الوقت شاهد على أن هذه العقلية قد قطعت قبل الاسلام شوطا طويلا فى الترقى والتقدم عبر الممارسة والدربة المران الى أن اكتملت هذه الحضارة ونمت معها هذه القدرات والملكات .

* * *

الفصل السادس

العقلانية

العقلانية نزعة غربية الطابع مستمدة من الاعتماد على العقل وبراهينه ومعطياته واتخاذه مصدرا وحيدا للمعرفة وهو مفهوم لا يقبله الاسلام الذى يقرر أن هنالك مصادر عدة للمعرفة منها العقل ولكنه ليس المصدر الوحيد فالعقل هو مناط التكليف فى الاسلام ولكنه يتحرك لائما تحت ضوء الوحى ونور الفطرة ، ذلك أن الاسلام يؤمن بالنظرة الجامعة التى توازن وتوائم وتمزج بين الروح والمادة والعقل والوجدان .

ولكن هناك من يحاول اليوم أن يتحدث عن (العقلانية الاسلامية ويقررها وحدها بالاعتبار ، وهذه هى معاودة لتجربة قديمة مر بها المسلمون بعد ترجمة الفلسفة اليونانية وهى تجربة المعتزلة الذين اعتبروا العقل مصدرا للمعرفة وأعلوه على الوحى (النقل) ودعوا الى أنه فى حالة الخلاف بين العقل والنقل أن يخضع النقل للعقل .

ومن هنا ظهرت فكرة التأويل وهى فكرة لها حدودها التى يجب أن لا تخرج بها عن النص القطعى . وقد كانت هذه احدى المحاذير التى وقع فيها الفلاسفة .

ولقد حاول البعض (أمثال احمد أمين وغيره) الادعاء بأن سقوط الاعتزال كان عاملا من عوامل تأخر المسلمين والحقيقة أن سقوط الاعتزال بعد استعلائه وادعائه أنه هو المنطلق الوحيد للمعرفة الاسلامية كان طبيعيا (وهو نفس الموقف بالنسبة للقائلين باتخاذ الحدس سبيلا واحدا للمعرفة) وهو الذين يعتمدون على الوجدان وحده .

والقرآن الكريم ليس معجزة عقلية فحسب ولكنه معجزة متعددة الجوانب فى فنون المعرفة وأساليب مخاطبة الانسان من ناحية فكره ووجدانه ومن ناحية التاريخ والحكمة والمعجزة والغيبيات .

فلا تناقض فى أسلوب المعرفة الاسلامى بين النقل والعقل اذ ان النقل فى حقيقته هو (القرآن والسنة) وهما مصدران ربانيان (وان كان أحدهما بكلام النبى) لا يتصل بهما الزيف وهذا يختلف عن موقف المسيحية من اللاهوت القديم الذى هو من صنع البشر .

وهذا المفهوم وحده الجامع بين النقل والعقل هو الذى أعطى المسلمين — دون غيرهم من الأمم — القدرة على تقديم منهج التجريب الاسلامى ومناهج المعرفة وسنن الحضارات والأمم .

وهى حين أخذت من تراث اليونان أو غيرهم انما أخذت بعد ما غربلت وصححت ولم تخالف مفهوم التوحيد فى هذا النقل ، وليس هنا ما يجعلنا ننسى مؤامرة الترجمة وأخطارها والمسئولية التى تقع على المأمون ورجال اللاهوت الذين استقدمهم والذين خلطوا بين دينهم وبين تراث اليونان كما خلطوا بين فكر أفلاطون وارسطو ولسنا ننسى مسئولية المأمون فى قضية خلق القرآن ومما فتح الباب واسعا أمام الزندقة والشعوبية والفكر الباطنى والالحاد ولقد استعمل العلماء المسلمون ملكة العقل أعظم استعمال دون ان يفرطوا فى الأصول الأساسية للوحى التى قام عليها الدين الخاتم ، ولو أن المسلمين كانوا عقلانيين فحسب لما استطاعوا بناء هذه النهضة الضخمة فى مجال العلم والحضارة وانما الذى مكنهم من ذلك هو انهم أداروا التجريب والعلم فى دائرة الأخلاق والايمان بالله والمسلمون مع ايمانهم بقدرة العقل على التمييز والبرهنة والاستنباط لم يقولوا أبدا بكلمة (سلطان العقل) الوافدة المضللة التى جاءت من الفكر المادى ويحاول استعمالها بعض التغريبيين اليوم .

وليس صحيحا ما يدعيه البعض من أن السهام توجه الى ملكة العقل وتتم التشكيك فى قدراته ما يسمى (النصوص والمأثورات) ، بل أننا نتساءل لماذا يوصف النص القرآنى والسنة المطهرة بأنها نصوص ومأثورات وقد جهلوا أننا لا يمكن أن تعطى للمنهج العقلى أكثر مما يستحق ، أو نعليه على مكانه الطبيعى فى منظومة الفكر الاسلامى الجامع ، أو أن تجعل له من المكانة ما يتجاوز

به النص القرآنى والسنة المطهرة وهى التى تحمل قوانين الاسلام الأصيلة وضوابطه وأصوله الربانية وثوابته المنـــــزلة .

كذلك فان موقف الاســـلام من العقل هو موقفه من الوجدان تماما فهما نافذتان للمعرفة يتكاملان فى المسلم ولا يتعارضان ولا يذهب أحدهما بمكانة الآخر وليس الاسلام دينا كما يدعى بعض الذين كتبوا عن العقلانية (عبارة الاسلام الدين) فان الاسلام دين بمفهوم الدين الحق وليس بمفهوم اللاهوت الغربى وهـــو دين بمعنى الجمع بين العلاقة بين الانسان والله تبارك وتعالى من ناحية وبينه وبين المجتمع من ناحية أخرى وكلاهما يكمل الآن ولا يعارضه ونحن بهـــذا لا نؤمن بأن العقل وحده يملك القدرة على ادراك الحقائق .

وفى نفس الوقت لا نراه الا مرتبطا بالقلب (ولهـــم قلوب لا يعقلون بها) فليس هنـــاك فاصل بين العقل والقلب ولكن هناك ترابط وتكامل .

ومن هنا فنحن نرفض كل محاولة للقول بأن العقل يناقص النقل أو أن النقـــل يخضع للعقل ، أو أن هـــذا النقل هو مجموعة مأثورات ونصوص ، اذ كيف يمكن ان يوصف الوحى بذلك وكيف يمكن أن يوصف القرآن بأنه مأثورات أو توصف السنة النبوية بأنها نصوص .

ان هذا القول لا يصدر الا من عقلية مادية علمانية لا تعرف تكامل الاسلام مهما تحدثت باسمه ، ولن يكون فى الاسلام تزامل بين الشريعة والفلسفة ، بل لابد أن تخضع كل معطيات الفكر الاسلامى للمنهج الربانى الذى هـــو الشريعة المنزلة ، التى هى لب رسالة الاسلام الى النبى الخـــــاتم .

وليس من مفهوم الاسلام الأصيل قبول التأويل لحل لما يدعى من تناقض من النصوص التى هى الوحى وبين براهين العقل . وان كل دعاوى حل هذا التناقض بين العقل والكتاب باطلة ويجب أن يخضـــع العقل للوحى تماما ولن يكون هناك تناقض بالنسبة للوحى وانما هناك قصور ربما بالنسبة للعقل .

واذا كان الشيخ محمد عبده قد دعا الى ذلك بتأثرا بالله رشد وغيره فتلك نظرة مرحلية اضطر اليها الشيخ ولكن ليست فى الحقيقة ما هو مقبول فى عصر القرآن ، فقد كانت تلك الفكرة أشبه بمرحلة المعتزلة بأخطـــائها ومحاسنهاولا يمكن اعتبارهاقانونا نافذا على كل العصور بل كانت من الضرورات التى لجأ اليها الشيخ محمد عبده للخروج من الدرج والحصار الذى كان يسيطر به المذهب المادى على الفكر البشرى اذ ذاك أما الآن فان الفـــكر الاسلامى قد انتقل من خلال نضال حركة اليقظة الى المرحلة القـــرآنية التى لم يعـــد لديها ما تعتذر به عن الأوضاع التى عـــرفها محمد عبده وفريد وجدى واقبـــال والعقـــــاد .

لقد جاءت مرحلة الأصالة والطابع القرآنى الخالص التى صحح الفكر مما كتب عن الســـيرة وعن الفـــكر الاسلامى .

ولقداستطاعتهذه المرحلة أن تكشف أخطاء عنعلم الكلام الذى كان مؤسسا على براهين العقل ، وأخطـــاء المعتزلة ، التى جرت فى هذا الطريق شوطا وهذه مرحلة لن تعود ولا يحتج بها ، والدعاة اليها مخربون يرعنون فى احياء الفرق القديمة البائدة والخلافات التى كانت مثارة فى عصر ترجمة الفكر اليـــونانى وهى مرحلـــة مضت وانتهت .

وبالجملة فنحـــن نتحـرك مـــن خـــــلال مفهـــــوم الاســــلام الجـــامع وغـــير اللاهوت فى المسيحية الأوربيـــة التى تقوم على القلب والايمان وليس مثل المعتزلة وعلم الكلام الذى يقوم على العقلانية وانما نحن نؤمن بمفهوم جامع متكامل . واذا قيل أن القـــرآن معجزة عقلية ، نقول نعم ، هو معجزة عقلية ووجدانية تاريخية وعلمية الخ . .

وليس كون العقل مناط التكليف مما يحمل على الدعـــوة الى قداسته ونحن لا نغض من قـــدر التحـــول الذى حدث على يد جمـــال الدين ومحمد عبده يتحرر الفكر الاسلامى من الجبرية الصوفية ولكننا نحب أن ينتقل ذلك الى المرحلة الجـــديدة التى تجاوزت بعض محاولات هذه المرحلة هذه المرحلة الجديدة هى المرحلة القرتنة فى الفكر الاسلامى .

الفصل السابع

العصرية

هناك دعوة مضللة تتحدث دائما عن روح العصر والاستسلام له ، وعلى الانسان أن يجعل نفسه جزءا من عصره ، وقد غاب عن الدعاة الى هذا المذهب ان روح الأمة أعظم من روح العصر وأن روح العصر هى طائفة من التقاليد اعتنقها الناس فى عصر معين دون البحث عما اذا كانت صالحة ام فاسدة ، وهل هى نافعة أم ضارة ؟.

والاسلام يقر مبدأ العصرية ولكنه لا يقر الاستسلام لروح العصر اذا كان ذلك من شأنه أن يتجاوز القيم الأساسية له ذلك أن هناك قيما أساسية لايمكن تجاوزها وأن هناك حدود وضوابط يجب أن يتحرك المسلم فى دائرتها وأن لا يضحى بها فى سبيل الحصول على أى قدر من التقدم المادى .

وأن هذا التحفظ على روح العصر لا يحول مطلقا دون قدرة المسلم على التقدم والتطور والتغيير ومجاراة تحولات العصر والمجتمع وأن الاسلام له من قواه المدخورة ما يمكن المسلمين من الخروج من الأزمة دائما ومن الاستجابة التقدم الجامع بين شطرين المادى والروحى .

ومن شأن الاسلام ان لا يخضع لانحراف المجتمعات ولكنه قادر على ردها الى طريقها الأصيل الطبيعى ،

ونحن الآن نمر بمرحلة خطيرة فى حياة المجتمعات والحضارات وهى مرحلة الانحراف الخطير الذى وقعت فيه الحضارة الحديثة فى تحولها المادى وغياب عنصرها الدينى والاخلاقى وانحرافها عن طريق الله الى طريق الاستعلاء بالعرق والفساد الخلقى .

ومن هنا فان الاسلام لا يقر قبول فكرة الاستسلام (لروح العصر) لأنها تعنى الاندفاع فى الطريق الخطأ .

لقد انحرف هذا العصر عن طريق الأخلاق والدين والعلم الى طريق الفلسفة المادية ، والانحرافات سواء فى المذهب الراسمالى الليبرالى أو الماركسى الاشتراكى ووصلت البشرية من خلال هذين المذهبين الى صراع رهيب ولم يتحقق لها أملها فى بناء المجتمع الرشيد ، وهى الآن تتطلع الى مذهب جديد ، وليس غير الاسلام .

ان روح العصر تدخل فى باب المتغيرات ولكن روح الأمة تدخل فى باب الثوابت ولابد أن تخضع المتغيرات للثوابت وأحيانا تكون روح العصر مجموعة من الأهواء والاندفاعات يختلط فيها الصحيح بالخطأ ، الاستجابة لا تكون للعصر وانما للحق ، للمنهج ، لمنهج الله تبارك وتعالى . والاسلام قادر على الاستجابة للعصر ، وقادر على استيعاب المتغيرات دون أن يخرج عن قيمه الأساسية وقواعده الصحيحة . والاسلام يقر التقدم ولكنه يجريه فى قنوات ثابتة محكمة .

كما أن الاسلام أعطانا القدرة على مواجهة الأحداث متى كانت متعارضة مع منهج الله فليس علينا أن نستسلم للأوضاع المنحرفة تحت اسم التبرير أو قبول الواقع أو التأويل أو الرخص ودعاة التبرير هؤلاء أعداء التقدم الحقيقى والايمان بالمنهج الحق والاسلام لا يقر دعاة اللا منتمى .

واذا خرج الاسلام من ضوابطه وثوابته فقد انتهت فاعليته ويجب أن نقدر تماما أن الاسلام ليس شأنه شأن المذاهب والأيدلوجيات البشرية ، فهو منهج اجتماعى عمرانى شامل يتجاوز كل الفلسفات التى ابتكرتها العقول البشرية قبله وبعده ، ومن باب أولى كل الأديان السابقة له والتى احتواها كمرحلة نحو وحدته وتكامله .

ومن ثم فهو لا يقبل الخضوع لانحراف المجتمعات نحو الاباحة وانحراف الحضارات نحو المادة .

وكل دعوة فى العصرية يجب أن تكون ذات أصالة

بارتباطها بالمنهج والتاريخ وتنقية الفكرة من الانحرافات التى تضعها الفلسفات فى طريقها لتعود الى المنابع أولا ولتستمد اصالتها من الرشد الفكرى ، ولقد كانت دعـــوة العصرية التى قامت بها المدرسة العلمانية منذ أوائل القرن الميلادى دعوة منحرفة مضللة ، حاولت احتواء الفكر الاسلامى وتغريبه قبل أن تجىء حركة اليقظة الاسلامية لتصحيح الطريق .

لقد ذهبت الدعوة العصرية الى آخر الشـــوط فى فرض نفوذها فهدمت الخلافة وحطمت الوحدة الاسلامية وحجبت الشريعة الاسلامية وفرضت النظام السياسى الغـــربى والمنهج الربوى الاقتصـــادى والمنهج العلمانى التعليمى ومع ذلك فان حركة اليقظة الاسلامية كانت قادرة على أن تكشف زيف ذلك كله لا يقر الاسلام فلسفة اللحظة ولا الفردية المفرقة ولا الجماعية التى تأكل الأفراد ولا يقبـــل انحراف الفنون والآداب ولا وسائل الكسب الحرام أو الاندفاع نحو أهواء الجنس والجـــريمة واذا انحرف المجتمع فالاسلام يدعوه مجددا الى العودة الى الله .

* * *

الفصل الثامن

السلفيــــــة

حاول التغريب والغزو الثقافى ان يصف مصطلح السلفية بأنه مصطلح قديم أو رجعى او متأخر ، بينما هو فى حقيقته مصطلح التجديد والعودة بالاسلام الى المنابع ، والتماس الأصول الصحيحة للاســـلام وتحطيما للتقليد والتبعية ، وحمـــاية الفكر من أساليب الغــزو الفكرى والحضارى ، فقد كان السلفيون فى كل عصر من عصور الاسلام هم مجددوه ، والذين دفعوا عنه تحريف الغالين وردوا عنـــه كيد الفلسفات الوثنية المترجمة والنظريات الوافدة وكانوا طليعة المواجهة للاستعمار والنفوذ الأجنبى السياسى والاجتماعى .

فكيف يجىء اليوم من يدعى هزيمة السلفية فى معركة التغريب بدعوى أن تيار التجديد قد جعـــل تيار السلفية متخلفا والحقيقة أن تيار التجديد هو الذى انحرف عن الطريق الصحيح بعـــد أن احتواه التغريب وأخرجه من الأصول الحقيقية والأسس الصحيحة لمفهوم الاسلام وكانت دعوى التغريبين أرنولدتوينبى بأنهم تلاميذ جمال الدين ومحمد عبده دعوى باطلة ، اذ أنهم أوغلوا فى التغريب ولم يستطيعوا الصمود فى ميـــدان الأصالة ولقد كان التيار السلفى مقدمة للتيــار القرآنى فقد حرر العقيدة ومهد النفس المسلمة للنفهم الصحيح للاسلام دينا ونظام مجتمع ويقرر أرنولدتوينبى كما يستشهد الدكتور مصطفى حلمى بأن الحضارة الاســـلامية لم تمت عضـــويا كما ماتت الحضارة الاغريقية ويرجع الفضل فى بقائها الى نقـــــاء العقيدة وقد ظل دور السلفيين باقيا فى احياء عقيـــدة التوحيد وفهم الأوائل للاســـلام لأن الاسلام — كما يقول توينبى وقد أعاد توكيد وحـــدانية الله فى مقابل الضعف البادى فى تمسك المسيحية بهذه الحقيقة الجـــوهرية وقد استمرت السلفية المحافظة على التوحيد فى جوهره النقى فمنعت تردى العقيدة الدينية الى صورة من صور الوثنيــــة .

وعندنا ان حركة اليقظة الاسلامية التى دعت الى أن الاسلام دين ودولة قامت على أساس القاعـــدة التى رسمتها الحركة السلفية ، والتركيز الأساسى الذى بذلته فى المحافظة على طريقـــة (الاتباع لا التقليد) ودعمت مقوماتها الراسخة الجامعة بين اخلاص التوحيد لله تعالى وحـــده والايمان بالوحى طريقا لمعرفة عالم الغيب مع استسلام الانسان فى شئون معاشه لما أمر به الله بواسطة خاتم الرسل وتحرير العقول من الوثنيات وأصر الشرك ليتفرغ فيما يعود على الانسان بالنفع فى ميادين العلوم ووسيلتها النظر والتجربة مع ثبات الفضائل الأخلاقية والقيم الانسانية .

وقد صور الدكتور مصطفى حلمى الخطوات التى حققتها الحركة السلفية :

أولا : وقفوا بصـــلابة أمام محاولات التجزئة والبتر والتأويلات الكلامية والتخريجات الفلسفية والتفسيرات الرمزية الباطنية .

ثانيا : وقفوا بالمرصاد مبينين الانحرافات عــــن الأصول الاسلامية والاعتماد على الأصلين الأساسيين : الكتاب والسنـــة .

ثالثا : حاربوا نزعة الجبرية التى ساهمت فى ركود الهمم واضعاف الارادة الانسانية وتغليب سلبيتها على جانبها الايجابى النشيط .

رابعا : المحافظة على الاسلام فى مصادره وعقيدته وعباداته ومعاملاته وأنظمته وفقا لطريقة السلف .

ويقـــول : لقد حاول الاستشراق افساد مفهوم السلفية المشرق الأصيـــل وقال بعضهم : أنه ارتداد عن محاكاة الشخصيات المبـــدعة المعاصرة الى محاكاة أسلاف القبيلة ، ويعتقد بعض المستشرقين أن الحركة

السلفية الاسلامية هى شبيهة بالحركة الانجيلية الكاثوليكية والاصلاح الدينى خلال القرن السادس عشر بأنها استعادة استخدام طقوس كانت شائعة خلال القرون الوسطى ثم هجرت والغيت اربعمائة سنة .

وهذه المقارنة باطلة تماما فان العودة الى المنابع الاسلامية تختلف تماما عن عودة الكنيسة الى طقوس قديمة تجاوزتها الأيام إذ أنها فى الحقيقة عودة الى الأصول الحقة المنزلة .

ذلك أن الاسلام له أصوله الثابتة التى يجب العودة اليها كلما انحرفت السبل بالمسلمين ودخلت الى العقائد والنحل أخلاط فاسدة من العادات والوثنيات فالسلفية طريقةموضوعية ذات أسس علمية منهجية تعتمدالنصوص الشرعية الموثقة ، وتلتمس الثوابت الأساسية : كفطرة التوحيد ومخاطبة العقول البشرية للبرهنة على النبوات بعامة ونبوءة محمد صلى الله عليه وسلم بخاصة والرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى فى كل ما انحرفوا به عن الشرع المنزل مع دحض شبهات الملحدين والمشركين ، هذا فضلا عن ثبات الفضائل الأخلاقية وقواعد التحليل والتحريم فى المأكل والمشرب وتنظيم العلاقات الاجتماعية فى الأسرة والمجتمع . واقامة العلاقات الدولية مع سائر الأمم وفقا لأصول الشرع .

* * *

ويقول [illegible] مصطفى حلمى : ان السلفيين ظهروا الهجوم [illegible] عندما نقل الفكر الغربى اليونانى واللاتينى [illegible] أخذوا فى دراسته وتحقيقه ومناقشته ورد اباطيله ، ثم قيس ذلك بمقياس العلم الاسلامى فما وافقه قبله المسلمون وما خالفه رفضوه ، وكان الرفض من علماء السلف محافظة على شخصية الأمة واصلها ، وقد حارب السلف قائما مستعمرا وحاكما مستبدا فرض علينا لغته وفلسفته وتشريعاته ونظمه فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

وقد أخذ المستشرقون تقليب صفحات تاريخنا لاستخراج كل ما يسيء الى الاسلام فاعلوا شأن الفرق المنشقة كالخوارج والشيعة والمعتزلة والصوفية المنحرفين والفلاسفة ، وأحياء وتجنيد ومدح نحل ومذاهب مختلفة اما بأسمائها المعروفة بها كالاسماعيلية أو الباطنية أو تحت أسماء جديدة كالبهائية والقاديانية ، وبعث الالحاد من جديد تحت ستار العلمانية والماركسية والدوران مع نشر فكرة وحدة الأديان أو التقريب بينها وازالة الحواجز بين الحق بصورته الوحيدة والباطل بصوره المتعددة المتضاربة .

ومن هنا فان السلفية هى الحركة الكبرى التى جددت الدعوة الاسلامية ولولاها لهان على الغرب ان يستعيد الشرق روحيا وفكريا الى ابعد حد ومن هنا تعرف أن السلفية التى أحياها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت الحلقة الأولى والأساس المدعم لحركة اليقظة الاسلامية اذ جاء بعدها مرحلة الجهاد (السنوسى والمهدى وأحمد بن عرفان وشامل وعبد الكريم وعبد القادر الجزايرى) ثم مرحلة العقلانية والتحرر من الجبريةالصوفية (جمال الدين ومحمد عبده) ثم جاء حسن البنا بحمل لواء (القرآنية الجامعة) التى ربطت الحلقات الأربعة فى عقد واحد (السلفية والجهاد والعقلانية والتربية) .

* * *

الفصـل التـــاسع

العلمــــــانيـة

العلمانية قضية غـــير اسلامية ، ولكنها أدخلت الى المجتمع الاسلامى فى اطار عمليـــة التغريب والغزو الثقافى ، وهى قضية غير اسلامية لأنها تدعو الى فصل الدين عن الدولة من منطلق تاريخى حيث عجزت المسيحية الغربية عن الملائمة مع متغيرات المجتمعات والاستجابة للتحول الذى وقع بعد خروج المجتمع الغربى من جبرية الرهبانية ويبدو هذا الموقف فى مظاهر ثلاثة :

أولا : النظرة الروحية الخالصة التى يقوم عليهـــا الفكر المسيحى والتى ترتبط بالرهبانيـــة والعزوف عن الحياة الدنيا واحتقار المادة .

ثانيا : الادعاء بأن ما جاء فى الكتاب المقدس معصوم من الخطأ وأن ما يقوله آباء الكنيسة مقدس لا ينقض .

ثالثا : الخصومة مع العلم وعدم قبول معطياته ، وقيام الحكومة الثيوقراطية التى يسيطر عليها رجال الـــدين (١) .

ذلك أن أوربا بعـــد أن [illegible] من قيد الرهبانية وفى ضـــوء حقائق العلم التجريبى الذى وضـــع منهجه المسلمون تغـــيرت مفاهيم كثيرة وبدأت المواجهة بين العلمـــــاء التجريبيـــون ورجــــال الكنيســـة وقامت الكنيسة باضطهاد رجال العلم ومن ثم أقصى رجال العلم رجال الدين جملة ودخلوا فى مفاهيم جديدة لاقامة مايسمى دين الانسانية وغـــيرها قائما على الفصـــل بين الدين والسياسة .

أما فى الاسلام فان الأمر يختلف حيث لايوجد تناقض بين القرآن وبين العلم من ناحية وليس هناك عالم دين له قداسة خاصة ، وليس هناك حكومة رجال دين ، كما أن الاسلام لا يقر العزوف عن الحياة بل يدعو الى السعى فى الأرض والعمل والكسب ولا يحتقر المادة وينكر الرهبانية واعتزال الحياة .

ولقد حاولت قوى النفوذ الأجنبى عزل الاسلام عن المجتمع حين فرضت نظاما سياسيا غربيا وقانونا وضعيا واقتصادا ربويا ومنهجا تعليميا مفرغا من الدين وحاولت أن تصور الاسلام على أنه دين لاهوتى قاصر على العلاقة بين الله والانسان وقائم على العبادات والأخلاق ومن هنا فان العلمانية ليس لها مكان فى عالم الاسلام فقد أخذت أوربا بالعلمانية فى مواجهة جمود المسيحية وانحرافها ، ذلك ان المسيحية التى عبـــرت الى الغرب هى مسيحية بولس وليست المسيحية الأصلية .

ولقد كانت تجربة تركيا العلمانية هى أولى التجارب فى هذا المجال وقد واجهت معارضة وفشلا لأحد لهما ، وكانت ترمى الى فصل الاسلام عن الدولة من أجل :

١ ـــ الغاء الخلافة .

٢ ـــ تمزيق الوحـــدة الاســـلامية الى قوميـــات واقليميات .

٣ ـــ التمهيد لسيطرة الصهيونية على فلسطين .

ولا شك ان دعوة الغرب الى العلمانية كانت تهدف اساسا الى تمكين الغـــرب من السيطرة الاقتصـــادية والاستغلال الاقتصادى لأنه يفسح الطريق أمام السرقة والرشوة مع تعطل الحدود .

ومن هنـــا فقد تكاثفت القـــوى الثلاث الزاحفة للسيطرة على الاسلام على تأريث (العلمانية) والدعوة اليها (الغرب والصهيونية والشيوعية) لأنها فى النهاية تنتزع النظام الاسلامى وتحول دون تطبيق شريعة الله .

ويحمل الاتجاه العلمانى فى طياته : الفلسفة المادية والتفسير المـــادى للتاريخ ، والنظام الربوى ، نظـــــام الرأسمالية والليبرالية والديمقراطية بكل فساده وقدرته

على سيطرة طبقة أوليــاء النفوذ الأجنبى على البلاد من اجل تمكين الراسمالية الربوية من استنزاف ثروات الأمة الاسلامية وتركز الفكرة العلمانية على الغاء الاسلام السياسى (الاسلام دين ودولة ونظام مجتمع) وتعمل على تأريث القــومية والوطنية والاقليمية بما يدعــم الانفصال بين أعضاء الكيان الاسلامى الواحد .

ومن هنا فان كل محاولات دعاة العلمانية انما ترمى الى تدعيم مقولة باطلة : هى أن الاسلام دين روحى وليس دينا ودولة على النحــو الذى نقله الشيخ على عبد الرازق فى كتابه (الاسلام واصول الحكم) من اصل للمستشرق اليهودى مرجليوث . بينما لم يوجد فى بنيــة الاسلام أى صراع من الصراعات التى فرضت العلمانية فى أوربا أو كانت رد فعل لها ومن هنا تفرض العلمانية نفسها على الفلسفة فتروج لآراء دارون وفرويد وماركس وتعمل على كتابة التاريخ من وجهة نظر علمانية . كما عملت القوى المسيطرة على معاملة المجتمعات الاسلامية على أنها مجتمعات غربية نصرانية لا مناصرة لها من فصل الدين عن الدولة واقامة سائر الهياكل الثقافيــة على أسس لادينية علمانية تقضى على أخلاق الاسلام ووجهة نظرة فى السياسة والعلم والتعليم والاعلام .

يقول الأستاذ طارق البشرى : لقد سعت العلمانية فى اطروحاتها الحديثة التى تقول لنا أن تصاعد المد الاسلامى مؤخرا ليس الا رد فعل لهزيمة الواقع فقط . ولكن ما أراه الآن أن حركات التحرر الوطنى فى بلادنا على مدى القــرن ١٩ كان يندمج فيها العنصر الاسلامى مع العنصر الوطنى . وتجــارب المهــدية والوهــــــابية والسنوسية وعبد القادر الجزائرى وجمال الدين الأفغانى والحزب الوطنى فى مصر قبل الحرب الأولى كلها خير دليل على ذلك .

ويقرر الأستاذ محمود عارف أن الذين يثيرون قضية العلمانية أو فصل الدين عن الدولة تأتى دعواهم لأحد أسباب ثلاثة :

١ ــ أما نتيجة عدم فهم لعظمة مبادىء الاسلام .

٢ ــ أو نتيجة للرغبة فى معارضة تطبيق الشريعة الاسلامية دون شجاعة المجاهرة بذلك .

٣ ــ أو المعارضة فى كون الاسلام صالحا لكل زمان ومكان .

الفصـل العـاشــر

الإعــــــــلام

ان اخطر ما يواجه الأمة الاسلامية فى مجال الاعلام تلك المعطيات الوافـــدة التى لا تتفق مع عقيـــدتنا وقيمنا واخلاقنا واسلوب عيشنا فان الغرب الذى يحارب عالم الاسلام حـــربا خفية ومعلنة ، يهدف من بضاعته التى يصدرها تخريب النفس المسلمة والعقل المسلم وهذا ما نجده فى المسلسلات والبرامج الغربية ، حيث توجد مؤسسات متخصصة فى انتاج الفاسد من البرامج المكتوبة والمصورة والمسموعة ، وكلها مؤسسات تحقق ارباحا طائلة . وقوام هذه المخططات التى ترسمها دول متقدمة وتحرص على تنفيذها بمكر ومهــــارة بغية تفريغ عقول الناس فى اقطـــار العالم الثالث من محتواها ما تقدمه وكالات الأنباء الكبرى التى ما فتئت تسعى الى احتـــكار موارد الخبر ومساريه لتصوغه على هواها ثم تذيعه فى جهات العالم الأربع مصوغا باللون الذى تريده .

ان فى العالم قوى عاملة على تخريب الأخلاق وافساد الذمم وتقريب الأمم والفجور الى نفوس العامة والخاصة فى جميع أركان الدنيا بدافعا لحقد والكره ، هذا الصنف له دستور مكتوب يسمى (بروتوكولات صهيون) والذين يعملون على تنفيذه هم الذين يملكون معظم مؤسسات الاعلام المبثوثة فى اقطار الأرض وهم يعملون تحت ستار قوانين الحـــريات العامة وحقوق الانسان وديمقراطيــــة الشعوب ، وهم يستخدمون وسائل الاعلام استخداما يتعارض مع قيم ديننا ومع قواعد الأخلاق والمروءة .

وقد وضعت الشريعة الاسلامية للاعلام قواعـــد واسسا ثابتة وفيها حلت ما أحلته وحرمت ما حرمته .

(قل انما حـــرم ربى الفواحش ما ظهـــر منهـــا وما بطن) .

(اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قـــوما بجهـــــالة) .

ويركز الباحثون على أن التحكم الاستعمارى الغربى المركز بوجه عام فى مصـــادر المعلومات والخبرة والانتاج الاعـــلامى وتكنولوجيا الاعلام ، يعطينا — كما يقول الأستاذ عبد القادر طاش — فكرة واضحة عن الدور الذى يلعبه هذا التحـــكم فى مجال تكريس تبعية الدول النامية والمستضعفة للمعسكرات الاستعمارية .

ففى مجال الصحافة وفى مجـــال تناول المعلومات فان وكالات الأنباء الغربية الأربعة (أسوشيتد برس " يونايتد برس : رويتر ، وكالة الصحافة الفرنسيـــة ، تتحكم فى ٨٠ فى المائة من التـــوزيع الاخبارى فى العالم ، وهذه الوكالة الغربية لا تخصص لأخبار الدول النامية اكثر من ٢٠ — ٣٠٪ من تغطيتها الاخبارية بالرغم من أن سكان الدول النامية يؤلفون ثلاثة ارباع سكان العالم ، حيث تحتكر هـــذه الوكالات بالاضـــافة الى وكالة تاس الشيوعية معظم الطاقات المادية والانسانية .

وفى مجال الصحافة وتبادل المعلومات — ثلث الدول النامية من عجزها امتلاك وكالات أنباء وطنية خاصة بها ، وتتجاهل وكالات الأنبـــاء الغربية عموما فى تغطيتهـــا الاخبارية مشكلات الدول النامــيـــة وتطلعاتها فضلا عما يشوب ما تجود به هـــذه الوكالات من الدس والتحريف والتشــــويه .

والمشكلة الاساسية هى أن الصحافة الغربية لاتهتم الا بالأخبـــار المثــيرة كأخبـــار الأزمات والاضطرابات والكوارث والصحافة الغــــربية صحافة تجارية مصلحية لأنها تهتم بالمصالح المـــادية الاقتصادية للدول الغربية وتحاول اشباع نهم قرائها الى أخبار الجرائم والاضطرابات والكوارث دون مراعاة للآثار السلبية الى تتركها هذه النوعية من الأخبار فى تشويه الواقع وتضليل الناس .

اما بالنسبة للاذاعـــة والتليفزيون فان الـــدول

الصناعية تتحكم فى ٩٠ فى المائة من الموجات الاذاعية وعددا وافرا من الاذاعات الموجهة القوية بمختلف اللغات العالميـــة والمحلية لنشر افكارها وآرائهـــا السياسية والتبشير لأنماط حياتها ومعيشها بين الشعوب النامية .

وفى مجـــال السينما تعد الأفلام السينمائية أكبر التجارات الاعلامية ربحا فى الولايات المتحدة حيث بلغت مبيعات ١٩٧٣ (٤٠٠ مليون دولار) هذه هى السيطرة الغربية على المعلومات ووسائل التأثير الاعلامى ومراكز الانتاج التليفزيونى والسينمائى بدعوى السوق الحرة وتحت شعار حرية الصحافة والمعلومات وهى الصورة الجديدة للاستعمار لأن الدول الصناعية الغربية تستخدم هذه السيطرة لخدمة مصالحها السياسية والاقتصادية وتسخر هذه السيطرة لتحقيق أهدافها التوسعية فغزو أفكار الشعوب المستضعفة وأضعاف شخصيتها وتخريب ثقافتها وأبعادها ، بشتى الوسائل عن الاهتداء الى شخصيتها المستقلة والاعـــزاز بحضـــارتها المتميزة ، وعلاقتها بها هى عـــلاقة الضعفاء بالأقوياء والاتباع بالمتبوعين ، وعلى الشعوب المسلمة مواجهة التحـــديات الحضـــــارية .

* * *

لقد كانت الثقافة والاعلام والمسرح وأدوات التسلية والترفيه وسائل مجتواه لتخريب اخلاقيات الأمـــم والشعوب ولكى يثبت فى قلوب الشباب روح الاستهانة بالقيم والسخرية بالضوابط والحـــدود ، وخلق طابع الشرعية للانحـــلال والفساد الأخلاقى ولقد استخدمت وسائل الاعلام لبث روح الفرقة والتمزق النفسى والانحلال وخاصة عن طريق الفن الشعبى والفلكلور ولقد شهـــد كثير من الباحثين والدعاة الى الله ان التليفزيون اخطر جهاز يهدد المفهوم الاسلامى والدعوة الاسلامية ، وان البرامج التليفزيونية بمستواها الحـــالى خلقت انماطا استهلاكية ترفيهية أضرت المجتمع كله . يقول الدكتور ابراهيم امام ان هذه الأنماط الاستهلاكية التى يعرضها التليفزيون مسئولة عن الأزمات الاجتماعية والنفسية التى يعانى منها الأفراد ، ان التليفزيون مفروض فيه انه وسيلة البناء لا للهدم ، وسيلة للاصلاح لا للافساد ، وسيلة للتقويم لا للتعويج ، للارتقاء بمشاعر الأمة وليس دفع هذه الأمة الى أسفل الدركات .

ويقرر عدد من الباحثين أن الاعلام ووســـائل الترفيه والتسلية قد عمدت الى تقديم ما يؤدى الى هبوط الاخلاق . وذلك عن طريق غياب الرؤية الاسلامية عن المسلسلات والبرامج . وتقديم النموذج الغربى فى مختلف قضايا المجتمع ، وهو نموذج يختلف تماما عن مفاهيمنا الاسلامية . وهذا يعنى كما يقول الدكتور ابراهيم امام اننا أمام غزو ثقافى مقنع وجديد لأن الغزاة لا يقولون اننا نغزو البشر بفكرنا وهو جـــديد لأنه مختلف من ناحية الأسلوب والمـــداخل ولكنه ليس جديدا من ناحية الغايات والأهداف لأن هدفه هو زحزحة القيم الاسلامية وابعاد الالتزام الأخـــلاقى من طريق الحياة الفكرية والأخلاقية للأمـــة الاسلامية .

وأخطر ما فى ذلك ان الاعـــلانات تعرف وتخاطب الغريزة الانسانية وكأن الانسان ما هو الا حيوان عليـــه أن يشبع غرائزه المادية . ومن العجيب أن المعلنين يستخدمون الغريزة الجنسية حتى فى الاعلان عن شفرة الحلاقة أو مشروب المياه الغازية .

لقد قام الاعـــلام الغربى على الاثارة ومن هنا نقل الاعلام الاسلامى هذه الأساليب من الجنس والاثارة ، اذ حدث نوع من الخلط الشديد بين طبيعة المجتمع الاسلامى وما ينبغى أن يقال فيه مسئولية طبيعة المجتمع الغربى وما يمكن أن يقال فيه .

وأحسب أن مسئولية عـــودة الوعى الاسلامى أدى القائمين على أجهزة الاعلام مسئولية ثقيلة لأنها تحتاج الى نفس طويل والى قيادة سياسية وتعليمية راشدة والى قاعدةعريضة من الاعلاميين المتجاوبين مع الخط الاسلامى الراشـــــــد .

ولقد كان التأثير السيء الذى أحدثه النموذج الغربى على بعض العقليات الاسلامية من اهم اسبـــاب هبوط الاعلام الاسلامى، ومن هنا فلابد من تكوين أجيـــال من الاعـــلاميين المسلمين عن غـــير طريق الابتعـــاث ، حيث يركزون هناك على فلسفات غريبة عن الاسلام بل معادية له . فالذين سافروا الى البـــلاد الشرقية كانوا يلزمونهم دراسة النظرية الماركسية اللينينية باعتبارها القاعدة الفكرية والمنطلق القيمى لدراسة الاعـــلام أو غيره من العلوم الاجتماعية كالاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا .

أما الطلاب المبتعثون الى الدول الغربية (الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والمانيا) فلا بد لهم من دراسة الفلسفة البرجمانية (فلسفـــة الذرائع) وفكر (جون

ديوى) خاصة فى التربية فضلا عن الاتجاهات الليبرالية الحرة القائمة على مذهب الحرية المرسلة واللذة والرغبة ووضع القوانين العلمية على أسس من الأهواء الشخصية والأفكار المعادية للانسانية .

فهل نغامر بتعريض أبنائنا لهذه الأقطار والمذاهب الهدامة ؟ ان أفضل اعداد لدراسة العلوم الاجتماعية هو الأساس الاسلامى والمنطق الشرعى والعقيدة الصحيحة المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله والتوقف عن التبعية التعليمية وكفانا أن نعيش عالة على أولاد العم ماركس أو أبنـــاء العم سام ، اننا أمــة ذات شخصية اسلامية مستقلة ويجب أن نكون أمــة ذات شخصية اعلامية مستقلة .

اننا فى حاجة الى انبعاث الثقة بقدرة الاسلام على مواجهة المشكلات المعــاصرة بما له من تاريخ وتجربة حضارية وأن تكون أولى مهام الدعوة الاسلامية تعميق الشعور فى المسلمين بوحــدة العالم الاسلامى ويجب أن نكشف انهيار التبعية الغربية ونجلى أهم العوامل :

أولا : سقوط الحضارة الغربية وعجزها عن الاجابة عــن مشكلات الانسان واخفــاق خريجى المــدارس الاستعمارية وتلامذتها الذين مكن لهم الاستعمار من تحقيق أى أمـــل .

ثانيا : استطاعت الدعوة الاسلامية الانتصار فى معركة التحدى الحضارى والصراع الفكرى وتخليص الجماهير المسلمة من مركب النقص أمام الحضارة الأوربية الغازية المتفوقة ماديا .

ثالثا : استطاعت الاحتفاظ بشعور المسلمين لوحدة العالم الاسلامى واقتناعهم بأن ذلك دين لا يجوز التفريط فيــه :

(وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

رابعا : الوقوف فى وجه محاولة التفتيت والتذويب للعرب قلب الأمة الاسلامية ودعائمها وفرض واقـــع التجزئة واقامة الكيانات الاقليمية مستخدما كل النزعات العشائرية والقبلية والعائلية والجنسية والقومية ، ذلك ان ما طرحه النفوذ الأجنبى من شعارات وتدائل فكرية لم تخرج فى الحقيقة عن أن تكون أقنعة اختبأت خلفها الطائفيات والاقليميات التى تحمــل الكيد التــاريخى للاســـــلام ..

خامسا : استطاعت الدعوة الاسلامية الانتصار فى قضية التميز الاسلامى وهى قضيـــة لا تزال فى أشد الحاجة الى الترشيد ازاء شراســـة المواجهـــة مـــع خصــــوم الاسلام .

سادسا : استطاعت الدعوة الاسلامية حل المعادلة الصعبة بين العلم والدين بعد أن كانت تسقط فى فرية أن العلم من لوازم الالحــاد .

سابعا : ضرورة تجاوز مرحلة الايمان بالاســـلام (مبادىء ومثلا) الى مرحلة ترجمة المبادىء الى برامج ، واعطاء الزمن الكافى لايضاح كل مرحلة وعدم استعجال الثمرة **(لا يكلف الله نفسا الا وسعها)**.

ثامنا : نقل الآراء والمبادىء الى واقع المسلمين وربط الأسباب بالنتائج .

تاسعا : الاستمرار فى الدفاع عن المواقع الاسلامية المهـــددة .

عاشرا : الاستمرار فى تحـــرير الاقطار الاسلامية المستهدفة لاستمرار الهجوم **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكــم ان استطاعوا)** ذلك أن الاستمرار فى حالة الدفاع يجعل الزمام فى يد أعــداء الاسلام ويبقى التحكم بمسار المسلمين الفكرى والثقافى فى أيديهم مع انهاك المسلمين باعادة الشبهات ولذلك فان علينا أن ننتقل من معركة تحقيق الذات الى معركة تقويم الذات .

***

الفصل الحادى عشر

الثـــــــورة

اتخذ مصطلح الثورة عدة تفسيرات فرضها الكتاب تحت تأثير الدعاية لمرحلة من مراحل الحيـــاة السياسية والاجتماعية للأمم ، ومنهم من بالغ فى هذا وتصور الثورة اتجاها دائما متصلا ، ومنهم من غالى فى وصف التغيير على أنه ثورة ، ومنهم من وصف حركات الجيوش التى تقوم على تغيير قيادات البلاد على أنها انقلاب أو ثورة . ولا ريب أن الثورة هى حركة جماعية تضم مختلف عناصر الشعب أو الأمة فى حـــركة خروج عن الأوضاع القائمة المضطربة والمنهـــــارة .

وهو مصطلح غربى دخيل على المفاهيم الاسلامية التى تقر كلمة « الاصلاح » وتصور رسالات الأنبياء انها دعوة الى الاصلاح والى تغيير الواقع الفاسد (**ان أريد الا الاصــلاح ما استطعت**) وقد اشار القرآن الكريم الى التغيير ووضع قاعدته (**ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهـــم**) .

والاسلام يدعو الى ان تغيير المجتمع لا يتم الا بعد ان يغيروا الناس ما بأنفسهم بمعنى أن يسلموا أنفسهم لله ويطبقـــوا أحكامه ويقيمـــوا شرعته ويبنوا المجتمـــع الربانى الذى يقـــوم على العـــدل والرحمة والاخـــاء البشرى .

والمسلمون مطالبون بالخـــروج من الأزمة وتحرير أنفسهم من التبعيـــة وان يظلوا قادرين على امتـــلاك ارادتهم ، وأن يظلوا مرابطين على الحدود ، محافظين على قواهم وأسلحتهم ، مستعدين للمواجهة ، قادرين على الردع لمن يحاول تجاوز حدودهم او دخول أرضهم أو فـــرض سلطانه عليهم ولكن هذا المفهوم الاسلامى فى القدرة على امتلاك الارادة لا يسميه الاسلام ثورة ، ولكن هو يعنى فى الحقيقة العودة الى المنابع ، وتحرير الارادة والتماس الأصول الحقيقية للنهضة .

ولقد اتخذت فكرة (الثورة) اكثر من مرة فى العصر الحديث لاخراج المجتمع الاسلامى من أصالته والقضاء على طابعه الاســـلامى . حدث هذا فى الحركة التى قام بها مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا والحركة التى قام بها مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا والحـــركة التى قام بها عبد الناصر فى مصر فقد كانت كلتاهما محاولتان تغريبيتان لاخـــراج المجتمـــع الاسلامى من طريقه الاســـلامى الى التغريب والاقليمية والتبعية تحت أسماء الثورة والتحرير والاشتراكية . وقد جـــرت الحركتان على طريق فتـــح الطريق أمام المخططات الصهيونية الطامحة فى السيطرة على فلسطين وبيت المقـــدس واقامة وطن لها من النيل الى الفـــــرات .

وفى كلا الحـــركتين لم يشترك الشعب على النحو الذى يعطيها اسم ثورة كما حـــدث فى ثورة ١٩١٩ . أو الثـــورات الجماعية التى يشترك فيها الشعب بمختلف طوائفـــه . ، وقد ظهرت فى السنوات الأخـــيرة خطة الانقلابات العسكرية فى عديد من البلاد العربية والاسلامية قام بها رجال من الجيش أزالوا بها الحكومات القائمة . ولكن هذا النموذج لم يحقق ماكانت تتطلع اليه الشعوب باقامة نظام جـــديد على أساس الشورى أو العـــدل الاجتماعى وانما كان عاملا مؤخرا لحركة اليقظة الاسلامية التى كانت تهدف الى اعادة البلاد الاسلامية والعربية الى الشريعة الاسلامية التى كانت مصدر الحكم فيها قبل الغزو العسكرى الأجنبى الذى أوقف النظام الاسلامى فى مجال السياسة أو الاجتمـــاع أو الاقتصاد أو التربيـــة والتعليم .

لقد كانت هذه الحركات فى الحقيقة مرحلة جديدة من مراحل التغريب ، التى بدأت فى ظل النفوذ السياسى الذى كان مرتبطـــا بالنفـــوذ الأجنبى المسيطر عسكريا وسياسيا ، وقد جاء بديلا له بعد انسحاب العسكريين على أثر نمو الغزو الثقافى وامتداد خطوات التغريب .

ولقد تراوحت البـــلاد العربية والاسلامية خـــلال سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية بين الديمقراطية

الغـربية وبين الماركسية الشيوعية ، ولم تستطـع التنظيمات سواء مـع الاقتصاد الحر أو مع التـأميم والاقتصاد الموجه ان تحقق للعالم الاسلامى ما كان يطمح اليه من قيام مجتمعه الأصيل الذى يتحقق فيـه العـدل والشورى وقد تحولت بعض هذه الحركات الى أنظمة دكتاتورية تعمل على تأمين وجودها بشىء غير قليل من العنف ، كما تحول بعضها الآخر الى أسلوب من الانفتاح الاقتصـادى والديمقراطى ، وبقيت قضيـة الاحتـلال الصهيونى لفلسطين وبيت المقـدس مؤثرا ضخما على حركة المنطقة العربية كلها مع بروز المطروحات القومية والاقليمية والعلمانية فى متابعة للنظم الغربية ، أو النظم الماركسية والشيوعية ، وما يزال للـدولتين الكبيرتين ونظامها أثر كبير على بلاد العالم الاسلامى وارتباطاته الاقتصادية والعسكرية مما يؤدى الى تبعية واضحة .

وكل ما تتطلع اليه الأمة الاسلامية اليوم هو ازالة السيطرة الأجنبية وامتلاك الارادة الحرة لاقامة المجتمع الاسلامى المتحرر من العلمانية والقومية والمحقق لنظامه الاسلامى السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى ايمان كامل بأن الديمقراطية الغربية ليست هى الشورى الاسلامية وان العدل الاجتماعى الاسلامى ليس هـو الاشتراكية ويجىء هذا عن طريق الاصلاح والتربية وبناء الأجيـال الجـديدة ، وفى ظل مفهوم الاسلام الذى لا يقـر العنف ولا الانقلاب ولا اراقة الدمـاء ، وانما وفق سنة التطـور والتدرج ، وبعيدا عن العنف والديكتاتورية على أساس العبودية لله تبـارك وتعالى وتحقيق ارادته والذى يعمل على قيام الوحدة الاسلامية الجامعة وبناء المجتمع الاسلامى الرشيد وتبليغ رسالة الاسلام للعالمين وليس فى ذلك ثورة وانما هى عودة الى المنابع .

***

مذهب اجتماعي وافد ، ظهر في فرنسا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية وهو بمثابة رد فعـــل لمشاعر الهزيمة وثمرة التدمير الذي أصاب فرنسا وأوجد في نفوس شبابها احساس بالهزيمة والتمزق والغربة ، وقد احتوته القوى التلمودية لاستغلاله لهدم نفسية الشباب الفرنسي ومن ثم تحولت الوجودية الى مذهب ملحد (هيـــدجر — سارتر — البيركامي) ، لا يعتـــرف بوجود الاله الخالق والانسان في نظرهم وجد في هذا الكون دون أن تكون له ماهية مسبقة ، ودون أن يكون على صلة او معرفة بالقوة التي دفعته الى هذا الوجود .

وسارتر الذي قاد مسيرة هذه النظرية منكر للخالق وهو يظن أنه بالحاده ذلك يستطيع أن يخرج الانسان الى عالم الحرية الذي يريد أن يصنعه للانسان .

ويتصور الوجوديون : (أنهم جيل بلا أمل ، جيـــل بلا عمق ، وبلا مستقبل ، ان عمقنا هو الهاوية وحبنا هو الوحشية ، وشبابنا بلا شباب وحياتنا علب من الورق ، فارغة وقابلة للتمزق ، ان حياتنا حطام الوحدة والعزلة والسلبية) والاتجاه الوجودي كما يقول رمضان لاوند — هو تعبير عن الاحساس الجارف بالغربة عن الحضارة والناس أو بتعبير آخـــر هو احساس الانسان بالوحدة وهـــو ينطلق من المسلمة التي تقول ان الأشياء لا تتحدد حقيقتها بماهيتها بل بوجودها والراى في الوجودية أنها اعلان عن افلاس الانسان في مواجهة القيم الانسانية العامة لقد أصبح الانسان الغربي والمثقف الغربي ، يؤمن بسقوط كل القيم التقليدية ، كما أصبحت الحقيقة بالنسبة له تدور حول وجوده فحسب ، هذا الموقف يعود الى الاحساس بالاغتراب والى نوع من العبثية واللاعقلانية ، ولعل البـــير كامو في قصصه وســـارتر في رواياته أن يكونا النموذجين الأصليين لهـــذه الظاهرة ولن يكتب للوجودية ازدهار في العالم الاسلامي والعربي في المستقبل المنظور الذي لا يزال متمسكا بالقيم النابعة من تراثه الاسلامي .

ولن يستعيد العربي شخصيته ويتحرر من حالة الاغتراب الا بعد أن يهيمن على مقدراته القومية أولا ، وثانيا بعـــد أن يصنع حضـــارته أو مجتمعه المستقبلي انطلاقا من قيمه التي تتمثل بصفة خاصة بالفكر القرآني واخلاق القرآن وقد أسفرت كل المحاولات التي تصد بها الى تغـــريب العالم العـــربي راى اعطاءه الشخصية الغربية عن فشل ذريع حتى الآن ، فقد فشلت الفلسفات الاجتماعية والفلسفة الحديثة والمتمثلة في سلسلة احزاب تسمى قومية وتقدمية ويسارية عن استيعاب الوجدان الشعبي وظل أنصارها محصورين في طبقة المثقفين الذين تخرجوا في ظل الثقافة الغربية والمؤسسات التربوية التي صنعت على الصـــورة الغربية .

ويجب أن نقتنع بأنه لا يمكن أن تقوم للعرب قائمة دون الاسلام ، فهو وحده القادر على اعطائهم الشخصية المميزة ، فاذا توفرت لدينا هذه القناعة أصبح من السهل اعادة تشكيل الشخص المسلم بواسطة رؤيا اسلامية أصيلة تتصـــل بالقيم ومناهج الفكر والسلوك والنظم الاجتماعية وغيرها . » . ا هـ .

***

الفصل الثانى عشر

الآثـــــــار

اتخـــذت قوى النفـــوذ الأجنبى الآثار والحفريات والكشـــوف الأثرية اداة لتغـــريب المسلمين واحيـــاء مفاهيم سابقة للاسلام ، وكانت مسألة اكتشاف قبر توت عنخ آمون وغيره من الآثار الفرعونية والآشورية والبابلية احدى مسائل النفوذ الأجنبى فى حجب الواقع الاسلامى القريب ومحاولة تجديد ما قبل الاسلام ورد الأمم الى هذا التاريخ ودعوتهم الى احياء هذا التاريخ البائد الذى قضى عليه الاسلام فيما قضى من وثنيات ولغـــات وتقاليد واحيا بدلا منها مفهوما جديدا قائما على التوحيـــد الخالص .

ولقد اجرى النفوذ الأجنبى اهتماما كبيرا بحفريات تل العمارنة وآثار اخناتون ومراكب الشمس وغيرها وحاول ان يصف ما قام به (اخناتون) بأنه دين التوحيد ، بينما كان عمله هو توحيد الوثنية حـــول عبادة قرص الشمس (أتون) ثم كان ما كان من اكتشاف مقـــابر تحتمس الرابع والملكة حتشبسوت وسيلة لاعلاء مفاهيم الوثنية الفرعونية .

وما تزال احاديث تثـــار حول هذه الحفريات فى سبيل احياء الفرعـــونية فى مصر ، وقام كثيرون بكتابة تاريخ هذه الفترة ويتصدى كثير من كتاب الصحف الى موالاة هـــذه الحفريات تحت اسم الدعوة الى تشجيع السياحـــــة .

وهى محاولات مضللة ترمى الى اعطاء هذه المرحلة من تاريخ مصر أكثر من حجمها الحقيقى ، وعندما يعرف أن هذه المرحلة لا يوجد لها أدب ولا ثقافة ولا لغـــة يمكن الاعتماد عليها فى احيانها تبدو هذه المحاولات وكأنها تهدف الى تغريب التاريخ .

ولعل اهم ما يذكر فى هذا الصدد ، ما ذكره ارنولد توينبى من قوله :

بالبحث عن الحضـــارة الفرعونية فى كيان مصر الحديثة يتبين أن الحضارة الفرعونية قد ماتت من قديم ، وقال دكتور حمدان ان مصر الفرعونية لم تعد موجودة الا فى المتاحف اما فى الوادى فقـــد انقرضت كما انقرضت تماسيح النيل فى النهر (أنظر مادة فرعونية) .

ولقد جرت قوى النفوذ الأجنبى لاحتضان الكشوف الأثرية واعتمدت لها مبالغ ضخمة لتجعلها وسيلة لتغريب المسلمين باعادتهم الى ما قبل الاسلام .

ولكن الحفريات التى جـــرت فى العالم الاسلامى والبلاد المصـــرية قد حققت أشياء كثيرة تؤكد ما جاء فى القـــرآن الكريم ، وما تزال تكشف الحفريات كل يوم جديدا يزيح الستار عن حقيقة تاريخية ، تظاهر ما جاء فى القرآن الكريم من آيات بينات جعلها الحق تبـــارك وتعالى نورا وهدى للبشرية حتى تؤمن وتصدق ثم تزداد ايمانا بأنه من عنـــد العليم الخبير ، ولقد انكشفت حقائق كثيرة فى شأن فرعون عندما جاء (الدكتور موريس بوكاى) وكشف عن فرعـــون موسى الذى تبين أنه غرق ثم أنجاه الله ليكون اية للناس ، (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) ..

وكذلك فقد كشفت الحفريات ما يتعلق بشأن القرى المكتفئات التى كانت تفعل الخبائث ومن قبل ذلك كشفت الحفريات كثيرا من شأن قوم ابراهيم وقوم اسماعيل بما صحـــح كثيرا من الأكاذيب المدعـــاة التى حاولت رحلة ابراهيم الى مكة واقامة قواعد البيت مع ابنه اسماعيل عليهما السلام وكان لهذه الكشوف الأثرية أثرها العكسى المضاد لما كان يهدف اليه بعض الدعاة .

وكان من أخطر الأحداث فى هذا الصدد ذلك الكشف الأثرى الخطير الذى وقع عام ١٩٤٧ على شاطىء البحر الميت عنـــدما عثر احد البدو حينما ضلت عنزته فذهب يبحث عنها فاهتـــدى فى أحد الكهوف على تلك الجرار الحجرية الغريبة التى تشتمل على محفوظات دينية أذهلت العالم المسيحى بأسره وقد القت الضوء على مرحلة خطيرة من تاريخ المسيحية وتاريخ السيد المسيح نفسه مما يصدق ما جاء فى القرآن الكريم .

الفصل الثالث عشر

الفلكلور (الأدب الشعبي)

يطلق اسم الفلكلور على الكتابات العامية الشعبية المستقاه من المجتمعات الريفيــة والبدوية عبارة عــن ترنيمات وفكاهات وعبــارات قيلت فى مناسبات وجرت مجرى الامثال تصدر عن العقلية البسيطة الساذجة التى لم تصــل اليها الثقافة العربية اتصلت بالقرآن الكريم والحديث النبوى وشعر الشعراء الفحول . وهى تمثل طفــولة البشرية وسذاجة المجتمعات قبــل تحضرها واتصالها بالأدب الرفيع ، ولم تكن لهذه الكتابات أهمية تذكر لولا ان المستشرقين ودعاة الغزو الفكرى كانوا قد تنبهوا الى ذلك منذ وقت بعيد رغبة منهم فى اعزاز العامية وخلق تراث لهــا يمكنهم من الادعاء بأن العامية هى لغة مستقلة تختلف عن اللغة العربية الفصحى وقد وصف الفلكلور بأنه كل ما يتصل بالسذاجة والانحطاط فى الحس الجمالى والفنى .

ومصطلح الفلكلور لا يشمل فى مفهوم فنون القول فحسب وانما هو يشمل كل الفنون والمصنوعــــات والعــادات والتقاليد والمناسبات الخاصة والاحتفالات المتعاقبة بها والتى يتبعها شعب من الشعوب البدائية وما يتعلق بعطاءات البيئة ، وحيــاة الأمم واعادته مرة أخرى بعد أن عدت الشعوب والأمم هذا التطور ودخلت فى الاسلام الذى قدم لهــا أرقى المفاهيم واصح القيم فى مختلف مجالات الميتافيزيقا (الغيب) والحضارة فهى ردة الى المثــل العامية الساذجة التى قالها الناس فى عهود السذاجة والضعف والعجز عن فهم الكون الواسع .

والهدف ماكر خبيث من حيث احياء النكات والأمثلة والرقص ومفاهيم الخوف من الطبيعة والأساطير وتقديم الذبائح للآلهــــة .

وكل هــذا يهــدف الى اعلاء شأن العاميات التى لا تستطيع أن تعبــر الا عن أدنى المشاعر وهل يمكن ان يوضع هذا فى صف أدب الفصحى ومفاهيم الحضارة التى نشرها الاسلام بتحرير العقل البشرى من عبادة الأوثان وكل ما يتعلق بالخرافات والعرافين .

ان الهدف هــو الردة الى القديم البالى فى عصر الوثنية ، وحجب المسلمين عن مفاهيم الحضارة الاسلامية التى قدمتها للبشرية .

ولقد تحــدث الباحثون فى هذا الصدد فأشاروا :

أولا : الى أن الأساطير والسير الشعبية وألف ليلة ومجموعة الأمثال العامية لا يمكن أن تقدم تصورا صحيحا للمجتمعات الاسلامية .

ثانيا : ان هناك انقطاعا حضاريا قد تم بين عصور ما قبل الاسلام وعصر الاسلام نفسه وأن هذا الفلكلور ليس هو تراث مجتمعاتنا الاسلامية الحقيقى الذى تكون منذ أربعــة عشر قرنا .

* * *

وعندنا ان احيــاء الفلكلور لا تتحقق به المحافظة الشخصية للأمة ولا يمكنها من أن تنمــو وتزدهر وتتمكن من الحفاظ على ذاتيتها الخاصــة ولا من رد أى عدوان عليها وانما الذى يستطيع ذلك هو المــيراث الاسلامى الحقيقى (القــرآن والسنة) واللغة الفصحى وتاريخ الاســلام ، ذلك أن الفلكلور يقــوم على أوهام الشعوب وأهوائها وعلى أدنى قدر من العواطف والمشاعر التى تتعلق بها النفوس الضعيفة المحدودة الأفق ، التى لم تصل الى قدر من الثقافة التى يقدمها الاسلام من حيث تحرر النفس والعقل من الوثنيات والماديات .

وفرق عميق بين التاريخ وبين الفلكلور وبين التراث بل ان الفلكلور نفســه انما يستهدف احياء الاقليميات

والوثنيه والتقاليد والعـــادات التى انحرفت عن مفهوم العقائد الصحيحة مما صنعه الانسان البدائى الساذج فى حالات الفرح والحزن وفى خلال مراحل الالتقاء الاجتماعى العـــام وهى فى مجموعها خارجة عن أصول الدين الحق الذى هدينا اليه ، ولذلك فان احياء هذا النوع من التراث هو احياء لدعوة التفرقة والجهل والتمزق ، ذلك أن قدرا كبيرا من هذا التراث يتعارض مع القيم الأساسية التى بناها الاسلام فى نفوس أهله .

❊ ❊ ❊

والمعروف أن المواويل والأغانى هى مجموعة خواطر ساذجة سواء فى الأفراح أو الأحزان وهى فى مجموعهـــا تعارض المفهوم الاسلامى الذى يرتقى من الندب واللطم .

والتفرغ الى قبـــول أمر الله والرضـــا به والايمان بكل قـــــدر الله .

وهذا كله يصل بنا الى أن نشجب القول بأن التراث الشعبى للمجتمع هـــو المراة التى تعكس ما استقـــر فى الوجـــدان الاجتماعى من توهمات عرفتها طفولة البشرية عبر القصور والأجيال ، هذا الوجدان وجدان زائف مبطل ولا يصح القياس عليه لأنه انحرف عن مفهوم الاسلام .

وهـــذا كله كذب والقول بأن المواويل والأغانى والفكاهات والنكات هى تراث شعبى يصور نفسية الأمة ويدل عليهاوهم باطل وانما الحقيقة أن هذا كله ركام زائف مما عرفته الأمم فى عصر بدوتها وفى مرحلة طفولتها قبل أن تدخل مرحلة الرشد الفكرى الذى أدخلها اليه الاسلام .

❊ ❊ ❊

سلسلة المصطلحات المعاصرة

دراسة مستقلة تضم ١٥٠ مصطلحاً

تصدر في هذه الموسوعة

دار العلوم للطباعة
القاهرة ٨ شارع حسين حجازي « قصر العيني »
ت: ٣٥٥١٧٤٨٠

رقم ايداع بدار الكتب ٤٢٠١ — ١٩٨٦
الترقيم الدولي ٨ — ١٣٢ — ١٤٢ — ٩٧٧